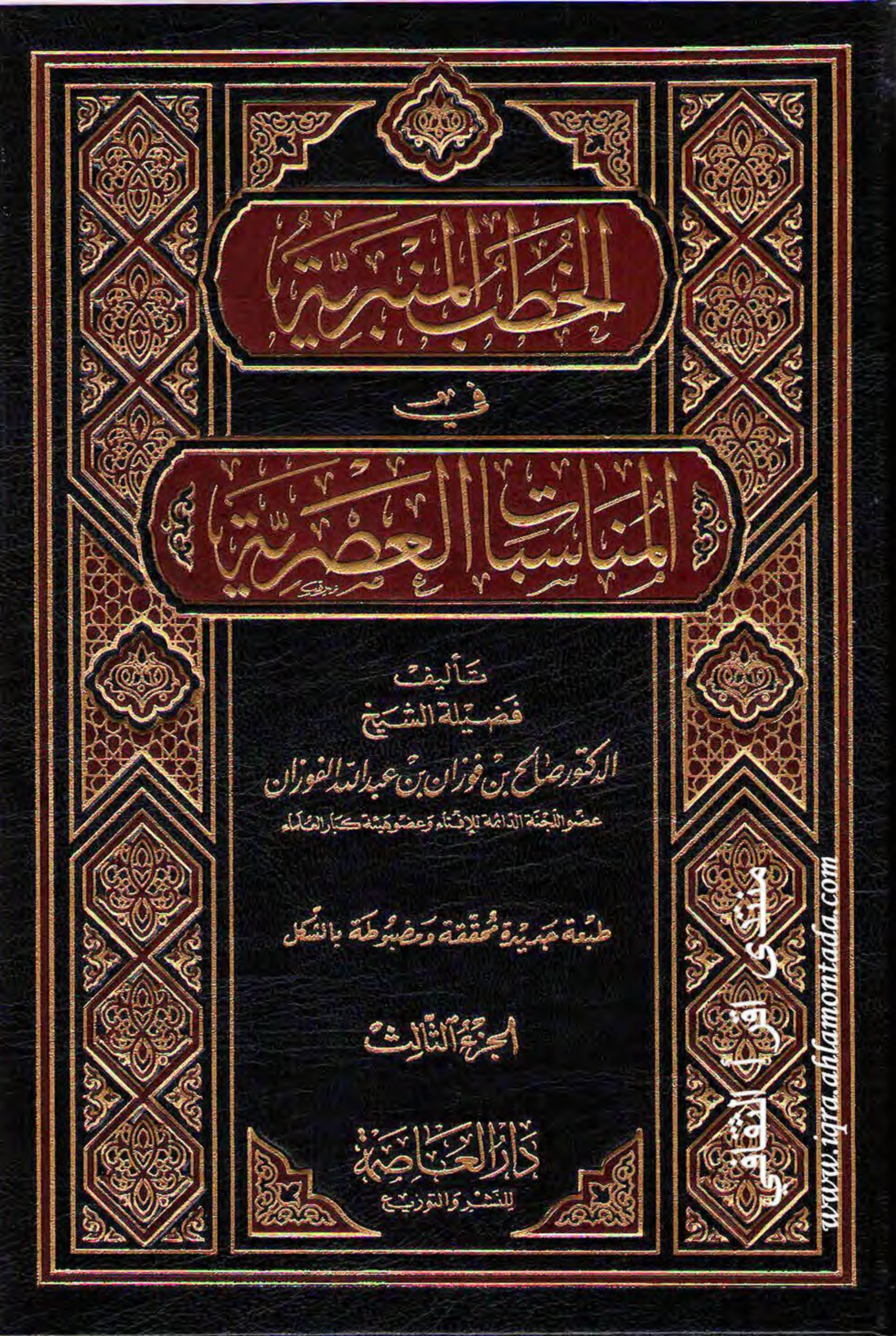
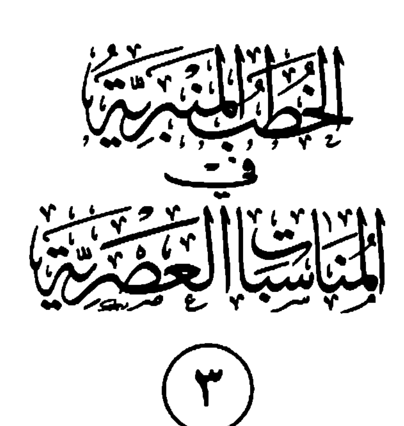

الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء
طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل
الجزء الثالث
دار العاصمة
للنشر والتوزيع
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي


الخطب المنبرية
في
المناسبات العصرية
٣

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفوزان، صالح بن فوزان
الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ./ صالح بن فوزان الفوزان .
- الرياض ١٤٢٦ هـ
٦ مج
ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٥-٠٣-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٣)
١- خطبة الجمعة أ - العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٦/٢٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٢٠٤
ردمك : ٠-٠٠-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٥-٠٣-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج ٣)

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

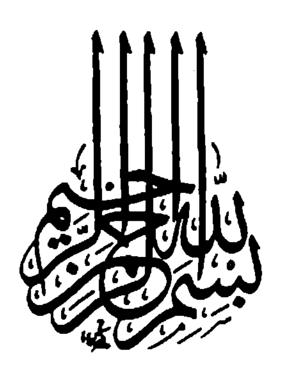


تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

طبعة جديدة محققة ومضبوطة بالشكل

الجزء الثالث

دار العاصمة
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، أَمَرَ بالتذكيرِ. وأخبرَ أنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنينَ، وأنكرَ على الذين يُعرضونَ عن التذكيرِ فقالَ: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المدَّثِّر: ٤٩]، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين، فدَعَا إلى اللهِ وذَكَّرَ بأيامِ اللهِ وبلَّغ البلاغَ المبينَ، وعلى آله وأصحابه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ ـ وبعد: فهذَا هُو الجزءُ الثالثُ مِنَ الخُطبِ المنبريةِ في المناسباتِ العصريةِ. والتي أَحببتُ نشرَها رجاءَ أنْ ينفعَ اللهُ بها من يقرؤُها. كما أرجُو أن يكونَ قد انتفعَ بها من سَمِعَهَا، وسيلاحظُ القارىءُ الكريمُ أنه ربما تتكررُ عِدَّةُ خُطَبٍ في موضوعٍ واحدٍ. وهذا راجعٌ لأهميةِ هذا الموضوعِ ووجوبِ العنايةِ به؛ ولأنَّ تنويعَ التذكيرِ وتكرارَه قد يكونُ أبلَغَ في التأثيرِ، وخُطبة الجُمعة لها أهميةٌ كُبرى. وقد أَمَرَ الله سبحانه بالسعي لحضورِها واستماعِها ونهى النبي ﷺ عن الكلامِ وقتَ إلقائِها، قَال اللهُ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجُمُعَة: ٩]. والذِّكرُ هو الخُطبة ـ قال القرطبيُّ رحمه اللهُ تعالى في تفسيرِه: قولُه تَعالى: ﴿ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجُمعة: ٩] أي الصَّلاة ـ وقيل الخُطبة والمَواعظ. قالَه سعيدُ بنُ جُبيرٍ: والصحيحُ أنه واجبٌ في الجميع وأوله الخُطبة وبه قال علمَاؤنا إلاَّ عبد الملكِ بن الماجشون فإنه رآها سُنةً ـ والدليلُ على وجوبِها أنها تُحرِّم البيعَ، ولولا وجوبُها ما حَرمتْه؛ لأنَّ المستحبَ لا يحرِّم المباحَ، وإذا قلنا إنَّ المرادَ بالذِّكرِ الصلاةُ فالخطبةُ مِنَ الصلاةِ، والعبدُ يكونُ ذاكراً لله بفِعله كما

يكونُ مُسَبِّحَاً لله بفِعله. فإن قُلتَ كيف يُفسرُ ذِكرُ اللهِ بالخُطبةِ وفيها غيرُ ذلك؟ قلتَ ما كان من ذِكر رسولِ اللهِ ﷺ والثناءِ عليه وعلى خلفائِه الراشدين وأتقياءِ المؤمنين والموعظةِ والتذكيرِ فهو في حُكمِ ذِكرِ اللهِ، انتهى.

قال علماؤنا: يُشْتَرَطُ لصحةِ صلاةِ الجُمعةِ تَقَدُّمُ خُطبتين لمواظبةِ النبيِّ ﷺ عليهما. وقال ابنُ عمر: «كان النبيُّ ﷺ يَخطبُ خُطبتينِ وهو قائمٌ يَفْصِلُ بينهما بجلوسٍ» متفقٌ عليه[1].

هذا، ويجبُ الاعتناءُ بموضوعِ خُطبتَي الجُمعة بحيث يكونُ عِلاجاً لمشاكلِ المجتمعِ الإسلامي.

قال الإمامُ ابنُ القيمِ: ومن تأمَّل خُطبَ النبيِّ ﷺ وخُطبَ أصحابِه وَجَدَهَا كفيلةً ببيانِ الهُدىٰ والتوحيدِ وذِكرِ صفاتِ الرب جَلَّ جلالُه، وأصولِ الإيمانِ الكليةِ، والدعوةِ إلى اللهِ، وذِكرِ آلائِه تعالى التي تُحببه إلى خَلقِه، وأيامِه التي تُخوفهم من بأسه، والأمرِ بذِكره وشُكرِه الذي يُحببهم إليه. فيذكُرون من عظمةِ اللهِ وصفاتِه وأسمائِه ما يُحبِّبُه إلى خَلقِه ويأْمَرون مِنْ طاعتِه وشُكرِه وذِكرِه ما يُحببهم إليه. فينصَرف السامعون وقد أحبُّوه وأَحبُّهم. ثم طَالَ العهدُ وخَفِي نورُ النبوةِ وصارتِ الشرائعُ والأوامرُ رسوماً تُقَامُ من غير مراعاةِ حَقائِقها ومقاصدِها، فجعلُوا الرسومَ والأوضاعَ سُنناً لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصدِ التي لا ينبغي الإخلالُ بها فرصعُوا الخُطبَ بالتسجيعِ والفقرِ وعِلمِ البديعِ. فنقصَ بل عُدِمَ حَظُّ القلوبِ منها، وفاتَ المقصودُ بها. انتهى.

أقولُ هذا ما قَاله الإمامُ ابنُ القيمِ في طَابعِ الخُطب في عَصرِه، وقد زادَ الأمرُ

---

(١) البخاري (٩٢٠، ٩٢٨) ومسلم (٨٦١).

على ما وَصَفَ حتى صارَ الغالبُ على الخُطبِ اليومَ أن تكونَ حَشواً من الكلامِ قليلِ الفائدةِ، فبعضُ الخُطباءِ أو كثيرٌ منهم يجعلُ الخُطبة كأنها موضوعُ إنشاءٍ مدرسيٍّ يرتجلُ فيه ما حَضَرَه من الكلامِ بمناسبةٍ وبِدونِ مناسبةٍ، ويُطيلُ الخُطبةَ إطالةً مُمِلَّةً حتى إنَّ بعضَهم يُهملُ شروطَ صِحةِ الخُطبة أو بعضِها ولا يتقيدُ بمُواصفاتِها الشرعيةِ. فهبطُوا بالخُطبِ إلى هذا المستَوى الذي لم تَعُدْ معه مؤديةً للغَرضِ المطلوبِ من التَّأثيرِ والتأثُّرِ والإفادةِ، وبعضُ الخُطباءِ يُقحمُ في الخُطبة مواضيعَ لا تَتناسبُ مع مَوضوعِها وليس من الحكمةِ ذِكرُها في هذا المقامِ وقد لايفهمُها غالبُ الحُضورِ لأنها أرفعُ من مُستواهُم.

فيا أيها الخُطباء: عُودوا بالخُطبةِ إلى الهَدي النبويِّ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. رَكِّزُوا مواضيعَها على نصوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ التي تتناسَبُ مع المقامِ وضَمِّنُوها الوصيةَ بتقوىٰ اللهِ والموعظةِ الحسنةِ. عَالِجُوا بها أمراضَ مُجتمعاتِكم بأسلوبٍ واضحٍ مُختَصرٍ، أكثِرُوا فيها من قراءةِ القرآنِ العظيمِ الذي به حياةُ القلوبِ ونورُ البصائرِ.

إذْ ليس المقصودُ وجُود خطبتين فقط بل المقصودُ أثرهُما في المجتمعِ، كما قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله: لايكفي في الخُطبةِ ذَمُّ الدنيا وذِكرُ الموتِ. لأنَّه لابدَّ مِن اسمِ الخُطبةِ عُرفاً بما يحركُ القلوبَ ويبعثُ بها إلى الخيرِ. وذَمُّ الدنيا والتحذيرُ منها مِمَّا تَواصى به مُنكرو الشرائعِ. بل لابدَّ مِنَ الحثِّ على الطاعةِ والزجرِ عن المعصيةِ والدعوةِ إلى اللهِ والتذكيرِ بآلائه... ولا تحصلُ الخُطبةُ باختصارٍ يَفوت به المقصودُ، وقد كان النبيُّ ﷺ إذا خَطبَ احْمرَّتْ عيناه وعَلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه حتى كأنه مُنذرُ جيشٍ يقولُ صَبَّحكمْ ومَسَّاكُم أ. هـ.

هذه هي العناصرُ المُهِمَّةُ في الخُطبةِ.

وقد ذَكَرَ الفقهاءُ رحمهم الله أنه يُسَنُّ في خُطبتي الجُمعةِ، أنْ يَخطبَ على منبرٍ لِفِعْلِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ؛ ولأنَّ ذلك أبلغُ في الإعلامِ وأبلغُ في الوعظِ حينما يشاهدُ الحضورُ الخطيبَ أمامَهم. قالَ النوويُّ رحمه الله: واتخاذُه سُنَّةٌ مُجمعٌ عليها، ويُسنُّ أن يُسلمَ الخطيبُ على المأمومين إذا أقبلَ عليهم. لقولِ جابرٍ: كان رسول الله ﷺ إذا صَعَدَ المنبرَ سَلَّمَ، رواه ابن ماجه، وله شواهدٌ.

ويُسَنُّ أن يجلسَ على المنبرِ إلى فراغِ المؤذنِ لقولِ ابنِ عمر: كان رسولُ اللهِ ﷺ يجلسُ إذا صعدَ المنبرَ حتى يفرغَ المؤذنُ ثم يقومُ فيخطبُ. رواه أبو داود[1].

ومن سُنن خُطبتي الجُمعةِ أن يجلسَ بينهما، لحديثِ ابنِ عمر كانَ النبيُّ ﷺ يَخطبُ خُطبتين وهو قائمٌ يفصلُ بينهما بجلوس. متفقٌ عليه[2] ومن سُننِهما أن يخطبَ قائماً لِفِعْلِ الرسولِ ﷺ، ولقولِه تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآيِمًاۚ﴾ [الجُمُعَة: ١١] وعملِ المُسلمين عليه.

ويُسَنُّ أن يعتمدَ على عصًا ونحوه، ويُسَنُّ أن يقصدَ تلقاءَ وجهِه. لِفعلِه ﷺ؛ ولأنَّ التفاتَه إلى أَحَدِ جَانبيه فيه إعراضٌ عن الآخرِ ومخالفةٌ للسُّنَّةِ؛ لأنه ﷺ كان يقصدُ تلقاءَ وجهِه في الخُطبة، ويستقبلُه الحاضرون بوجوهِهم، لقولِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: كان إذا استَوى على المنبرِ استقبلنَاه بوجوهِنا رواه الترمذيُّ[3] ويُسَنُّ أن يقصرَ الخُطبةَ تقصيراً معتدلاً بحيث لا يطيلها حتى يملوا وتنفر نفوسهم، ولايقصرها تقصيراً مخلاً فلا يستفيدونَ منها. فقد روى الإمامُ مسلمٌ عن عمارٍ مرفوعاً: (إنَّ طُولَ صلاةِ الرجلِ وقصرِ خُطبتِه مَئِنَّةٌ من فِقهِه.

---

(١) رواه أبو داود (١٠٩٢).
(٢) رواه البخاري (٩٢٠، ٩٢٨)، ومسلم (٨٦١).
(٣) رواه الترمذي (٥٠٩).

فأطيلُوا الصلاةَ وأقصرُوا الخُطبةَ) (١) ومعنى قوله: (مئنةٌ من فِقهه) أي علامةٌ على فِقهه.

ويُسَنُّ أن يرفعَ صوتَه بها لأنَّه ﷺ كان إذا خَطَبَ علا صوتُه واشتدَّ غضبُه؛ ولأنَّ ذلك أوقعَ في النفوسِ وأبلغَ في الوعظِ، وأن يُلقيَها بعباراتٍ واضحةٍ قويةٍ مؤثرةٍ، وبعباراتٍ جَزلةٍ.

ويُسَنُّ أنْ يدعوَ للمسلمين بما فيه صلاحُ دينِهم ودُنياهم، ويدعوَ لإمامِ المسلمين، وولاةِ أمورِهم بالصلاح والتوفيقِ، وكان الدعاءُ لولاةِ الأمورِ في الخُطبةِ معروفاً عند المسلمين وعليه عَملهم.

قالَ الإمامُ أحمدُ: لو كان لنا دعوةٌ مُستجابةٌ لدعونا بها للسلطانِ؛ ولأنَّ في صلاحِه صلاحَ المسلمين.

أقولُ: وقد تُركتْ هذه السُنَّةُ حتى صارَ الناسُ يستغربُون الدعاءَ لولاةِ الأمورِ ويُسيئونَ الظنَّ بمن يفعلُه.

ويُسَنُّ إذا فرغَ من الخطبتينِ أن تقامَ الصلاةُ مباشرةً وأن يشرعَ في الصلاةِ من غيرِ فَصْلٍ طَويلٍ.

صَلاةُ الجُمعةِ، ومَا يُقْرَأُ فِيها:

وصلاةُ الجُمعةِ ركعتانِ بالإجماعِ يُجهرُ فيهما بالقراءةِ ويُسَنُّ أن يقرأَ في الركعةِ الأولَى منهما بسورةِ الجُمعةِ بعد الفاتحةِ ويقرأُ في الركعةِ الثانيةِ بعد الفاتحةِ بسورةِ المنافقين، لأنَّه عليه الصلاةُ والسلامُ كان يقرأُ بهما كمَا رواه

---

(١) رواه مسلم (٨٦٩).

مُسلمٌ[١] عن ابنِ عباسٍ، أو يقرأُ في الأولى بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وفي الثانيةِ بـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ فقد صَحَّ أنه ﷺ كان يقرأُ أحياناً بالجمعةِ والمنافقينِ، وأحياناً بسَبِّحْ والغاشيةِ، ولا يَقْسِمُ سورةً واحدةً من هذه السورِ بين الركعتينِ، ولا يقرأُ من وسطِ السورةِ أو آخرِها لأنَّ ذلك خلافُ السنةِ.

والحكمةُ في الجهرِ بالقراءةِ في صلاةِ الجُمعةِ كونُ ذلك أبلَغَ في تحصيلِ المقصودِ وأنفعَ للمسلمين الحاضرين للصلاةِ، ففي ذلك تبليغُ كلامِ اللهِ إليهم: والحكمةُ في قراءةِ سُورةِ الجُمعةِ والمنافقين؛ لأن سورةَ الجُمعةِ قد تضمنتْ الأمرَ بصلاةِ الجُمعةِ وإيجابَ السعي إليها وتركَ العملِ العائقِ عنها، والأمرَ بالإكثارِ من ذِكرِ اللهِ ليحصلَ لهم الفلاحُ في الدَّارين، وأما سورةُ المنافقين فَلِمَا فيها من التحذيرِ للأمةِ من النفاقِ والتحذيرِ من الاشتغالِ بالأموالِ والأولادِ عن صلاةِ الجُمعةِ وعن ذِكرِ اللهِ، والحثُّ على الإنفاقِ الذي به سَعَادتهم وتذكيرِهم بالموتِ للاستعدادِ له قبل نزولِه. وأما سَبِّحْ والغَاشِيةُ فلما فيهمَا مِنَ التذكيرِ بأحوالِ الآخرةِ والوعدِ والوعيدِ، لكن مع الأسفِ كثيرٌ من أئمةِ الجوامعِ في هذا الزمانِ يتكَاسلونَ عن قراءةِ هذه السورِ، ويُقصرونَ القراءةَ جدًّا وهذا خلافُ السُّنَّةِ، وتَفويتٌ للمصلحةِ العظيمةِ التي تحصلُ بقراءةِ هذه السورِ، فينبغي لهم أن يتقوا اللهَ ويحرصُوا على الاقتداءِ برسولِ اللهِ ﷺ . . .

وفَّق اللهُ الجميعَ لِفِعْلِ الخيرِ والعملِ بالسُّنَّةِ واجتنابِ البدعةِ . .

وصلّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمدٍ وآله وصَحبه

المؤلـــف

---

(١) رواه مسلم (٨٧٨) .

في فضل لا إلهَ إلاّ اللهُ
وبيانِ مَا تقتضِيه

الحمدُ للهِ، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه ونَتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أنْ لاَ إِله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسَلم تسليماً كثيراً .. أمَّا بعد:

أيها الناسُ: اتقوُ الله كمَا أمَرَكُم أن تَتَّقُوه، وأطيعُوا أمرَه ولا تعصُوه. واذكرُوه يَذْكُرْكُم واشكرُوه ولا تكفرُوه...

عبادَ اللهِ: لقد أَمَرَنَا اللهُ بِذِكْرِه في عمومِ الأوقاتِ. فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وخَصَّ بعضَ الأوقاتِ كأدبارِ الصلواتِ وبعد الانتهاءِ من أداءِ العباداتِ فأمَرَ بذِكرِه فيها لمَزيَّتِهَا على غيرِها، قال تَعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النِّساء: ١٠٣].

وقَالَ تَعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقَرة: ٢٠٠].

وذِكْرُ اللهِ تعالى يتناولُ جميعَ الطاعاتِ القوليةِ والفِعليةِ، وكُلُّ الطاعاتِ ذِكرٌ لله عز وجل، كما يتناولُ ذكرَه باللسانِ والقلبِ، فالمؤمنُ دائماً يذكرُ اللهَ ولاسيما الذكرُ القوليُّ بالتهليلِ والتسبيحِ والتحميدِ والتكبيرِ؛ لأنَّ هذا النوعَ مُتيسرٌ للإنسانِ في كُلِّ أحوالِه. سَواءً كان رَاكباً أو مَاشياً أو وهو قائمٌ أو قاعدٌ أو مُضطجعٌ؛ ولأنَّ اللسانَ لايَتْعَبُ من تحركِه بالذِّكْرِ. بخلافِ بقيةِ الأعضاءِ، فإنها

تَتْعَبُ من كثرةِ الحَركةِ، وأفضلُ الذِّكْرِ «لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ»، فينبغي الإكثارُ منها، قال عليه الصلاةُ والسلامُ «خَيْرُ ما قلتُ أنا والنبيونَ من قَبْلِي لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ»(١).

ولَمَّا كانت هذه الكلمةُ العظيمةُ بهذه المنزلةِ العاليةِ من بينِ أنواعِ الذِّكْرِ تعلقَ بها أحكامٌ وصارَ لها شُروطٌ، ولها مَعنىً ومُقتضىً. فليستْ كلمةً تُقالُ باللسانِ فقط، وهذه الكلمةُ يُعلنُها المسلمون في الأذانِ والإقامةِ والخُطَبِ، وهي كلمةٌ قامتْ بها الأرضُ والسمواتُ. وخُلقتْ من أَجْلِها جميعُ المخلوقاتِ، وبها أَنزلَ اللهُ كُتُبَهُ، وأرسلَ رسلَه، وشَرَعَ شرائِعَه؛ ولأَجْلِهَا نُصبتِ الموازينُ، ووُضِعتِ الدَّواوينُ، وقَامَ سوقُ الجنةِ والنارِ، وانقسمتِ الخَليقةُ من أَجْلِهَا إلى مؤمنينَ وكُفارٍ، وعنها وعن حُقوقِها يكونُ السؤالُ والجوابُ، وعليها يقعُ الثوابُ والعقابُ، وعليها نُصبتِ القِبلةُ، وأُسِّسَتِ المِلَّةُ، ولأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيوفُ الجِهادِ، وهي حَقُّ اللهِ على جميعِ العبادِ. فهي كلمةُ الإسلامِ، ومِفتاحُ دارِ السَّلاَمِ، وهي كلمةُ التقوى، والعروةُ الوُثْقَى، وهي كلمةُ الإخلاصِ، وبها تكونُ النجاةُ مِنَ الكُفرِ والنارِ والخلاصُ، مَنْ قَالها عُصِمَ دمُه ومالُه في الدنيا، وإذا كانَ مُوقِناً بها من قَلبِه نَجَىْ من النارِ في الآخرةِ ودخلَ الجنةَ. كما قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «فإنَّ اللهَ حَرَّمَ على النارِ من قال لا إلهَ إلاَّ اللهُ يبتغي بذلكَ وجْهَ اللهِ» وهي كلمةٌ وجيزةُ اللفظِ قليلةُ الحروفِ خفيفةٌ على اللسانِ ثقيلةٌ في الميزانِ، فقد روى ابنُ حبانَ والحاكمُ وصَحَّحَهُ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه. عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «قال مُوسى عليه السلامُ: يارَبِّ عَلمني شيئاً أذكرُكَ وأدعُوكَ

(١) رواه الترمذيُّ (٣٥٧٩) ومالكٌ في الموطأ (١/ ٢١٤، ٢١٥، ٤٢٢، ٤٢٣).

به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: ياربِّ كُلُّ عبادِك يقولون هذا. قَالَ: يا موسى لو أنَّ السمواتِ السَّبْعَ وعامرهُنَّ غيري والأرضين السَّبْعَ في كِفَّةٍ ولا إله إلا الله في كِفَّةٍ مَالَتْ بهنَّ لا إله إلا الله»(١).

وهذه الكلمةُ العظيمةُ لها ركنانِ:

الركنُ الأولُ: النفيُ، وهو نفيُ الإلهيةِ عَمَّا سِوى اللهِ مِنْ سَائرِ المخلوقاتِ.

والركنُ الثاني: الإثباتُ. وهو إثباتُ الإلهيةِ للهِ سُبحانَه، وبهذا يتضحُ معنَاها وأنَّه البراءةُ من الشركِ والمشركينَ، وإخلاصُ العبادةِ للهِ وحدَه، وهذا معنى قولُ الخليلِ عليه السلام لأبيه وقومِه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وهو معنىَ قولِه تَعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرة: ٢٥٦].

فالمسلمُ عندما يقولُ هذه الكلمةَ يعلنُ البراءةَ من الشركِ والمشركينَ ويلتزمُ بعبادةِ اللهِ وحدَه مخلصاً له الدينَ، فإنْ وفَى بهذا الالتزامِ فقد حَقَّقَ دينَ الإسلامِ، وفازَ بدارِ السلامِ، وإلاَّ فمُجردُ النطقِ بها من غيرِ عملٍ بمدلولِها ومقتضَاها لا يفيدُ الإنسانَ شَيئاً، فإنَّ المنافقينَ كانوا يقولونَها بألسنتِهم ولا يعتقدونَها بقلوبِهم فصارُوا في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ، وكذلك من يقولُها اليومَ بلسانِه وهو يدعُو الموتى ويطوفُ بالأضرحةِ تَقَرُّباً إلى الأمواتِ، ويطلبُ المَدَدَ من الأولياءِ والصالحين وينذرُ لقبورِهم ويذبحُ لها، فهذا لاتنفعُه لا إله إلا اللهِ؛ لأنَّه لم يَعْمَلْ بمقتضَاها وهو البراءةُ من الشركِ والمشركين، وإخلاصُ العبادةِ للهِ ربِّ

---

(١) رواه ابنُ حِبان (٢٣٢٤/ موارد) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٥٤، ٥٥).

العالمينَ، لأنَّ معنى لا إلهَ إلاَّ اللهُ تَرْكُ عبادةِ القبورِ وتَرْكُ التقربِ إلى الأمواتِ، كما تُتركُ عبادةُ الأوثان من اللاتِ والعُزى ومنَاة، لا فَرقَ بين عبادةِ الأصنامِ وعبادةِ القبورِ، هذا هو معنى لا إله إلا الله.

ولهَذا لمَّا قال النبيُّ ﷺ لكفارِ قريشٍ قولوا لا إله إلا الله قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] فالمشركونَ فَهِمُوا أن معنى لا إله إلا الله، تَرْكُ الشركِ وإخلاصُ العبادةِ للهِ وحدَه. وهؤلاء القبوريون اليومَ لا يفهمون هذا؛ ولهذا يجْمعون بين الشركِ والنطقِ بلا إله إلا الله وربما يُفسِّرُون لا إله إلا الله بأن معناها: الإقرارُ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ الرازقُ، ويقولون إن من أقرَّ بأن الله هو الخالقُ الرازقُ فقد حَقَّقَ التوحيدَ وشَهِدَ أن لا إله إلا الله. ولا مانعَ بعدَ ذلك عندهم أنْ يذبحَ للأمواتِ ويتقربَ إليهم بأنواعِ العباداتِ. وكأن هؤلاء لم يعلموا أنَّ المشركين الذين طَلَبَ منهم النبيُّ ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله كانوا مُقرِّين بأن اللهَ هو الخالقُ الرازقُ، كما قَالَ اللهُ عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرُف: ٩]، وقَال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١].

وإنَّ هذا الفهمَ الخاطىء لمعنى لا إله إلا الله لو كان صَادراً من عوامٍّ لهَانَ الأمرُ؛ لأنَّ العوامَّ يُمكنُ تعليمُهم، ويمكنُ قبولُهم للحقِّ أكثر من غيرِهم، ولكنَّ المصيبةَ أنْ يكونَ هذا الفهمُ الخاطىءُ لمعنى لا إله إلا الله صَادراً من قومٍ يدَّعُون العِلم ويتصدَّرون للفَتوىٰ والتدريسِ. فهؤلاء يَصْعُبُ تفهيمُهم وإقناعُهم لأنَّ جهلَهم مُرَكَّبٌ، والجاهلُ المركبُ هو الذي لا يَدْري. ولا يَدْري أنه لا يَدْري. وهو أبعدُ عن قَبُولِ الحقِّ من الجاهلِ البسيطِ الذي يعترفُ بجهلِه، أولئك هم

علماءُ الضَّلاَلِ الذين أهلكُوا أنفسَهم وأهلكُوا غيرَهم من الجهَلةِ الذين أحسنُوا بهم الظنَّ، وقلدُوهم في الضلالِ، أولئك هم الذينَ حَذَّرنا منهم رسولُ الله ﷺ بقوله: «وإنَّما أخشى على أمتي الأئمةَ المُضِّلينَ»[1]. إنَّ هؤلاءِ وإنْ كانوا علماءَ في فِقه فروعِ الدِّينِ فإنهم يجهلُون الأصلَ ويفقدونَ الفقهَ الأكبرَ الذي هو معرفةُ التوحيدِ الذي جاءت به الرسلُ، ولذلك يعادُونه ويعادُون أهلَه ويؤلفون المؤلفاتِ في الصَّدِّ عنه وعن معنى لا إله إلا الله ومُقتضَاها ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النّحل: ٢٥].

عبادَ اللهِ: وإن من مُقتضى لا إله إلا الله وحَقِّها على من نَطَقَ بها إقامةَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاةِ وصومَ رمضانَ وحجَّ بيتِ اللهِ الحرامِ منِ استطاعَ إليه سَبيلاً، والعملَ بطاعِة اللهِ وتَرْكِ معاصِيه.

وقد وُجِدَ في الناسِ اليومَ خَلْقٌ كثيرٌ يقولون هذه الكلمةَ ولكنَّهم لايُقيمونَ الصلاةَ، أو لا يُؤتونَ الزكاةَ وقد دَلَّ الكتابُ والسُّنةُ على أن من لايُصلي فليس بمسلمٍ وإنْ قاَلَ لا إله إلا الله.

قَال تَعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التّوبَة: ٥]، وقاَلَ في الآيةِ الأخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾[التّوبَة: ١١].

فدلَّتِ الآيتانِ الكريمتانِ على أنَّ الذي لا يُقيمُ الصلاةَ لا يُخَلَّىٰ سبيلُه بل يُقتلُ وعلى أنه ليس من إخوانِنا في الدِّينِ لأنَّه كافرٌ.

وقال النبيُّ ﷺ: «بين العبدِ وبين الكفرِ تركُ الصلاةِ»[2] رواه مسلمٌ وقد مَنَعَ

---

(١) رواه أحمد والطبراني راجع (الصحيحة) (رقم: ١٥٨٢) وهو صحيح.
(٢) رواه مسلم (٨٢).

جماعةٌ بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ الزكاةَ وهُم يقولون لا إله إلا الله فقاتَلهم أبو بكر الصديق والصحابةُ رضي الله عنهم ولم يَمنعْهم من قتالِهم نطقُهم بهذه الكلمةِ لأنَّهم اعتبرُوا الزكاةَ من حَقِّ لا إلَهَ إلا الله. لأنَّ النبي ﷺ قَالَ: «فإذا قَالُوها عَصَمُوا مني دمَاءهُم وأموالهم إلاَّ بِحَقِّهَا»(١).

وقد قيل للحسنِ رحمه الله: إن ناساً يقولون: مَنْ قَالَ لا إله إلا الله دَخَلَ الجنةَ، فَقَالَ: من قال لا إله إلا الله فأدَّىٰ حَقَّهَا وفَرْضَهَا دَخَلَ الجنةَ، وقال وهْب ابنُ مُنبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاحُ الجنةِ؟، قَالَ: بلى. ولكنْ ما مِن مفتاحٍ إلا له أسنانٌ، فإنْ جِئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فَتَحَ لكَ، وإلا لم يفتحْ لكَ.

فاتقوا الله عبادَ الله وكونُوا من أهلِ لا إله إلا الله حَقًّا، جعلنا اللهُ وإياكُم من أهلِها. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمَّد: ١٩].

بَارَكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتقين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أما بعد:

عبـادَ اللهِ: ومن معنى لا إله إلا الله ومقتضاها التحاكمُ إلى شريعتِه وتحريمُ ما حَرَّمَهُ وتحليلُ ما أحلَّه، وأنْ لا يُطاعَ مخلوقٌ بمعصيتِه، فيجبُ على مَنْ قَال

---

(١) رواه مسلم (٢١).

لا إله إلاَّ اللهُ الحكمُ بشرعِ اللهِ، والكفرُ بأحكامِ الطواغيتِ واجتنابِها؛ لأنَّ التشريعَ حَقٌّ للهِ وحدَه، فَمَنْ وضَعَ قوانينَ يُحكمُ بها بين الناسِ بَدَلَ شريعةِ اللهِ فقد جَعَلَ نفسَه شريكاً للهِ، ومَنْ أطاعَه في ذلك مُختاراً فقد أشركَ باللهِ، قَالَ تَعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقَال تَعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١] وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١].

ولمَّا سَمِعَ عدِي بنُ حاتمٍ رضي الله عنه هذه الآيةَ قَالَ: يارسولَ اللهِ إنَّا لسْنَا نعبدُهم، فقال ﷺ: «أليسُوا يُحلُّون ما حرَّم اللهُ فتحلُّونه ويحرِّمون ما أَحَلَّ اللهُ فتحرِّمُونه؟»، قال: بلى. قال: «فتلك عبادتُهم»[1]، وهذا يتمثلُ اليومَ في الولاةِ الذين يحكمُون بالقوانينِ الوضعيةِ بدلاً من الشريعةِ الإسلاميةِ، ويتمثلُ في بعضِ المتفقهةِ المتعصبينَ الذين يُقلدُون أئمتَهم ولو أخطأُوا في الاجتهادِ وخالفُوا الدليلَ، ويَتمثلُ في المتصوفةِ الذين يُطيعونَ مشايخَ الطرقِ في فِعْلِ الأمورِ الشركيةِ والبِدعيةِ، كُلُّ ذلك داخلٌ في عبادةِ الأحبارِ والرهبانِ من دونِ الله، وهذا مِمَّا يُوجبُ على المسلمِ الذي يريدُ النجاةَ لنفسِه أن يتعلمَ معنى لا إله إلا الله، ويفهمَ مقتضَاها ويعملَ بذلك حتى يكونَ مِنْ أهلِها.

قَالَ تَعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩] فأمَر سبحانَه بالعِلم قبلَ القولِ والعملِ، لأنَّ العملَ الذي لا يُؤسَّسُ على عِلمٍ صَحيحٍ

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وابنُ جرير (١٦٦٣١، ١٦٦٣٢، ١٦٦٣٣)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٠).

يكونُ ضَلالاً، وقَال تَعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزّخرُف: ٨٦] أي شَهِدَ بالتوحيدِ بأنْ قَالَ لا إله إلاَّ اللهُ ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] بقلوبِهم ويفهمُون ما شَهِدَتْ به ألسنتُهم.

فاتقوا الله عبادَ اللهِ، وتفقهُوا في معنى لا إله إلاَّ الله لتعمَلوا بمقتضَاها، وتمسَّكُوا بكتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِه والزمُوا جماعةَ المسلمينَ فإن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . الخ.

* * *

في التحذيرِ مِنَ المُضلّلين والمُشعوذين

الحمدُ للهِ الذي لم يتخذْ ولداً ولم يكنْ له شريكٌ في المُلكِ ولم يكن له وليٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّره تكبيراً، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له، خَلَقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَه تقديراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه شَاهداً ومُبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسِراجاً مُنيراً، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومن تبَعَهُ على دينِه، وتَمسَّك بسُنتِه وسَلِّمْ تَسليماً كثيراً. . أمَّا بعدُ:

أيها الناسُ: اتقُوا الله تعالى وتمسكُوا بعقيدةِ التوحيدِ التي هي معنَى لا إله إلا الله ومَدلولِها ومُقتضَاها، واحذرُوا مِمَّا ينافي هذه العقيدةَ أو يُنقصُها مِنَ الشركِ الأكبرِ والأصغرِ والوسائلِ المُفْضِيَةِ إلى الشركِ.

فإن العقيدةَ لا تكونُ صحيحةً سليمةً إلا بالتوحيدِ والابتعادِ عن الشركِ، قَالَ تَعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقَالَ تَعَالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النَّحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقَرَة: ٢٥٦].

عبادَ اللهِ: أنه يجبُ على كُلِّ مُسلمٍ أن يعرفَ ما هو التوحيدُ حتى يتمسكَ به، ويعرفَ ما هو الشركُ حتى يتجنبَه؛ لأنَّه لا نجاةَ له إلاَّ بذلك، وكيف يَعملُ بالتوحيدِ من هو جاهلٌ به، وكيف يتجنبُ الشركَ وهو لايعرفُه، إن الأمرَ خطيرٌ والواجبَ كبيرٌ، وما زالَ أعداءُ الإسلامِ يُخططون لإفساد عقيدةِ التوحيدِ خُصوصاً في هذا الزمانِ الذي قَلَّ فيه العلماءُ وإن كَثُرَ فيه القراءُ. كما أخبرَ بذلك

النبيُّ ﷺ، والتبسَ فيه الحقّ بالباطلِ وكَثُرَ فيه دُعاةُ الضلالِ، وقَلَّ دعاةُ الحقِّ حتى أصبحُوا غرباءَ بين الناسِ، كَثيرٌ من يدَّعي الإسلامَ اليومَ، لكنَّ كثيراً من هؤلاء المُدَّعِينَ يريدُ أنْ يَجْمَعَ بين الإسلامِ وضِدِّه، يريدُ أنْ يجمعَ بين الإسلامِ والكفرِ وبين التوحيدِ والشركِ، كمَا قال تَعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يُوسُف: ١٠٦]، هناك من يقولُ: إنه مسلمٌ لكنَّه لا يريدُ الحُكمَ بما أنزلَ اللهُ، وإنما يريدُ الحُكمَ بالقوانين الوضعيةِ التي يَحكمُ بها الكفارُ؛ لأنَّه يَراها أحسَنَ مِمَّا أنزلَ اللهُ وأصلحَ للناسِ في هذا الزمانِ، وحَالُ هؤلاءِ كحالِ الذينَ قَالَ اللهُ تَعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النِّساء: ٦٠].

وقد رَدَّ الله على هؤلاءِ دَعواهم وتناقضَهم في ختامِ ما بعدَها من الآياتِ بقولِه تَعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النِّساء: ٦٥].

وهناك فريقٌ آخرُ يدَّعي الإسلامَ ويقولُ: لا إله إلا الله بلسانِه ثم يُنَاقِضُ ذلك بفعلِه فيدعُو الموتَى ويذبحُ للقبورِ وينذرُ لها ويستغيثُ بالأولياءِ لقضاءِ حاجتهِ وشفاءِ مَرَضِهِ، ويطلبُ منهم المَدَدَ ويُسَمِّي هذا توسلاً إلى الله وتَقَرُّباً إليه بواسطتِهم فيكُون كالذينَ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨]، والذينَ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ

كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [الزُّمَر: ٣].

وهناك علماءُ ضلالٍ يُحسِّنون لهم هذا ويَدعونَ إلى هذا الشركِ ويُبرِّرُونه بشبهاتٍ يُلفِقُونَها، وهي ما بين حديثٍ موضوعٍ أو حكايةٍ باطلةٍ أو رؤيا مِنَ الشيطانِ، فَيجْمَعُونَ تلك الشبهاتِ في كُتبٍ يطبعُونها ويوزعُونها على الناسِ يدعونَهم بها إلى الشركِ وعبادةِ المخلوقين باسم التوسلِ والتبركِ بالنبيِّ ومحبةِ الأولياءِ والصالحين. ويقولون إنَّ الذينَ يَنهونَ عن هذا مفاهيمُهم خاطئةٌ يجبُ أنْ تُصَحَّحَ.

وقد حَذَّرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ من هؤلاءِ المُضللين الذين يخدعُون الناسَ باسم العِلم والصلاح وهم في الحقيقةِ دُعاةُ ضَلالٍ وقادةُ فتنةٍ، قَالَ ﷺ: «**إنَّ مَا أخافُ على أمتي الأئمةَ المُضلينَ**» رواه البرقانيُّ في «صحيحه»، وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إن أخوفَ ما أخافُ على أمتي الأئمةَ المُضلينَ**» رواه أبو داود الطَّيَالسِيُّ، فَحَصَرَ ﷺ في هذين الحديثينِ خوفَه على أمتِه من علماءِ الضَّلالِ لشدةِ خطرِهم على الأُمةِ لأنهم يلبسونَ الحقَّ بالباطِل ويغررونَ بالعَوام، لاسيما وأنَّ كثيراً من الناسِ يقبلونَ الباطلَ أكثرَ من قَبولِهم للحقِّ. فالواجبُ الحذرُ والتحذيرُ من هؤلاءِ لأنَّ خطرَهم على المسلمينَ عظيمٌ، من هؤلاءِ المُضللينَ من يكتبُ بعضَ المنشوراتِ المُشتملةِ على أحَاديثَ مكذوبةٍ وقد يخلطُها بشيءٍ من الأحاديثِ الصحيحةِ أو الآياتِ القرآنيةِ ويقولُ مَنْ نَسَخَ منها كذا وكذا ووزَّعه على الناسِ يَحْصُلُ له من الثوابِ والخيرِ كذا وكذا، فيبادرُ بعضُ الجهالِ إلى نَسْخِهَا وتوزيعِها اغتراراً بهذا الترغيبِ فيكُونَ متعاوناً على الإثمِ والعدوانِ مع أصحابِها. وهناك مُشعوذون وسحرةٌ دجالون يَظهرونَ على الناسِ بين الحينِ والآخرِ بأعمالٍ بَهلوانيةٍ ويَعرضونَ سحرهم وشعوذتَهم وتقميرَهم في

أنديةٍ ومحافلَ يجتمعُ فيها جموعٌ غفيرةٌ من الدهماءِ والسُّذَّجِ ينظرونَ إلى تلكَ الأعمالِ السحريةِ الشيطانيةِ التي يقومُ بها هؤلاءِ المشعوذون، مثلَ سَحْبِ السيارةِ بِشَعْرَهِ ووضعِ الصخرةِ العظيمةِ على بطنِ أحدِهم وتحتَه المسَاميرُ الحادةُ، ومرورِ السيارة من فوقِه، وطعنِ عينِه بأسياخِ الحديدِ ولايتأثر بذلك، وبعضُهم يتظاهرُ أمامَ الناسِ بطعنِ نفسِه بالسكينِ، أو يدخلُ النارَ ولا تحرقُه، وبعضُهم يمشي على الحَبْلِ أو الخيطِ، وأَمثالُ هذه الشعوذات التي حقيقتُها التدجيلُ، والكذبُ على الناسِ لسلبِ أموالِهم وإفسادِ عقيدتِهم وترويجِ السِّحْرِ بينهم، وقد حَذَّرَنَا اللهُ في كتابِه من السِّحْرِ وأخبرَ أنه كفرٌ وأنه من تعليمِ الشياطينِ، وعملِ المفسدين، والعجيبُ أنَّ هؤلاءِ السحرةَ والمشعوذينَ يجدُون مِنَّا مَنْ يُشجعُهم ويبذلُ لهم الأموالَ الطائلةَ على ما يقدمُونه من سِحْرٍ وباطلٍ، مع أنَّ هذا من أعظمِ المُنكرِ الذي يجبُ إنكارُه ومعاقبةُ مَنْ يتعاطَاه بالقتلِ. وقد قَالَ النبيُّ ﷺ: «اجْتنبُوا السبعَ الموبقاتِ»، قالوا: يا رسولَ اللهِ وما هُنَّ؟ قال: «الشركُ باللهِ والسِّحْرُ» الحديثُ، رواه البخاريُّ ومسلم[1].

فَعَدَّ ﷺ السِّحرَ قَرين الشركِ وأَمَرَ باجتنابه، فكيف يليقُ بالمسلمِ أن يَحضرَه ويشجعَه ويدفعَ المالَ للسحرةِ مع أنه يجبُ قتلُهم، قال الإمامُ أحمدُ: صَحَّ قتلُ الساحرِ عن ثلاثةٍ مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ، وقد مَرَّ جندبُ بنُ كعبِ بنِ عبدِ اللهِ الأزديُّ رضي الله عنه على سَاحرٍ يلعبُ بحضرةِ بعضِ الأمراءِ ويقمرُ على أعينِ الناسِ فيظهرُ لهم أنه يقطعُ رأسَ إنسانٍ ويُميتُه ثم يُعيدُه ويُحييه، فيتعجبونَ منه فضربَه جندبٌ رضي الله عنه بالسيفِ فقتَله وقَال: إنْ كانَ صادقاً فليحيي نفسَه،

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) .

وهكذا يجبُ أنْ يكونَ موقفُ المسلمِ المُوحِّد مِنَ السَّحرةِ والمشعوذينَ والدَّجَّالِين، يقفُ مِنْ هؤلاءِ موقفَ الاستنكارِ والقوةِ والشجاعةِ ودحضِ الباطلِ، لاموقفَ المُسالِم السلبيِّ أو المُشجعِ الذي يدفعُ الجوائزَ لهؤلاءِ المشعوذينَ الدَّجَّالينَ.

وقد يقولُ بعضُ المُتحذلِقين: إنَّ هؤلاءِ يقومُون بأعمالٍ رياضيةٍ وحركاتٍ خفيفةٍ تدربُوا عليها وليستْ سِحْراً ولا شعوذةً فلا بأسَ بها ولا مانعَ من حضُورها والتشجيعِ عليها.

ونردُّ على هؤلاءِ:

أولاً: بأنَّ هناكَ فرقاً بين الأعمال الرياضيةِ والأعمالِ السِّحريةِ، فالأعمالُ الرياضيةُ لها حدودٌ لا تَصلُ إلى الطعنِ بالسكاكينِ والعبثِ بالنيرانِ وتحمّلِ الصخرةِ الكبيرةِ على الصدرِ ومرورِ السيارةِ من فوقِ الشخصِ وجذبِها بالشَّعرةِ وما شَابَهَ ذلك وإنَّمَا هذا مِنْ بابِ السِّحرِ التخييليِّ المُسمَّىٰ (بالقمرةِ) بحيثُ يخيلُ للناسِ شيئاً وهو بخلافِه أو من بابِ الاستعانةِ بالجنِّ والشياطينِ ليعمَلوا له هذه الأشياءَ ويظهرُ للناسِ أنه هو الذي يَعملُها.

ثانيا: يُمكنُ أن يكونَ في هذه الأعمالِ شيءٌ مِنَ الحركةِ الرياضيةِ المخلوطةِ بأشياء مِنَ الأعمالِ السحريةِ، لأجلِ التغريرِ بالناسِ ولبسِ الحقِّ بالباطلِ حتى يظنُّوها كلَّها أعمالاً رياضيةً فلا يستنكرُوها.

ثالثاً: لو أجَزْنَا مثلَ هذه الأعمالِ على أنَّهَا أعمالٌ رياضيةٌ خالصةٌ فإنَّ هذا يفتحُ البابَ للأعمالِ السِّحريةِ، لأنَّ أهلَ الشَّرِّ ينتهزُون الفُرصَ، والناسُ لايقفُون عند حَدٍّ، ومَيلُهُم إلى الباطلِ أكثرُ مِنْ رغبتِهم في الحقِّ، فيجبُ الحذرُ مِنْ هؤلاءِ الدَّجَّالين والضربِ على أيدِيهم، لأنَّهم يُفسدُون في الأرضِ والله لايصلحُ عَمَلَ

المُفسدينَ.

عبادَ اللهِ: ومن الناسِ من يذهبُ إلى الكهانِ والسَّحرةِ لأجلِ العلاجِ والتداوي عندَهم يلتمسُون عندهم الشفاءَ ولو على حسابِ عقيدتِهم ودينِهم، يأمرُهم هؤلاءِ الكهانِ والسحرةِ بالذبحِ لغيرِ اللهِ فيذبحُون، ويدَّعُون عِلْمَ الغيبِ فَيصدقُون، ويأمرونَهم بأشياءَ يتلقونَها عَنِ الجِنِّ والشياطينِ فيصدقُونهم، ويعملُون بتوجيهاتِهم وإن كانت كُفراً وشِركاً، ويتجاهلون قولَ النبيِّ ﷺ: «لعنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللهِ»[١] وقولَه ﷺ: «مَنْ أتَى كاهِناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كَفَرَ بما أُنزلَ على مُحمدٍ ﷺ» رواه أبو داود[٢]. وعن عِمران بنِ حُصينٍ رضي اللهُ عنه مرفُوعاً: (ليس مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أو تُطِيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومَنْ أتى كاهناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كَفَرَ بما أُنزِلُ على مُحمدٍ ﷺ) رواه البزارُ بإسنادٍ جيدٍ.

وكُلُّ مَنْ فَعَلَ هذه الأمورَ أو فُعِلَتْ له راضِياً بها فقد كَفَرَ بالقرآنِ وبريءَ منه رسولُ الرحمٰنِ؛ لأنَّ هذه الأمورَ كفرٌ وشركٌ فمن رضي بها فهو كالفاعِلِ لهَا، فالأمرُ خطيرٌ. وقد يتسمَّى هؤلاءِ بالأطباءِ الشعبيين وهُم في الحقيقةِ كَهَنَةٌ ومشَعوذون يستخدمونَ الجِنَّ ويُغَرِّرُونَ بالناسِ باسمِ الطبِّ الشعبيِّ، والطبُّ الشعبيُّ بريءٌ من هذه الجرائمِ. لأنَّ الطبَّ الشعبيَّ حقيقتُه المعالجةُ بأمورٍ مباحةٍ مُجربةٍ كالكيِّ والفَصدِ والحِجامةِ ونحوِ ذلك من استعمالِ الأدويةِ النباتيةِ المباحةِ.

أما الكهانةُ والسحرُ وما شَابههما فليستْ طِبًّا شَعبيًّا، وإنما هي أعمالٌ

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٤) بلفظ «فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ».

شيطانيةٌ وادِّعَاءٌ لِعِلمِ الغَيبِ الذي لا يعلمُه إلا اللهُ، فالواجبُ الحذرُ والتحذيرُ من ذلك وأنْ يُبلَّغَ ولاةُ الأمورِ عن هؤلاءِ المشَعوذين لتأديبِهم والأخذِ على أيدِيهم. . . فاتقوا الله عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على عقيدتِكم مِنَ الفسادِ أكثرَ مِمَّا تُحافظِون على صِحَّةِ أبدانِكم مِنَ الأمراضِ، فماذا يستفيدُ الإنسانُ إذا عاشَ سليمَ الجسمِ مَريضَ العقيدةِ، فإنَّ صحةَ البدنِ مع فسادِ العقيدةِ خسارةٌ في الدنيا والآخرةِ . . أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النِّساء: ١١٦].

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، أمَرَنَا أنْ نعبدَه مُخلصينَ له الدِّين، ونهَانا عن طاعةِ الكفارِ والمشركين، والانخداعِ بأعمالِ السحرةِ والمشَعوذين، وأشهدُ أنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه القائلُ: «إنَّ اللهَ أنزلَ الداءَ والدواءَ، وجَعَلَ لكلِّ داءٍ دواءً، فتَداووا ولا تَداووا بحرامٍ»[1] صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلَّم تَسليماً كثيراً . . أمَّا بعدُ:

عبادَ اللهِ: اتقُوا اللهَ تَعالى في جميعِ أحوالِكم، وفي حالِ صحتِكم ومرضِكم فخذُوا ما أَحلَّ اللهُ لكم ودَعُوا ما حَرَّمَ اللهُ عليكم. ففي الحلالِ غنيةٌ من الحرامِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ سَبحانَه بمنِّه وفضلِه جَعَلَ لكلِّ داءٍ دواءً أباحَ لعبادِه التداويَ بِهِ، فقد رَوى مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ أبي الزبيرِ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «لكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أُصيبَ دواءُ الداءِ بَرَأَ بإذنِ اللهِ عَزَّ وجلَّ»[2] والتداوي بالأدويةِ المباحةِ من جملةِ الأسبابِ التي أَمَرَ اللهُ بالأخذِ بها،

---

(١) رواه البخاريُّ بلفظ «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً» (رقم: ٥٦٧٨).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٤).

قَالَ الإمامُ ابنُ القيمِ رحمَه اللهُ: وفي الأحاديثِ الصحيحةِ الأمرُ بالتداوي وأنَّه لايُنافي التوكلَ كمَا لايُنافيه رفعُ الجوعِ والعطشِ والحرِّ والبَرْدِ بأضدادها بل لاتَتِمُّ حقيقةُ التوحيدِ إلا بِمباشرةِ الأسبابِ التي نَصَبَهَا اللهُ مُقتضياتٍ لمُسبباتِها قَدَراً وَشَرْعاً، إلى أن قَالَ: وفي قولِه ﷺ: «لكلِّ داءٍ دواءٌ» تَقْوِيَةٌ لِنَفْسِ المريضِ والطبيبِ وحَثٌّ على طلبِ ذلك الدواءِ والتفتيشِ عليه . . . انتهى.

وفي عصرِنا هذا تَطَوَّرَ الطبُّ وعُثِرَ على كثيرٍ مِنَ الأدويةِ النافعةِ المُباحةِ، وأعظمُ منها وأنفعُ العلاجُ بالرُّقْيَةِ من القرآنِ الكريمِ الذي جَعَلَهُ اللهُ شفاءً ورحمةً للمؤمنينَ مِنَ الأمراضِ الحِسيّةِ والمَعنويّة، وكذلك العلاجُ بالأدعيةِ الشرعيةِ النبويةِ، أمَّا المُحرماتُ فإنَّ اللهَ لم يجعلْ فيها شفاءً كمَا قَالَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: «إنَّ اللهَ لَمْ يَجعلْ شفاءكم فيما حرمَ عليكم» رواه البخاريُّ[1].

قَالَ الإمامُ ابنُ القيمِ رحِمَه اللهُ: المعالجةُ بالمحرماتِ قبيحةٌ عَقلاً وشَرعاً، أمَّا الشرعُ فَلِمَا ذكرنَا من هذِه الأحاديثِ وغيرِها، وأمَّا العقلُ فهو أنَّ اللهَ سبحانَه إنَّمَا حَرَّمَ مَا حَرَّمَ لخُبْثِهِ، فإنَّه لمْ يحرمْ على هذِه الأمةِ طيباً عقوبةً لهَا كمَا حَرَّمَ على بني إسرائيلَ بقولِه: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النِّساء: ١٦٠]. وإنَّما حَرَّمَ على هذِه الأمةِ ما حَرَّمَ لخُبْثِهِ، وتحريمُه له حِمية لهم وصِيانة عن تناولِه فلا يناسبُ أنْ يُطلبَ به الشفاءُ مِنَ الأسقامِ والعِلَل، فإنَّه وإنْ أَثَّرَ في إزالتِها لكنه يعقبُ سقماً أعظمَ منه في القلبِ بقوةِ الخبثِ الذي فيه فيكونُ المُتداوي به قد سَعَىٰ في إزالةِ سقمِ البدنِ بسقمِ القلبِ، وأيضاً فإنَّ تحريمَه يقتضي تجنبُه والبعدُ عنه بِكُلِّ طريقٍ، وفي اتخاذِه دواءٌ حَضٌّ على

---

(١) رواه البخاري (كتاب ٧٤ باب ١٥).

الترغيبِ فيه وملابستِه، وهذا ضدُّ مقصودِ الشارعِ. وأيضاً فإنَّه داءٌ كَما نَصَّ عليه صَاحبُ الشرِيعةِ فلا يجوزُ أنْ يُتخذَ دواءً . . قُلتُ: وهذا الذي ذَكَرَهُ ابنُ القيمِ من الأضرارِ التي تنشأُ عن التداوي بالموادِ المحرمةِ كالخمرِ والنجاساتِ وغيرِها، فكيفَ بأضرارِ التداوي بالأمور الشركيةِ التي يعملُها السحرةُ والكهانُ فهذه تُفْسِدُ العقيدةَ وتجعلُ الإنسانَ يعيشُ بِلا عقيدةٍ إنْ شُفِيَ بِهَا. وإنْ ماتَ ماتَ مُشركاً، إنْ لمْ يتبْ منها قبلَ موتِه.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وعليكم بالتمسكِ بكتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وما عَليه جماعةُ المسلمينَ . . فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله . . إلخ.

* * *

في التذكيرِ باليومِ الآخرِ والعملِ له

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، يَقْبَلُ توبةَ التائبينَ، ولا يُضيعُ أجرَ المحسنينَ. وأشهدُ أنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ وحدَه لاشريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. أرسلَه رحمةً للعالَمين، فأوضحَ به المحجةَ للسالكينَ، وأقامَ به الحُجةَ على المُعاندينَ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه والتابعينَ، وسلّم تسليماً كثيراً ودائماً إلى يومِ الدينِ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالى وزَكُّوا أنفسَكم بِفِعْلِ الطاعاتِ، ولا تُدنسُوها بالسيئاتِ والمخالفاتِ، قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشّمس: ٧ـ١٠] فمَا تَعملُه أيُّهَا الإنسانُ في هذِه الحياةِ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ فإنَّمَا تعملُه لنفسِك ولاتُجزىٰ إلا بعملِك، قَالَ تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلت: ٤٦].

والإنسانُ ما دَامَ حَيّاً يَعقلُ فَلابدَّ أن يعملَ ويتحركَ ويتكلمَ وينوي ويقصدَ ولا يبقىٰ مُعَطّلاً، ولابدَّ أنْ تُحصىٰ أعمالُه وأقوالُه ونياتُه ومقاصدُه وتُكتبَ في ديوانِ أعمالِه، قَالَ تَعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ـ١٢]، وعِلْمُ اللهِ تَعالى مُحيطٌ بجميعِ ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾

[الأنعام: ٦٠]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، وفي يوم القيامةِ يُحْضَرُ للعبدِ كتابُه بِمَا فيه من خيرٍ أو شرٍّ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وتَشْهَدُ عليه الملائكةُ الكرامُ الكاتبون، وتَشْهَدُ عليه الأرضُ التي عَمِلَ على ظَهْرِهَا ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَرَأَ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤]، قَالَ: «أتدرُون ما أخبارُها؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قَالَ: «فإنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كُلِّ عبدٍ وأَمةٍ بما عَمِلَ على ظهرِها أنْ تقولَ عَمِلَ كذَا وكذَا يومَ كذَا وكذَا فهذِه أخبارُها» رواه الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ والنسائيُّ(١)، ومَعَ شهادةِ الملائكةِ وشهادةِ الأرضِ على ابنِ آدمَ يشهدُ عليه سمعُه وبصرُه وجِلدُه وأعضاؤه، قال تَعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فُصِّلَت: ١٩-٢٣].

رَوىٰ البزارُ بسندِه عن أنسِ بنِ مَالكٍ رضي اللهُ عنه قَالَ: ضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ وتبَسَّمَ، فقَالَ ﷺ: «ألاَ تَسألُوني عن أيِّ شيءٍ ضَحِكْتَ؟»، قَالوا: يارسولَ اللهِ من أيِّ شيءٍ ضَحِكْتَ، قَالَ ﷺ: «عَجِبتُ مِنْ مُجَادَلَةِ العبدِ ربَّه يومَ القيامةِ،

---

(١) هذا لفظ الترمذي (٢٤٣١).

يقولُ أيْ ربي أليسَ وعَدْتَني أنْ لا تَظلِمني، قَالَ: بَلَىٰ: فيقولُ فإنِّي لا أَقْبَلُ عَليَّ شَاهداً إلاَّ مِنْ نَفْسِي، فيقولُ اللهُ تَباركَ وتَعالى: أو ليسَ كَفَىٰ بي شَهيداً وبالملائكةِ الكِرامِ الكَاتِبين قَالَ: فَيُرَدِّدُ هذَا الكلامَ مِرَاراً ـ قَالَ: فيختمُ على فِيهِ وتَتَكَلَّمُ أركانُه بما كانَ يعملُ، فيقولُ: بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً. عَنكُنَّ كنتُ أُجادلُ». فتأمَّلْ حالَك أيُّها العبدُ حينَ تُواجِهُ هَذَا الموقفَ، الكتابُ يُحصي أعْمَالَكَ، واللهُ مُطَّلِعٌ عليكَ والملائكةُ تَشْهَدُ، والجلودُ والأعضاءُ تنطقُ وتَشْهَدُ، فلا مجالَ للإنكارِ، ولا مَنَاصَ مِنَ الحسابِ، فاتقُوا هذا الموقفَ بإصلاح الأعمالِ ما دمتُم في زمنِ الإمْهَالِ. ولا تُملُوا على الكَاتِبين وتُطْلِعُوا الشَّاهدين إلاَّ على ما ينفعُكم يومَ الدِّينِ. ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشُّعراء: ٨٨، ٨٩]. إنَّهُ بإمكانِ الإنسانِ اليومَ أنْ يُحاسبَ نَفْسَهُ ويُخَلِّصَهَا مِمَّا أَوْقَعَهَا فيه مِنَ الخَطَرِ بأنْ يُكثرَ مِنَ الحسناتِ ويتوبَ مِنَ السيئاتِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هُود: ١١٤]. وقَالَ ﷺ: «وأَتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا»[١]. لَكِنْ في يومِ القيامةِ لا يُمْكِنُهُ التخلصُ مِنْ سيئاتِه بأيِّ وسيلةٍ. لا بالفديةِ. ولا بدفاعِ القَرابةِ عنه. ولا بالجاهِ والنَّسَبِ. قَالَ تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤]، ومعنَى الآيةِ الكريمةِ أنَّهُ في ذَلكَ اليومِ لا يُباعُ أحدٌ مِنْ نفسِه. ولا يفادَىٰ بمالٍ لو بَذَلَه ولو جَاءَ بملءِ الأرضِ ذَهَباً، ولا تَنْفَعُهُ خُلَّةُ أَحَدٍ، أي صَداقتُه ولا شفَاعتُه. فَانْسَدَّتْ طُرقُ الحِيلِ كُلُّها، وَقالَ النبيُّ ﷺ: «يا معشرَ قريشٍ اشْتَرُوا أنفسَكُم لا أُغنى عنكُم من اللهِ شَيئاً»[٢]، وقَالَ

---

(١) رواه الترمذيُّ (رقم: ١٩٨٨) وغيره.

(٢) رواه البخاريُّ (رقم: ٢٧٥٣)، ومسلم (رقم: ٢٠٦).

تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عَبَسَ: ٣٤ـ٣٧].

أيْ في هذَا اليومِ يَرَىٰ الإنسانُ أقربَ الناسِ إليه في الدنيا فَيَفِرُّ منهم ويبتعدُ عنهم لأنَّ الهولَ عظيمٌ، قَالَ عِكرمةُ: يَلْقَىٰ الرجلُ زوجتَه فيقولُ لَهَا: يا هذِه أيُّ بَعْلٍ كُنتُ لَكِ؟، فتقولُ نِعْمَ البَعْلِ كنتَ وتُثْنِي بخيرٍ مَا استطاعَتْ فيقولُ لهَا فإنِّي أطلبُ إليكِ اليومَ حَسنةً واحدةً تَهبيهَا لِي لَعَلِّي أنجُو مِمَّا تَرَيْن، فتقولُ له: مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ. ولَكِنِّي لا أطيقُ أنْ أُعطيكَ شَيْئاً أَتَخَوَّفُ مِثلَ الذي تخافُ، قَالَ: وإنَّ الرجلَ ليلقىٰ ابنَه فيتعلَّق به فيقولُ يَابُنَيَّ أيُّ والدٍ كنتُ لكَ فيُثْني بخيرٍ فيقولُ له: يابُنَيَّ إنِّي احْتَجْتُ إلى مثقالِ ذرّةٍ من حسناتِك لعلّي أنجُو بها مِمَّا تَرَىٰ، فيقولُ وَلدُه يا أبتِ ما أيسرَ ما طلبتَ، ولكني أتخوفُ مثلَ الذي تتخوفُ فلاَ أستطيعُ أنْ أُعطيَك شَيئاً.

يقول اللهُ تَعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عَبَسَ: ٣٤ـ٣٦]، وفي الحديثِ الصحيحِ في أَمْرِ الشفاعةِ أنَّه إذَا طلَبَ إلى كُلِّ من أُولي العزمِ أن يَشْفَعَ عند اللهِ في الخلائقِ، يقولُ: نفْسي نفْسي، لا أسألُك اليومَ إلا نفْسي، حتَّى أنَّ عيسى ابنَ مريمَ يقولُ: لا أسألُه اليومَ إلاَّ نفْسي، لا أسألُه مريمَ التي ولدَتْني. وقولُه تَعالَى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عَبَسَ: ٣٧]، أي كلٌّ منهم يكونُ في هَوْلٍ شَاغلٍ له عن أحبِّ الناسِ إليه، عن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «تُحشرونَ حُفاةً عُرَاة غرْلاً، فقالتِ امرأةٌ أيُبصرُ أو يَرَىٰ بعضُنا عورةَ بعضٍ؟ قَالَ: يا فُلانةَ لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه» قال

الترمذيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صَحَيحٌ[1].

عِبادَ اللهِ: استحضِرُوا هَوْلَ هذا اليومِ واستعدُّوا له ولا تغفلُوا عنه أرأيتم لو أنَّ أحدَكم أُخْبِرَ في هذه الدنيا أنه سيلقَى عدواً أو يواجُه خَطراً ماذا يكونُ تَخوُّفُه واستعدادُه للتخلصِ من ذلك. مع أنَّه قد لايتحققُ هذا الخطرَ أو إذا تحقَّقَ فعنده من المالِ ما يفدِي به نفسَه ومن الأعوانِ والعشيرةِ من يدافعُ عنه. أمَّا يوم القيامةِ فخطرٌ مُحَقَّقٌ لا يُنجي منه أهلٌ ولا عشيرةٌ ولا جاهٌ ولا مالٌ، فلماذا لايستعدُّ الإنسانُ له بما يُنجيه من مَخاطِره وأهوالِه. والاستعدادُ لهُ اليومَ ميسورٌ وسهلٌ لمن وفقهُ اللهُ، وذلك بأنْ يحافظَ على الطاعاتِ ويتجنبَ المحرماتِ. تَصَوَّرْ أيّها الإنسانُ موقفَك في هذا اليومِ. يا مَن ضيّعتَ الصلواتِ واتَّبَعْتَ الشهواتِ، وأكلتَ المالَ الحرامَ، وارتكبتَ الإثمَ والإجرامَ، يا مَنْ ظلمتَ نفسكَ بالمعاصي، وظلمتَ الناسَ بالتعدّي عليهم في دمائِهم وأموالِهم وأعراضِهم، ما الذي يخلِّصُكَ من أهوالِ هذا اليومِ إذا نُصِبَ الميزانُ وأزلفتِ الجنانُ، وسُعِّرَتِ النيرانُ، وتَبَرَّأَ منك الآباءُ والأبناءُ والإخوانُ؟

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيم: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، حَذَّرَ من أهوالِ يومِ القيامةِ. وأَمَرَ الإنسانَ بالاستعدادِ لِمَا أمَامَه، وأشهدُ أنْ لاَ إله إلاّ الله وحدَه لاشَريكَ له وأشهدُ أنَّ

---

(١) رواه الترمذيُّ (رقم: ٣٣٢٩).

محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً.

وأمَّا بعدُ:

أيّها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعُوه. يقولُ الله تَعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليْل: ٤]، أي مُختلفٌ. فمنكُم مَن يفعلُ خيراً ومنكم مَن يفعلُ شرّاً، ويقولُ النبيُّ ﷺ: «كُلُّ الناسِ يغدو فبائعٌ نفْسَه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها»[1].

ومعنَاه: أنَّ كُلَّ إنسانٍ إمَّا ساع في هلاكِ نفْسِه أو في فكَاكِهَا فمَن سعى في طاعةِ اللهِ فقد باعَ نفْسه للهِ وأعتقَها من عذابِه، كمَا قَالَ تَعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٧]. ومن الناسِ مَن يبيعُ نفْسه للشيطانِ ويهلكُها بالعذابِ، فالإنسانُ إذا خَرَجَ من بيتِه وذهبَ إلى المسجدِ لأداءِ الصلاةِ فقد باعَ نفْسه للهِ، وإذا خَرَجَ من بيتِه إلى دُورِ اللهوِ وأمكنةِ الفسادِ فقد باعَ نفْسَه للشيطانِ، وإذا ذَهَبَ إلى عملِه الوظيفي ونَصَحَ فيه وقامَ به على ما يرامُ فقد باعَ نفْسَه لله، وإذا خَانَ في عملِه الوظيفيِّ وضَيّعه أو أَخَذَ الرشوةَ فيه فقد باعَ نفْسَه للشيطانِ، وإذا ذَهَبَ إلى متجرِه فَصَدَقَ في تعاملِه مع الناسِ وتَجنَّبَ الغِشَّ والخديعةَ والربا فقد باعَ نفسَه للهِ وإذا غَشَّ في البيعِ وطَفَّفَ الميزانَ وكَذَبَ على الزبائنِ وتَعَامَلَ بالربا فقد بَاعَ نفْسَه للشيطانِ، وإذا دُعِيَ إلى الصلاةِ فبادَرَ بالإجابةِ ولبّى الدعوةَ فقد باعَ نفْسَه للهِ، وإذا لم يُجب دَاعِيَ اللهِ ولم يَحْضُرْ لأداةِ الصلاةِ وآثرَ شهوةَ نفْسِه على طاعةِ ربِّه فبقي على فراشِ نومِه أو على لهوِه ولَعبِه فقد باعَ نفْسَه للشيطانِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

وهكذَا الإنسانُ طُول حياتِه لايزالُ بين دَاعِيَيْنِ، داعي الرحمنِ وداعي الشيطانِ فأيّهما أجابَ فقد باعَ نفْسَه له، والنفسُ أعزّ شيءٍ لدى الإنسانِ. إذا عرفَ قَدْرَهَا لم يبعْها إلا بأنفسِ الأثمانِ كمَا قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. وإذا لمْ يعرفْ قَدْرَ نفْسِه باعَهَا بالخسرانِ، كمَا قَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزُّمَر: ١٥]. إنَّ أَهْلَ الإيمانِ لمّا عرفُوا قَدْرَ أنفسِهم باعُوها بالجنانِ التي هي أغلىٰ الأشياءِ، وباعُوها للهِ الذي هُو أرحمُ بهم من أمّهَاتِهم والذي هو الغنيُّ والوفيُّ الذي يُضَاعِفُ الحسناتِ ويعفُو عن السيئاتِ، أمَّا أهلُ الطغيانِ فقد باعُوا أنفُسَهم لعدُوِّهم الشيطانِ بأرخصِ الأثمانِ، باعُوهَا بشهوةٍ عاجلةٍ ولَذَّةٍ زَائلةٍ وذلّة دائمةٍ، ونارٍ حاميةٍ ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البَقَرة: ١٠٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البَقَرة: ١٠٣]، فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحَشر: ١٩]. واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدْيِ هَدْيِ محمدٍ ﷺ . . . إلخ.

* * *

في وجُوبِ التذكّرِ والاستعدادِ للدارِ الآخرةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، حَكَمَ بانقضاءِ الأعمارِ وفناءِ هذه الدارِ، وأَخْبَرَ أنَّ الآخرةَ هي دارُ القرارِ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله الواحدُ القهّارُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه المصطفى المُختارُ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والمهاجرينَ منهم والأنصارِ، وسلّم تسليماً كثيراً . . . أمَّا بعدُ:

أيّها الناسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَى وانظرُوا في أعمالِكم وتأهبُوا لرحيلِكم وانتقالِكم، فإنَّ أمامَكم المخاطرَ والأهوالَ، والجزاءَ على ما قدّمتم مِنَ الأعمالِ، فإنكم لم تُخلقُوا عبثاً ولم تُتركُوا سُدىً. بل تُحصى عليكم أعمالُكم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝ ﴾ [القَمَر: ٥٢: ٥٣].

أمامكُم الموتُ وسكرتُه، والقبرُ وظلمتُه، والحسابُ وشدّتُه، وسؤالُ المَلَكِ وروعتُه. فما هو استعدادُكم لهذِه المخاطرِ، لقد ذكّرَ اللهُ العبادَ بالموتِ ليستعدُّوا له قَبْلَ نُزولِه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [المنَافِقون: ٩ـ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ: فَقَالَ: يارسولَ

اللهِ أيّ الصدقةِ أعظمُ أجراً؟ قال: «أنْ تصدّقَ وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقرَ وتأملُ الغِنَى، ولا تُمهلْ حتى إذا بلغتِ الحُلقومَ قُلْتَ لفلانٍ كذا وقد كانَ لفلانٍ» رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما[1]..

وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ على تذكّرِ الموتِ وتقصيرِ الأملِ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «أكثرُوا من ذِكْرِ هادمِ اللّذّاتِ ـ يعني الموتَ» رواه ابنُ ماجه والترمذيُّ وحسّنه، وعن ابنِ عُمر رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «ما حَقُّ امرىءٍ مُسلمٍ له شيءٌ يُوصي فيه يَبيتُ لَيلتينِ، وفي رواية ثلاثَ ليالٍ، إلا ووصيتُه مكتوبةٌ عندَه». رواه مَالك والبخاريُّ ومسلمٌ[2]. عندَ الموتِ يُختمُ العملُ ولا تُقبلُ التوبةُ. فعن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قَالَ «إنَّ الله يقْبلُ توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذيُّ وابنُ ماجه وقَالَ: حديثٌ حسنٌ[3].

وعند الموتِ يتكشفُ للإنسانِ خطؤُه وصوابُه وتتضحُ له عاقبتُه. فالمؤمنون عند الموتِ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فُصّلَت: ٣٠ـ٣٢].

والكافرُ يتألمُ ويعذّبُ عند الموتِ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١]، وقَالَ

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤١٩)، ومسلمٌ (١٠٣٢) وأحمدُ (٢/ ٢٣١، ٢٥٠).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٢٣٨) ومسلمٌ (١٦٢٧).

(٣) رواه الترمذيُّ (٣٥٣١)، وأحمد (٦١٦٠، ٦٤٠٠) وابنُ ماجة (٤٢٥٣)، وصححه ابنُ حبان (٢٤٤٩)، والحاكم (٤/ ٢٥٧) ووافقه الذهبيُّ.

تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعَام: ٩٣]. وعندَ ذلك يتمنَّى الرجوعَ إلى الدنيا ليصلحَ ما أفسدَ ويستدركَ ما ضَيَّعَ فلا يُمكنُ من الرجوعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. إنَّ الموتَ لاتمنعُ منه حصونٌ ولا تدفعُه جنودٌ، ولا يَقْبَلُ فديةً، ولا يتأخرُ عن موعِده، يأخذُ الغنيَّ والفقيرَ، والكبيرَ والصغيرَ، والشريفَ والحقيرَ، يأخذُ المؤمنَ والكافرَ، والتقيَّ والفاجرَ. يأخذُ المالكَ والمملوكَ، والمَلِكَ والصعلوكَ ويسوّي بينهم في القبورِ. بعدَ عَالي القصورِ ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [لقمَان: ٢٣]. ﴿ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يُونس: ٣٠].

وبعدَ الموتِ مُواجهةُ القبرِ وأهوالُه، فهو أولُ مَنزلٍ من منازلِ الآخرةِ. وهو إمَّا روضةٌ من رياضِ الجنةِ أو حُفرةٌ من حُفَرِ النارِ، يوسعُ للمؤمنِ مدّ البصرِ، ويضيقُ على الكافرِ حتى تختلفَ أضلاعُه ويتحسَّرُ. وقد ثبتَ عذابُ القبرِ بالسنَّةِ المتواترةِ عن النبيِّ ﷺ. ففي صحيحِ مسلمٍ والسننِ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**إذا فرغَ أحدُكم من التشهّدِ الأخيرِ فيلقلْ أعوذُ باللهِ من أربعٍ: من عذابِ جهنمَ، ومن عذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجّالِ**»[1] ولعذابِ القبرِ أسبابٌ. كَمَا في الصحيحينِ عن ابنِ عباسٍ

---

(١) رواه مسلمٌ (٥٨٩)، وأبو داود (٩٨٣).

رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بقبرينِ فَقَالَ: «إنَّهُمَا ليعذبانِ، وما يُعذبانِ في كبيرٍ، أمَّا أحدُهما فكان يمشي بالنميمةِ، وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستترُ من بولِه»(١) وعذابُ القبرِ يكونُ للكافرِ والمؤمنِ.

فالكافرُ يُعذَّبُ لكُفرِه، والمؤمنُ يُعذبُ لمعصيتِه، وعذابُ القبرِ هو عذابُ البرزخِ فكلُّ مَن ماتَ وهو مُستحقٌّ للعذابِ نَالَه نصيبُه منه قُبِرَ أو لم يُقبَر، أكلته السباعُ أو احترقَ حتى صَارَ رَمَاداً ونُسفَ في الهواءِ أو صُلِبَ أو غَرقَ في البحرِ، فإنه يصلُ إلى بدنِه ورُوحِه من العذابِ ما يصلُ إلى القبورِ، وعذابُ القبرِ من أمورِ الآخرةِ نؤمنُ به ولا نعلمُ كيفيتَه. .

قَالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله: وقد تواترتِ الأخبارُ عن رسولِ اللهِ ﷺ في ثُبوتِ عذابِ القبرِ ونعيمِه لِمَنْ كان لذلك أهْلاً وسؤالِ المَلَكَيْنِ. فيجبُ اعتقادُ ذلك والإيمانُ به ولا نتكلمُ في كيفيتِه، إذْ ليسَ للعقلِ وقوفٌ على كيفيتِه لكونِه لاعَهْدَ لَهُ به في هذِه الدارِ، فإن عَوْدَ الروحِ إلى الجسدِ ليس على الوجهِ المعهودِ في الدنيا. إلى أن قَالَ: فإذَا تَأملتَ ذلك حَقَّ التأملِ ظَهَرَ لك أنَّ كونَ القبرِ روضةً من رياضِ الجنةِ أو حُفرةً من حُفَرِ النارِ مُطابقٌ للعقل، وأَنه حَقٌّ لا مِريةَ فيه، وبذلك يتميزُ المؤمنون بالغيب من غيرهم، ويجبُ أنْ يُعْلَمَ أنَّ النارَ التي في القبرِ والنعيمَ ليس من جنس نارِ الدنيا ولا نعيمِها، وإنْ كان اللهُ تَعَالى يحمي عليه الترابَ والحجارةَ التي فوقَه والتي تحتَه حتى تكونَ أعظمَ حَرّاً من نارِ الدنيا ولو مَسّها أهلُ الدنيا لم يَحُسّوا بها، بل أعجبُ من هذا أنَّ الرَّجلين يُدفنُ أحدُهما إلى جَنْبِ صاحبِه، وهذا في حُفرةٍ من حُفَرِ النارِ، وهذا في روضةٍ من

---

(١) رواه البخاريُّ (٢١٦) ومسلمٌ (٢٩٢).

رياضِ الجنةِ. ولايصلُ من هذا إلى جارِه شيءٌ من حَرِّ نارِه ولا من هذا إلى جارِه شيءٌ من نعيمِه. وقُدرةُ اللهِ أوسعُ من ذلكَ وأعجبُ، ولكنَّ النفوسَ مُولعةٌ بتكذيبِ ما لم تُحِطْ به عِلْماً.

وقدْ أرانا اللهُ في هذِه الدارِ من عجائبِ قُدرتِه ما هو أبلغُ من ذلك بكثيرٍ، وإذَا شَاءَ اللهُ أنْ يُطْلِعَ بعضَ عبادِه على شيءٍ من ذلك أَطْلَعَهُ وغَيَّبَهُ عن غيرِه، فلو أَطْلَعَ اللهُ العبادَ كُلَّهم على ذلك لزالتْ حِكمةُ التكليفِ والإيمانِ بالغيبِ، ولما تدافنَ الناسُ: كما في الصحيحِ عنه ﷺ: «**لولا أنْ لا تدافنُوا لدَعَوْتُ اللهَ أنْ يُسْمِعَكُمْ من عذابِ القبرِ مَا أَسْمَعُ**»[1] . . . .

عبادَ اللهِ: وبعدَ القبرِ ما هو أشدُّ منه وأبقَى. وهو قيامُ الساعةِ والبعثُ من القبورِ والحشرُ والحسابُ، ذلك اليومُ الذي تَذْهَلُ فيه كُلُّ مُرضعةٍ عمّا أرضعتْ. وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وترى الناسَ سُكارَى، وما هُم بسُكَارَىٰ ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ. يومٌ تذوبُ فيه الجبالُ وتكونُ كَثيباً مَهيلاً وتُسَيَّرُ فتكُون سَراباً، ويشيبُ فيه الولدانُ وتشخصُ فيه الأبصارُ ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾ [القَمَر: ٦]، ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ [القَمَر: ٧، ٨].

يَقِفُونَ في صعيدٍ واحدٍ، وتدنُو منهم الشمسُ حتى تكونَ قَدْرَ مِيلٍ أو مِيلينِ. فيصهرهُم حَرُّهَا ويعرقُون على قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَن يأخذُه العرقُ إلى عَقبيه، ومنهم مَن يأخذهُ إلى حقْوَيْه، ومنهم من يُلجمُه إلجَاماً، وهذا الوقوفُ للحسابِ فيحاسَبونَ على أعمالِهم فمنهم من يكونُ حِسابُه عَسيراً، ومنهم من

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٨٦٨) والنسائي (٢٠٥٨).

يكونُ حِسابه يَسِيراً.

ويُعْطَونَ صَحائفَ أعمالِهم. فمنه مَن يُعطى كتابُه بيمينِه، ومنهم مَن يُعطى كتابُه بشمالِه. ومن وراءِ ظَهْرِه، وتُوزنُ أعمالُهم فتوضعُ حسناتُ العبدِ في كِفّة الميزانِ وسيئاتُه في الكِفّة الأخرى، فإن رجحتْ حسناتُه فَازَ وأفلحَ، وإن رجحتْ سيئاتُه خَابَ وخَسِرَ. قال اللهُ تَعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٧ـ٩].

ثُمَّ لابدّ من المرورِ على الصراطِ وهو: جسرٌ مَمدودٌ على مَتْنِ جهنمَ يردُه الأوّلونَ والآخِرون. كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريَم: ٧١، ٧٢].

قال ابنُ كثيرٍ عن ابنِ مَسعودٍ قَالَ: (يَرِدُ الناسُ جَميعاً الصراطَ وورودُهم قيامُهم حَوْلَ النارِ. ثم يَصدرُون عن الصراطِ بأعمالِهم فمنهم مَن يَمُرُّ مثلَ البرقِ، ومنهم مَن يَمُرُّ مثلَ الريحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ مثلَ الطيرِ، ومنهم مَن يمرُّ كأجودِ الخيلِ، ومنهم مَن يمرُّ كأجودِ الإبلِ، ومنهم مَن يمرُّ كَعَدْوِ الرجلِ، حتى إنَّ آخرَهم مرّاً رجلٌ نورُه على موضعِ إبهامي قدمَيه، يمرُّ فيتكفأ به الصراطُ، والصراطُ دَحْضٌ مَزَلَّةٍ. عليه حسكٌ كحسكِ القتادِ. حَافتَاه ملائكةٌ معهم كلاليبُ مِنْ نارٍ يَخْتَطِفونَ بها الناسَ) رواه ابنُ أبي حاتمٍ، وقولُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريَم: ٧٢] أي إذا مَرَّ الخلائق كُلُّهُم على النارِ وسَقَطَ مَن سَقَطَ من الكفارِ والعصاةِ ذوي المَعَاصي بحسبِهم نجّىٰ اللهُ تَعَالَى المؤمنينَ المتقينَ منها بحسبِ أعمالِهم، فجوازُهم على الصراطِ وسرعتُهم بِقَدْرِ أعمالِهم التي كانت في الدنيا، كانَ السلفُ يخافُون من هذِه الآيةِ، فكانَ أبو ميسرةَ إذا أوىٰ إلى فراشِه

قَالَ: يا ليتَ أُمي لمْ تلدنِي ثم يبكِي. ففقيلَ له ما يُبكيكَ يا أبا ميسرةَ؟ فقَالَ: أُخبِرْنَا أنّا واردُوها ولم نُخبَرْ أنّا صَادِرُون عنها، وقَالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ عن الحسنِ البصريِّ قَالَ رجلٌ لأخِيه: هَلْ أَتَاكَ أنكَ واردُ النارَ؟ قَالَ: نعم ـ قَالَ فهَلْ أتاكَ أَنكَ صَادِرٌ عنها؟ قَالَ: لا قَالَ: فَفِيمَ الضحكُ.

فاتَّقُوا اللهَ واستعدُّوا لهذا اليومِ بتقوىٰ اللهِ، يقولُ اللهُ تَعَالَى: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرحيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ [الأنعام: ١٢]، وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحدَه لاشريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه بَعَثَهُ بين يديِّ الساعةِ بشيراً ونذيراً، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعلى آلِه وأصحابِه إلى يومِ الدين . . . أمَّا بعدُ:

أيها الناسُ: اتقُوا الله، واعلمُوا أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ أَحَدُ أركانِ الإيمانِ المذكورةُ في الكتابِ والسنّةِ والتي أجْمَعَتْ عليها الأديانُ السماويةُ، والإيمانُ باليومِ الآخِرِ يعني الاستعدادَ له، لأنَّ الإيمانَ بهذا اليومِ يحملُ الإنسانَ على العملِ الصالحِ والتوبةِ من الأعمالِ السيئةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

والإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان على الصبر على طاعة الله والابتعاد عن محارم الله، ويحمله على المحافظة على الصلاة، وأنواع الطاعات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البَقَرَة: ٤٥، ٤٦]. وقَالَ تَعالَى عن الأبرار: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧ـ١٢].

كَمَا أنَّ الإيمانَ بهذا اليومِ يحملُ على الثباتِ في مواقِف الجهادِ والاستشهادِ في سبيلِ اللهِ كَمَا أخبرَ اللهُ عن قومِ طَالوتَ أنَّهم لمَّا قَالَ بعضُهم: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩].

وعَدمُ الإيمانِ باليومِ الآخِرِ يحملُ على الكفرِ والمعاصي وعلى الظلمِ والعدوانِ، والبغيِ والفسادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يُونس: ٧ ـ ٨]، وقَالَ تَعالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦]. وقَالَ تَعالَى عن أهل النار: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النَّبَإِ: ٢٧، ٢٨]. وقَالَ تَعالَى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [المَاعون: ١ـ٣].

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ ولاتنسوا هذَا اليوم الذي لابدَّ لكم من لقائِه ولا يتخلفُ أَحَدٌ عن حضورِه. فاستعدُّوا له بصالحِ الأعمالِ والتوبةِ من الذنوبِ والإهمالِ. واتبعُوا ما أُنزلَ إليكم من ربّكم وتمسكُوا بسنّةِ نبيّكم واحذرُوا البِدَعَ والمخالفاتِ، فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ . . . إلخ.

وجوبُ الإيمانِ بالقضاءِ والقَدَرِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، خَلَقَ كُلَّ شيءٍ فقدّره تقدِيراً، وقَالَ في مُحكمِ تنزيلِه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾ [الإنسَان: ٢، ٣].

والحمدُ للهِ الذي لم يتخذْ وَلَدَاً. ولم يكنْ له شريكٌ في المُلكِ. ولم يكنْ له وليٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكبيراً. وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحدَه لاشريكَ له، سبحانَه وتَعَالَى عمّا يقولُ الظالمون عُلوّاً كَبيراً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثَه اللهُ شَاهداً ومُبشّراً ونَذِيراً، ودَاعِياً إلى اللهِ بإذنِه وسِراجَاً مُنيراً، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسَلّم تسليماً كثيراً . . . أمّا بعدُ:

أيها الناسُ: اتقُوا اللهَ واعلمُوا أنَّ الإيمانَ بالقضاءِ والقَدَرِ هو أحدُ أركانِ الإيمانِ الستةِ التي بيّنها النبيُّ ﷺ بقولِه: «الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكُتبِه ورُسلِه واليومِ الآخِرِ وتؤمنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه»[1] وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝﴾ [القَمَر: ٤٩]. والقَدَرُ: مصدرُ مِنْ قَدرّتُ الشيءَ إذا أَحطتُ بمقدارِه، والمرادُ به هنا تَعَلُّقُ عِلْمِ اللهِ بالكائناتِ وإرادتِه لها قبلَ وجُودِها، فلا يحدثُ شيءٌ إلا وقد علمَه اللهُ وقدّره، وأرادَه وأَوجَدَه فمَا شَاءَ كَانَ وما لمْ يشأْ لمْ يكنْ. لا رَادَّ لقضائِه ولا مُعقِبَ لحُكْمِهِ.

والإيمانُ بالقدرِ يتضمنُ أربعَ دَرجاتٍ:

---

(١) رواه مسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٣)، والنسائي، (٨/٩٧)، وابن ماجة (٦٣).

الأُولىٰ: الإيمانُ بأنَّ الله عَلِمَ الأشياءَ قبلَ وجودِها.

الثانية: الإيمانُ بأنَّ الله كَتَبَ كُلَّ شيءٍ في اللوحِ المحفوظِ. كمَا قَالَ تَعالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقَالَ تعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

الثالثةُ: الإيمانُ بمشيئةِ اللهِ لكُلِّ حادثٍ وقدرتِه التامةِ عليه، قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، في موضعينِ من كتابِه، وقَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ⁽١٤⁾﴾ [الحج: ١٤].

الرابعةُ: الإيمانُ بانفرادِ اللهِ بإيجادِ كُلِّ المخلوقاتِ، فهو الخالقُ وحدَه ومَا سِواه مخلوقٌ، كمَا قَالَ تَعالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، وقَالَ تَعالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فَاطِر: ٤٠]، وقَالَ تعَالَى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ⁽١٦⁾﴾ [الرّعد: ٦١].

وتقديرُ اللهِ سبحانَه للأشياءِ على نَوعينِ:

النوعُ الأولُ: التقديرُ العَامُّ الشاملُ لكلِّ كائنٍ وهو المكتوبُ في اللوحِ المحفوظِ، فقد كَتَبَ اللهُ فيه مقاديرَ كُلِّ شيءٍ إلى أن تقومَ الساعةُ، كمَا في الحديثِ الذي رواه أبو داود وغيرُه عن عُبادَة بنِ الصامتِ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القلمَ قَالَ له اكْتُبْ، قَالَ ومَا

أكتبُ؟ قَالَ اكْتُبْ مَقادير كُلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ»[1] وهذا التقديرُ يعمُّ جميعَ المخلوقاتِ.

النوعُ الثاني: تقديرٌ مُفَصَّلٌ لهذا التقديرِ العَامِّ وهو أنواعٌ:

النوعُ الأوَّلُ: التقديرُ العُمريُّ، وهو ما يجري على كُلِّ إنسانٍ في مدةِ عُمره في هذِه الحياةِ، كمَا في حديثِ ابنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ في شأنِ ما يُكتبُ على الجنينِ وهو في بطنِ أُمِّهِ من كتابةِ أَجلِهِ ورزقِه وعملِه وشقاوتِه أو سعادتِه[2].

النوعُ الثاني: التقديرُ الحَوليُّ، وهو ما يُقَدَّرُ في ليلةِ القدرِ من وقائعِ العَامِ، كمَا قَالَ تَعالَى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الدّخان: ٤].

النوعُ الثالثُ: التقديرُ اليوميُّ، وهو ما يُقَدَّرُ مِنَ حوادثِ اليوم من حياةٍ وموتٍ وعِزٍّ وذُلٍّ وغيرِ ذلك، كمَا في قولِه تَعالَى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]، ولابُدَّ للمسلمِ مِنَ الإيمانِ بالقدرِ بجميعِ تفاصيلِه كمَا عليه أهلُ السنّةِ والجماعةِ، فمَن جَحَدَ منها شيئاً لم يكنْ مُؤمناً بالقدرِ، ومَن لم يؤمنْ بالقدرِ فقد جَحَدَ ركناً من أركانِ الإيمانِ، وكانَ من الفِرَقِ الضالّةِ المنحرفةِ.

ومعَ الإيمانِ القدرِ لابدَّ مِنَ الإيمانِ بأنَّ اللهَ جَعَلَ للعبدِ مشيئةً وقُدرةً واختياراً وتمييزاً بين الضارّ والنافعِ، يعرفُ الخيرَ ويستطيعُ أنْ يفعلَه بإرادتِه واختيارِه، ويعرفُ الشرَّ ويستطيعُ أنْ يتركَه بإرادتِه واختيارِه، ولذلك صَار يُثاب على فِعْلِ الخيرِ، ويُعَاقَبُ على فِعْلِ الشرِّ؛ لأنَّ الكُلَّ فِعْلُهُ وكَسْبُهُ بإرادتِه واختيارِه، والعاجِزُ والمُكرَهُ والناسي لايؤاخذُون. إمَّا لعدمِ القُدرةِ وإما لعدمِ الإرادةِ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠) بلفظ «إنَّ أول ما خلق الله القلم...».
(٢) إشارة إلى حديث رواه البخاريُّ (٣٢٠٩).

ومشيئةُ العبدِ وإرادتُه لاتخرجانِ عن مشيئةِ اللهِ وإرادتِه، كمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأثبتَ للعبدِ مشيئتَه وربَطَها بمشيئتِه سبحانه وجعلَها تابعةً لهَا. وأمَرَ سبحانَه بالأعمالِ الصالحةِ التي هي سببٌ للسعادةِ، ونهى عن الأعمال السيئةِ التي هي سببٌ للشقاوةِ، وقَالَ النبيُّ ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيسر لِمَا خُلِقَ له»[1] ثُمَّ قَرَأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ـ١٠]، رواه البخاريُّ واللهُ سبحانَه قد رَتَّبَ الجزاءَ على العملِ لا على القدرِ الذي قَدَّرَهُ على العبدِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠].

وبعضُ الناسِ قد يُغالطونَ في مسألةِ القضاءِ والقدرِ ويفهمونَه على غيرِ مقصودِه، فإذا أُمِرُوا بالأعمالِ الصالحةِ ونهُوا عن المعَاصي، قالوا: إنْ كانَ اللهُ قد قَدَّرَ أَنَّنَا مِنْ أَهْلِ السعادةِ فسنكونَ من أهلِها. وإن كانَ قدّر أننا من أهلِ الشقاوةِ فسنكونُ من أهْلِهَا.

ولا يفعلونَ أسبابَ السعادةِ، ولايتركونَ أسبابَ الشقاوةِ، وهؤلاءِ جَهلةٌ مُغالطونَ. لأن اللهَ جَعَلَ لِكُلِّ شيءٍ سَبباً وربَطَ النتائجَ بأسبابِها، فإذا لم تعملْ هذه الأسبابَ لمْ تحصل النتائجُ، فَجَعَلَ الطاعة سَبَباً للثوابِ وجَعَلَ المعصيةَ سَبَباً للعقابِ، كمَا قَالَ تَعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٠٥)، ومسلمٌ (٢٦٤٧).

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٥ـ١٠].

وهؤلاءِ الذين يُعطّلونَ الأسبابَ النافعةَ، ويحتجّونَ بالقدرِ يتناقضونَ مع أنفسِهم، فإنَّه لو قيلَ لأحدِهم اتركِ الأكلَ والشربَ لأنَّ اللهَ إن كانَ كَتَبَ لكَ أنْ تَعيشَ فستعِيش بِلا أكلٍ ولا شُربٍ، واتركِ الزواجَ لأنَّ الله إنْ كانَ كَتَبَ لكَ ذُريةً فتحصل لكَ بلا زواجٍ، فإنَّهُ سيستنكِرُ هذا القولَ ويعتبرُه ضَرْباً من الهذيانِ، فكيفَ إذاً يتركُ الطاعةَ ويقولُ إن كانَ اللهُ قدّر لي السعادةَ فسأحصلُ عليها بدونِ طَاعةٍ، إنَّ الواجبَ على المسلمِ أنْ يُباشرَ الأسبابَ النافعةَ ويتركَ الأسبابَ الضارّة. كما أنَّه يأكلُ ويشربُ ويتدَاوى ليعيشَ ويَسْلَمَ مِنَ الأمراضِ، وكمَا أنَّه يتجنبُ المخاطرَ ليسلمَ مِنَ الهلاكِ ويعترِف بأنَّ هذه المقاصدَ لا تحصلُ إلا بتعاطي أسبابِهَا، فكذلكَ يجبُ عليه أنْ يتعاطى أسبابَ السعادةِ ليحصلَ عليها، ويتجنبَ أسبابَ الشقاوةِ ليَسْلَمَ منها.

عبادَ اللهِ: اعلموا أنَّ مِنْ أعظمِ ثمراتِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ صحةَ إيمانِ الشخصِ وتكاملَه، لأنَّه بذلك يكونُ قد آمنَ بِكُلِّ ما يجبُ الإيمانُ به استكملَ أركانَ الإيمانِ، ومِنْ ثمراتِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ طمأنينةُ القلبِ وارتياحُه وعدمُ القلقِ في هذه الحياةِ خصوصاً عندما يتعرَّضُ الإنسانُ لمشاقِّ الحياةِ. لأنَّ العبدَ إذا علمَ أنَّ مَا أصَابَه لمْ يكنْ ليخطِئه وأنَّ مَا أخطأَه لمْ يكنْ ليصِيبه فإنَّه عندَ ذلكَ تسكنُ نفسُه ويطمئنُّ بالُه. بخلافِ مَن لا يؤمنُ بالقدرِ فإنه عندمَا تُصيبه مُصيبةٌ أو يفوتُه شيءٌ مِمَّا يحبُّ، فإنه يجزعُ ويسخطُ، ويقلقُ، ويضيقُ من حياتِه ويحاولُ الخلاصَ منها، وربمَا ينتحرُ ويقتلُ نفسَه. وقد كثُرت في هذا الزمانِ حوادثُ الانتحارِ من الرجالِ والنساءِ الذينَ لايؤمنونَ بالقضاءِ والقدرِ، فيفرّونَ

من واقعِهم ويتشاءمُون بمستقبلِهم ويأخذُهم اليأسُ، وقد أخبرَ اللهُ سُبحانه أنَّ الذي يؤمنُ بالقضاءِ والقَدَرِ، يَثْبُتُ عند المصائبِ ويصبرُ عند النوازلِ ويحتسبُ الأجرَ والثوابَ على مصيبتِه فتكُون مصيبتُه خيراً له وتكُونَ عاقبتُه حميدةً.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلقمةُ: هو الرجلُ تُصيبه المصيبةُ فيعلمُ أنَّها من عندِ اللهِ فيرضىٰ ويُسَلِّمُ، ومعنى الآية الكريمةِ

أنَّ مَن أصابتْه مصيبةٌ فَعَلِمَ أنَّها من عندِ اللهِ وأنَّ اللهَ قدّرها فصبرَ واحتسبَ هدىٰ اللهُ قَلبَه وعوّضه عمّا فاتَه مِنَ الدنيا هُدى في قلبِه ويقيناً صَادِقاً في نفسِه، وقد يخلفُ عليه ما كان أُخِذَ منه أو خيراً منه، كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ـ١٥٧]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فأخبرَنا سبحانَه أنه قدّر ما يجري مِنَ المصائبِ في الأرضِ والأنفسِ، وكَتَبَهُ في اللوحِ المحفوظِ قبل وقوعِه.

ثم بيّن سبحَانه أنَّ الحكمةَ في إخبارِه لنا بذلك لأجلِ أن نطمئنَّ فَلاَ نجزعُ ولا نأسفُ عند المصائبِ، ولا نفرحُ عند حصولِ النِّعمِ فرحاً يُنسينا العواقبَ ونأمُن به مِنْ مكرِ اللهِ، بل نصبرُ عند الشدائدِ والسرّاءِ، ونشكرُ عند الرخاءِ والسرّاءِ. قال

عكرمةُ: ليسَ أَحدٌ إلا وهُو يفرحُ ويحزنُ، ولكن اجعلُوا الفرحَ شُكراً، والحزنَ صَبراً، وليسَ معنى هذَا انْ نُعطِّل الأسبابَ الجالبةَ للخيرِ، والواقيةَ من الشرِّ ولكن نكونُ مع إيمانِنا بالقدرِ نتخذُ الأسبابَ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا.

فإذَا أخفقْنا في عدمِ الحصولِ على المطلوبِ، فعلينا أنْ نرضىٰ بقضاءِ اللهِ وقدرِه، ولا نجزعُ ونعلمُ أنه لو قدّر لنَا غيرُ ما حَصلَ لكانَ، كمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ على مَا ينفعُك واستعِن باللهِ ولا تعجزْ، فإنْ أَصابكَ شيءٌ فلا تَقُلْ لو أنّي فعلتُ كذَا لكان كذَا أو كذَا، لكنْ قُلْ قدّر اللهُ وما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تفتحُ عَمَلَ الشيطانِ**» رواه مسلمٌ[1].

وعلى العبدِ أنْ يحاسبَ نفْسَه ويصحّحَ أخطاءَه ويعلمَ أنه لايصيبُه شيءٌ إلا بسببِ ذنوبِه، كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشّورى: ٣٠].

بارك اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ

الخُطْبَةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، قدّر فهدىٰ، وأخبرَ أنَّ الإنسانَ لن يُتركَ سُدى. ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النّجم: ٣٩ـ٤١]. وأشهدُ أنْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أنزلَ عليه ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى: ٨، ٩]، فامتثلَ أمرَ ربِّه وذَكَّرَ أمتَه وأَمَرَ ونَهَىٰ. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه أُولي الفضائِل والنُّهَىٰ،

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٦٦٤).

ومَن تبعَهم بإحسانٍ واقتفىٰ، وسَلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناسُ: اتقُوا الله واعلمُوا أنَّ العاقبةَ للتقوىٰ..

عبادَ اللهِ: مِمَّا يجبُ التنبيهُ عليه أنَّ بعضَ الناسِ يُخطىءُ في موضوعِ القَدَرِ خَطَأً فَاحِشَاً ويضلّونَ ضَلالاً مُبيناً حينما يحتجّون بالقضاءِ والقدرِ على تبريرِ فِعلهمِ للمعَاصي وتركِهم للتوبةِ منها، ويقولونَ هذا مُقدّر علينا، كمَا قَالَ المشركونَ إذا نُهوا عن الشركِ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: ١٤٨].

وهذا فهمٌ سيءٌ للقضاءِ والقدرِ؛ لأنَّه لا يُحتجّ بهمَا بعد فعلِ المعاصي والمعائبِ، وإنَّمَا يُحتجّ بهما بعد نزولِ المصائبِ.

فالاحتجاجُ بالقدرِ بعد فِعْلِ المعاصي قبيحٌ؛ لأنَّه يُفَوّتُ التوبةَ منها ويكسلُ العبدَ عن العملِ الصالحِ، والاحتجاجُ بالقدرِ بعدَ حصولِ المصائبِ حَسَنٌ ومفيدٌ لأنَّه يَحْمِلُ على الصبرِ والاحتسابِ...

ومِنْ ثمراتِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ أنَّه يدفعُ الإنسانَ إلى العملِ والإنتاجِ والقوةِ والشهامةِ والشجاعةِ، فالمجاهدُ في سبيلِ اللهِ يَمضي في جِهَادِه ولا يهابُ الموتَ؛ لأنَّه يعلمُ أنَّ الموتَ لابدّ منه وأنَّ المُقدّر لابدّ أنْ يقعَ وأنَّ الأجلَ لا يُؤَخّرُ ولا يَمنعُ منه حصونٌ ولا جُنودٌ، كما قَال تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: ٧٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبَة: ٥١].

فحينمَا يستشعرُ المجاهدُ في نفسِه هذه الدفعاتِ القويةِ من الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ يَمضي في جهادِه حتى يتحققَ له النصرُ على الأعداءِ وتتوفرَ القوةُ للإسلامِ

والمسلمينَ، وكذلكَ الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ يُوفّر الإنتاجَ والثراءَ للفردِ والجماعةِ. لأنَّ المؤمنَ إذَا عَلِمَ أنَّ الناسَ لا يضرّونَه إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عليه، ولا ينفعونَه إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ له، فإنَّه لنْ يتواكَلَ ولا يهابَ المخلوقينَ ولا يعتمدَ عليهم... وإنَّمَا يتوكلُ على اللهِ ويَمضي في طريقِ الكسبِ وَطلَبِ الرزقِ، وإذا أُصيبَ بمصيبةٍ أو لم يتوفرْ له مَطلوبُه فإنَّ ذلكَ لا يُثنيه عن مواصلةِ الجهودِ ولا يقطعُ منه بابَ الأملِ ولا يقولُ: لو أني فعلتُ كذا لكانَ كذا أو كذا، وإنَّما يقولُ: (قَدّرَ اللهُ وما شَاءَ فَعَلَ) ويحاسبُ نفْسَه ويصحّحُ خَطَأه، وبهذا يقومُ كيانُ المجتمعِ وتنتظمُ مصالحُه.

ومن ثمراتِ الإيمانِ بالقدرِ، تعظيمُ العبدِ لربِّه، وخوفِه منه ورغبتِه فيمَا عنده وتعلقه به دائماً؛ لأنَّه يعلمُ أنَّ الأمورَ بيدِ اللهِ ـ ما شَاءَ كانَ ومَا لمْ يَشَأْ لمْ يكنْ... فلا يلتفتُ إلى غيرِه ولايذلُّ ولا يهنُ للمخلوقين لأنَّه يعلمُ أنه لايأتي بالحسناتِ إلا اللهُ، فلا يخافُ من مخلوقٍ، ولا يعتمدُ إلاَّ على ربِّه...

نسألُ اللهَ عزّ وجلّ أن يجعلَنا من المؤمنينَ بقضائِه وقدرِه، والعاملينَ بطاعتِه التاركينَ لمَعَاصِيه، ومن الناسِ مَنْ إذا أصابَه مكروهٌ فإنَّه لايُحاسبُ نفْسَه ويعلمُ أنَّ ما أصَابه بذنوبِه فيتُوب إلى اللهِ ويتّعظ. وإنَّمَا يجزعُ ويلقي اللومَ على القدرِ وربَّمَا يسبّه. كمَا يقولُ بعضُ الصّحفيين والكتّاب: يا ظُلْمَ القدرِ، يا قسوةَ القدرِ، يا لسخريةِ القدرِ، وأمثالِ هذه الألفاظِ الشنيعةِ التي فيها سَبُّ اللهِ عزَّ وجلَّ لأنَّه هو الذي قَدّرَ المقدورَ، وبيدِه تصريفُ الأمورِ، فكأنَّ هذَا يقولُ ظَلمني ربي، وسَخِرَ بي ربي، وقَسَىٰ عليّ وأنا أستحقُّ غيرَ هذَا...

قال الإمامُ ابنُ القيّمِ رحمَه اللهُ: وأكثرُ الناسِ يظنونَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فيما يختصُّ بهم وفيما يفعلُه بغيرِهم، ولا يسلمُ مِنْ ذَلكَ إلاَّ مَنْ عَرفَ اللهَ وأسماءَه

وصفاتِه وموجبَ حِكمتِه وحَمده، فليعتنِ اللبيبُ والناصحُ لنفْسِه بهذَا. وليتبْ إلى اللهِ ويستغفرْه من ظَنِّهِ بربِّه ظَنَّ السَّوْءِ. ولو فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لرأيتَ عنده تَعَنُّتاً على القدرِ وملامةً له، وأنَّه كانَ ينبغي أنْ يكونَ كذَا وكذَا، فمُستقلٌّ ومستكثرٌ، وفَتِّشْ نفْسَكَ هل أنتَ سَالِمٌ؟

فإنْ تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ وإلاَّ فإنِّي لا أخالكَ ناجِياً

وهذَا الذي ذَكَرَهُ الإمامُ ابنُ القيِّمِ يجري على ألسنِ كثيرٍ مِنَ الناسِ إذَا رأَوا رجُلاً صَالحاً قد ابتليَ بالفقرِ قَالُوا هذا ما يَستحقُّ الفقرَ، وإذا رأَوا رجُلاً آخرَ قد وسَّعَ عليه الرزقُ قالوا هذا ليسَ أهلاً لذلكَ، وهذَا قَدْحٌ في القدرِ واعتراضٌ على اللهِ. فالواجبُ على المسلمِ أنْ يحفظَ لسانَه من هذه الألفاظِ البذيئةِ التي تُخِلُّ بعقيدتِه ودِينهِ، فتنبهُوا لذلك رَحِمَكُمُ اللهُ، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله .

* * *

في بيانِ مَزَايَا الإسلامِ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ ليظهرَه على الدينِ كُلِّهِ وكفىٰ باللهِ شَهيداً، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له إقراراً به وتوحِيداً، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً مَزيداً. . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُو الله تعَالى واشكُرُوا نِعمتَه. حيثُ أرسلَ إليكم أفضلَ الرسلِ وأنزلَ عليكم خيرَ الكتبِ وشرعَ لكم أكملَ الشرائعِ ورضِي لكم الإسلامَ دِيناً، فقد أرسلَ اللهُ رسولَه مُحمداً ﷺ على حين فترةٍ من الرسلِ. يهدي به إلى أقومِ الطُرُقِ وأوضحِ السُبُلِ، وافترضَ على العبادِ طاعتَه، علّم به من الجَهَالةِ. وبصَّرَ به من العَمَىٰ، وأرشدَ به مِنَ الغَيِّ، وفتحَ به أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً، وقُلوباً غُلفاً، وأشرقتِ الأرضُ برسالتِه بعدَ ظُلمَاتِها، وتألفتْ به القلوبُ بعد شَتَاتِهَا، وسارتْ دعوتُه سَيْرَ الشمسِ في الأقطارِ، وبَلَغَ دينُه مَا بَلَغَ الليلُ والنهارُ، وتَرَكَ أُمتَه على المحجَّةِ البيضاءِ التي لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

نَعَمْ كانُوا في ضلالٍ مُبينٍ في عقائِدِهم حيث كانوا يعبدونَ الأصنامَ والأشجارَ والنيرانَ، ومنهم مَن يعبدُ المَلائكةَ والأولياءَ، ويقولونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]. هذه حالةُ الوثنيينَ مِنَ العربِ وغيرِهم، ولا تَقِلُّ عنها في الضلالِ حالةُ المِلّيينَ مِنَ اليهودِ والنصارىٰ. حيثُ حَرّفُوا دِينَ الأنبياءِ واتخذُوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً من دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريمَ. وكان الناسُ في ضلالٍ مُبينٍ في حياتِهم السياسيةِ وخُصوصاً العربُ فقد كانُوا يعيشونَ في غاراتٍ وثاراتٍ وحروبٍ طاحنةٍ، وكانوا في ضلالٍ مُبينٍ في حياتِهم الاقتصاديةِ ومعايشِهم، كانُوا يتعاملونَ بالربا ويعيشونَ من النَّهْبِ والسَّلْبِ ويأكلونَ الميتاتِ والدمَ، وكانوا يسيبونَ بعضَ مَواشِيهم وزروعِهم للأصنامِ. فلا ينتفعونَ بها بل كَانَ بعضُهم يقتلُ أولادَه تقرباً إلى الأصنامِ، وكانُوا يَقتلونَ بناتِهم خشيةَ العارِ. هكَذَا كانتْ حَالةُ أَهْلِ الأرضِ قبل بعثةِ النبيِّ ﷺ، كمَا في الحديثِ (إنَّ اللهَ نَظَرَ إلى أهلِ الأرضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ إلا بقَايا مِنْ أَهْلِ الكتابِ) أي نَزْرَاً يَسيراً مِمنْ تَمَسَّكَ بِمَا جَاءَ به عيسى عليه السلامُ، في هذا الجَوِّ المظلمِ أشرقتْ أنوارُ الرسالةِ المحمديةِ. وقد اشتدتْ حاجةُ البشريةِ إليها، على حينِ فترةٍ مِنَ الرسلِ وطُموسٍ مِنَ السُّبُلِ، فَعلَّمَ به مِنَ الجَهَالَةِ، وهَدَىٰ به مَنَ الضلالةِ، وأغنَى به من العَيْلَةِ، وأعزَ به بعدَ الذلّةِ، وكَثَّرَ به بعدَ القِلَّةِ. كمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقدْ جَمَعَ الإسلامُ بينَ القلوبِ المتنافرةِ. والقبائلِ فجعلَها أُمَّةً واحدةً وإخواناً مُتحابينَ في اللهِ وإنِ اختلفتْ أنسابُهم وتباعدتْ ديارُهم، قَالَ تَعالَى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]، وقَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]، وقَالَ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ

جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢_٦٣].

نَعَمْ. رَبَطَ بينهُم برباطِ الدِّينِ الذي هو أقوى من رابطةِ النَّسَبِ، بل إنَّ رابطةَ النَّسَبِ لا قيمةَ لهَا مع اختلافِ الدِّينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجَادلة: ٢٢]. ولذلكَ لا يرثُ الكافرُ قَرِيبَه المسلمَ ولا يرثُ المسلمُ قريبَه الكافرَ؟ لانقطاعِ الرابطةِ بينَهم، فالرابطةُ التي تَجْمَعُ المفترقَ وتُؤلِّفُ بينَ المُختلِفِ هي رابطةُ لا إله إلاّ الله التي تجعلُ المجتمعَ الإسلاميَّ كلَّه كأنَّه جسدٌ واحدٌ، وتجعلُه كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً، كمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ المسلمينَ في توادِّهم وتراحمِهم وتعاطفِهم كَمَثَلِ الجسدِ الواحِدِ إذا اشتكَىٰ منه عضوٌ تَداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمَّىٰ»[1].

بل إنَّ دِينَ الإسلامِ هو الربطةُ التي ربطتْ أهلَ السماءِ بأهلِ الأرضِ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غَافر: ٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: ٥].

فالذي يُنادي برابطةٍ غيرِ رابطةِ الإسلامِ كرابطةِ القوميةِ والعَصَبيَّةِ إنَّما يُفرِّقُ ولا يُجَمِّعُ. وإنَما يدعُو بدعوىٰ الجاهليةِ، وقد قَالَ النبيُّ ﷺ: «ليسَ منّا مَن ضرَبَ الخُدودَ وشقّ الجيوبَ ودعَا بدعوىٰ الجاهلية»[2] وقَالَ ﷺ: «مَن تعزّى عليكم بعزاءِ الجاهليةِ فأعضوه بهنّ أبيه ولا تكنّوا» أي قولوا له: اعضضْ بِفَرْجِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٠١١)، ومسلمٌ (٢٥٨٦).

(٢) رواه البخاريُّ (١٢٩٧)، ومسلمٌ (١٠٣).

أبيك. إهانةً له. لأنَّه يدعُو إلى شيءٍ قبيحٍ، وفي بعضِ الغزواتِ حصلتْ مُشادَّةٌ بين رَجُلٍ من المهاجرينَ ورجل منَ الأنصارِ فقالَ المهاجريُّ. يا للمُهَاجرينَ. وقال الأنصاريُّ: ياللأنصار، فَسَمِعَهَا النبيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دعوىٰ الجاهليةِ. ثم قَالَ: دَعُوهَا فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(١) فَأَمَرَ ﷺ بِتَرْكِ هذه الدعوةِ وأخبرَ أنهَا مُنتنةٌ، والمُنتنُ خبيثٌ، واللهُ تَعَالَى حَرَّمَ علينا الخبائثَ، ومِنْ ذلكَ النداءُ بالقومياتِ والعنصرياتِ، ولاسيمَا إذا كانَ القصدُ من ذلكَ الاعتياضَ به عن رابطةِ الإسلامِ. كمَا يريدُ دُعاةُ القوميةِ اليومَ، وقد بيّنَ اللهُ سُبحانَه أنَّ الحكمةَ مِنْ جَعْلِهِ بني آدمَ شُعوباً وقبائلَ هي للتعارفِ فيمَا بينهم وليسَ للتعصبِ للعنصرياتِ والقومياتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، أي ليحصلَ التعارفُ بينكُم كلٌّ يرجعُ إلى نَسَبِهِ وإلى قبيلتِه، لا لتفاخرُوا بأنسابِكم وقوميتِكم، فجميعُ الناسِ في الشرفِ بالنسبةِ الطينيةِ إلى آدمَ وحواءَ سَواء، وإنَّمَا يتفاضلونَ بالإيمانِ والتقوىٰ. ولهذا قالَ تعالَى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾. [الحجرات: ١٣].

عِبادَ اللهِ: إنَّ هذَا الدينَ الذي جَمَعَ اللهُ به بين القلوبَ ووحَّدَ به الأمةَ الإسلاميةَ حتى صارتْ أعظمَ قوةٍ على وجْهِ الأرضِ تهاوتْ تَحتَ أقدامِها عروشُ الأكاسرةِ والقياصرةِ فأسقطتْ أعظمَ دولتينِ على وجهِ الأرضِ هُمَا دولةُ الفُرسِ دولةُ الرومِ. إنَّ هذا الدينَ صالحٌ اليومَ وفي كل زمانٍ لأنْ يعيدَ لهذه الأمةِ عزّتَها ومكانتَها إذا رجعتْ إليه وتمسكتْ بِهِ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافِقون: ٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٩٠٥)، ومسلمٌ (٢٥٨٤).

يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمّد: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النّور: ٥٥].

إنَّ هَذَا الدّينَ هو سَبيلُ النجاةِ في الدنيا والآخرةِ، في الدنيا يَعصمُ الدمَ والمالَ ويوفّرُ الأمنَ والاستقرارَ، ويجلبُ القوةَ والاتحادَ بينَ المسلمينَ حتى تُصبحَ لهم السيادةُ والقيادةُ والسعادةُ في الأرضِ. وفي الآخرةِ يُنجي مِنَ النارِ والعذابِ الأليمِ، ويكونُ سَبباً لدخولِ جناتِ النعيمِ. والسلامةِ مِنَ الأخطارِ والآفاتِ، وبدونِ هذا الدينِ لا نجاةَ ولا سَعادَة، وإنَّما الخسارةُ الدائمةُ، والشقاوةُ اللازمةُ . . .

نسألُ اللهَ عزّ وجلّ أنْ يرزقَنا التمسكَ بهذا الدينِ والثباتَ عليه إلى يومِ نلقَاه إنه قريبٌ مُجيبٌ . . .

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ

الخُطْبَةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فَضْلِه وإحسانِه. رضي لنا الإسلامَ دِيناً، وأمرَنا بالتقوىٰ لأنَّها خيرُ لباسٍ. وأشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وهو ربُّ الناسِ، مَلِكُ الناسِ، إلهُ الناسِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه رحمةً للعالمينَ، وشَرَحَ له صدرَه ورَفَعَ له ذِكْرَه. وجَعَلَ الذلّةَ والصغارَ على مَن خَالَفَ أَمْرَهُ، صَلّى الله عليه وعلى آله وصحبِه، وكُلِّ مَن آمنَ وتَمَسَّكَ بسنّته إلى يومِ

الدين . . . أمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تَعالى وتمسكُوا بالإسلامِ الذي اختارَه الله سبيلاً إلى دارِ السلامِ، واعلمُوا أنَّ كثيراً مِنَ المنتسبينَ إلى الإسلامِ اليومَ اكتفُوا بمجردِ الانتسابِ مِنْ غيرِ تحقيقٍ لتلكَ النسبةِ من حيثُ التمسكِ بعقائده وشرائعِه، فهُم في العقيدةِ على دينِ الجاهليةِ. يعبدونَ القبورَ ويتقربونَ إليها بأنواعِ القُرباتِ كما كانَ أَهْلُ الجاهليةِ يعبدُون اللاّتَ والعُزَّىٰ ومَنَاة، ويتخذونَ من مشائخ الطُرُقِ الصوفيةِ أرباباً من دونِ اللهِ يُشَرِّعُونَ لهم من الدِّينَ مَا لمْ يأذنُ اللهُ من الأورادِ البدعيةِ وإحياءِ الموالدِ والذكرياتِ المُشْتَمِلَةِ على كثيرٍ من الخرافاتِ والشركياتِ، وبعضُهم ينتسبُ إلى أهلِ البيتِ كَذِباً وزُوراً، يريدُ من ذلك إغراءَ الجُهَّالِ بالتبرّكِ به واتباعِه على الباطلِ. وهو يعلمُ أنَّ مجردَ النَّسبِ لو صَحَّ فإنَّه لا يُغني عنه مِنَ اللهِ شيئاً إلا إذَا استقامَ على الحقِّ قَالَ ﷺ: «مَن بَطَّأَ به عملُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُهُ» وهذا أبو لهبٍ عَمُّ النبيِّ ﷺ لمْ ينفعهُ نَسَبُهُ لَمَّا كانَ على دِينِ المُشرِكينَ قَالَ تَعالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: ١] إلى آخرِ السورةِ . . .

وبعضُ المُنتسبينَ إلى الإسلامِ يَحكمُون بغيرِ ما أنزلَ اللهُ فيحكّمونَ القوانينَ الوضعيةَ بَدلاً مِنَ الشريعةِ الإسلاميةِ، واللهُ تَعالَى يقُول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النِّساء: ٦٠].

وهُم في مجالِ التعاملِ لا يتورعُون عن حرامٍ، فيتعاملُون بالربَا والغِشِّ والخديعةِ والكذبِ، وقد قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَن غشّنا فليسَ

مِنّا»[١] وقَالَ عليه السلامُ: «المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمُه ولا يخذلُه ولا يكذبُه ولايحقرُه»[٢] ولا يأخذُون مِنَ الإسلامِ إلاَّ ما يوافقُ رغباتِهم، وما خالفَ رغباتِهم رفضُوه كحالِ الذين قال اللهُ تعالَى فيهم: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المَائدة: ٧٠]. والذينَ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النُّور: ٤٨، ٤٩].

فاتقُوا اللهَ وتمسكُوا بدينِكُم فيما أحببتُم وفيما كرِهتُم فربَّمَا يكونُ الذي كرِهتُم خيراً مما أحببتُم قَالَ تعالَى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البَقَرة: ٢١٦]، وقَالَ النبيُّ ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هَواه تبعاً لِمَا جئتُ بِهِ»[٣].

واعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ... إلخ.

* * *

(١) رواه مسلمٌ (١٠٢).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٩٥١)، ومسلمٌ (٢٥٨٠).

(٣) صححه النوويُّ ـ رحمه الله ـ في كتاب الحجة.

في بيانِ تحقيقِ الإسلامِ لأمنِ المجتمعِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، جَعَلَ تحقيقَ الأمنِ مَقرُوناً بالإيمانِ الخالصِ مِنَ الشركِ والطغيانِ. فَقَالَ تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لاشريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابِه ومَن تَبِعَهُ وتمسَّكَ بدينِه إلى يومِ الدِّينِ وسَلَّم تسليماً كثيراً . . . أمَّا بعدُ:

أيّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى تأمنوا بتقوَاه مِنْ جميعِ المخاوفِ . . .

عبادَ اللهِ: إنَّ الأمنَ مَطْلبٌ نبيلٌ تهدفُ إليه المجتمعاتُ البشريةُ وتتسابقُ لتحقيقِه السلطاتُ الدوليةُ، بِكُلِّ إمكانياتِها الفكريةِ والماديةِ، والأمنُ ضِدُّ الخوفِ وهو سكونُ القلبِ وذهابُ الروعِ والرعبِ، والبلدُ الآمنُ والأمينُ هو الذي اطمأنَّ به أهلُه.

وطَلَبُ الأمنِ مُقَدَّمٌ على طَلَبِ الغذاءِ؛ لأنَّ الخائفَ لا يتلذذُ بالغذاءِ ولا يهنأُ بالنومِ ولا يَطمئنُّ في مكانٍ؛ ولهذَا لمَّا دعَا خليلُ اللهِ إبراهيمُ عليه السلامُ لمكةَ المشرفةَ قَالَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ١٢٦]. فدعَا بتوفيرِ الأمنِ قبلَ توفيرِ الرزقِ.

فالأمنُ مُطْلَبٌ ضَروريٌّ لكُلِّ البَشَرِ، ولكنْ مَا هي وسائلُ توفيرِ الأمنِ؟ . .

هل يتوفرُ الأمنُ بالبطشِ والجبروتِ، والاستبدادِ مِنَ الولاةِ وهو ما يُسمَّى اليوم بالديكتاتوريةِ؟ أو يتوفرُ بالتساهلِ والتسامحِ مَعَ المجرمينَ والمفسدينَ إلى حَدِّ الفوضَى وهو مَا يُسمى بالديمقراطيةِ؟ أو يتوفرُ باستعمالِ الأجهزةِ الدقيقةِ

والأسلحةِ الفتّاكةِ وما تَوَفَّرَ بالمخترعاتِ الحديثةِ مِنَ إمكانياتٍ؟ أو يتوفرُ الأمنُ بقوةِ الحصونِ والأبوابِ والحرّاسِ؟ لقد فَشَلَتْ كُلُّ هذه الوسائِلِ وأفلستْ كُلُّ نُظُمِ الأرضِ وحِيَلُ البَشَرِ فلمْ تستطعْ توفيرَ الأمنِ. وأَدَلُّ دَليلٍ على ذلك واقعُ الدولِ الراقيةِ التي تملكُ كُلَّ عناصرِ القوةِ المَاديةِ وما تُعَانِيه مِنَ الفوضَى وانتشارِ الخوفِ في رُبوعِها وتَسَلُّطِ المجرمينَ على شعوبِها حتى إنَّ مَنْ يُسافرُ إليهم لا يأمنُ على نفْسِه ولا يستطيعُ أنْ يحملَ معه شيئاً مِنَ النقودِ الضروريةِ إلاَّ وهو خائفٌ أشدَّ الخوفِ ومتوقعٌ للغدرِ في كُلِّ لحظةٍ، إذاً فمَا هي الأسبابُ الصحيحةُ لتوفيرِ الأمِنِ للمجتمعاتِ بعدَما جَرَّبَتِ البشَريةُ كُلَّ النُّظُمِ، إنَّ أسبابَ الأمنِ تتوفرُ في شيءٍ واحدٍ هو دينُ الإسلامِ الذي اختارَه اللهُ للبشريةِ جميعاً إلى يومِ القيامةِ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المَائدة: ٥٠]. وقال عنه جلّ وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣]، وقال عن نبيّه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧]، وخَيْرُ شَاهِدٍ على ذلك حالةُ العربِ خاصةً والعالمِ عامةً قَبْلَ مجيءِ هذَا الدينِ، فقدْ كانُوا في جاهليةٍ جهلاء، وضلالة عمياء، وكانتْ جزيرةُ العربِ بالذاتِ مَسْرَحاً للفتنِ والاضطراباتِ والنَّهْبِ والسَّلْبِ والحروبِ، فلمَّا جاءَ هذا الدينُ ودخلُوا فيه تحولُوا إلى مجتمعٍ مِثاليٍّ يسودُه الأمنُ ويحكمُه الوحيُ وتوجِّهُهُ العقيدةُ السليمةُ، تحولتْ فيه العداوةُ إلى محبةٍ، والقطيعةُ إلى أُخوةٍ، والشحُّ والأثرةُ إلى إيثارٍ ومواساةٍ، كمَا قَالَ تعالَى مُذكِّراً عبادَه هذِه النِّعْمَة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمـرَان: ١٠٣]. وقَـالَ تَعَـالَـى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفَال: ٢٦].

هذا شاهدٌ مِنَ المَاضِي على تَوَفُّرِ الأمنِ في هذا الدينِ، وبينَ أيدينَا شاهدٌ مِنَ الحَاضرِ الذي نعيشُه. وهو أنَّ بلادَنا هذه كانتْ تعيشُ حالةً مِنَ الفوضَى والخوفِ والتناحرِ بين الباديةِ والحاضرةِ من ناحيةٍ. وبينَ الحاضرةِ بعضِها مع بعضٍ من ناحيةٍ أُخرَىٰ. كُلُّ قريةٍ تَغِيرُ على القريةِ الأُخرى، وكان بين أهلِ تلكَ البلادِ من العداواتِ والثاراتِ الشيءُ الكثيرُ، فلمَّا مَنَّ اللهُ على أهلِ تلكَ البلادِ بظهورِ دعوةِ الشيخ محمدِ بنِ عبد الوهابِ رحمَهُ اللهُ إلى العقيدةِ الصحيحةِ والتمسكِ بهذا الدينِ واستجابُوا لتلكَ الدعوةِ المباركةِ وناصرُوها تَوَفَّرَ لهم الأمنُ وقامتْ لهم دولةٌ إسلاميةٌ تَحْكُمُ بشريعةِ اللهِ، فكانتْ ولا تزالُ بحمدِ اللهِ مَضْرَبَ المَثَلِ في العَالَمِ في توفرِ الأمنِ حتى شَهِدَ لهَا بذلكَ القاصِي والدانِي وأصبحتْ أرقَى الدولِ في توفرِ الأمنِ وانخفاضِ نسبةِ الجرائمِ الأمنيةِ، وكَتَبَ عنها الرحالةُ والمستشرقُون شهاداتِ الإعجابِ والتقديرِ، مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ هذا الدينَ هو الذي يُوفِّرُ الأمنَ، وأَهمُّ مقوِّماتِ الأمنِ في هذا الدينِ هي الإيمانُ باللهِ ومراقبتُه والشعورُ بأنَّه مُطَّلِعٌ على عبدِه في السرِّ والعَلَنِ، وأنه يُجازِي عِبادَه على تصرفاتِهم. فكلمَا هَمَّ العبدُ بمواقَعَةِ جَريمةٍ تَذكَّر ذلكَ فانكفَّ عنها خَوفاً مِنَ اللهِ تعالَى، ومن مقوِّماتِ الأمنِ في الإسلامِ إصلاحُ العقيدةِ بعبادةِ اللهِ وحدَه وتركِ عبادةِ ما سِواه، وذلكَ مِمَّا يجعلُ المسلمينَ إخوةً مُتحابينَ في اللهِ لا يعتدِي بعضُهم على بعضٍ، ويتضمنُ هذينِ العُنصرينِ الهَامَّيْنِ مِنْ مُقوِّماتِ الأمنِ قولُه تعالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النُّور: ٥٥].

ومِنْ مُقوِّماتِ الأمنِ في الإسلامِ إقامةُ الصلاةِ لأنَّ الصلاةَ تنهىٰ عن الفحشاءِ

والمُنكرِ، وإيتاءُ الزكاةِ لأنَّ الزكاةَ مواساةٌ للفقراءِ والمحتاجينَ تَزرَعُ المحبةَ في القلوبِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ؛ لأنَّ في ذلكَ أخذاً على يَدِ السَّفيهِ ومَنْعاً له مِنْ مُلابسةِ الإجرام. ويتضمنُ هذه العناصرَ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤١].

ومِنْ مُقوِّماتِ الأمنِ في الإسلامِ اجتماعُ الكلمةِ وطاعةُ وليِّ الأمرِ ما لمْ يأمرْ بمعصيةٍ، والتحاكمُ إلى شَرْعِ اللهِ، قَالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النِّساء: ٥٩].

ومِنْ هُنا حَرَّمَ اللهُ الخروجَ على وليِّ الأمرِ وشقَّ عَصَا الطاعةِ لِمَا يترتبُ على ذلكَ مِنَ المَفَاسِدِ واختلالِ الأمْنِ وحدوثِ الفوضَى وتفرُّقِ الكلمةِ، كمَا هو مُشَاهَدٌ في المُجتمعاتِ التي استخفَّتْ بهذَا الأصلِ ولم تحترمْ سُلطاتِها باسمِ الحريةِ. وفنشأتْ فيها الحِزْبيَّاتُ المُتناحرةُ. كُلُّ حزبٍ يريدُ أنْ يتغلبَ على السلطةِ وأنْ ينتصرَ على الحزبِ الآخَرِ بالثوراتِ الدمويةِ التي يذهبُ فيها كثيرٌ من الأنفسِ والأموالِ، ومِنْ مُقوِّماتِ الأمنِ في الإسلامِ شُكْرُ النِّعَمِ التي يُنعمُ اللهُ بها على الأفرادِ والجماعاتِ بالاستعانةِ بها على طَاعةِ اللهِ وصَرْفِهَا فيمَا يفيدُ، لأنَّ كُفْرَ النِّعمِ سَبَبٌ لحلولِ ضِدِّهَا من الخوفِ والجوعِ، قَالَ تعالَى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ [قُريش: ٣، ٤]. وقَالَ تَعالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ

يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النّحل : ١١٢] .

ومِنْ مُقوِّماتِ الأمنِ في الإسلامِ إقامةُ الحُدودِ التي شَرعَهَا اللهُ رَدْعاً للمجرمينَ الذينَ ضَعُفَ إيمانُهم ولمْ ينفعْ فيهم الوعظُ والتذكيرُ والأمرُ والنهيُ، فهؤلاءِ شَرَعَ اللهُ لهم عقوباتٍ تَرْدَعُهُمْ عن غَيِّهم وتَزْجُرُ غيرَهم أنْ يفعلَ مِثْلَ فِعْلِهِم . فَشَرَعَ اللهُ قَتْلَ القاتلِ، وقَطْعَ يَدِ السارقِ، وقَطْعَ الأيدي والأرجُلِ، أو القتلَ والصلبَ لقُطَّاعِ الطُّرُقِ، ورَجمَ الزاني المُحْصنِ، وجلدَ الزاني غيرَ المُحْصنِ وجلدَ القاذفِ وشاربِ المُسكرِ، كُلُّ ذلكَ لِحفْظِ الأَمْنِ وليذوقَ المُعتدي مَرارةَ العقوبةِ كمَا أذاقَ المجتمعَ مَرارةَ الخوفِ والعدوانِ، تِلْكُمْ أَهَمُّ مقوِّماتِ الأمنِ في الإسلامِ الذي رَضِيَهُ اللهُ ديناً لعبادِه، فالحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِه ونسألُه أنْ يتوفّنا مُسلمينَ، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمرَان : ١٠٢] إلى قولِه تعالَى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عِمرَان : ١٠٣] .

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ

الخطبةُ الثانيةُ :

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الرحمنِ الرحيمِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله مَالك يومِ الدينِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بَعَثَهُ بالهدىٰ ودِينِ الحقِّ رحمةً للعالمينَ، وحُجةً على المُعاندين، ومِنّة على المؤمنينَ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحابِته أجمعين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ . .

أمّا بعدُ :

أيُّها الناسُ : اتقُوا اللهَ ﴿ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البَقَرَة : ١٩٤] .

عبادَ اللهِ : وكمَا أنَّ الإسلامَ يحقّقُ الأمنَ من مخاوفِ الدنيا فهو كذلكَ يُحقّق

الأمنَ من مخاوفِ يوم القيامةِ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥ـ٤٨].

وقَالَ تَعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدّخان: ٥١ـ٥٧].

والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ تَدلُّ على أنَّ الإسلامَ يوفرُ الأمنَ للمسلمِ في الدنيا والآخرةِ، وبدونِ الإسلامِ فلا أمانَ ولا نجاةَ وإنَّما هو الخوفُ المُلازمُ، والعذابُ الدائمُ، كمَا قَالَ تَعالى عن الكفَّارِ: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرّعد: ٣٤]، وقَالَ تَعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [الجنّ: ٦]، فأخبرَ سُبحانه أنَّ الذي يستيعذُ بغيرِ اللهِ ذلكَ يزيدُه خَوفاً وهَلعاً؛ لأنَّ الاستعاذةَ بغيرِ اللهِ شِرْكٌ، وواقعُ الناسِ اليومَ خَيرُ شاهدٍ لذلكَ، فإنَّ دُولَ الكُفْرِ عُموماً وكذلك المرتدّونَ الذين ابتعدُوا عن الإسلامِ مِنَ العربِ وحَكمُوا شَعوبَهم بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وعَطّلُوا حُدودَ اللهِ وسَمَحُوا بمزاولةِ الشركِ الأكبرِ حولَ الأضرحةِ في بلادِهم مَازَالُوا في خوفٍ وقلقٍ واضطرابٍ وثَوراتٍ متتابعةٍ. كمَا تَسمعونَ مِنْ أخبارِهم صَباحاً

ومَساءً، ولا خَلاَصَ لهم مِنْ ذلكَ إلا بالرجوعِ إلى الإسلامِ رُجوعًا صَحيحاً، لا رُجوعاً جُزئياً كمَا يُطالبُ بذلكَ بعضُ الفئاتِ التي تُطالبُ بتطبيقِ الحدودِ فقط ولا تُطالبُ بإزالةِ مَظاهرِ الشركِ أولاً والرجُوع إلى العقيدةِ الصحيحةِ التي هي أساسُ الشريعةِ ورأسُ الإسلامِ والتي هي بدايةُ دَعوةِ الرسلِ، ولا يصلحُ آخِرُ هذِه الأمَّةِ إلا مَا أَصْلَحَ أولَهَا.

نَسألُ اللهَ أنْ يُصلحَ أحوالَ المُسلمينَ بالاستقامةِ على الدينِ والرجوعِ إلى الكتابِ والسنّةِ ومَا كانَ عليه جَماعةُ المُسلمينَ، فإنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمدٍ ﷺ . . إلخ .

* * *

في التحذير من كيدِ الكفّارِ للإسلامِ والمُسلمينَ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ، أعزّنا بالإسلامِ، وجعلَنا به خيرَ أُمّةٍ أُخرجتْ للناسِ. وأشهدُ أن لا إلّه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له. وهو ربُّ الناسِ. مَلِكُ الناسِ. إلّه الناسِ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه إلى جميعِ الناسِ، وجَعَلَ شريعتَه باقيةً وعامةً لجميعِ الأجناسِ. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه الذين آمنوا به واتَّبعُوه، ونَشَرُوا دِينَه وبَلَّغُوه، وسَلّم تسليمَاً كثيراً.

أمّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تَعَالى واعلمُوا أنكُم مَسؤولونَ عن دِينِ الإسلامِ ومَا قُمتُم به نحوَه في خَاصَّةِ أنفسِكم ومع غيرِكم، قَالَ تَعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزّخرُف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعرَاف: ٦، ٧].

عِبادَ اللهِ: إنَّ أعداءَ الإسلامِ منذُ بَعَثَ اللهُ رسولَه مُحمداً ﷺ وهُم يكيدُون له ويُحاولُون القضاءَ عليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النِّساء: ٨٩]، وقَالَ تَعَالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧]، حَاولُوا صَدَّ الناسِ عن اتباعِ الرسولِ ووصفُوه بأشنعِ الأوصافِ وحاولُوا قَتْلَهُ، وقَاتَلُوه وقَاتَلُوا أتباعَه فلمْ يُفْلِحُوا، ثُمَّ لَجَئُوا إلى

طَريقةٍ خَبيثةٍ مَاكرةٍ وهي الدخُول في الإسلامِ ظَاهراً والكَيد له بَاطِناً، فكانَ فريقُ المنافقين. وسُرعانَ مَا فَضَحَ اللهُ كَيدَهم وحَذّر المسلمينَ من شَرِّهِم وكَشَفَ نَواياهُم وخُطَطَهُم، ولمَّا تُوفي النبيُّ ﷺ تَألَّبَ اليهودُ والمجوسُ على المسلمينَ فَأَظْهَرَ ناسٌ منهم الإسلامَ خُدْعَةً واندَسُّوا بينَ المُسلمينَ لِبَثِّ الفتنةِ والإفسادِ. وادَّعُوا التشيّعَ لأهلِ البيتِ واغتالُوا الخلفاءَ وأثارُوا الحُروبَ بينَ المُسلمينَ. ولكنْ سُرْعانَ مَا أَبْطَلَ اللهُ كيدَهم واجتمعتْ كلمةُ المُسلمينَ واسْتَرَدَّتِ الدولةُ الإسلاميةُ سَيطرتَها على مَشارقِ الأرضِ ومَغَارِبِها في عهدِ الدولةِ الأمَويةِ والعباسيةِ. فتحوّلَ هؤلاءِ المافقونَ مِنَ اليهود والمجوسِ إلى منظماتٍ سِريةٍ فكانتْ منهم منظمةُ إخوانِ الصَّفَا، التي أَصْدَرَتْ رسائلَها في الدعوةِ إلى الإلحادِ والتشكيكِ في الدِّينِ وإفسادِ العقائدِ وعُرفتْ عند المسلمينَ برسائلِ إخوانِ الصَّفَا. وتَشعبتْ هذه الطائفةُ المَدْسُوسةُ على المسلمينَ إلى فِرَقِ القَرَامِطَةِ والباطنيةِ الإسماعيليةِ ودَسّوا على المسلمينَ نِحْلَةً جِديدةً، هي نِحلة التصوفِ الذي نَمَتْ بذورُه وطُوِّرتْ مَناهجُه وصَارَ يعملُ إلى جانبِ التشيّعِ لهدمِ الإسلامِ، فَبَثَّتْ هَاتانِ الفِرقتانِ فتنةَ البناءِ على القبورِ وتشييدِ المَشاهدِ الشركيةِ التي أصبحتْ أوثاناً تُعبدُ من دُونِ اللهِ في كثيرٍ مِنَ البلادِ ولا تَزالُ..

وجَاءَ غَزو التتارِ الذي فَتَكَ بالمسلمينَ وقَتَلَ الخليفةَ واحتلَّ كَثيراً مِنْ بلادِ المسلمينَ وقَتَلَ كَثيراً مِنَ العلماءِ وأحرقُوا الكُتبَ ودَارتْ بينهم وبين بَقِيَّةِ المُسلمينَ مَعاركُ هَائلةٌ انتهتْ بانتصارِ المُسلمينَ. ثُمَّ جَاءَ الغَزو الصَّليبيُّ النَّصرانيُّ فاحتلَّ كَثيراً من بلادِ الشامِ واستولَى على المسجدِ الأقصىٰ مدةً مِنَ الزمنِ، وقاتَلَهُم المسلمون حتى نصرَهم اللهُ على يدِ القائدِ المُسلمِ صَلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ الذي خَلّصَ المَسجدَ الأقصىٰ من قَبضتهم. ولمّا ضَعُفَ المُسلمون في

العصورِ المتأخرةِ غَزَاهُم الاستعمارُ الكفارُ واستولىٰ على كثيرٍ مِنْ بلادِهم وقَسَّمَهُم إلى دُويلاتٍ وبَثَّ سُمومَه وأحقادَه فيهم، ولمَّا انحسَرَ هذا الاستعمارُ السياسيُّ بَقِيَ الاستعمارُ الفكريُّ الذي هو عبارةٌ عن الإلحادِ في العقائدِ والفسادِ في الأخلاقِ والإغراقِ في الشهواتِ البهيميةِ، وتكونت المُنظماتُ والإرساليات التبشيريةُ النصرانيةُ والمُنظماتُ المَاسونيةُ اليَهوديةُ واتجهتْ كُلُّ هَذِه المُنظماتِ تكيدُ للإسلامِ والمسلمينَ بشَتَّى الوسائلِ. وإلى جانبِ هذه المُنظماتِ الهدّامةِ الغَزو الشيوعيُّ الإلحاديُّ الإباحيُّ الذي يُنْكِرُ الأديانَ جُملةً ولا يَعترفُ بوجودِ الخَالِقِ. إنَّ كُلَّ هذِه الروافدِ الكفريةِ تَصُبُّ في مَصَبٍّ واحدٍ هو قصْدُ القضاءِ على الإسلام. وقد استَأجرتْ هذه المؤسساتُ الكفريةُ قومَاً مِنْ جِلدتِنا ويتكلمُون بلُغتِنا، اسْتَأجَرَتْهُم لتنفيذِ مُخططاتِها في المسلمينَ فاستغلُّوا بعضَ القادةِ العربِ ليكونَ عَميلاً لهم في تنفيذِ سِياستِهم، واستغلُّوا الفِرَقَ المنحرفةَ التي تتسمَّى بالإسلامِ كالصوفيةِ وعُبَّادِ القُبورِ فشجعتْهم وركّزتْهم حتى ينتشرَ مذهبُهم المُنحرفُ على أنه هو الإسلامُ ويقضي على الدينِ الصحيحِ، فلا تجدُ طَائفةً مُنحرفةً عن الإسلامِ إلاَّ ولَهَا مَنْ يدعمُها مِنْ أُمَمِ الكُفْرِ، واستغلُّوا وسائلَ الإعلامِ مِنْ إذاعةٍ وتِلفازٍ وصَحافةٍ في غالبِ البلادِ العربيةِ ودَسُّوا فيها البرامجَ الفاسدةَ المُفسدةَ، من أفلامٍ خَليعةٍ، وأغانٍ مَاجنةٍ، وصُورٍ عَاريةٍ، ومَعازف ومزامير مُلهيةٍ، وأناشيدَ مُثيرةٍ وتَمثيلياتٍ مُغْرِضةٍ، وكتاباتٍ مُنحرفةٍ في الصُّحفِ والمَجلاتِ، تُنَدِّدُ بالدِّينِ وتدعُوا إلى الكفرِ والإلحادِ والتحلّلِ مِنَ الأخلاقِ الفاضلةِ، واستغلُّوا المَناهجَ التعليميةَ في بعضِ البلادِ العربيةِ فحوّلوهَا أو حوّلُوا كَثيراً منها لخدمةِ مبادئهم وتلقينِ الشبابِ المذاهبَ الهدّامةَ، وغَرْسِ الكُفرِ في نفوسِهم، وإعطائِهم صُورةً مُشوّهةً عن الإسلامِ وعقيدتِه، واستغلُّوا الأنديةَ

الرياضيةَ في بعضِ البلادِ العربيةِ لتضليلِ الشبابِ وإشغالِهم عن العملِ النافعِ لمجتمعِهم بالأنشطةِ الرياضيةِ التي شَغَلَتْ أوقاتَهم وعَطّلتْ طَاقاتِهم بلا فائدةٍ تَعودُ عليهم ولا عَلى مُجتمعِهم، وبهذا تمكنت المَاسونيةُ وشقيقاتُها مِنَ المنظماتِ الكُفريةِ من تعطيلِ طاقاتِ هَؤلاءِ الشبابِ حتى لاتستفيدُ منهم مجتمعاتُهم، ولا يتنبهُوا لكشفِ مُخططاتِهم؛ لأنَّ قُوةَ الأمَّةِ أو ضعفَها يتركزُ على شبابِها ومدَى انتباهِهم، واستغلتْ هذه المنظماتُ الكفريةُ جانبَ الكتابِ والتأليفِ واستأجرتْ بعضَ الكُتّابِ المَشبوهينَ المُنتسبينَ للإسلامِ والكُتّابَ الجُهّالَ الذين ليستْ لديهم مَعلوماتٌ كافيةٌ عن الإسلامِ وثَقافتُهم فيه ضَحلةٌ. فأخذَ هؤلاءِ وَأولئكَ يكتبُون عن الإسلامِ كتاباتٍ سَيئةً وعن تشريعاتِه في النكاحِ والطلاقِ والحُدودِ والجهادِ يتهمونَه فيها بالقسوةِ والوحشيةِ، وأنه ظَلَمَ المرأةَ وعَطّلها عن العملِ وحَرَمَ المُجتمعَ مِنْ مُشاركتِها في التنميةِ والعمل. بل قَالوا إنَّ الإسلامَ لا يَصْلُحُ نِظاماً للحُكْمِ في هذا الزمانِ فيجبُ أنْ يُستبدلَ بالقوانينِ الوضعيةِ، واستجابَ لهم مَنِ استجابَ، وبَقِيَتْ هذِه البلادُ السعوديةُ بقيادتِها الرشيدةِ، وستبقَى إنْ شاءَ اللهُ تَعَالى تحكمُ بالشريعةِ الإسلاميةِ غَير مُتأثرةٍ بتلكَ الدعواتِ الباطلةِ، فمنحَها اللهُ العِزَّ والأمْنَ والتمكينَ وللهِ الحمدُ.

ومِنْ هَؤلاءِ الكتّابِ المَاسونيين والمستشرقِين والمَأجورين مِنْ كُتّابِ العَرَبِ مَن يَنتقدُ كُتُبَ السنّةِ النبويةِ وكتبَ الفقهِ والعقائدِ والتفسيرِ وكتبَ التاريخِ، ويقولُ لابدّ مِنْ إعَادةِ كتابتِها مِنْ جَديدٍ. وغَرضُهم مِنْ ذلكَ تَشكيكُ المُسلمينَ في رَصيدِهم العِلميِّ وقَطْعِ صِلَتِهم به حتى يَسْهُلَ تَضليلُهم وفصلُهم عن السلفِ الصالحِ وربطُهم بثقافةِ المَاسونِ وتلاميذِهم. ومِنْ دَسائسِ هذِه المنظماتِ الكُفريةِ دَعوتُها إلى إحياءِ الآثارِ القديمةِ والعودةِ إلى الوراءِ وتَجاهُلِ

حَضارةِ الإسلام. وإلاَّ فمَا فائدةُ المسلمينَ مِنَ البحثِ عن أَطلالِ الديارِ البائدةِ، والرسومِ الباليةِ الدارسةِ، وما فائدةُ المسلمينَ مِنْ إحياءِ عاداتٍ وتَقاليدَ أو ألعابٍ قد فَنِيَتْ وبَادَتْ. في وقتٍ هُم في أَمَسِّ الحَاجةِ إلى العَمَلِ الجادِّ المُثْمِرِ. وقد أَحَاطَ بهم أعْدَاؤُهم مِنْ كُلِّ جَانبٍ واحتلُّوا كَثيراً مِنْ بلادِهم وبعضِ مُقدساتِهم، إنَّهم في مِثْلِ هذِه الظروفِ بحاجةٍ إلى العَودةِ إلى دِينهم وإحياءِ سُنَّةِ نَبيِّهم والاقتداءِ بِسلفِهم الصالحِ حتى يعودَ لهُم عِزُّهُم وسُلطانُهم، وحتى يستطيعُوا الوقوفَ على أقدامِهم لرَدِّ أعدائِهم. وأنْ يَعتزّوا برصيدِهم العِلميِّ من الكتابِ والسنّةِ والفِقهِ ويستمدُّوا مِنْ ذلكَ خُطةَ سَيرِهم في الحياةِ ويقرَؤوا تاريخَ أَسْلاَفِهم لأخذِ القُدوةِ الصالحة من سيرهم. أما أن ينشغلوا بالبحث عن آثارِ الديارِ وإحياءِ الفنون الشعبية بالأغاني والأَسْمَارِ، وإقامةِ مَشَاهد تُحَاكي العَاداتِ القديمةَ. فَكُلُّ ذلكَ مِمَّا لا جَدوىٰ فيه، وإنَّمَا هو استهلاكٌ للوقتِ والمالِ في غيرِ طَائلٍ، بل رُبَّمَا يعودُ بهم إلى الوثنيةِ، والعوائدِ الجَاهليةِ.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعملُوا مَا فيه صلاحٌ لكُم ولأُمتِكم وأوطانِكم في دينِكم ودُنياكُم ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، حَذّرنا مِنْ مكائدِ الكفّارِ، وبيّنَ لنا أنهم لا يألُونَ جُهداً في طَلبِ الإضرارِ بنا، وإنْ تظَاهروا لنا بالمودّةِ والصداقةِ فقَالَ تعالَى: ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ٨]. وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ، إليه يرجعُ الأمرُ كُلُّه، ولا عِزّ إلاَّ بطاعتِه وعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ

أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، نبيٌّ شَرَحَ اللهُ له صدرَه، ورَفَعَ له ذِكْرَهُ، وجعلَ الذِّلَّة والصَّغَارَ على مَن خَالَفَ أمرَه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه الذين كانُوا معه أشداءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا الله تعالَى وأطيعُوه، واحذرُوا مِمَّا حذّركم منه ولا تَعصُوه.. عبادَا اللهِ ومِنْ مَكائدِ الكفارِ تَحكّمهم في النظمِ الاقتصاديةِ واستباحةِ الربا والمعاملاتِ المُحَرَّمَةِ باسمِ التنميةِ الاقتصاديةِ. وتأثَّرَ بهم كثيرٌ مِنَ المسلمينَ حتى أصبحَ الربا أساسُ مَصادرِ الثروةِ في العَالَمِ، وفُتِحَتْ المؤسساتُ الربويةُ وعُمِّمتْ في كثيرٍ مِنَ البلادِ. وصَارَ كَثيرٌ مِنَ المسلمينَ يستثمرُونَ أموالَهم فيها، أو يقترضُون منها بالفوائدِ الربويةِ، مع أنَّ الربا مِنَ الكبائرِ المُوبقةِ، وقد تَوعَّد اللهُ آكلَه بأشدِّ الوعيدِ وأعلنَ الحربَ عليه، ولعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الربا ومُوكلَه وشاهدَيه وكاتبَه، وقد تَجَاهَلَ بعضُ المسلمينَ أو تناسَى هذه التهديداتِ الربانيّة وتَأَثَّرَ بالدعواتِ المُضلِّلةِ. وحَمَلَهُ حُبُّ المَالِ على التعاملِ الربويِّ أخذاً وإعطاءً.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ.. واقنعُوا بمَا أباحَ اللهُ مِنَ المَكَاسِبِ ففيه البركةُ والخيرُ، وأمَّا الكَسْبُ المُحرَّمُ فإنَّه شَرٌّ وَوَبَالٌ وعقابٌ عَاجلٌ وآجلٌ. مَنْ أَكَلَ منه تَغذَّى بحرامٍ ونبتَ جسمُه مِنْ سُحْتٍ، وكُلُّ جِسمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فالنارُ أولَى به، وإنْ تَصدَّقَ منه لمْ يُقبلْ، وإن ماتَ وَوَرَّثَهُ لغيرِه كان زادُه إلى النارِ، فمَاذا استفادَ إذاً؟ إنه لمْ يستفدْ إلاّ التعبَ في الدنيا والعذابَ في الآخرةِ وأيُّ عاقلٍ يَرضى لنفسِه بذلكَ. اللَّهم اغْنِنَا بحَلالِكَ عن حَرامِك واغنِنَا بفَضْلِكَ عمّن سِواكَ وقِنا شُحَّ أنفسِنا ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

عبادَ اللهِ: ومَعَ هذِه المَكَائدِ والأتعابِ التي يبذلُها الكفارُ للصدِّ عن دِينِ الإسلامِ فإنَّ الإسلامَ سَيبقى غَضًّا طَرِياً كمَا أُنْزِلَ، لا تُؤثرُ عليه تلكَ الدعاياتِ مهمَا بلغتْ كمَا تكفَّلَ اللهُ بحفظِه، وسَيُقيّضُ الله له أنصَاراً يتمسكُون به ويحمُونه كمَا قَالَ ﷺ: «لاتزالُ طَائفةٌ مِنْ أُمتي ظَاهرينَ على الحَقِّ لا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تعَالى وهُم على ذلكَ»[1] ولكنَّ الشأنَ بنا، فَإنَّنَا إنْ غَيَّرْنَا وبَدَّلْنَا غَيَّرَ اللهُ علينا واستَبْدَلَنَا بغيرِنا كمَا قَالَ الله تعالَى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمَّد: ٣٨]. فاتقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وتمسكُوا بكتابِ اللهِ وسُنَةِ رسولِه والزمُوا جَماعةَ المُسلمينَ واحذرُوا البِدَعَ والمحدثاتِ، فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كِتَابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه الحاكمُ (٤/٤٥٦) وصححه ووافقه الذهبيُّ.

في الحَثّ على المُحافظةِ على الصلاةِ

الحمدُ لله ربِّ العَالمينَ، جَعَلَ الصلاةَ ثانية أركانِ الإسلامِ وأَمَرَ بإقامتِهَا والمحافظةِ عليهَا على الدَّوَامِ، وأخْبَرَ أنَّهَا تنهَى عن الفحشاءِ والآثامِ. أحمدُه على إحسانِه الخاصِّ والعَامِّ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لاشريكَ له في ربوبيتِه وإلهيتِه، وصفَاتِه وأسمَائِه العِظام، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه كانت الصلاةُ قُرّةَ عينِه ونَعيمَ قلبِه، وكان يفزعُ إليها عند الأحداثِ العِظامِ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه البَرَرةِ الكِرامِ، وسَلّم تسليماً كَثيراً أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى وحَافظُوا على الصلواتِ ولازمُوا حُضورَ الجُمَعِ والجَمَاعَاتِ. كمَا أَمَرَكُم بذلكَ رَبُّكُم، وحَثكُم عليه نبيّكُم، فإنَّ الصلاةَ هي ثاني أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ، وهي عمودُ الإسلامِ، وهي الفارقةُ بينَ المسلمِ والكافرِ. وهي شِعارُ النبيينَ. وعلامَةُ المُتقينَ، والصلةُ بين العبدِ وربِّ العَالمينَ، وهي مَحِلُّ عِنايةِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ، قَالَ إبراهيمُ عليه السَّلاَمُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠] وقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقَالَ تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريَم: ٤٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريَم: ٥٥]، وقَالَ عن زكريا عليه السَّلاَمُ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٩]. وقَالَ عن عيسى عليه السلامُ: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣٠، ٣١]، وقَالَ الله لنبيّنا محمدٍ خاتمِ النبيينَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩]، وقَالَ لَه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩] وقَالَ لَه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقدْ فَرَضَ اللهُ على هذِه الأُمةِ خمسَ صَلواتٍ في اليومِ والليلةِ في أوقاتٍ مُناسبةٍ لا تُعطلُهم عن مَصالحِهم، بل تُعينُهم عليها، ليُكَرِّرُوا الاتصالَ به سُبحانَه، والوقوفَ بينَ يدَيه فيُقبلُ عليهم بوجهِه الكريم. ويسمَع دعاءَهم ويستجِيب نداءَهم ويغفِر ذنوبَهم ويرفَع درجاتِهم، وقد شبّه النبيُّ ﷺ هذه الصلواتِ الخمسَ بالنهرِ الجاري على بابِ المسلم يغتسلُ منه في اليومِ والليلةِ خَمْسَ مَراتٍ فيستمرّ نظيفاً ليسَ عليه أوساخٌ، فكذلكَ الصلواتُ الخَمْسُ تُطهِّرُ العبدَ مِنَ الذنوبِ وتستمرُّ له هذه الطهارةُ ما دام مُحافظاً على الصلاةِ. وأولُها صلاةُ الفجرِ يَفتتحُ بها العبدُ يومَه وتكونُ حِرزاً له من الشيطانِ وعَوناً له في طَلَبِ الخيراتِ، ينطلقُ العبدَ بعدَ صلاةِ الفجرِ في أعمالِه الدنيويةِ نَشيطاً طَيِّبَ النفسِ وإذَا ارتكبَ بعضَ الأخطاءِ في أثناءِ عَمَلِهِ في النهارِ واكتسبَ شيئاً مِنَ الذنوبِ، جاءتْ صَلاةُ الظهرِ وصلاةُ العصرِ فَمَحَىٰ اللهُ بهمَا ما حصلَ منه وكَفَّرَ بهمَا سيئاتِه. ثم تأتي صلاةُ المغربِ وهي وِتْرُ النهارِ يفتتحُ بها العبدُ ليلتَه ويُكَفِّرُ اللهُ بها ما بينها وبينَ صَلاةِ المغربِ من السيئاتِ ثم تأتي صَلاةُ العشاءِ خاتمةٌ لعَمَلِهِ اليومِيِّ ويُكَفِّرُ اللهُ بها ما بينَها وبين صَلاةِ المغربِ من السيئاتِ، ثم ينامُ العبدُ بعدَ صلاةِ العِشَاءِ وقد غُفِرَ له، فينامُ على هذه الحالِ الطيبةِ. ولهَذَا كان النبيُّ ﷺ يكرهُ

الحديثَ بعدَ صَلاةِ العِشَاءِ لينامَ على مَغفرةِ اللهِ له. قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هُود: ١١٤] وأَخْبَرَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ الصلواتِ الخمسَ مُكفِّراتٌ لمَا بينهنَّ إذَا اجْتُنِبَتِ الكبائرِ»[1].

فالصلواتُ الخَمَسُ إنَّمَا يُكَفِّرُ اللهُ بها مَا وَقَعَ بينَها مِنَ الذنوبِ الصغائرِ، أمَّا الذنوبُ الكبائرُ وهي مَا تَرَتَّبَ عليه حَدٌّ في الدنيا أوْ وعيدٌ في الآخرةِ كأكلِ الرِّبَا والكذبِ والغشِّ في المعاملاتِ وشهادةِ الزورِ فإنَّهَا لاتُكَفَّرُ إلاَّ بالتوبةِ منها. فلا غِنَىٰ بِكَ أيُّهَا المُسلمُ عن هذِه الصلواتِ الخَمْسِ، ولا يستقيمُ لك دِينٌ إلاَّ بِهَا بَلْ لاتُعتبرُ مُسلماً إلا بإقامتِها.

قَالَ تعَالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبَة: ١١] فَالذِي لايُقيمُ الصلاةَ ليسَ أَخَاً لنا في الدِّينِ لأنَّه ليسَ مِنَ المُسلمينَ.

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «بينَ العبدِ وبينَ الكُفرِ تركُ الصلاةِ» ولا سَعادةَ ولا نجاةَ إلا بالمحافظةِ على الصلاةِ، وقال تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥]. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩ـ١١].

وإذَا سُئِلَ أصحابُ النارِ: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المدَّثِّر: ٤٢، ٤٣] أيْ أنَّ الذي سَبَّبَ لنَا دُخولَ النارِ هو تَرْكُ الصلاةِ. إذاً

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣) بمعناه.

فالصلاةُ تتوقفُ عليها سَعادةُ الدنيا والآخرةِ، قَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «والصلاةُ نُورٌ» فهي للمؤمنينَ في الدنيا نُورٌ في قلوبِهم وبصائرِهم، تُشرقُ بها قلوبُهم وتَستنيرُ بصائرُهم ولهَذا كانت قُرَّةَ عينِ المُتقينَ، وخَرَّجَ الطَّبرانيُّ من حديثِ عُبادةَ بنِ الصامتِ مَرفوعاً: «إذا حَافَظَ العبدُ على صلاتِه فأقامَ وضوءَها وركوعَها وسجودَها والقراءةَ فيها قالتْ له: حَفِظَكَ اللهُ كمَا حَفِظْتَنِي وصُعِدَ بها إلى السماءِ ولهَا نُورٌ، تنتهي إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ فتشفعُ لصَاحِبهَا» وهي في الآخرةِ نُورٌ للمؤمنينَ في ظلماتِ يومِ القيامةِ على الصراطِ، فإنَّ الأنوارَ تُقسمُ لهُم على حَسْبِ أعْمَالِهم، وفي المسندِ وصحيحِ ابنِ حِبَّان عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَر عن النبيِّ ﷺ أنَّه ذَكَرَ الصلاةَ فَقَالَ: «مَن حَافَظَ عليها، كانتْ له نُوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ، ومَن لمْ يُحافظْ عليهَا لم تكنْ نُوراً ولا بُرهاناً ولانَجَاةً» قَالَ الإمامُ رحمَه اللهُ: إنَّمَا حَظُّهُم مِنَ الإسلامِ على قَدْرِ حَظِّهِم مِنَ الصلاةِ، ورغبتُهم في الإسلامِ على قَدْرَ رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلامِ عندَك، فإنَّ قَدْرَ الإسلامِ في قلبِك كَقَدْرِ الصلاةِ في قَلْبِكَ.

عبادَ اللهِ: واعلمُوا أن الذي فَرَضَ الصلاةَ وجعلَها عمودَ الإسلامِ وثانيةَ أركانِه العِظامِ قد أوجبَ لهَا الجماعةَ وأَمَرَ ببناءِ المساجدِ لإقامتِها فيها، وشَرَعَ المُناداةَ لحَضُورِها، فلاَ يَسَعُ مُسلماً يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أنْ يتركَ الصلاةَ مَعَ الجماعةِ في المسجدِ من غيرِ عُذْرٍ شَرعيٍّ، قَالَ الإمامُ ابنُ المنذرِ رَحِمَه اللهُ: دَلَّتِ الأخبارُ على وجوبِ فرضِ الجماعةِ على مَن لا عُذْرَ له، فَمِمَّا دَلَّ عليه قولُه لابنِ أُمِّ مُكتوم وهو ضَريرٌ: لا أَجِدُ لكَ رُخصةً، فإذَا كان الأعمَى لا رُخصَةَ له فالبصيرُ أولَى أنْ لا تَكُونَ له رخصةٌ، وفي هَمِّه ﷺ بأنْ يَحْرِقَ على قومٍ تَخَلَّفُوا عن الصلاةِ بيوتهم أبينُ البيانِ على وجوبِ فرضِ الجماعة إذ غير جائز أن يهدد رسول الله ﷺ

من تخلف عن ندب وعما ليس بفرض. وقد أَمَرَ اللهُ جَلَّ ذِكرُه بصلاةِ الجماعةِ في حَالِ الخوفِ فوجوبُها في حَالِ الأمنِ آكدُ. قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ ﴾ [النِّساء: ١٠٢].

قَالَ الإمامُ ابنُ القيّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «ووجْهُ الاستدلالِ بالآيةِ من وجوهٍ هي: أمرُه سُبحَانَهُ لهُم بالصلاةِ في الجماعةِ يَعْنِي في قولِه تعَالى: ﴿ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ [النِّساء: ١٠٢]. ثُمَّ أعادَ الأمرَ مَرةً ثانيةً في حَقِّ الطائفةِ الثانيةِ بقولِه تَعَالى: ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ ﴾ [النِّساء: ١٠٢] وفي هَذَا دَليلٌ على أنَّ الجماعةَ فَرْضٌ على الأعيانِ إذْ لمْ يُسْقِطْهَا سُبحانَه عن الطائفةِ الثانيةِ بِفِعْلِ الأُولى. ولو كانتْ الجَماعةُ سنَّةً لكانَ أولَى الأعذارِ بسقوطِها عُذْرُ الخوفِ، ولو كانت فرضَ كِفايةٍ لسقطتْ بِفِعْلِ الطائفةِ الأُولى».

ففي الآيةِ دَليلٌ على وجُوبِها على الأعيانِ مِنْ ثلاثةِ أوجُهٍ:

* أمْرُه بِها أولاً.
* ثُمَّ أمْرُه بِهَا ثانياً.
* وأنه لم يُرخصْ لهُم في تَرْكِها حَالَ الخوفِ.

فاتقُوا اللهَ يا مَن تَسمعونَ النداءَ إلى الصلاةِ يخترقُ أجواءَ بيوتِكم مِنْ كُلِّ جِهةٍ، وأنتمْ أصحّاء آمنونَ لا يمنعُكم من الحضورِ إلى المساجدِ مَانِعٌ، ثم تتأخرونَ عن الصلاةِ ولا تُجيبونَ داعيَ اللهِ، انظرُوا مَن عَصيتُم. واحْذرُوا من عقوبتِه العَاجلةِ والآجِلةِ. قَالَ تعَالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القَلَم: ٤٢، ٤٣]، قَالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ رحمَه اللهُ: لمَّا دُعوا إلى السجودِ في الدنيا

فامتنعُوا منه مع صِحتِهم وسلامتِهم عُوقِبُوا بعدمِ قُدرتِهم عليه في الآخرةِ إذا تَجلَّى الربُّ عزَّ وجلَّ فيسجُد له المؤمنون ولا يستطيعُ أَحَدٌ مِنَ الكافرينَ ولا المُنافقينَ أنْ يَسْجُدَ، بل يعودُ ظَهْرُ أَحَدِهِم طَبقاً واحِداً، كُلَّمَا أرادَ أحدُهم أنْ يسجدَ خَرَّ لقفَاه عكْس السجودِ، كمَا كانُوا في الدنيا بخلافِ مَا عليه المؤمنون، وقَالَ الإمامُ ابنُ القيّمِ: قَالَ غَيْرُ واحدٍ مِنَ السلفِ في قولِه تعَالى: ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القَلَم: ٤٣] قَالَ: هو قَوْلَ المؤذنِ: حيّ على الصلاةِ. حيّ على الفلاحِ. فَعَاقَبَهُم يومَ القيامةِ بأنْ حَالَ بينَهم وبينَ السجودِ، لمّا دعَاهم إلى السجودِ في الدنيا فأبَوا أنْ يُجيبُوا الدَّاعِيَ.

وإجابةُ الداعِي هي إتيانُ المسجدِ لحضورِ الجماعةِ...

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وحَافِظُوا على الصلاةِ مَعَ الجماعةِ في المساجدِ لتكونُوا مِنَ المؤمنينَ المُهتدينَ، أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبَة: ١٨].

بَارَكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، هدَانا للإسلامِ وجعلَنا به خيرَ أُمَّةٍ أُخرجتْ للناسِ، وجَعَلَ هذا الإسلامَ مُبْنِيّاً على أركانٍ لايَستقيمُ إلاَّ بِهَا، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لاشريكَ له. بيّن لعبادِه طريقَ النجاةِ ليسلكُوه ويلزمُوه، وطريقَ الهلاكِ ليَحْذَرُوه ويجتنبُوه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أَنْزَلَ عليه الذِّكْرَ ليبيّنَ للناسِ ما نُزِّلَ إليهم مِنْ ربِّهم ولعَلَّهم يتقُون، فبلّغَ البلاغَ المُبينَ وبيّنَ غايةَ التبيينِ، وتَرَكَ أُمتَه على البيضاءِ ليْلها كنهارِها لايزيغُ عنهَاإلا الهَالِكُون، صلَّى

الله عليه وعلى آله وصحابتِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ . . . أمَّا بعدُ :

عِبادَ اللهِ : اتقُوا اللهَ تعَالى وأطيعُوه ، واعلموا أنَّ تَارِكَ الصلاةِ مُتعمداً ومُصرّاً على تَرْكِهَا كافرٌ بالله عزّ وجلّ من غيرِ تفصيلٍ عند جَمْعٍ مِنَ المُحققينَ من العلماءِ ومُفارقٌ لجَمَاعَةِ المُسلمينَ ، كمَا دَلَّ على ذلكَ كتابُ اللهِ وسُنّة رَسولِه ﷺ . يُعامَلُ مُعاملةَ الكفّارِ لا تُؤكلُ ذَبيحتُه ولا يُزوّجُ من بناتِ المسلمينَ ولا يَرِثُ مِن قريبِه المسلمِ ، ويجبُ بُغضُه وهَجرُه والابتعادُ عنه ما دامَ على قَيْدِ الحياةِ . وإذا ماتَ من غيرِ توبةٍ لايُغَسّلُ ولا يُصلى عليه ولا يُدفنُ في مقابرِ المُسلمينَ ولا يُورثُ ، فتنبهُوا لذلكَ وخذُوا على أيدي سُفهائِكم من أولادكم وجيرانِكم ومَن حَولَكم مِمّن يتهاونونَ في شأنِ الصلاةِ ويقتدُون بمَن ضَيّعها وتَركَها ممّن لاقيمةَ للدِّينِ عندَه ، ولاينفعُ فيه الوعظُ والتذكيرُ ، ولايخافُ اللهَ والوقوفَ بين يدَيه يومَ القيامةِ فقد كَثُرَ هؤلاءِ ـ لا كثَّرهُم الله ـ في بلادِ المسلمينَ وجاورُوكُم في مَنازِلكم وخَلطُوكم في أعمالِكم ، وفي أسواقِكم . فاحذرُهم وابتعدُوا عنهم ، وأنكرُوا عليهم وضَايقُوهم وأبغضُوهم في اللهِ واتخذُوهم أعداءً ، ولا تؤاكِلُوهُم ، ولا تجالسُوهم ولا يدخلُوا بيوتَكم ، وعَادُوهم وقاطعُوهم لأنّهم أعداءٌ للهِ ولرسولِه ، واللهُ تعَالى يقولُ لكُم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المُمتَحنة : ١] ، ويقولُ سُبحانه : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجَادلة : ٢٢] .

وأَمَّا مَن يُصلي في بيتِه ويتركُ صَلاةَ الجماعةِ أو يُؤخرُ الصلاةَ عن مَواقيتِها ، فهذا متّصفٌ بصفاتِ المنافقينَ ، وتاركٌ لواجبِ عظيمٍ من واجباتِ الدِّينِ ، وقد تَوعّدَه اللهُ بالويلِ وأنّه سَيَلْقَى غياً والويل والغَي واديان في جهنم . قال تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ [المَاعون: ٤، ٥]، وقَالَ تعَالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [مريَم: ٥٩ـ٦٠] وقَدْ جَاءَ تفسيرُ السَّهوِ عن الصلاةِ وتضييعِها بأنَّهمَا إخراجُها عن وقتِها. كما جَاء الوعيدُ الشديدُ في حَقِّ الذي يَتخلَّفُ عن الصلاةِ مع الجماعةِ في المسجدِ من غيرِ عُذْرٍ. وأنَّ ذلكَ مِن صفاتِ المُنافقين. فاتقُوا اللهَ في أنفسِكم وفي أولادِكم ومَن حولَكم وحَافظُوا على صلاةِ الجماعةِ في المساجدِ وألزمُوا بها مَن تَحتَ ولايتِكم ومَن يَسكنُ معكُم في بيوتِكم أو يجاورُوكم، ومُرُوا بالمعروفِ وانْهَوْا عن المُنْكَرِ لتكونُوا مِن خيرِ أُمَّةٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ

* * *

في بيانِ فَضائلِ الصلوات الخمسِ ووجوب المُحافظةِ عَليهَا

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، أَمَرَ بإقامِ الصلاةِ. والمحافظةِ عليها والمُداومةِ عليها مدَى الحياةِ، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له في ربوبيتِه وإلهيتِه ومَا لَهُ مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه كانت قُرّةُ عَينِه في الصلاةِ، وصَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه ذَوي المَناقبِ والكراماتِ، وسَلّم تسليماً . . . أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا الله تعَالى في السِّرِّ والعَلنِ، وتجنبُوا المعَاصي مَا ظَهَرَ منها وما بَطَنَ. وحافظُوا على الصلاةِ، ولازمُوا الجُمَعَ والجَماعاتِ، فإنَّ ذلكَ من أبلغِ عَلاماتِ الإيمانِ، قَال الله تعَالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

عِبادَ اللهِ: إنَّ للصلاةِ فَضائلَ ومَزايا لا تُوجدُ في غيرِها مِنَ الأعمالِ، فهي أَوّلُ مَا فَرَضَ اللهُ مِن الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ، لأنَّهَا فُرضتْ على النبيِّ ﷺ في مَكةَ ليلةَ الإسراءِ قبلَ هجرتِه إلى المدينةِ، والزكاةُ والصومُ والحجُّ إنَّمَا فُرِضَ كُلٌّ مِن هذِه الأعمالِ في المَدينةِ بعدَ الهجرةِ.

والصلاةُ فُرضتْ على النبيِّ ﷺ في السماءِ حينَما عُرِجَ به إليهَا، وبَقِيَّةُ الشرائعِ فُرضتْ عليه بواسطةِ جِبريلَ عليه السلامُ وهُو في الأرضِ، وكانَ النبيُّ ﷺ يأمر نُوَّابَه ورُسلَه إلى الناسِ أنْ يَبدأُوا بالدعوةِ إلى الصلاةِ بعدَ الشهادتينِ،

كمَا قالَ لمُعاذٍ لَمَّا بَعَثَهُ إلى اليمنِ: «ستأتي قَوماً مِن أَهلِ الكتابِ فليكُن أولَ مَا تدعُوهم إليه شهادةُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ الله، وأنَّ مُحمداً رسولُ الله، وأنَّ الله فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلواتٍ في اليومِ والليلةِ»[١] والصلاةُ أولُ مَا يُحاسبُ عليه العبدُ مِن عَمَلِه. قالَ عَونُ بنُ عبدِ اللهِ: إنَّ العبدَ إذَا دَخَلَ قَبْرَه سُئِل عن صلاتِه أول شيءٍ سُئِل عنه. فإنْ جَازَتْ له نُظِرَ فيمَا سِوى ذلكَ مِن عَمَلِه، وإن لمْ تُجَزْ له لمْ يُنْظَرْ في شيءٍ مِن عَملِه بعدُ. ويدلُّ على هذا الحديثُ الذي في المُسْنَدِ والسُّنن من روايةِ أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ: «أولُ ما يُحاسبُ به العبدُ من عملِه يُحاسبُ عن صَلاتِه فإنْ صَلحتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإنْ فسدتْ فقد خَابَ وخَسِرَ»[٢].

والصلاةُ أكثرُ الفروضِ ذِكراً في القرآنِ، وأهلُ النارِ لمّا يُسئلونَ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝﴾ [المدَّثِّر: ٤٢] يَبدؤُون الجوابَ بِقولِهم: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝﴾ [المدَّثِّر: ٤٣]. والصلاةُ لايَسقطُ فرضُها بحالٍ من الأحوالِ ما دامَ عقلُ العبدِ ثابتاً، فيصلّيهَا على حَسبِ حَالِه. فتجبُ على المُقيمِ والمُسافرِ والصحيحِ والمَريضِ، والآمنِ والخائفِ، لكنَّ المعذورَ يُصلي على حَسبِ حَالِه ومُنتهَى قُدرتِه، كمَا قالَ النبيُّ ﷺ: «يُصلي المَريضُ قَائِماً. فإنْ لمْ يَستطع فقَاعِداً، فإنْ لمْ يَستطعْ فعلَى جَنْبٍ». والصلاةُ تَجبُ على الحُرِّ والعَبْدِ والذَّكَرِ والأُنثَى والغنيِّ والفقيرِ، وقَدْ عَظَّمَ اللهُ أَمْرَ الصلاةِ في القرآنِ، وعَظَّمَ شَرَفَهَا وشَرَفَ أهْلِهَا وخَصَّهَا بالذِّكْرِ بينَ الطاعاتِ، ووصّى بها وصِيةً خَاصَّةً، فمِنْ ذلكَ أنَّ اللهَ تعَالى ذَكَرَ أعمَالَ البرِّ التي أوجبَ لأَهْلِهَا الخلودَ في الفردوسِ وافتتحَ تلكَ

(١) رواه البخاريُّ (١٤٥٨)، ومسلمٌ (١٩)، والترمذيُّ (٦٢٥)، وأبو داود (١٥٨٤)، والنسائيُّ (٥/ ٥٥).
(٢) رواه الترمذيُّ (٤١٣) وغيره.

الأعمالَ بالصلاةِ وختَمَها بِها، قَالَ تعَالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. إلى قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ٩ـ١١].

وقدْ عَابَ اللهُ الناسَ كُلَّهم وَوَصَفَهُم بالهلعِ والجَزَعِ والمَنْعِ للخيرِ إلاَّ أهْلَ الصلاةِ فإنَّه استَثْنَاهُم، فقَال عَزَّ وجَلَّ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعَارج: ١٩ـ٢٣].

والصلاةُ شِعارُ النَّبيينَ، وصِفةُ المُتقينَ، قَالَ تعَالى عن إبراهيمَ ولوطٍ ويعقوبَ وإسحاقَ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبيَاء: ٧٣] فَذَكَرَ الخيراتِ كُلَّهَا، وأفردَ الصلاةَ بالذِّكْرِ. وأَخبرَ عن إسماعيلَ بقولِه تعَالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريَم: ٥٥]. وأَخبرَ عن عيسى أنَّه قَالَ عن رَبِّهِ: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريَم: ٣١]، وفي دُعَاءِ إبراهيمَ الخليلِ له ولذريتِه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وأَمَرَ اللهُ بِها كليمَه مُوسى بقولِه تعَالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤].

وَوَعَدَ عبادَه الذينَ يُقيمونَ الصلاةَ بالأجرِ العظيمِ فقَال سُبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝١٧٠﴾ [الأعرَاف: ١٧٠].

وبالصلاةِ أوصَى النبيُّ ﷺ أمتَه قبل خروجِه من الدنيا وهو في سياقِ الموتِ. فقَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «اللهَ اللهَ في الصلاةِ وما مَلَكتْ

أَيمانُكم»[1] وذلكَ في آخرِ وصيةٍ أَوصَى بها عند مَوتِه. كمَا في الحديثِ: «وإنها آخرُ وصيةِ كُلِّ نَبيٍّ لأمتِه وآخرُ عَهْدِه إليهم عند خُروجِه مِنَ الدنيا» وجاءَ في حديثٍ آخرَ عن النبيِّ ﷺ: «أنه كانَ يجودُ بنفسِه ويقولُ: «الصلاةُ الصلاةُ» فالصلاةُ أولُ فريضةٍ فُرضتْ على النبي ﷺ وآخِرُ مَا وصّى به أمتَه، وآخرُ مَا يَذهبُ مِنَ الإسلامِ كمَا قَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «أولُ مَا تَفقدونَ من دِينِكُم الأمَانة وآخرُ ما تفقدُون منه الصَّلاة»[2] فليسَ بعدَ ذهابِ الصلاةِ إسلامٌ ولا دِينٌ، فإذا صارت الصلاةُ آخرَ ما يذهبُ من الإسلامِ فكلُّ شيءٍ يَذهبُ آخرُه فقد ذَهَبَ جَميعُه.

وقَدْرُ الإسلامِ في قلبِ العبدِ كَقَدْرِ الصلاةِ، فاحذَر أن تلقَى اللهَ ولا قَدْرَ للإسلامِ عندَكَ. إذا كنتَ تَتَهاونُ في الصلاةِ في هذه الحَياةِ، وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الصلاةَ هي عمودُ الإسلامِ. فالإسلامُ لا يَقومُ إلاَّ على الصَّلاةِ كمَا أنَّ البيتَ لايقومُ إلاَّ على عَمودٍ يرفعُه، فإذا سَقَطَ العَمودُ سَقَطَ البيتُ، كذلكَ إذا سَقَطَتِ الصلاةُ سَقَطَ الإسلامُ، وأَخبَرَ عليه الصلاةُ والسلامُ أنَّ الصلاةَ هي الفارقةُ بينَ المُسلمِ والكافرِ فَقَالَ: «العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبينَهم الصلاةُ فمَنْ تَرَكَهَا فقدْ كَفرَ»[3] وقَالَ: «بينَ العبدِ وبينَ الكُفرِ تركُ الصلاةِ»[4] وقَدْ تَسَاهَلَ كَثيرٌ مِن الناسِ اليومَ في شأنِ الصلاةِ، فبعضُهم يتأخرُ في حضورِه إلى المسجدِ حتىٰ يفُوته بعضُ الصلاةِ أو معظمُها أو كُلُّهَا وبعضُهم يتأخرُ عن صَلاةِ الجماعةِ فَيصلّيها وحدَه، وتركُ صلاةِ الجماعةِ مَعصيةٌ عظيمةٌ وخَسارةٌ كبيرةٌ، فقد وَصَفَ النبيُّ ﷺ المُتخلفِينَ

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن حِبان وهو في «صحيح الجامع» (٣٨٧٣) بمعناه.
(٢) حسن: «صحيح الجامع» (٢٥٧٥).
(٣) رواه الترمذيُّ (٢٦٢٣) وغيره.
(٤) رواه مسلم (٨٢)، والترمذيُّ (٢٦٢٢).

عن صَلاةِ الجماعةِ بالنفاقِ، فقَال: «أثْقَلُ الصلاةِ على المنافقينَ صَلاةُ العشاءِ وصَلاةُ الفجرِ» وَهَمَّ ﷺ بتحريقِ بيوتِهم عليهم بالنارِ لولاَ مَا فيها من النِّسَاءِ والذُّريّة، وجَاءَه رجلٌ أعمَى يطلبُ منه الرخصةَ ليُصلي في بيتِه؛ لأنَّه لا يجدُ قائداً يقودُه إلى المسجدِ ويخشَى من خَطَرِ الطريقِ، فقالَ له النبيُّ ﷺ: «هلْ تسمعُ النداءَ؟، قَالَ: نَعم، قَالَ: فَأَجِبْ فإنِّي لا أَجِدُ لكَ رُخصةً»[1] وأخبرَ النبيُّ ﷺ عن الذينَ تَتثاقلُ رؤوسُهم عن صلاةِ الفجرِ بأنَّه رَآهم تُرْضَخُ رؤوسُهم بالحجارةِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كمَا كانتْ، ومِنَ الناسِ مَنْ يُؤخرُ الصلاةَ عن وقتِها فلا يُصلّي الفجرَ إلاَّ إذَا استيقظَ بعد طلوعِ الشمسِ، واللهُ تعَالى يقولُ في هـؤلاءِ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [مريَم: ٥٩]، ويقولُ تعَالى فيهم: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [المَاعون: ٤، ٥]. وقدْ جَاءَ تفسيرُ إضاعةِ الصلاةِ والسهوِ عنهَا بأنَّ مَعْنَاهُمَا: تأخيرُها عن وقتِها لا تركُها بالكُليَّة. لأنَّ اللهَ سَمَّاهُم مُصلِّينَ في قولِه: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ﴾ [المَاعون: ٤]، وتوعدَهم بالويلِ والغيِّ وهُمَا كلمةُ عذابٍ وهَلاكٍ. أو واديانِ في جَهنمَ.

فاتّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافظُوا على الصلاةِ في أوقاتِها مَعَ الجماعةِ، ولاتكونُوا مِنَ الذين ضَيّعُوا دُنياهُم وأُخرَاهُم فكانُوا مِنَ الخَاسِرينَ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥ ﴾

---

(١) رواه مسلمٌ (٦٥٣).

[القِيَامَة: ٢٦ـ٣٥] إلى آخِرِ السورةِ . .

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، جَعَلَ الصلاةَ صِلةً بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ، وكفَّارةً لذنوبِه، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه ومَن تَمسَّكَ بسُنَّته إلى يومِ الدِّينِ . . . وسلَّم تَسليماً . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى وحافظُوا على هذِه الصلواتِ الخمسِ كمَا أَمَرَكُم اللهُ تعَالى: بقولِه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقَرَة: ٢٣٨]. قَالَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رضي الله عنه: (مَن سَرَّه أنْ يلقَى اللهَ غداً مُسلماً فليحافظْ على هذِه الصلواتِ الخمسِ حَيثُ يُنادَى بِهنّ، فإنَّ اللهَ قدْ شَرعَ لنبيّكم سُنَنَ الهُدَى، وإنَّهنَّ من سُنَنِ الهُدَى، ولو أنكُم صَلّيتم في بيوتِكم كمَا يُصلي هَذا المتخلّفُ في بيتِه لتَرَكْتُم سُنّة نبيّكُم ولو تركتُم سُنّةَ نبيّكُم لضَلَلْتُم. ولقدْ رأيتُنا ومَا يَتخلفُ عنها إلا مُنافقٌ مَعلومُ النفاقِ، ولقد كان الرجلُ يُؤتَى به يُهادي بينَ الرَّجُلينِ حتى يُقامَ في الصَّفِّ)[1] . وَوَرَدَ في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أنَّ مَن حَافَظَ على هذه الصلواتِ الخمسِ كُنّ له نُوراً ونجاةً يومَ القيامةِ، ومَن لمْ يحافظْ عليهنّ لم يكنْ له نُورٌ ولا نَجَاةٌ يومَ القيامةِ وحُشِرَ مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ تَاجرَ الكفّار بمكةَ.

قَالَ العُلماءُ: والحكمةُ في كَونِه يُحْشَرُ معَ هَؤلاءِ؛ لأنَّه إنِ اشْتَغَل عن

---

(١) رواه مسلمٌ (٦٥٤).

الصلاةِ بمُلكِه ورئاستِه حُشِرَ مَعَ فرعونَ، رأسُ المُلوكِ الكَفَرةِ، وإن اشْتَغَلَ عن الصلاةِ بوظيفتِه ووزارتِه حُشِرَ مع هامانَ وزيرَ فِرعونَ، وإنِ اشتغَلَ عن الصلاةِ بمَالِه ومَلذاتِه وشَهواتِه حُشِرَ مَعَ قَارونَ الذي أتاهُ اللهُ مِنَ الكنوزِ مَا إنَّ مَفاتِحَه لتنوءُ بالعُصبةِ أُولي القُوةِ، فكَفَرَ نِعمةَ اللهِ ولمْ يَقبل النصيحةَ فَخَسَفَ اللهُ به وبدارِه الأرضَ، وإنِ اشْتَغَلَ عن الصلاةِ بتجارتِه وبيعِه وشرائِه حُشِرَ مع أُبيّ بنِ خلفٍ تَاجِرِ الكفّارِ بِمَكةَ.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وحافظُوا على صلواتِكم ودَاومُوا عليها لتكونُوا مِنَ الوَارثينَ ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١].

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . . إلخ

* * *

في الحَثِّ على المُسارعةِ إلى الخيراتِ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، أَمَرَ بالمُسارعةِ إلى الخيراتِ، ومُبَادَرَةِ الوقتِ قبلَ الفواتِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له في ربوبيتِه وإلَهيتِه ومَا لَهُ من الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورَسولُه أولَ مُبادرٍ إلى الخيراتِ. صَلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه ذوي المَناقبِ والكَرَامَاتِ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أَمّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى وبادِرُوا حَيَاتَكُم قبل فَنائِها وأعمارَكم قبل انْقِضَائِهَا، وبِفِعْلِ الخيراتِ والإكثارِ مِنَ الطاعاتِ، فإنَّ الفُرَصَ لا تَدُومُ. والعَوارضُ التي تحولُ بينَ الإنسانِ وبينَ العملِ غير مَأمونةٍ، وأنتَ أيُّهَا العبدُ بينَ زمانٍ مَضَى لا تستطيعُ رَدَّه. وزمانٍ مُستقبَل لا تَدري هل تُدركُه أو لاَ، وزمانٍ حَاضرٍ إنِ اسْتفَدْتَ منه وإلاَّ ذَهَبَ مِنكَ وأنتَ لا تَشْعُرُ فاسْتدرِكْ ما مضَى بالتوبةِ مِمَّا فرطتَ فيه، واسْتَغِلَّ حَاضرَك باغتنامِ أيامِه ولياليه، واعزمْ على الاستمرارِ في الطاعةِ فيمَا تُدْرِكُ مِنْ مُستقبلكَ يُكتبُ لكَ ثوابُ نيتِك إنْ لمْ تُدركْه، وتُوَفَّقْ إنْ أدركتَه لعملِ ما نَويتَه فيهِ.

عِبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ سُبحانَه قد أَمَرَنَا بالمُسارعةِ والمُسابقةِ إلى الخيراتِ قَبْلَ فَواتِهَا. قَالَ تعَالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١].

والمَسارعةُ والمُسابقةُ تَعنيانِ المُبادرةَ إلى تَحصيلِ شيءٍ يَفُوتُ بالتأخرِ عن طَلَبِهِ ويُنْدَمُ على فَواتِه، لاسيمَا إذَا كانَ ذلكَ الفائتُ شَيئاً عَظيماً تتعلقُ به النفوسُ ولا شيءَ أعظمُ مِنْ الجنةِ التي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السماءِ والأرضِ. ومَن فَاتَتْهُ فليسَ له بديلٌ عنهَا إلا النَّارُ، فمَا أعظمَ الحَسْرَةِ، وما أفدَحَ الخَسَارَةِ، ويا هَوْلَ المُصيبةِ. لقد وَصَفَ اللهُ رُسُلَهُ وصَفوةَ خَلْقِهِ ومَنِ اتَّبَعَهُمْ بأنَّهُمْ يُسَارِعُونَ في الخيراتِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقَالَ تعَالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وهَؤلاءِ هُمُ القُدْوةُ لأنَّهُمْ أصحابُ العُقولِ النيّرةِ والبصائرِ التي تُدْرِكُ العواقبَ وتَعْرِفُ المَصَالِحَ والمَضَارَّ. بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنْ نُورِ الإيمانِ، وفَهْمِ القُرآنِ، ولَمَّا عَرَفُوا قَدْرَ المَطلوبِ وقيمتَه وهو الجنَّة وسُرعةَ زوالِ الوقتِ وفواتِه بادَرُوا بالطلبِ قَبْلَ فَواتِ الأوانِ، ومَدَحَهُمُ اللهُ وأثْنَى عليهم في مُحكمِ القُرآنِ، ليكونُوا قُدوةً صَالحةً لبني الإنسانِ.

إنَّ الإنسانَ قد أُعْطِي إمْكَانياتٍ يستطيعُ بِها المُسَارَعَةَ إلى الخيراتِ إذَا اسْتَغَلَّهَا لذلكَ، أُعطي صِحةً في جِسْمِهِ، ووقتاً للعمل، وفراغاً له، وكُلُّ واحدةٍ مِنْ هذِه الإمكانياتِ لهَا مُضَادٌّ يُبطلُها إن لم تُستغَل قَبْلَ حُصولِه، فالصحةُ يَعْرِضُ لهَا المَرَضُ، والوقتُ ينقضي ويزولُ، والفراغُ يُشْغَلُ بأمورٍ أُخرى، فالواجبُ على الإنسانِ استغلالُ هذِه الطاقاتِ بالخيرِ، قَبْلَ أنْ تُعطّلَ بالعوارِضِ.

عِبَادَ اللهِ: إنَّ الشيطانَ يحرصُ على تفويتِ الخيرِ على ابنِ آدَمَ ويحاولُ حَبْسَه

عنهَا مَا استَطَاعَ، فإنِ استَطَاعَ مَنْعَ ابنِ آدمَ مِنْ فِعْلِ الخيرِ بالكليّةِ وشُغْلِه بالشَّرِّ فإنّه لا يَأْلُو جُهْدَاً في ذلكَ، كمَا فَعَلَ بالكفّارِ والمنافقينَ، وإنْ لمْ يستطِعْ مَنْعَ ابنِ آدمَ مِنَ الخيرِ بالكُلّيَّةِ فإنَّه يُكَسّلُه عنه ويشغلُه عنه حتى يُفَوِّتُهُ عليه، كمَا يُكَسِّلُ عَنِ الصلاةِ وإخراجِ الزكاةِ، وكمَا يَفعلُ مَعَ كثيرٍ مِنَ الناسِ اليومَ مِمَّنْ يَرتادُون المَسَاجِدَ للجُمعةِ والجَماعةِ، فإنَّه في صَلاةِ الجُمعةِ يُكَسِّلُهُمْ عَنِ التبكيرِ في الحُضُورِ إليها، فبعضُهم لا يأتي إلا عندَ دُخولِ الخَطِيبِ، وبعضُهم لا يأتي إلا عندَ الإقامَةِ، وبعضُهم لا يأتي إلا في آخرِ الصَّلاةِ، فيفوّتُ عليهم ثَوابَ التبكيرِ إلى الجُمُعَةِ، وقد وَرَدَ في حديثِ أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنِ اغْتَسَلَ يومَ الجُمعةِ غُسْلَ الجَنابةِ ثُمَّ رَاحَ في الساعةِ الأُولى فكأنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن رَاحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنمَا قَرَّبَ بقرةً، ومَن راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنمَا قَرَّبَ كبشاً أَقْرَنَ، ومَن رَاحَ في الساعةِ الرابعةِ فكأنَّمَا قَرَّبَ دَجاجةً، ومَن رَاحَ في الساعةِ الخامسةِ فكأنَّمَا قَرَّبَ بَيضةً، فإذَا خَرَجَ الإمامُ حَضَرَتِ المَلائكةُ يستمعونَ الذِّكرَ»**[1] متفقٌ عليه.

ومِنَ الناسِ مَن يفوتُه هذا الأجرُ ويفوتُه استماعُ الخُطبةِ أيضاً فَلاَ يَحْضُرُ إلاَّ عندَ الإقامةِ أو في آخِرِ الصلاةِ.

واسْتِمَاعُ الخُطبةِ أَمْرٌ مَطلوبٌ مِنَ المُسلمِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ حَثَّ على استماعِها ونهَى عن الكَلامِ والإمامُ يَخْطُبُ لأنَّه يَشْغَلُ عن ذلك، عن عليّ بنِ أبي طَالبٍ رضي الله عنه قَالَ: **«إذَا كانَ يومُ الجُمعةِ خَرَجَتِ الشياطينُ يريثونَ الناسَ إلى أسواقِهم ـ أي يؤخرُونَهم ـ وتَقْعُدُ المَلاَئِكَةُ على أبوابِ المَسَاجِدِ يكتبُون**

---

(١) رواه البخاريُّ (٨٨١)، ورواه مسلمٌ (٨٥٠).

الناسَ على قَدْرِ منازِلِهم السابق والمصلي الذي يليه حتى يخرج الإمام، فمن دنا من الإمام فأنصت واستمع ولمْ يَلْغ كانَ له كِفْلَانِ مِنَ الأَجْرِ، ومَن نَأى ـ أي بَعُد ـ عنِ الإمامِ فاستمَعَ وأنصتَ ولمْ يَلْغِ كانَ له كِفْلٌ مِنَ الأجرِ، ومَن دَنَا مِنَ الإمامِ فلغَا ولمْ ينصتْ ولمْ يَستمعْ كانَ عليه كفلانِ مِنَ الوِزْرِ» الحديثُ. قَالَ عليٌّ رضي اللهُ عنه: سَمعتُه مِن نبيِّكم ﷺ ورَاوه أحمدُ وأبو داود بلفظٍ آخَرَ.

وعن أبي هُريرة رضي اللهُ عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ ﷺ: «مَن توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ ثُمَّ أتَى الجُمعةَ فاستمَعَ وأنصتَ غُفِرَ له مَا بينَه وبينَ الجُمعةِ الأُخرى وزيادةُ ثَلاثةِ أيامٍ» رواه مُسلمٌ وغيرُه[1]، ومعنى «غُفر له» ـ أي غُفرتْ ذنُوبُه الصَّغائرُ ـ وذلكَ بشرطِ اجتنابِ الكبائرِ.

وفي هذين الحديثينِ أنَّ استماعَ الخُطبةِ أَمْرٌ مَقصودٌ ومَطلوبٌ مِنَ المُسلمِ يُؤجرُ عليه إذَا فَعَلَه، ويأثَمُ إذَا تَرَكَه، ويفوتُه الانتفاعُ بما يردُ في الخُطبةِ من الوعظِ والتذكيرِ والإرشادِ إلى ما فيه الخَير والتنبيهُ على الأخطاءِ التي قد يكونُ مُرتكباً لها وهو لايدْري.

وبعضُ الناسِ يَستهينُ بشأنِ الخُطبةِ ولا يُلقي لهَا بَالاً، بل يعتبرُها أمراً عَادياً، فلذلكَ يُحرمونَ مِن فوائدِها وأجرِ الاستماعِ لهَا، واللهُ سُبحانَه قد أَمَرَ بالسعي إليهَا وحُضورِها في قولِه تعَالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ٩]، وذِكْرُ اللهِ هو الخُطبةُ في قولِ كثيرٍ مِنَ المُفسرين، مِمَّا يدلُّ على أهميةِ الخُطبة وتَأَكُّدِ حُضورِها واستماعِها. ومِمَّا يفوّتُ على الذي يتأخرُ في حضورِه لصلاةِ الجُمعةِ حصولُه على مكانٍ في الصفِّ

---

(١) رواه مُسلمٌ (٨٥٧).

الأَوَّلِ والتنفّلِ بالصلاةِ وقراءةِ القرآنِ قبلَ الخُطبةِ وذلكَ نَقْصٌ عظيمٌ لِمَا رُوي عن أوسِ بنِ أوسٍ الثقفيِّ رضي اللهُ عنه، قَالَ: سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَن غسلَ يومَ الجُمعةِ واغتسَل، وبكّر وابتكَرَ، ومَشَى ولمْ يركبْ، ودَنَا مِنَ الإمامِ فاستمعَ ولمْ يلْغِ كانَ له بِكُلِّ خُطوةٍ عَمَلُ سَنةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها» رواه أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ، والنسائيُّ وابنُ ماجَه وابنُ خُزيمة وابنُ حِبّان في صحيحيهما[1].

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ. ولاتفوِّتُوا على أنفسِكم هذِه الخيراتِ، والذي يُطلبُ منكُم إنَّمَا هو زمنٌ يسيرٌ تتقدمُون فيه إلى الجُمعةِ وتحصلونَ فيه على هذِه الخيراتِ العَظيمةِ، والوعودِ الكريمةِ، ولو ذُكِرَ لأحدِكم طَمَعٌ دنيويٌّ ولو كانَ يسيراً لبَادَرَ إلى طَلَبِهِ وصَبَرَ على ما يعترضُه من المَشَاقِّ ولم يتأخرْ عنه. فهل أنتمْ مِمّنْ يُؤْثِرُ الحياةَ الدنيا على الآخرةِ؟ وهَلْ ترضونَ لأنفسِكم بالصفقةِ الخَاسرةِ؟

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ . . . وامتثلُوا قولَه تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجُمُعَة: ٩] إلى آخرِ السُّورةِ. . . .

بارِكَ اللهِ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، شَهِدَ لعُمَّارِ بيوتِه بالإيمانِ، فقَال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨]، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ولا نعبدُ إلاَّ إيّاه،

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٥)، والترمذيُّ (٤٩٦)، والنسائيُّ (١٣٩٨) .

وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه. صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابهِ ومَن اهتدَى بهُدَاه، وسَلَّم تسلِيمَاً.

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واستبقُوا الخيراتِ قبلَ فواتِها، وحَاسِبُوا أنفسَكم على زلاَّتِها وهفواتِها، وكفُّوهَا عن الإغراقِ في شهواتِها، فالكيّسُ من دَانَ نفْسَه وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموتِ. والعاجزُ مَن أَتْبَعَ نفْسَه هَواهَا وتمنَّى على اللهِ الأمَاني.

عبادَ اللهِ: من الناسِ مَن يتأخرُ عن حُضورِ صَلاةِ الجَماعةِ فلا يأتي إلا عندَ الإقامةِ أو بعدَ مَا يفوتُ بعضُ الصَّلاةِ أو كُلُّهَا، فهو يقومُ إلى الصلاةِ ويأتي إليهَا، ولكنَّه كقيامِ وإتيانِ الذينَ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النِّساء: ١٤٢] وقال فيهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبَة: ٥٤].

والبعضُ الآخَرُ يتغيَّبُ نِهائياً عن الحضورِ ويُصلي في بيتِه مُنفرداً، وبعدَما يخرجُ وقتُ الصَّلاةِ. فيكُون من المُضَيِّعين للجمَاعةِ والمُضيِّعين للوقتِ وذلكَ في الحقيقةِ تضييعٌ للصَّلاةِ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريَم: ٥٩]. وقَالَ تعَالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المَاعون: ٤، ٥].

وذلكَ بسببِ تَلاعُبِ الشيطانِ بهم وشُغْلِه إياهُم بأنواعٍ مِنَ المُلهياتِ عن ذِكْرِ اللهِ وعن الصَّلاةِ، بعضُهم يشغلُه بلهْوِ الحديثِ الذي هو استماعُ المَلاَهي والأغاني ومُشاهدةِ الأفلامِ والمُسَلسَلاتِ حتى يضيعَ عليه الجَماعةُ أو وقتُ الصلاةِ، وقد يسْهَرُ على ذلكَ وينامُ عن صَلاةِ الفجرِ. فيكُون مِن الذينَ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمَان: ٦]، ولهْوُ الحديثِ هُو الأغاني وما

يَصْحَبُهَا فإنه يدخلُ في لَهْوِ الحَدِيثِ، ومِنَ الناسِ مَن يَصُدُّهُ الشيطانُ عن ذِكْرِ اللهِ وعن الصلاةِ بشُربِ المُسكراتِ، وتناولِ المُخَدِّراتِ ولَعِبِ القِمَارِ، وقد قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المَائدة: ٩١] فيَجمعُون بينَ تَرْكِ الصلاةِ وفِعْلِ المُحرّماتِ.

ومِن الناسِ من يَصُدُّه الشيطانُ عن ذِكْرِ اللهِ وعنِ الصَّلاَةِ بِطَلَبِ الدنيا والبيعِ والشراءِ ومُزاولةِ الأعمالِ الدنيويةِ وقتَ الصَّلاَةِ، وقد قَالَ تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنَافقون: ٩].

وقد مَدَحَ اللهُ الذينَ لاتُلهيهم تِجَارةٌ ولابَيْعٌ عن ذِكْرِ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، ووعدَهم بالثوابِ الجَزيلِ فقالَ تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النُّور: ٣٦ـ٣٨].

ومن الناسِ مَن يَحْضُرُ الصلاةَ في الجمعةِ والجَماعةِ ولكنَّه يَتْرُكُ في بيتِه رِجَالاً لا يحضرُون الصلاةَ من أبنائِه أو إخوانِه أو مَن يَسْكُنُونَ معَه لا يأمُرُهُم ويُلزمُهم بالحضورِ معَه، وهذا يُعْتَبَرُ قد أدّى واجباً بحضورِه لكنَّه تَرَكَ واجباً بتَرْكِ مَن خَلْفَه مِمّن هو مُكلّفٌ بأمرِهم وإلزامِهم والقيامِ عليهم.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ بأداءِ مَا أَوْجَبَ الله عليكُم في خَاصَّةِ أنفسِكم وما أَوْجَبَ اللهُ عَليكُم نحوَ أَولادِكم ومَن تحتَ ولايتِكم «كلّكُم راعٍ ومُسؤول عن رعيتِه».

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ

في اغتنامِ الأوقات بالأعمالِ الصالحةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، جَعَلَ الدنيا مَزرعةً للآخرةِ، ووفَّقَ مَن شَاء لاغتنامِ أوقاتِها قَبلَ فواتِها، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له الكبيرُ المُتعالُ، وأشهدُ أن مُحمداً عبدُه ورسولُه القائلُ: «بَادِرُوا بالأعمالِ» صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ وسَلَّم تسليماً.

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واستغلُّوا أوقاتِ حياتِكم فيمَا ينفعُكم في الدارِ الآخرةِ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٨٨، ٨٩].

واعلمُوا أنَّ الوقتَ ثَمينٌ، وأنَّ كُلَّ لحظةٍ تَمُرُّ في غيرِ عملٍ صَالحٍ فستخسرُونَها وتتحسرُونَ على فواتِها، قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العَصر: ١ـ٣].

قال ابنُ كثيرٍ: العصرُ الزمانُ الذي يَقَعُ فيه حركاتُ بني آدمَ مِن خيرٍ وشرٍّ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [العَصر: ٢]، أي أنَّ كُلَّ إنسانٍ في المَتَاجِرِ والمَسَاعي وصَرْفِ الأعمارِ في أعمالِ الدنيا لفي نَقْصٍ وضَلَالٍ عن الحَقِّ حتى يموتَ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [العصر: ٣]، فإنَّهُم في ربحٍ لا في خُسْرٍ، لأنَّهم عَمِلُوا للآخرةِ ولمْ تَشغلْهم أعمالُ الدنيا عنها.

فتَأَمَّلْ أيها المسلمُ مع أي الصنفين أنتَ؟ مَعَ الخاسرينَ أو الرابحينَ؟ إنَّ هذِه

الأوقاتِ التي تَمُرُّ بكَ أيها الإنسانُ فُرَصٌ عظيمةٌ إذَا مَضَتْ فلنْ تَعُودَ إليكَ، وإنَّمَا تُحسبُ من عُمرِك ويُكتبُ لكَ أو عليكَ حَسْبَمَا عَمِلْتَهُ فِيها، فَبَادِرْ باغتنامِها قبلَ فواتِها. . .

والله سُبحانَه قد جَعَلَ الليلَ والنهارَ وقتاً للعبادةِ كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفُرقان: ٦٢].

فَرَضَ فيهاالصلواتِ الخمسَ في أوقاتٍ مُحددةٍ مِنَ اليومِ والليلةِ كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسرَاء: ٧٨].

وشَرَعَ صَلَواتِ النوافلِ فيمَا بينَ ذلكَ مِن غيرِ الأوقاتِ المَنْهي عَنْ الصَّلاَةِ فِيها، وشُرِعَ ذِكرُ اللهِ بالتهليلِ والتسبيحِ، والتكبيرِ والتحميدِ، في جميعِ الساعاتِ وخصّ أدبارِ الصلواتِ والصباحِ والمساءِ بفضِيلة الذِّكرِ فيهَا، قَالَ تعَالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزَاب: ٤١، ٤٢]، وقَالَ تعَالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢]. وكَانَ النبيُّ ﷺ يذكُر اللهَ على كُلِّ أحيانِه، وإذَا نظرْنا إلى عِبادةِ الصيامِ وجدْنا أنَّ الله قد فَرَضَ صِيامَ شَهْرٍ مِنَ السَّنة، وشَرَعَ صِياماً تطوعاً أسبوعيًا وهو صومَ الإثنينِ والخميسِ، وصَوماً شَهرياً وهو ثلاثةَ أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ، وخَصّ بالصيامِ أياماً من بعضِ الأشهرِ كعشْر ذي الحِجةِ وستةِ أيامٍ مِنْ شوّال لِمَنْ صَامَ شهرَ رمضانَ، وغالبَ شَهرِ شعبانَ، وكُلَّ شهرِ اللهِ المُحَرَّمِ، ومَنْ كانَ عندَه قُوةٌ وأرادَ الزيادةَ صَامَ يوماً وأفطرَ يوماً على الدوامِ، مَا عَدَا الأيامِ التي يَحْرُمُ صومُها.

وأمَّا العبادةُ المَاليةُ الواجبةُ والمستحبةُ فنجدُ أنَّ اللهَ أثنى على الذينَ يُنفقونَ مِن عمومِ الأموالِ في جميعِ الأوقاتِ بحسبِ الحاجاتِ، قَالَ تعَالى: ﴿ ٱلَّذِينَ

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٧٤]. وفَرَضَ الزكاةَ مِنْ أموالٍ خَاصَّةٍ.

وفَرَضَ الحجَّ مَرةً واحدةً في العُمْرِ على المُستطيعِ وما زادَ على ذلكَ فهو سُنّة، وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ على المُتابعةِ بينَ الحجِّ والعُمرةِ.

مِن هَذا العرضِ السريعِ نُدْرِكُ أنَّ عُمْرَ الإنسانِ كُلَّه مُستغرقٌ بالأعمالِ الصالحةِ وحتى الفتراتِ التي يرتاحُ فيها الإنسانُ للنومِ والأكلِ والشربِ ومُعاشرةِ الأهل، ومؤانسةِ إخوانِه إذَا نَوى بها التَّقَوِّي على العبادةِ صَارتْ عِبادةً يُؤجرُ عليها، عن أبي ذَر رضي اللهُ عنه في حديثٍ طَويلٍ قَالَ: قلتُ: يارسولَ اللهِ مَا كانت صُحُفُ إبراهيمَ؟ قَالَ: كانت حكماً كُلّهَا: ياأيّها الملكُ المُسلطُ المُبتلي المَغرُورُ إني لم أبعثْك لتجمعَ الدنيا بعضَها على بعضٍ، ولكني بعثتُك لتَرُدَّ عني دعوةَ المَظلومِ، فإني لا أردّها ولو كانت مِنْ كافرٍ. وكان فيها أمثالٌ وعلى العاقلِ أنْ يكونَ له ساعاتٌ. سَاعةٌ يناجي فيها رَبَّه، وسَاعةٌ يُحاسِبُ فيها نفْسَه، وساعةٌ يُفكِّرُ في صُنعِ اللهِ، وسَاعةٌ يخلُو فيها لحاجتِه مِنَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ، وعلى العَاقِلِ أن لايكونَ ضاعناً إلا لثلاثٍ: تزود لمعَادٍ، أو مَرمةٍ لمعاشٍ، أو لذةٍ في غيرِ مُحَرَّمٍ. وعلى العاقلِ أن يكونَ بَصيراً بزمانِه، مُقبلاً على شأنِه، حَافِظاً للسانِه، ومَن حسبَ كلامَه من عَمَلِه قَلَّ كلامُه إلا فيمَا يَعْنيه. قَالَ قُلتُ: يارسولَ اللهِ فمَا كانت صُحُفُ مُوسى؟ قَالَ: كانت عِبراً كلَّها، عجبتُ لمَنْ أيقنَ بالموتِ ثم هو يفرحُ! عجبتُ لمن أيقنَ بالقَدَرِ ثم هو ينصبُ! وعجبتُ لمن يرَى الدنيا وتقلُّبَها بأهلِها ثم يطمئنُ إليها! وعجبتُ لمن أيقنَ بالحسابِ غداً ثم هو لايعملُ! قَالَ: قلتُ: يارسولَ اللهِ فهلْ في أيدِينا شيءٌ مِمَّا كانَ في أيدي إبراهيمَ ومُوسى،

ومَا أنزلَ اللهُ عليكَ؟. قَالَ: نعَم اقرأ يا أبَا ذَرٍّ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤ـ١٩].

أيُّهَا المُسلمونَ: إذا كانَ الوقتُ بهذِه الأهميةِ، وإذَا لمْ يَستغِلّهُ الإنسانُ في الخيرِ خَسِرَهُ خسَارةً لا تُعوّضُ، فإنَّه يَجبُ على الإنسانِ أنْ يُحافظَ عليه أكثرَ مِمَّا يُحافظُ على الذَّهَبِ والفِضةِ، فلا يصرفُ منه شيئاً إلاَّ فيمَا يُفيدُه، وإذَا كانَ الذي يُبَذِّرُ مَالَه ويضيّعُه فيمَا لايُفيدُ يُعتبرُ سَفيهاً يُحْجَرُ عليه، فإن الذي يُضيّع وقتَه أعظمَ سَفَهاً. قَالَ تعَالى في المُنافقينَ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقَرَة: ١٣]، وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقَرَة: ١٣٠]. لقد ضَيّعنَا الكثيرَ مِن أوقاتِنا في غيرِ فائدةٍ أو فيمَا يضُرّنا، ونبخلُ بالوقتِ عن فِعْلِ الطاعاتِ، فالكثيرُ إذَا دَخَلَ المسجدَ فكأَنه في سِجنٍ حتى يخرجَ منه، وإذَا دَخَلَ في الصلاةِ فكأنَّه في وثاقٍ يحاولُ الانفكاكَ منه. تجدُه يَتَمَلْمَلُ ويسابِقُ الإمامَ، وإنْ صلّى وحدَه نَقَرَ الصلاةَ كمَا ينقرُ الغُرابُ الدَّمَ، والبعضُ لا يأتي إلى المسجدِ للصلواتِ الخمسِ ويوم الجُمعةِ إلاَّ بعدَ الإقامةِ أو بعدَ مَا يفوتُ مُعظمُ الصلاةِ، يَخشَى أنْ يُضيّعَ شَيئاً من وقتِه في المسجدِ أو في سَمَاعِ خُطبةٍ أو مَوعظةٍ، بينَما لا يبخلُ بالوقتِ الطويلِ في مُشاهدةِ التلفازِ والفِيديو. لايبخلُ بالوقتِ الطويلِ في مَجالسِ القِيلِ والقَالِ والغِيبةِ والنَّميمَةِ. لايَبخلُ بالوقتِ الطويلِ في مشاهدةِ المُبارياتِ والألعابِ والرياضيةِ. لا يبخلُ بالوقتِ الطويلِ في طَلَبِ الدنيا وجَمْعِ الحُطَامِ، أو الكَسْبِ الحَرَام. يأتي إلى سُوقِ البيعِ والشراءِ مع أولِ الناسِ ولاينصرفُ منه إلا آخرَ الناسِ مع ما يُقَاسي من الحَرِّ أو البردِ وبُعد المَسافةِ. لكِن هَذا كلُّه هَيّنٌ مَا دَامَ في تحقيقِ رغباتِ النَّفْسِ،

والوقتُ القَصيرُ صَعبٌ عليه إذا كان في طَاعةِ اللهِ. لقد بكى بعضُ الصالحِين عندالموتِ فقِيل له: مايُبكيكَ قال: أبكي على ليلةٍ ما قُمتُها وعلى يومٍ ما صُمتُه.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واستدرِكُوا أعمارَكم قبلَ فواتِها.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنَافِقون: ٩ـ١١].

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَمَرَ باغتنامِ الأوقاتِ، قبلَ الفواتِ، فَقَالَ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٨]. وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له في ربوبيتِه وإلَهيتِه والأسماءِ والصفاتِ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، كانت كلُّ أوقاتِه طاعاتٍ. صلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعَهُمْ بإحسَانٍ وسَلّم تسليماً... أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واعلمُوا أنكُم ستُسألونَ عن أوقاتِكم بمَاذَا قضيتمُوها ففي الحديثِ: «لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ: عن جسمِه فيمَ أبلاَه، وعن عُمرِه فيمَ أفنَاه، وعن مَالِه من أينَ أكتسبَه وفيمَ أنْفَقَهُ، وعن عِلْمِهِ مَا عَمِلَ به»[1] فمَاذا سَيكونُ الجوابُ؟ إنَّ كَثيراً مِنَ الناسِ اليومَ قد تَلاعبَ بوقتِه، وضَيَّعَه في الشهواتِ والغَفلاتِ وإضاعةِ الصلاةِ، يَسهرُون مُعظمَ الليلِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٤١٩).

لمُشاهدَةِ التلفازِ، أو الفيديو أو اللعبِ بالورقِ الذي قد يكونُ مَصحوباً بالمَيْسِرِ، أو للمَرَحِ والمِزَاحِ والغَفْلَةِ عن ذِكْرِ اللهِ، وختمُوه بتَرْكِ صَلاةِ الفجرِ. ولا يَزَالُ هذا صنيعُهم صَيفاً وشِتَاءً ﴿ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٦].
أي هَؤلاءِ مِنَ الذينَ قَالَ اللهُ تعالى فِيهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السَّجدَة: ١٦]، ومِنَ الذين قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذّاريَات: ١٧، ١٨]، هَلْ عندَ هؤلاءِ الذين تلاعبُوا بأوقاتِهم وضَيَّعوا مَا أَوْجَبَ اللهُ عليهم، هل عندهُم أمانٌ مِنَ النارِ؟ أو عندَهم جَلَد وصبرٌ على حَرّها وعذابِها حيثُ لايخافونَ منها؟ إنَّ هؤلاءِ قد خالفُوا الحِكمةَ الإلَهية في خَلْقِ الليلِ والنهارِ، لأنَّ الله جَعَلَ الليلَ سَكَناً ووقتاً للنومِ والراحةِ، وجعلَ النهارَ معاشاً ووقتاً لليقظةِ والحركةِ، وهؤلاءِ جعلوا الليلَ وقتاً للسهرِ والضجيجِ والعَبَثِ. حتى صَارَ النساءُ والأطفالُ مِثْلَهُم لا ينامُون إلاَّ في آخِرِ الليلِ. وفي الوقتِ الذي يُطلبُ منهم فيه اليقظةُ والذِّكْرُ والصَّلاَةُ. وهُم يَسمعونَ المُنَادي يُنَادِي حيَّ على الصَّلاَةِ حيَّ على الفَلاَحِ، الصلاةُ خَيْرٌ مِنَ النومِ، لَكِن كَأنَّه يَصيحُ في مَقَابر. ولسانُ حَالِهم يقولُ: لاَ. النومُ خَيْرٌ من الصلاةِ، وغالب البيوت في وقت الفجر لا تسمع فيها ذكر الله ولا ترى من يخرج لأداءِ الصَّلاَةِ، فأيّ أُناسٍ هَؤلاءِ؟ هَل هُم مِنَ الذينَ لا يُؤمنونَ بيومِ الحِسَابِ؟ هَل هُم مِنَ الذينَ قَالُوا: سَمِعْنَا وعَصَيْنَا؟ هل نَسُوا سُرعةَ الزوالِ وحُضورَ الآجالِ وقَوْلَ المُفَرِّطِ عندَ الاحتضارِ ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وتُوبُوا إلى اللهِ قَبْلَ أنْ يُحالَ بينكُم وبينَ التوبةِ، فإنَّ اللهَ سُبحانَه وتعَالى يقولُ: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا

حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔانَ ﴾ [النِّساء: ١٨]. فمَا أعظمَ الحَسْرَةِ حِينذاكَ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزُّمَر: ٥٦].

* * *

في الحَثّ على العملِ الصالحِ والمُحَافظةِ عليهِ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ، خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليَبْلُوكُم أيّكم أحسنُ عَمَلاً وهو العزيزُ الغفورُ، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ يُحيي ويُميتُ وهو على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليماً . . . أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى وأَصْلِحُوا أعْمَالَكُم يُصْلِح اللهُ عَاقبتَكم، ويُعَظِّمُ مَثُوبتَكُم. قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١] أيّ عَاقِلٍ يؤمنُ باللهِ ويَسْمَعُ هذَا الخبرَ الصادقَ لايَهتمُّ بعملِه ويعتني بإصلاحِه ليَحْصُلَ على هذَا الوعدِ الكريمِ مِنَ الربِّ الرحيمِ، الذي لايُخلِفُ وعْدَه، ولا يضيّع عَبْدَه؟ لَكِنْ متَى يكونُ العملُ صَالحاً حتَّى يَحوزَ صَاحبُه هذَا الجزاءَ؟ إنَّ اللهَ سُبحانَه قد بيّن أنَّ العملَ يكونُ صَالحاً إذا تَوفَّرَ فيه شَرطَانِ، الشرطُ الأولُ: أنْ يكونَ هذا العملُ خَالصاً لوجهِ اللهِ تعَالى، ليسَ فيه شائبةُ شِرْكٍ أو قَصْدٍ لغيرِ اللهِ. والشرطُ الثاني: أنْ يكونَ العملُ صَواباً على سُنَّة رسولِ اللهِ ﷺ، وليسَ فيه بِدعةٌ واتباعٌ لغَيْرِ الرسولِ، وقد بيّنَ اللهُ هذينِ الشرطينِ في قولِه تعَالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١١٢]. فقولُه تعَالى: ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾

[البَقَرَة: ١١٢]، أي أَخْلَصَ عَمَلَه للهِ مِنَ الشركِ، وقولُه: ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البَقَرَة: ١١٢]. أي مُتبعٌ للرسولِ بأنْ يكونَ هذا العملَ مِمَّا جَاءَ به الرسولُ ﷺ.
وإذا توفّر هذانِ الشرطانِ في العملِ كانَ هو العَمَلَ الأحسنُ الذي قَالَ اللهُ تعَالى فيه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [المُلك: ٢]. قَالَ الفُضَيلُ ابنُ عِياضٍ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هُود: ٧]. أَخْلَصُهُ وأَصْوَبُهُ، قِيلَ ومَا أخلصُه وأصوبُه؟، قَالَ: أنْ يَكونَ خَالصاً لوجهِ اللهِ، صَواباً على سُنّةِ رَسولِ اللهِ، وكمَا أنَّ اللهَ بَيّنَ هذينَ الشرطينِ في كتابِه الكريمِ، فقد بيّنهُمَا رسولُ اللهِ ﷺ في سُنتِه المُطهرةِ، بَيّنَ الشرطَ الأولُ في قولِه: «إنَّمَا الأعمالُ بالنيّاتِ وإنَّمَا لِكُلِّ امريءٍ مَا نَوى». وبيّنَ الشرطَ الثاني بقولِه: «مَن عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمْرُنَا فهُو رَدٌّ».

فهذَانِ الحَديثانِ يُكوّنانَ أَصْلاً عَظيمَاً مِن أصولِ الإسلامِ، الحديثُ الأولُ مِيزانٌ للأعمالِ في باطنِها، والحديثُ الثاني مِيزانٌ للأعمالِ في ظَاهِرِهَا، ففيهمَا الإخلاصُ للمَعبودِ، والمُتابعةُ للرسولِ، وهذانِ شَرطانِ لصحةِ كُلِّ قَوْلٍ وعَمَلٍ ظَاهِرٍ وبَاطنٍ، فمَن أَخْلَصَ أعمالَه للهِ مُتّبِعاً في ذلكَ رَسُولَ اللهِ فهذَا الذي عَمَلُه مَقبولٌ، ومَن أخلّ بهذينِ الشرطينِ أو أحدِهما فَعَمَلُه مَردودٌ. ومَهْمَا أتعبَ نفْسَه لم يزدْه ذلك إلا بُعداً مِنَ اللهِ، قَالَ اللهُ تعَالى في هذَا العملِ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفُرقان: ٢٣].

والنيةُ مَعْنَاهَا: قَصْدُ العَمَلِ تقرّباً إلى اللهِ تعَالى وَطلَباً لمرضاتِه وثوابه ويدخلُ في ذلك نيّة العملِ ونيّةُ المَعمولِ له.

أمَّا نيةُ العملِ فلا تَصِحُّ العبادةُ بأنواعِها إلا بِقَصْدِهَا قَصْداً يُميزُ العبادةَ مِنَ العادةِ. وأمَّا نِيةُ المَعمولِ له فمَعْنَاهَا: إخلاصُ العملِ للهِ في كُلِّ ما يقولُ ويَفْعَلُ،

قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]. وقَالَ: تعَالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر: ٢]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]. فمَن عَمِلَ عَمَلاً مِنَ الأعمالِ التي يُتَقَرَّبُ بِها إلى اللهِ لا يريدُ به وجْهَ اللهِ وإنَّمَا يُريدُ به الرياءَ والسُّمْعَةَ أو يريدُ به مَطمعاً مِن مَطامعِ الدنيا فعملُه حَابطٌ وهو مُعَذَّبٌ وليسَ بمأجورٍ. قَالَ تعَالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هُود: ١٥، ١٦].

إنَّ النيّةَ الصالحةَ تُبَلِّغُ الإنسانَ مَا لمْ يُبَلِغْه عَمَلُه، فمَن نَوى عَملاً صَالحاً وشَرَعَ فيه ولم يستطعْ تكميلَه كَمَّلَ الله له ثوابَه وأَجْرَه، قَالَ تعَالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النِّساء: ١٠٠]. وإنْ نَوَى العَمَلَ الصالحَ ولم يستطعْ أداءَه لعارضٍ حَالَ بينَه وبينَه كَتَبَ اللهُ أجْرَ ذلكَ العملِ، كمَا في الحديثِ الصحيحِ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا مَرِضَ العبدُ أو سَافَرَ كُتِبَ له مثل ما كَانَ يَعْمَلُ مقيماً صَحيحاً»[1]. وفي الحديثِ الآخَرِ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لأصحابِه في إحدَى الغزواتِ: «إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما سِرْتُمْ مَسِيراً ولا قَطَعْتُم وادِياً إلا كانُوا معكُم، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[2]. ومعنَى قَولُه ﷺ: «إلاَّ كانُوا معَكُم» أي في نيَّاتِهم وقلوبِهم، فلَهم مِنَ الأجرِ مِثْلَ مَا لإخوانِهم الذينَ خَرجُوا في الغَزْوِ. وفي الحديثِ الآخَر: أنَّ العبدَ إذا هَمَّ بالحسنةِ فلمْ يَعْمَلْهَا لعارضٍ مَنَعَهُ كُتبتْ له حَسنةً كَاملةً، والعبدُ يُعَامَلُ بحسبِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٩٩٦).

(٢) رواه مسلمٌ (١٩١١).

نيته حتَّى في تَعَامُله مَعَ الناس، كمَا رَوى البخاريُّ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «مَن أَخَذَ أَموالَ الناسِ يُريدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عنه. ومَنْ أَخَذَهَا يُريدُ إتلافَها أَتْلَفَهُ اللهُ»(١). فَجَعَلَ النيَّةَ الصَّالحَةَ سَبباً للرزقِ وقَضَاءِ الدَّيْنِ. والنيَّةُ السيئةُ سَبباً للتلفِ والإتلافِ. وقد ذَكَرَ اللهُ قِصَّةَ أصحابِ الجنةِ ومَا عُوقِبُوا بِه بِسببِ نيتِهم السيئةِ فَقَالَ تعَالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾ [القَلَم: ١٧ـ٢٤].

وذَلِكَ أَنَّه كَانَ بأرضِ اليمنِ بُستانٌ لرَجُلٍ فيه زروعٌ ونَخيلٌ، كَانَ يَجعلُ للمَسَاكِينِ حَظًّا مِنه عندَ الحصادِ والصرامِ، فَلَمَّا مَاتَ وصَارَ البستانُ إلى أولادِه قَالُوا: المَالُ قليلٌ والعِيالُ كثيرٌ، ولا يَسَعُنَا أنْ نفعلَ كمَا كانَ أبونَا يفعلُ، وعَزمُوا على حِرمانِ المَساكينِ، فَحَرَمَهُمْ اللهُ منها بأنْ سَلَّطَ عليها ناراً أَحرَقَتْهَا، وذلكَ بِسببِ نيتِهم السيئةِ، فقد تَلَفَتْ بالليلِ قَبْلَ أن يُنَفِّذُوا مَا عَزَمُوا عليه في الصباحِ عُقوبةً لَهم. وكمَا أنَّ مَنْ أَخَلَّ بالإخلاصِ في العملِ يُعاقبُ ويُرَدُّ عليه عَمَلُه، فكذلكَ مَن أَخلَّ بالمُتابعةِ للرسولِ ﷺ فَعَمِلَ عَمَلاً لمْ يشرِّعْه الرسولُ فإنَّه يُعَاقَبُ بِرَدِّ عَمَلِهِ عليه وحرمانِه مِنَ الثوابِ، واستحقاقه للعقاب، لقولِه ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذَا مَا ليسَ منه فهو رَدٌّ»(٢)، أو «مَن عَملَ عَملاً ليسَ عليه أَمْرُنَا فهو رَدٌّ»(٣). فإنَّه يَدُلُّ على أنَّ كُلَّ بِدعةٍ أُحدِثتْ في الدينِ ليسَ لهَا دليلٌ مِنَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٣٨٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٢٦٩٧)، ومسلمٌ (١٧١٨).
(٣) رواه مسلمٌ (١٧١٨).

الكتابِ والسنّةِ فهي مَردودةٌ على صَاحِبِها، سَواء كانتْ مِنَ البدعِ القَوليةِ في الاعتقادِ كبدعةِ الخوارجِ والجهميةِ والمُعتزلةِ والأشَاعرةِ، وكبِدَعِ الأذكارِ الصُّوفيةِ، أو كانتْ مِنَ البِدَعِ العَمَليةِ كَالتعبدِ للهِ بمَا لم يشرِّعْه مِنَ العباداتِ المُحدثةِ كبدعةِ الاحتفالِ بالمولدِ النبويِّ وغيرِه مِنَ المُناسباتِ، وكبِدَعِ القَبُوريين التي يفعلُونَها عندَ القبورِ، ومنهَا مَا يَصِلُ إلى حَدِّ الشِّرْكِ الأكبرِ، ومنهَا ما هو وسيلةٌ إلى الشِّرْكِ.

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمَه اللهُ: والأعمالُ قِسمانِ: عباداتٌ، ومُعاملاتٌ.

فأمَّا العباداتُ فمَا كان منها خَارجاً عن حُكمِ اللهِ ورسولِه بالكُليّة فهو مَردودٌ على عَامِلِه، وعَامِلُه يدخلُ تحتَ قولِه تعَالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشّورى: ٢١].

فَمَنْ تقرَّبَ إلى اللهِ بِعَمَلٍ لمْ يجعلْه اللهُ ولا رسولُه قُربةً إلى اللهِ فَعَمَلُه باطلٌ مَردودٌ عَليه، وهو شَبيهٌ بِحَال الذينَ كانتْ صَلاتُهم عند البيتِ مُكاءً وتَصْدِيةً.

قَالَ: وأَمَّا المُعاملاتِ: كالعُقودِ والفُسوخِ ونَحْوِهِمَا، فمَا كانَ منها مُغيّراً الأوضاعَ الشرعيةَ كَجَعْلِ حَدِّ الزنَا عُقوبةً مَاليةً ومَا أَشْبَهَ ذلكَ فإنَّه مَردودٌ من أَصْلِه؛ لأنَّ هذَا غَيْرُ مَعْهُودٍ في حُكْمِ الإسلامِ، ويَدُلُّ علَى ذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ للذي سَأَلَهُ: «إن ابني كَانَ عَسيفاً على فُلانٍ ـ أي أجيراً عندَه ـ فزنَى بامرأتِه، فافتديتُ منه بمائةِ شَاةٍ وخادمٍ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ المائةُ الشَّاة والخادمُ رَدٌّ عليكَ. وعلى ابنكَ مائةُ جَلْدَةٍ وتَغريبُ عَامٍ»[1].

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٦٩٥) وغيره.

أيُّهَا المُسلمونَ: بادِرُوا بالأعمالِ ما دُمتُم في زمنِ الإمهالِ، فإنَّ الفُرَصَ لاتدُوم، وصَحِّحُوا أعمَالَكُم، وسَدِّدُوا مَقَالِكُم، بالاستقامةِ على الكتابِ والسنّة، أخلصُوها من الشِّركياتِ، ومن الرياءِ والسُّمعةِ والمَقاصدِ السيئةِ، وابنُوها على الاتباعِ، واحذرُوا مِنَ الابتداعِ، واعلمُوا أنَّ الناقدَ بصيرٌ، وأنَّ اللهَ بما تعملونَ خَبيرٌ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التّوبَة: ١٠٥].

بَارَكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، وعَدَ السَّائلينَ أنْ يُجيبَهُم، وَوَعَدَ العَامِلِينَ أنْ يُثيبَهم. وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لاشريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، كانَ أَسْرَعَ الناسِ إلى فِعْلِ الخيراتِ، وأَسْبَقهم إلى الطاعاتِ، صَلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه ذَوي المَنَاقِبِ والكراماتِ. وسَلّم تسليمَاً كَثيراً.. أمّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمَّد: ٣٣]. أي امْتَثِلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللهُ به ومَا أمَرَكُم به رسولُه مِن فِعْلِ الطاعاتِ وتَرْكِ المُحرماتِ، ولا تُبطلُوا حَسناتِكم بالمعَاصيَ، فهَذا نَهيٌ عن كُلِّ سَببٍ يُوصلُ إلى بُطلانِ الأعمالِ الصَّالحةِ، فإنَّ الإنسانَ قد يعملُ أعمَالاً صَالحةً تَتوفرُ فيها أسبابُ الصِّحةِ التي سَبَقَ بيانُها، لكنَّه يسلَّطُ عليها مَا يُبطِلُهَا من أقوالٍ وأعمالٍ سَيئةٍ، فالصدقةُ يُبطلُها المَنُّ والأذَى، قَالَ اللهُ تعَالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤]. والكلامُ المُحَرَّمُ قد يُبْطِلُ العملَ، فقد يتكلمُ الإنسانُ بكلمةٍ سَيئةٍ تُحبطُ عَمَلَه، كَمَا في الحديثِ الذي رواه مُسلمٌ عن النبي ﷺ «أنَّ رجُلًا قَالَ: واللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لفلانٍ. فَقَالَ اللهُ عزّ وجلّ مَن ذَا الذي يتَألَّى ـ أي يَحلفَ ـ عليَّ أنْ لاَ أغفرُ لفُلَانٍ إنِّي قد غَفرتُ له وأحبطتُ عَمَلَكَ»[1]. قَالَ أبو هُريرة رضي اللهُ عنه: تَكَلَّمَ بكلمةٍ أوبقَتْ دنيَاه وآخرتَه، وفي الصحيحينِ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ مَا يتبينُ فيها يَزِلُّ بِهَا في النارِ أبعدَ مِمَّا بينَ المَشرقِ والمَغربِ»[2].

والكلامُ المحرمُ يدخلُ فيه الشركُ والقولُ على اللهِ بِلاَ عِلمٍ، وشهادةُ الزورِ والسِّحْرُ والقذفُ والكذبُ والغِيبةُ والنميمةُ وكلُّها آفاتٌ خَطيرةٌ قد تهلكُ الحسناتِ، لأنَّ مَظالمَ العبادِ يُقتصُّ لهَا يومَ القيامةِ مِنْ أعمالِ الظالمِ.

عن أبي هُريرةَ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَن كانتْ عندَه مَظلمةٌ لأخِيه مِن عِرضِه أو مِن شيءٍ فليتحلَّلْه منه اليومَ قَبْلَ أنْ لاَ يكونَ دينارٌ ولا دِرهمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالحٌ أُخِذَ منه بقدْرِ مَظلمتِه، وإن لم يكنْ له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صَاحِبه فحملَ عليه». رواه البخاريُّ[3].

والحَسَدُ مِن أعظمِ الآفاتِ التي تَقضي على الأعمالِ الصالحةِ، فقد رَوى أبو داودَ عن أبي هُريرةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إياكُم والحسدُ، فإنَّ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٦٢١).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤٧٧، ٦٤٧٨)، ومسلمٌ (٢٩٨٨) وليس فيه لفظ الرجل وإنما «إنَّ العبد...».

(٣) رواه البخاريُّ (٢٤٤٩).

الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كمَا تأكلُ النارُ الحطبَ، أو قَالَ العُشْبَ»[1].

فحَافِظُوا أيّها المُسلمون على أعمالِكم مِمَّا يُفسدُها مِن الأفعالِ والأقوالِ السيئةِ أو يحولُ نفعَها إلى غيرِكم ويحرمُكم منها مِن أصحاب المظالم الذين تَتعدّونَ عليهم في أموالِهم ودمائِهم وأعراضِهم، فإنَّهم لابدَّ أنْ يقتصُّوا يومَ القيامةِ مِن حسناتِكم إذا لم تُؤدُّوا إليهم حُقوقَهم في الدنيا أو تَستحلُّوهم منها.

فحَافِظُوا على أعمَالِكم أكثرَ مِمَّا تُحافظُوا على أموالِكم مِن الضياعِ والسرقةِ، واتقُوا اللهَ في أنفسِكم وقدِّرُوا العَواقبَ وتفكرُوا في المَصِيرِ، واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ... إلخ.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣).

في الحث على الإحسان

الحمدُ لله ذي الفضلِ والامتنانِ، جَعَلَ الجزاءَ مِن جنسِ العملِ فَقَالَ: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠] وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩ ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه. بَعَثَه إلى جميعِ الإنسِ والجانِّ، فَبَلَّغَ الرسالةَ وجَاهَدَ في اللهِ حَقَّ جِهادِه بالمالِ والنَّفْسِ وبالحُجةِ والسِّنَانِ، ﷺ وعلَى آلِه وأصحابِه الذين آمَنُوا به وهاجَرُوا وجَاهَدُوا. والذينَ آوَوْا ونَصَرُوا، حتَّى ظَهَرَ دِينُ اللهِ على سَائِرِ الأديانِ، وسَلَّم تسليماً كَثيراً... أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى بامتثالِ أوامره واجتنابِ نواهيه، فإنَّ ذلكَ هو طَريق النجاةِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ سُبحانَه أَمَرَ بالإحسانِ في آياتٍ كثيرةٍ، وأَخْبَرَ أنَّه يُحِبُّ المُحسنينَ، وأنَّه مَعَ الذين اتَّقَوا والذينَ هُم مُحسنونَ، وأنه لايُضيعُ أَجْرَ المُحسنينَ ولايُضيع أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلاً.

وقَال تَعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠]. قَالَ ابنُ عباسٍ وغيرُه في معنى الآيةِ: هَلْ جَزاءُ مَن قَالَ لا إلَه إلاّ اللهُ وعَمِلَ بمَا جَاءَ به مُحمدٌ ﷺ إلا الجنَّة...

وقَالَ تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦ ﴾ [يُونس: ٢٦].

وقد ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ في صحيحِ مُسلمٍ تفسيرُ الزيادةِ المَذكورةِ في هذه الآيةِ الكريمةِ بأنَّها النظرُ إلى وجْهِ اللهِ الكريمِ في الجَنَّةِ.

قال ابنُ رجبٍ رحمَه اللهُ: وهذَا مُناسبٌ لجَعْلِه جزاءً لأَهْلِ الإحسانِ؛ لأنَّ الإحسانَ هو أنْ يَعبدَ المؤمنُ ربَّه في الدنيا على وجْهِ المُراقبةِ للهِ وحُضورِ القَلبِ كأنَّه يَرَاهُ ويَنْظُرُ إليه، فكانَ جَزاءُ ذلكَ النظر إلى وجْهِ اللهِ عياناً في الآخرةِ، وعَكْسُ هذَا مَا أَخْبَرَ اللهُ به عن الكفّارِ في الآخرةِ بقولِه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطفّفين: ١٥]. فإنَّ ذلكَ جَزاءٌ لحَالِهم في الدنيا لِمَا تَرَاكَمَ مِنَ الذنوبِ على قُلوبِهم فَحَجَبَهُم عن مَعرفةِ اللهِ ومُراقبتِه في الدنيا فكانَ جزاؤهم أنْ حُجِبُوا عن رؤيةِ اللهِ في الآخرةِ.

عبادَ اللهِ: والإحسانُ ضِدُّ الإساءة، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النَّجْم: ٣١].

وهو أنواعٌ كَثيرةٌ منها مَا يَكونُ في عِبادة العبدِ كمَا بيّنه الرسولُ ﷺ لَمَّا قَالَ له جبريل عليه السلامُ: أَخْبرني عن الإحسانِ: قال: «الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاه، فإنْ لمْ تَكُنْ تَرَاه فإنَّه يَرَاكَ»[١].

ومعنَاه أنْ يَعبدَ رَبَّه مُستحضِراً لقُربه منه واطلاعِه عليه وأنَّه بَيْنَ يديه كأنَّه يَرَاه، وذلكَ يُوجبُ الخَشيةَ والخوفَ والهَيبةَ والتعظيمَ، ويُوجبَ أيضاً إخلاصَ العبادةِ للهِ وتحسينِها وإكمَالِها ومَن بَلَغَ هذِه المَرتبةَ فقد بَلَغَ أعلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ.

ومِن أنواعِ الإحسانِ: الإحسانُ في العمل أنْ يكونَ مُوافقاً لِمَا شرعَه اللهُ على لِسَانِ رَسولِه ﷺ خالياً مِن البدعِ والمُخالفاتِ، قَالَ تعَالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقَرة: ١١٢] وقَالَ تعَالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٧).

بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

وإسْلاَمُ الوجهِ للهِ، وإلى اللهِ معنَاه إخلاصُ العملِ مِنَ الشركِ.

والإحسانُ للعملِ معناه مُتابعةُ السنَّةِ فيه ومُجانبةُ البدعةِ. وأيُّ عَملٍ لايتوفرُ فيه هذانَ الشرطانِ يكونُ هَباءً مَنثوراً ووبَالاً على صاحِبه.

ومن أنواعِ الإحسانِ: الإحسانُ إلى الخَلقِ مِن الآدميينَ والبهائمِ، بإغاثةِ المَلهوفِ وإطعامِ الجَائعِ والتصدّقِ على المحتاجِ وإعانةِ العَاجزِ، والتيسيرِ على المُعْسِرِ والإصلاحِ بين الناسِ، قَال اللهُ تعَالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البَقَرة: ١٩٥] وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] وقَالَ تعَالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النِّساء: ٣٦]. فَقَدْ أَمَرَ سُبحانَه بالأسحارِ إلى هذه الأصنافِ بإيصالِ الخيرِ إليهم ودَفْعِ الشَّرِّ عنهم، وقَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذّاريَات: ١٥-١٩] فبيّنَ اللهُ سُبحانَه سَببَ حُصولِهم على هذه الكَرَامَةِ العَظيمَةِ وأنَّ ذلكَ بمَا أسْلَفُوا مِنَ الإحسانِ في الدنيا مِنْ صَلاةِ الليلِ والاستغفارِ بالأسحارِ والتصدّقِ على المحتاجينَ، وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المُرسَلات: ٤١-٤٤]. والآيات في هذَا كثيرةٌ تُبيّنُ مَا للإحسانِ مِن عَاقبةٍ حَميدةٍ وثَوابٍ عَظيمٍ.

ومن أنواعِ الإحسانِ: الإحسانُ إلى البَهَائِم، عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه

عَنْ رسول اللهِ ﷺ قَالَ: «دَنَا رَجلٌ إلى بئرٍ فَنَزَلَ فَشَربَ منها، وعلى البئرِ كَلْبٌ يَلهثُ فَرَحِمَهُ فَنَزَعَ أَحَدَ خُفَّيه فَسَقَاهُ فَشَكَرَ اللهُ له ذلكَ فأدخله الجنة»، رواه ابنُ حبان في صحيحهِ، وعن عبد اللهِ بن عمر رضي اللهُ عنهما أن رَجُلاً جَاءَ إلى النبيِّ ﷺ فَقَال: إني أَنْزِعُ في حوضِي حتَّى إذا مَلأتُه لإبلِي وردَ عَليَّ البعيرِ لغيرِي فسَقيتُه فهَل في ذلك مِنْ أجرٍ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في كُلِّ كَبِدٍ أَجْرَاً». رواه أحمدُ ورواتُه ثِقاةٌ مُشهورُون، وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بينمَا رَجلٌ يمشِي بطريقٍ اشتدَّ عليه الحَرُّ فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فيها فَشَرِبَ. ثُمَّ خَرَجَ فإذا كَلْبٌ يَلهثُ يأكلُ الثَّرَى مِن العطشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لقدْ بَلَغَ هذَا الكلبَ مِنَ العطشِ مِثْلُ الذي كانَ مِنّي، فَنَزَلَ البئرَ فمَلأ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفيْه حتَّى رَقَى فَسَقَى الكلبَ فَشَكَرَ اللهُ له فَغفر له»، قَالُوا: يارسولَ اللهِ إنَّ لنَا في البهائمِ أجْراً فَقَالَ: «في كُلِّ كبدٍ رَطبةٍ أجرٌ» رواه مَالك والبخاريُّ ومُسلمٌ[١].

ففي هذِه الأحاديثِ فَضْلُ الإحسانِ إلى البهائمِ بِمَا يُبْقِي عليها حَياتَها ويَدفعُ عنهاالضَّرَرَ، سَواءً كانتْ مَمْلُوكَةً أو غيرَ مَمْلُوكَةٍ. مَأكولةً أو غيرَ مَأكولةٍ، وفي الحديثِ الذي رَواه مُسلمٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ على كُلِّ شَيءٍ فإذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذبْحَةَ، ولِيَحُدَّ أحدُكم شَفرتَه ولْيُرِحْ ذبيحتَه»[٢]. فيه فَضِيلةُ الإحسانِ إلى البهائمِ المَأكولةِ في حَالِ ذَبْحِهَا. وهذَا شيءٌ يَغْفُلُ عنه بعضُ الناسِ فيُسيئونَ إلى البهائمِ في كيفيةِ ذَبْحِهَا. والإحسانُ قَدْ أَمَرَ اللهُ به في مَواضع مِن كتابِه، ومنه ما هو واجبٌ ومنه ما هو مُستحبٌّ فهُو في كُلِّ شيءٍ بِحسبِه.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٣٦٣)، ومسلمٌ (٢٢٤٤).
(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

فالإحسانُ في مُعاملةِ الخَالِقِ بِفعْلِ الواجباتِ وتَرْكِ المُحَرَّماتِ واجبٌ، وفي فِعْلِ المُستحبّابِ وتَرْكِ المَكروهاتِ مُستحبٌّ. والإحسانُ في مُعاملةِ الخَلْقِ، منه مَا هُو واجبٌ، كالإحسانِ إلى الوالدينِ والأقاربِ بِالبِر والصِّلَةِ، ومنه ماهو مُستحبٌّ كصدقةِ التطوعِ وإعانةِ المحتاجِ، والإحسانِ في قَتْلِ مَا يَجوزُ قَتْلُه مِن الناسِ والدَّوابِّ بِإزهاقِ نفسِه على أسرعِ الوجُوه وأسهلِها من غيرِ زيادةٍ في التعذيبِ، وهكَذا مَطلوبٌ مِنَ المُسلمِ أنْ يكونَ مُحْسِناً في كُلِّ شيءٍ مِمَّا يأتي ومَا يَذَرُ، مُحسنٌ في عَمَلِه، مُحسنٌ في تَعامُلِه مَعَ اللهِ ومَعَ خَلْقِهِ، ومُحسنٌ في نيتِه وقَصْدِه. قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ [التّوبَة: ٩١]. فَهؤلاءِ الذينَ لا يَستطيعونَ القتالَ لعَجْزِهِم الجِسميِّ والمَاليِّ مَعَ سَلامةِ نِيَّاتِهم وحُسْنِ مَقَاصِدِهِم قد عَذَرَهُم الله لأنَّهم مُحسنونَ في نيَّاتِهم لم يَتركُوا الجِهَادَ لعَدَمِ رَغبتِهم فيه. وإنَّمَا تَركُوه لعَجزِهم عنه. ولو تَمَكَّنُوا منه لفعَلُوه، فهُم يشارِكُون المُجاهدينَ في الأجرِ لنيَّاتهم الصَّالحة وحُسْنِ قَصْدِهم. فقد رَوى الإمامُ أحمدُ وأبو داود وأَصلُه في الصحيحينِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لقد تركتُم بعدَكم قَوماً مَا سِرتُم مِن مَسيرٍ ولا أنفقتُم مِن نفقةٍ ولا قَطعتُم وادِياً إلا وهُم معَكم»[1]. وكمَا يكونُ الإحسانُ في الأعمالِ والنيَّاتِ يكونُ في الأقوالِ أيضاً ـ قَالَ تعَالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البَقَرَة: ٨٣]. أي قُولوا لهُم قَولاً حَسناً، بأنْ تُخاطِبُوهُم بالكلامِ الطَّيبِ الذي يَجْلِبُ المَودَّةَ ويرغِّبُ في الخيرِ ويُؤلِّفُ القلوبَ..

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٨).

وهذا يشملُ الصدقَ في الحديثِ والأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المُنكَرِ والدعوةَ إلى الخيرِ، وقد جَاءَ في الحديثِ: «والكلمةُ الطيبةُ صَدقةٌ» فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وكونُوا مِن أَهْلِ الإحسانِ لتنالُوا مِن اللهِ الأجرَ والرضوانَ. . .

أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العَنكبوت: ٦٩].

بَاركَ اللهُ ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، على فضلِه وإحسانِه، لانُحصي ثَناءً عليه، هو كمَا أثنَى على نفْسِه، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لاشريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه ﷺ وعلى آله وأصحابِه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى واعلمُوا أنَّ وجُوه الإحسانِ كَثيرةٌ، ينبغي للمُسلمِ أنْ يُسْهِمَ فيما يستطعُ منها، لاسِيما مَنْ مَنَّ اللهُ عليهم بوفرةِ المَالِ فإنَّ المجالاتِ الخيريةَ أمَامَهم واسعةٌ، مِن بناءِ المسَاجدِ، وتوفيرِ المياهِ للشربِ وطِباعةِ الكُتبِ الدينيةِ وتوزيعِ المصَاحفِ، ومُساعدةِ مَشاريعِ تعليمِ القُرآنِ الكريمِ، ومُساعدةِ المَراكزِ الإسلاميةِ في الخارجِ، وإعانةِ المُجاهدينَ في سَبيلِ اللهِ، ومُواساةِ المَنكوبينَ والمُشَرَّدِينَ مِنَ المُسلمينَ والمُصابينَ بالمجَاعةِ.

عن أنسِ بنِ مَالكِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **«سَبعٌ تجري للعبدِ بعدَ مَوتِه وهو في قبرِه، مَن علّمَ عِلماً، أو كَرى نَهراً، أو حَفرَ بِئراً، أو غَرَسَ نخلاً، أو بنَى مَسجداً، أو ورّثَ مصحفاً، أو تركَ ولداً يستغفرُ له بعدَ مَوتِه»** رواه

البزارُ وأبو نعيمٍ في «الحلية»[١].

ومعنى: كَرَى نَهراً: أي حَفَرَه.

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهُما: قَالَ أتَى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقَال: مَا عَمَلٌ إنْ علمتُ به دخلتُ الجنةَ؟ قَالَ: «أنتَ ببلدٍ يُجْلَبُ به المَاءَ»؟ قَالَ نعَم، قَالَ: «فَاشْتَرِ سِقَاءً جَديداً ثم اسْقِ فيها حتى تَخْرِقَهَا، فإنَّك لنْ تَخْرِقَهَا حتى تبلغَ بها الجنةَ» رواه الطبرانيُّ في الكبيرِ.

وفي الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه عنِ النبيِّ قَالَ: «مَا مِنْ مُسلم يَغرسُ غَرساً أو يزرعُ زَرعاً فيأكلُ منه إنسانٌ أو طيرٌ أو دابةٌ إلا كانَ له صَدَقَةٌ»[٢] وفي صحيحِ مُسلمٍ عن جابرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَال: «مَا مِنْ مُسلمٍ يغرسُ غَرساً إلا كان ما أُكِلَ منه له صدقةٌ، وما سُرِقَ منه له صَدقةٌ وما أَكَلَ السَّبُعُ منه فهو له صَدقةٌ، ولاينقصُه أَحدٌ إلاَّ كانَ له صدَقةٌ» وفي روايةٍ له أيضاً: «فلا يَأكلُ منه إنسانٌ ولا دابةٌ ولا طَائرٌ إلاَّ كَانَ له صَدقةً إلى يومِ القيامَةِ» وظَاهرُ هذه الأحاديثِ يَدُلُّ على أنَّ هذِه الأشياءَ تكونُ صَدقةً يُثابُ عليها الزارعُ والغارسُ ونحوهما إذا نَوى واحتسبَ الأجرَ عندَ اللهِ سبحانه. ولكنَّ المُؤسفَ أنَّ كَثيراً مِنَ الأثرياءِ يحبسونَ أمَوالَهم عن الإسهامِ في الخيرِ ويحرمُون أنفسَهم مِنَ الثوابِ، وهُم قَادِرُون على ذلك فيكونُون مِمَّن جَمَعَ فأوعَى. فيا حسرةَ مَن كانَ جَمَّاعاً للمالِ مَنَّاعاً للخيرِ، لايُقَدِّمُ لنفسِه ما يجدُه عند اللهِ خَيراً وأعظمَ أجْراً، يَتْعَبُ في جَمْعِ المَالِ وحِفْظِهِ ويتركُه لغيرِه ولايُقدِّم منه لنفْسِه. فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وقدِّمُوا لأنفسِكم واتقُوا اللهَ واعلمُوا أنكم مُلاقُوه وبشِّرِ المُؤمنينَ واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

---

(١) حديثٌ حسنٌ. انظره في «صحيح الجامع» (٣٦٠٢).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٣٢٠)، ومسلمٌ (١٥٥٢).

في صَلاحِ القَلبِ وفسَادِهِ

الحمدُ لله ربِّ العَالِمينَ، خَلَقَ الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ، وفضّلَه على كثيرٍ مِمّن خَلَقَ بالإنعامِ والتكريمِ، فإنِ استقَامَ على طَاعةِ اللهِ استمرَّ له هذا التفضيلُ في جناتِ النعيمِ، وإلاَّ رُدَّ في الهوانِ والعذابِ الأليمِ. وأشهدُ أن لا إلّه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وهوالخلاّقُ العَليمُ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه شهَدَ له ربُّه بقولِه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلَم: ٤]. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه الذين سَارُوا على النهجِ القويمِ، والصراطِ المُستقيمِ، وسَلّم تسليمَاً كَثيراً.

أمّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تَعالى واعلمُوا أنَّ الله سُبحانَه لا ينظرُ إلى صورِكم، وإنَّمَا يَنظرُ إلى قلوبِكم وأعمَالِكم، فالقلبُ هو مَحِلُّ نَظَرِ اللهِ مِنَ العَبْدِ.

وهو الذي إذا صلحَ صلحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَ فَسَدَ الجسدُ كُلُّه. كمَا أخبَرَ بذلكَ النبيُّ ﷺ، وهو مَحِلُّ مَعرفةِ اللهِ ومَحبتِه وخَشيتِه وخَوفِه ورجَائِه، ومَحلُّ النِّيةِ التي بها تَصْلُحُ الأعمالُ وتُقْبَلُ، أو تُردُّ وتبطلُ. قَالَ ﷺ: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنيّاتِ، وإنَّمَا لِكُلِّ امريءٍ مَا نَوىٰ**»[1].

قال الإمامُ ابنُ القيّمِ رحمَه اللهُ: فَأَشْرَفُ مَا في الإنسانِ قَلبُه، فهُو العالِم باللهِ السّاعِي إليه والمُحِبُّ لَه، وهو مَحِلُّ الإيمانِ والعِرفانِ، وهو المُخَاطَبُ المبعوثُ إليه الرسلُ، المخصوصُ بأشرفِ العَطايا مِنَ الإيمانِ والعقلِ، وإنَّمَا

---

(١) رواه البخاريُّ (١ وغيره) ومسلمٌ (١٩٠٧) وغيرهما.

الجَوارحُ أتْبَاعٌ للقلبِ يستخدمُهَا استخدامَ المُلوكِ للعبيدِ والرَّاعِي للرعيةِ، فسُبحانَ مُقلِّبِ القلوب، ومُودِعَهَا مَا يشَاءُ مِنْ أَسرارِ الغُيوبِ، الذي يَحُولُ بينَ المَرْءِ وقَلبِه، ويعلمُ مَا ينطَوي عليه مِن طَاعتِه ودِينهِ، مُصرِّف القلوبِ كيف يشاءُ، أوحى إلى قلوبِ الأولياءِ أن أقْبِلِي إليّ فبادَرتْ وقامَتْ بينَ يديّ رَبِّ العالَمِين، وكَرِهَ عزّ وجلّ انبعاثَ آخرينَ فثَبَّطَهُم وقِيل اقعدُوا مَعَ القَاعِدِينَ.

كانَت أكثرُ يمينِ رَسولِ اللهِ ﷺ: «لا ومُقلّبِ القُلوبِ»[1]. وكانَ من دعائِه «اللّهمَّ يَا مُقلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قُلوبَنَا على طَاعَتِك». إلى أنْ قَالَ الإمامُ ابنُ القيمِ رحِمَه الله: وإذَا تأملتَ حَالَ القلبِ مع المَلَكِ والشيطانِ رأيتَ العجبَ العُجَابَ، فهَذا يَلُمُّ به مَرةً وهذا يَلُمُّ به مَرةً، فإذا أَلَمَّ به المَلَكُ حَدَثَ مِن لمتِه الانفساحُ والانشراحُ والنورُ والرحمةُ والإخلاصُ والإنابةُ ومَحبةُ اللهِ وإيثارُه على مَا سِواه وقَصْرُ الأَمَلِ والتجَافي عَن دَارِ الغُرورِ، فلو دَامَتْ له تلكَ الحَالُ لكانَ في أَهْنَأ عَيشٍ وألذِّه وأطيَبِه، لكنْ تَأتِيه لمّةُ الشيطانِ فتُحدثُ له مِنَ الضيقِ والظلمةِ والهَمِّ والغَمِّ والخَوفِ والسَّخَطِ على المَقدورِ والشَّكِّ في الحَقِّ والحِرْصِ على الدنيا وعَاجِلِهَا والغفلةِ عن اللهِ مَا هُو مِن أعظمِ عَذابِ القلبِ . . .

عِبادَ اللهِ: إنَّ القلوبَ تَقْسُو فتكُون كالحِجَارةِ أو أشدّ قَسوةٍ فتبعُد عن اللهِ وعن رحمتِه وعن طَاعتِه. وأبعدُ القلوبِ مِنَ اللهِ القلبُ القاَسِي الذي لا ينتفعُ بتذكيرٍ، ولايَلينُ لموعظةٍ، ولا يفقَه مَقَالَةً. فيصبحُ صَاحِبُه يَحْمِلُ في صَدرِه حَجَراً صَلْدَاً لا فائدةَ مِنه ولاَ يَصْدُرُ منه إلاَّ الشرُّ، ومِنَ القُلوبِ مَا يَلينُ ويَخْشَعُ ويَخْضَعُ لخالِقه ويفقَهُ ويقربُ مِنَ اللهِ ومِن رحمتِه وطَاعتِه فيحملُ صَاحبُه قَلباً

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦١٧).

طَيباً رَحيماً يَصْدُرُ منه الخيرُ دائماً. ولقسوةِ القُلوبِ أو لِينِهَا أسبابٌ يَتَعاطَاهَا العبدُ، فمِنْ أعظمِ أسبابِ تَليينِ القُلوبِ قِراءةُ القُرآنِ واستماعُه، قَالَ تَعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧]. وقَالَ تعَالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤٥].

وقَالَ تعَالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

وقَالَ تعَالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحَديد: ١٦].

ففي هذه الآياتِ الكريمةِ أنَّ القرآنَ العظيمَ مَا يُلينُ القلوبَ لِمَنْ أَقْبَلَ على تِلاوتِه واستماعِه بتدبرٍ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحَشر: ١٢]. وأنَّه يَجبُ على المُسلمينَ الإقبالُ على كتابِ رَبِّهم تِلاوةً وتَدَبُّراً وعَمَلاً حتَّى تَحصلُ لهُم الهدايةُ وحياةُ القلوبِ ولا يتشبهُوا بأهلِ الكتابِ الذين حُمِّلُوا التوراةَ والإنجيلَ فَأعرضُوا عنهُمَا فقَسَتْ قُلوبُهم بسببِ ذَلكَ، فلا يقبلونَ مَوعظةً ولاَ تَلينُ قلوبُهم بوعْدٍ ولا وعِيدٍ، ومِنْ أعظمِ مَا يُلينُ القُلوبَ تذكّرُ الموتِ وزوالُ الدنيا والانتقالُ إلى دارِ الآخرةِ، ومِنْ أعظمِ مَا يُقسي القلوبَ الغفلةُ عن الآخرةِ ونسيانُ الموتِ والانشغالُ بالدنيا.

قَالَ تعَالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «زُوروا القبورَ فإنَّهَا تُذَكِّرُ الآخرةَ» وقَالَ عليه الصلاةُ

والسلامُ: «أكْثِرُوا مِن ذِكْرِ هَادِمِ اللذَّاتِ الموتِ» وقَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يُونس: ٧، ٨].

ومن أعظم مَا يُلينُ القلوبَ الاعتبارُ بمَا جَرى ويجري للأُممِ الكافرةِ، مِنَ الهلاكِ والدمارِ، ومِنْ أعظم ما يُقسِيها الغفلةُ عن ذلكَ قَال تعَالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحجّ: ٤٥: ٤٦] ومِمَّا يُلينُ القُلوبَ الإكثارُ مِن ذِكرِ اللهِ عزّ وجلّ، ومِن أعظمِ مَا يقسّيهَا الغفلةُ عن ذِكرِ اللهِ.

قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفَال: ٢]. وقَالَ تعَالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرّعد: ٢٨]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعرَاف: ٢٠٥]. ومِن أعظمِ مَا يُلينُ القُلوبَ قَبولُ أوامر اللهِ والعملُ بِهَا واجتنابُ نَواهِيه، ومِن أَعظمِ مَا يُقسيهَا الإعراضُ عن أوامِر اللهِ ونواهِيه، قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

﴿لَا يَفْقَهُونَ ۝﴾ [التوبة: ١٢٤ـ١٢٧].

فَقَبولُ الحقِّ والعملُ به سَببٌ لهدايةِ القلبِ وإيمانِه، وردُّ الحقِّ وتركُ العملِ به سَببٌ لزيغِ القلبِ وطُغيانِه.

قَالَ تعَالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقَالَ تعَالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝﴾ [الصَّف: ٥].

ومِن أسبابِ لِينِ القُلوبِ واتعاظِها، التفكّرُ والنظرُ في أحوالِ المَرضى والفقراءِ والمُبتلينَ، ومِن أسبابِ قَسوتِها الاغترارُ بالصحةِ والقوةِ والغنىٰ والثروةِ، وقَالَ النبيُّ ﷺ: «انظرُوا إلى مَن هو دُونكُم ولا تنظرُوا إلى مَن هو فوقَكم فإنَّه أجْدَرُ أنْ لا تزدرُوا نِعمةَ اللهِ عليكُم»(١). وقَالَ تعَالى عن عادٍ الذين غرّتهُم قوةُ أجسامِهم وكثرةُ أموالِهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝﴾ [فُصّلَت: ١٥، ١٦].

فلو زَارَ الإنسانُ المُستشفى ورَأى أحوالَ المَرضى ومَا يُقاسُونه مِن الآلامِ، ولو نَظَرَ إلى الفقراءِ والأيتامِ. ومَا هُم فيه من الحاجةِ والمَجَاعَةِ لعرَفَ قَدْرَ نِعمةِ اللهِ عليه ولاَنَ قلبُه. لكن حينَما يَصْرِفُ النظرَ عن ذلكَ وينظرُ إلى أهلِ الترفِ والغِنا ومَا بأيدِيهم مِن زهرةِ الحياةِ الدنيا فإنَّه يقسُو قلبُه ويتعاظُم في نفسِه، وقد

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٥١٥) وهو عند مسلمٍ وابنِ ماجة.

أمرَ اللهُ نبيّه ﷺ أنْ يُجالسَ فقراء المُسلمينَ والمُستضعفينَ مِن المؤمنينَ، وأنْ لا يتجاوزهُم إلى أصحابِ الثراءِ والغفلةِ، قَالَ تعَالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وخذُوا بالأسبابِ التي تَحْيَا بها قلوبُكم وتَلينُ، وتجنبُوا الأسبابَ التي بها تقسو وتموتُ، فإنَّ ذلكَ هو مناطُ سَعادتِكم أو شقائِكم.

بَاركَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ. .

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ مُقلِّبِ القلوبِ وعلاّمِ الغُيوبِ وقابلِ التوبةِ مِمّن يتوبُ، شديدِ العقابِ عند قَسوةِ القلوبِ. وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لاشريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه كان يُكثرُ مِن قَوْلِ: «يا مُقلّبَ القُلوبِ ثبّتْ قُلوبنَا على طاعتِك»[1]، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى بامتثالِ أمرِه واجتنابِ مَا نهَاكُم عنه وتعظيمِ شعائرِه. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحَجّ: ٣٢]. واعلمُوا أنه في زمانِنا هَذا قَد كَثُرَت الأسبابُ التي تقسُو بها القلوبُ فاحذرُوها ومِن ذلكَ الانشغالُ بالدنيا والانخداعُ بمظاهِرِها والتفكّهِ بملذاتِها.

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢١٤١).

ومِن ذلكَ قِلّةَ ارتيادِ المَساجدِ والجلوسِ فيها وصرفِ أكثرِ الوقتِ في طَلب الدنيا والتمتّعِ بِها.

ومِن ذلكَ الانشغالُ برؤيَةِ المَناظِر المُلهيةِ أو المُحَرَّمَةِ التي تُعْرِضُ على شَاشةِ التلفازِ أو الفيديو مِن الصورِ الفَاتِنَة ومِن الأفلامِ والمُسلسلاتِ، أو الصورِ التي في الصحفِ والمجلاتِ، ومِن ذلكَ استماعُ المَلاهي مِن المُوسيقى والمَعازفِ والأغاني التي كَثُرَ ترويجُها والدعايةُ لها بينَ المُسلمينَ، وهي أصواتٌ مُحرّمةٌ، تُنبتُ النفاقَ في القلبِ، وتزرعُ الشهوةَ في النفسِ وتمنعُ مِن سماعِ القرآنِ، لأنَّه لا يجتمعُ الاستماعُ لقرآنِ الشيطانِ وقرآنِ الرحمنِ، ومِمَّا يُقسي القلبَ مُتابعةُ الألعابِ الرياضيةِ وتشجيعُها ومُشاهدتُها والانشغالُ بها في غالبِ الوقتِ مِمَّا أصبحَ اليومَ هو الشغلُ الشاغلُ لكثيرٍ من شبابِ المسلمينَ ومَن افتتنَ بهذَا العبثِ الذي لا فائدةَ مِن ورَائِه.

ومِمَّا يُقسي القلبَ كَثرةُ المِزاحِ والضحكِ والمَرحِ والهزلِ، فيجبُ على المسلمِ أنْ يتنبّه لهذِه الأمورِ. . .

ومِن الأمورِ التي تُقسي القلبَ المآكلُ والمشاربُ المحرّمةُ، لأنَّ تغذيتُها خَبيثةٌ وآثارُها سيئةٌ، تُؤثرُ على الأخلاقِ والسلوكِ، وتكسلُ عن الطاعةِ وتنشطُ على المعصيةِ، وهذَا ظَاهِرٌ على أخلاقِ الذين يأكلونَ الرِّبَا والرِّشْوَة ويشربُون المُسكِراتِ والمخدراتِ، فإنَّ آثارَ هذِه الخبائثِ تَظهرُ على أبدانِهم وأخلاقِهم وتصرفاتِهم، والمعاَصي عُموماً تُقسي القلبَ وتُعمِيه وتَحْجُبُ عنه نُورَ الإيمانِ والهدايةِ، قَالَ تعَالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وفي المُسْنَدِ وجامِع الترمذيِّ عن أبي هُريرة قَالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ إذَا أذنبَ نكتتْ في قلبِه نُكتةٌ سوداءٌ، فإذا تابَ ونَزَعَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُه،

وإن زاد زادتْ حتى تعلُو قلبَه، فذلكَ الرَّانُ الذي ذَكَرَهُ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطفّفين: ١٤] . قَالَ الترمذيُّ: هذَا حديثٌ صَحيحٌ[١].

ومِنَ الأمُورِ التي تُقسي القلبَ مُصاحبةُ الأشرارِ والعُصاةِ ومُخالطتُهم فإنَّ المَرءَ يأخذُ مِن جليسِه، وعَن المَرءِ لاتسل وسَلْ عن قرينِه، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحَشر: ١٩]. وقد شَبّه النبيُّ ﷺ جَليسَ السُّوءِ بنافخِ الكِيرِ لابدَّ أن ينال مُجالِسُه منه مِنَ الضَّرَرِ مَا ينالُه.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه الترمذيُّ (١٣٣١) بلفظ «إن العبد...».

في النهي عَن بدعةِ الاحتفالِ بِمُناسبةِ ذِكرِ المَولِدِ النبويِّ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، أَمَرَنَا باتباعِ كِتابِه فقَالَ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعرَاف: ٣]. أَحمدُه وأَشكرُه، وأستعينُه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لاَ شَريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه أَمَرَنَا بالتمسكِ بسُنَّتِهِ، وسُنَّةِ خُلفائِه، ونهَانا عن مُحدَثاتِ الأمُورِ، وأخبرَنا أنها بدعةٌ وضَلالةٌ، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وكلّ مِن تمسَّكَ بسُنتِهِ إلى يومِ الدِّين وسلَّم تسليمَاً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واعتصمُوا بحبلِ اللهِ جَميعاً ولاتفرقُوا، وأحبّوا اللهَ مِن كُلِّ قُلوبِكم فإنَّ مَحبّةَ اللهِ تعَالى هي أصلُ الدِّينِ وأساسُ العِبادةِ، وعلامةُ الإيمانِ الصادقِ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقَرَة: ١٦٥].

ومَحبةُ اللهِ مَع الذلّ والخضوعِ له هُمَا القطبانِ اللذانِ يدُور عليهمَا فَلَكُ العِبادةِ. وذلكَ لأنَّ النفوسَ جُبِلَتْ على حُبِّ مَن أَحْسَنَ إليها، ولاشك أنَّ المُحسنَ المُطْلَقَ الذي مَا بالعبادِ نِعمةٌ إلاَّ وهِي مِنه هو اللهُ سُبحانُه وتعَالى، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النّحل: ٥٣]. فلا يَجلبُ النعمَ ولا يدفعُ النقمَ إلا هو وحدَه لا شريكَ له ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يُونس: ١٠٧].

ومَحبةُ اللهِ تعَالى لهَا علاماتٌ أعظمُها اتباعُ رسولِه ﷺ وطاعتُه. كمَا قَالَ

تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]. ومِن عَلاماتِ مَحبةِ اللهِ: الرحمةُ بالمؤمنينَ والغِلظةُ على الكافرينَ، والجهادُ لأعداءِ الدينِ. مَعَ عَدَمِ المُبالاةِ بلَوم اللائمينَ. قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المَائدة: ٥٤]. ومِنْ عَلاماتِ مَحبةِ اللهِ تعَالى مَحبةُ مَا يُحبّه اللهُ تعَالى وبُغضُ مَا يبغضُه اللهُ، والله تعَالى يُحِبُّ المُحسنينَ والمُتقينَ والمُتطهرينَ، ويُبغضُ الكافرينَ والمُنافقينَ، فيجبُ على المؤمنِ مَحبةُ مَن يحبّهُم اللهُ وبُغْضُ مَن يبغضُهم اللهُ.

واللهُ تعَالى يُحِبُّ الطاعةَ والأعمالَ الصالحةَ، ويكرهُ الكُفرَ والفُسوقَ والعِصْيَانَ، فيجبُ على المؤمنِ أن يُحبَّ ما يحبّه اللهُ ويكرهُ ما يكرهُه اللهُ مِن تلكَ الأعمالِ.

ومن علاماتِ مَحبةِ اللهِ تعالى تقديمُ مَا يُحبّه اللهُ على مَا تحبُه النفسُ إذا كانَ مَا تحبّه النفسُ مُعارضاً لمَا يحبّه اللهُ تعَالى، كمَا قَالَ الله تعَالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فتوعّدَ سُبحانَه مَنْ قَدّمَ مَا تحبُه نفسُه مِن هذِه الأمورِ الثمانيةِ على مَا يُحبه اللهُ مِن الهجرةِ والجِهادِ وَوَصفَهُ الفسقِ، وذلكَ يَقتضي وجوبَ تقديمِ مَا يُحبُّه اللهُ على ما تُحبُّه النفسُ إذا تعَارضَ المَحبوبانِ، وبعدَ مَحبةِ اللهِ تعَالى تجبُ مَحبةُ الرسولِ ﷺ أكثَر مِن محبةِ النفسِ والمَالِ والولدِ، قَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «لايؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِه ووالده والناسِ

أجمعين»[١] ومِن علاماتِ مَحبةِ الرسولِ ﷺ مَحبةُ سُنّتهِ والتمسكُ بها وتقديمُهما على قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الناسِ، وعلى كُلِّ مَذهبٍ، قَالَ تعَالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: ٨٠]. وقَالَ تعَالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النُّور: ٦٣].

ومِنْ عَلاماتِ مَحبةِ الرسولِ ﷺ تَرْكُ مَا نَهى عنه مِنَ البِدَعِ والخرافاتِ والمُخالفاتِ، كمَا قَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «وإياكم ومُحدِثَاتِ الأمورِ فإنَّ كُلَّ مُحدِثةٍ بِدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ»[٢] وقَالَ: «مَن أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ» أي مَردودٌ عليه[٣].

ومِنَ البِدعِ المُخالفةِ للسنّةِ ما يفعلُه بعضُ مَن يدَّعُون مَحبةَ الرسولِ ﷺ في ربيعِ الأولِ مِن الاحتفالاتِ بمُناسبة مَولِده ورُبَّمَا يُسمّونَ ذلكَ الاحتفالَ عيدَ المَولِدِ تقلِيداً للنَّصَارَى في احتفالِهم بمَولِدِ المَسيحِ عليه السلامُ، مَعَ أنه نهَانا عن ذلكَ، فَقَال: «لا تَطرُوني كمَا أَطْرَتِ النَّصَارى ابنَ مَريم» ونهَانا عن التشبّهِ بهم فقَال: «مَن تشبّه بقومٍ فهُو مِنهم». وإنمَا كَرَّرْنَا الخَطابةَ في هذَا المَوضوعِ، لأنَّ المُبتدعةَ كرَّرُوا الدفاعَ عن إقامةِ المَولِدِ. ورَوجُوا الشُّبهَ لتبريرِه. فكرَّرْنَا التحذيرَ مِنه.

فهذا الاحتفالُ الذي أَحدثُوه بمناسبةِ مَولد الرسولِ مَمنوعٌ ومَردودٌ مِن عِدَّةِ وجُوهٍ:

---

(١) رواه البخاريُّ (١٥)، ومسلمٌ (٤٤).
(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧).
(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

أولاً: أنه لم يكُنْ من سُنّة الرسولِ ﷺ ولا مِن سُنّة خُلفائِه. ومَا كان كذلكَ فهُو من البِدعِ المَمنوعةِ لقولِه ﷺ: «عليكُم بسنّتي وسُنّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المَهديينَ من بعدي تمسكُوا بها وعَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكُم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ محدِثةٍ بِدعةٌ. وكُلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ»(١).

والاحتفالُ بالمَولدِ مُحْدَثٌ أَحْدَثَهُ الشِّيعةُ الفَاطميونَ بعدَ القرونِ المُفَضَّلَةِ لإفسادِ دِينِ المُسلمينَ. ومِن فَعلَ شيئاً يَتقربُ به إلى اللهِ لمْ يفعلْه الرسولُ ولمْ يأمرْ به ولمْ يفعلْه خلفاؤه مِن بعدِه فقد اتَّهَمَ الرسولَ بأنه لم يُبيّنْ للناسِ دِينَهم. وهو مَكذبٌ لقولِه تعَالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣]. لأنّه جَاء بزيادةٍ يَزعُم أنَّهَا مِنَ الدِّينِ ولمْ يأتِ بها الرسولُ ﷺ.

ثانياً: في الاحتفالِ بذكرَى المَولدِ تشبّه بالنصارَى، لأنَّهُم يحتفلونَ بذِكرى مَولدِ المَسيحِ عليه السلامُ. والتشبّهُ بِهم مُحَرَّمٌ أشدُّ التحريمِ ففي الحديثِ النهي عن التشبّهِ بالكفّارِ، والأمرُ بمخالفتِهم فقد قَالَ ﷺ: «مَن تشبّه بقومٍ فهو مِنهم»(٢)، وقَالَ: «خالفُوا المُشركينَ»(٣) ولاسِيما فيمَا هو مِن شَعائرِ دِينِهِم.

ثَالثاً: أنَّ الاحتفالَ بذِكرى مَولِد الرسولِ مَعَ كونِه بِدعَةً وتشبهاً بالنَّصارَى. وكلٌّ مِنهُما مُحرمٌ فهو كذلكَ وسيلةٌ إلى الغُلوِّ والمُبالغةِ في تعظيمِه حتى يُفضِي إلى دُعائِه والاستغاثةِ به مِن دُونِ اللهِ كمَا هو الواقعُ الآنَ مِن كثيرٍ مِمّن يُحيونَ بِدعةَ المَولدِ من دعاءِ الرسولِ مِن دُونِ اللهِ وَطلَبِ المَددِ منه وإنشادِ القصائدِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٦٧٨)، وقال: «حَسَنٌ صحيحٌ».
(٢) رواه أبو داود (٤٠٣١).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٨٩٢)، ومسلمٌ (٢٥٩).

الشركيةِ في مَدْحِه كقصيدَةِ البُرْدَةِ وغيرِها، وقد نَهى ﷺ عن الغُلوِّ في مَدْحِه فقَال: «لا تَطروني كمَا أطرتِ النَّصارَى ابنَ مَريم إنمَا أنا عَبْدٌ. فقُولُوا عَبْدَ اللهِ ورسولَه»[١] أي لاتغلُوا في مَدْحِي وتَعظيمي كمَا غَلَتِ النَّصارى في مَدْحِ المَسيحِ وتعظيمِه حتى عَبَدُوه مِن دَونِ اللهِ. وقد نهَاهُمُ اللهُ عن ذلكَ بقولِه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النِّساء: ١٧١].

ونهانا نبيّنا ﷺ عن الغُلُوِّ خَشيةَ أن يُصِيبَنَا مَا أصابَهُم فقَال: «إياكمُ والغلوّ فإنمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُم الغلوُّ».

رابعاً: إنَّ إحياءَ بِدعةِ المَولدِ يفتحُ البابَ للبِدعَ الأُخرى والاشتغالِ بها عن السُّنَنِ؛ ولهَذا تَجدُ المُبتدعةَ يَنشطُون في إحياءِ البِدَعِ ويَكْسَلُونَ عن السُّنَنِ ويبغضُونَها ويُعادُون أَهْلَهَا، حتَّى صَارَ دِينُهم كُلُّه ذكرياتٍ بِدعيةً ومَوالدَ، وانقسمُوا إلى فِرقٍ كُلُّ فِرقةٍ تُحيي ذِكرى مَوالد أئمتِها، كمَولِد البدويِّ وابنِ عَربيِّ والدُّسوقيِّ والشَاذليِّ وهَكَذا لايَفرغُون مِن مَولِدٍ إلا وينشغلُوا بآخَر، ونَتَجَ عن ذلكَ الغلو بهؤلاءِ المَوتَى وبغيرِهم ودعائِهم مِن دُونِ اللهِ واعتقادِ أنهم ينفعُون ويضرّونَ حتَّى انسلَخُوا مِن دِينِ الإسلامِ وعَادُوا إلى دِينِ الجَاهليةِ الذين قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨]. وقَالَ تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمر: ٣].

وهَكَذا يا عبادَ اللهِ رأينَا ثَمراتِ البدعِ ومَا تَجرُّ إليه فاتقُوا اللهَ وتمسكُوا بدِينِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٨٣٠) والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وأحمدُ (١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥).

اللهِ واحذرُوا البِدعَ والخرافاتِ. أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بَاركَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، أَكْمَلَ لنا الدِّينَ، وأتمّ علينَا النِّعْمَةَ ورضِي لنَا الإسلامَ دِيناً، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه الذين تمسكُوا بسنّته وابتعدُوا عن مُخَالفتِه، وسَلّم تَسليماً.

أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تَعَالى واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ. وخيرَ الهديِ هَدي مُحمدٍ ﷺ وشرّ الأمورِ مُحدثاتُها. وكُلَّ مُحدثةٍ بدعةٍ. وكُلَّ بِدعةٍ ضلالةٍ.

ومِنَ البدعِ المُحدَثَةِ المُنكَرَةِ مَا نَحْنُ بصددِ الحديثِ عنه، وهو بدعةُ إحياءِ ذِكرى المَولد النبويِّ، وقد سَبَقَ أنْ بيّنّا بعضَ الأدلةِ على بُطلانِ هذه البدعةِ. والآنُ نتعرَّضُ لِرَد شُبهاتِ الذينَ يَرونَ جَوازَ عَمَلِ هذِه البدعةِ، فمِنْ شُبَهِهِم أنَّهُم يقولُون: إنَّ إحياءَ هذِه الذِّكرَى يَدُلُّ على مَحبةِ النبيِّ ﷺ فنقولُ لَهُم: هل أنتمُ تُحبونَ النبيَّ ﷺ أشدَّ من مَحبةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وسَائرِ الصحابةِ رضي الله عنهم؟، فلمَاذا لم يعملْ خُلفاؤه وصحابتُه احتفالاً بذكرى مَولده بعد موتِه مع شدة مَحبتِهم له؟ وقد قَالَ النبيُّ ﷺ: «لَو كُنْتُ مُتخذاً مِن أهلِ الأرضِ

خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خَليلاً»[١] وقَالَ عُمرُ للنبيِّ ﷺ: «لأنتَ أَحبَّ إليّ من كُلِّ شيءٍ حتى مِن نفسِي»[٢] إنَّهم لم يتركُوا هذا العملَ إلاَّ لأنَّه غيرُ جَائزٍ ولأنَّ الرسولَ ﷺ لم يَشرّعْه لهم بلْ نهَاهُم عنه بقولِه: «لا تَطرونِي كمَا أَطْرَتِ النَّصَارى ابنَ مَريم»[٣]، والنَّصَارى مِن حَولِهم يعملُون عيدَ مَولد المَسيحِ، فَامْتَثِلُوا أَمْرَ الرسولِ بمخالفتِهم في ذلكَ وفي غيرِه، ومِنْ شُبَهِهِم: أَنَّهم يقولونَ أنَ إحياءَ ذِكْرى المَولِد فيه تذكيرٌ بالرسولِ ﷺ ورَبْطٌ للناسِ بِه. وفيه إظهارٌ لمَكانتِه وشَرَفِهِ.

ونقُولُ لهُم: إنَّ ذِكرى الرسولِ ﷺ تَتجددُ مع المُسلمِ ويرتبطُ به المُسلم كلمَا ذُكرَ اسْمُه ﷺ في الأذانِ والإقامةِ والخُطَبِ، وكُلَّمَا رَدَّدَ المُسلمُ الشهادتينِ بعدَ الوضوءِ وفي الصلواتِ، وكُلَّمَا صَلَّى على النبيِّ ﷺ في صَلواتِه وعند ذِكْرِه، وكُلَّمَا عَملَ المُسلمُ عَملاً صَالِحَاً واجِباً أو مُستحباً مِمَّا شرّعَه الرسولُ ﷺ فإنَّه بذلكَ يَتذكرُه ويَصِلُ إليه مِنَ الأجرِ مِثل أجرِ العاملِ، وهكَذا المسلمُ دَائمَاً يُحيي ذِكْرَى الرسولِ ويرتبطُ به في الليلِ والنهارِ طُوالَ عُمرِه بمَا شَرعهُ اللهُ، لا في يومِ مَولدِه فقط وبِمَا هُو بدعةٌ ومُخالفةٌ لسُنّتِه، فإنَّ ذلكَ يُبعدُ عنِ الرسولِ ﷺ ويتبرأُ منه. والرسولُ ﷺ غَني عن هذَا الاحتفالِ البدعي بما شَرعه اللهُ له مِن تَعظيمِه وتوقيرِه كمَا في قولِه تعَالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشّرح: ٤]. فَلاَ يُذْكَرُ اللهُ عزّ وجلّ في أذانٍ ولاَ إقامةٍ ولا خُطبةٍ إلا ويُذكرُ بعدَه الرسولُ ﷺ وكَفَى بذلكَ تَعظيمَاً ومَحبةً وتَجديداً لذِكرَاه وحَثّاً على اتباعِه. .

---

(١) رواه البخاريّ (٣٦٥٦ وغيره).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه البخاري ٦٨٣٠.

ومِن شُبهِهم: أنَّهم يقولُون: إنَّ في إحياءِ ذِكرى المَولدِ وقراءةِ سِيرةِ الرسولِ ﷺ في هذه المُناسبةِ حَثّاً على الاقتداءِ به والتأسّي بِه، فنقولُ لَهُم: إنَّ قِراءةَ سِيرةِ الرسولِ ﷺ والتأسّي به مَطلوبانِ مَنَ المُسلمِ دَائماً طَوالَ السَّنَةِ وطُوالَ الحَياةِ، أمَّا تَخصيصُ يومٍ مُعينٍ لذلك بِدُون دَليلٍ على التخصيصِ فإنَّه يكونُ بِدعةً «وكُلَّ بَدعةٍ ضَلالةٌ» والبدعةُ لا تُثمِرُ إلاَّ شَرّاً وبُعْداً عن النبيِّ ﷺ ـ فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ـ واعلمُوا أنَّ الله قد أمرَكم بأمرٍ بَدَأ فيه بنفْسِه وبملائكتِه فقَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزَاب: ٥٦].

* * *

فِي إنكارِ البدعِ المُحْدَثَةِ
فِي شَهرِ رَجب

الحمدُ للهِ الذي أَمَرَنَا بالاتباعِ، ونهَانا عن الابتداعِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لاَ شَريكَ له، وهو المنفردُ بالخَلْقِ والإبداعِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بالهُدى ودِينِ الحَقِّ وأمَرَ أن يُتبعَ ويُطاعَ، صَلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وجميعِ الأتباعِ وسَلّم تسليمَاً كَثيراً. . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تَعالى، واعلمُوا أنَّ الله قد أكمَل لنا الدينَ وأمرَنا باتباعِه والعملِ به. ونهَانا عن التغييرِ والابتداعِ. قَالَ تعَالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إنَّ هُناك أناساً يُحاولُون التغييرَ والتبديلَ ولا يُرضِيهم الاقتصارُ على المشروعِ، وهَولاءِ قد حَذَّرنا منهم رسولُنا ﷺ حينَما قَالَ: «**مَن يَعِشْ منكُم فسيرَى اختلافاً كثيراً فعليكُم بسُنتي وسُنّةِ الخُلفاءِ الراشدين المَهديينَ مِنْ بَعدي، تمسكُوا بها وعَضّوا عليها بالنواجِذِ وإياكُم ومحدثاتِ الأمُورِ فإنَّ كُلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ**»(١). وكَانَ صَحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ يُحذّرونَ مِنَ البدعِ غايةَ التحذيرِ، لعِلمِهم بضررِها وعَملاً بوصيةِ نبيّهم ﷺ.

إنَّ البدعَ تَقضِي على السُّنَنِ. وتُغَيِّرُ الدِّينَ؛ ولهذَا جَاء في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «**مَا ابتدعَ قومٌ بِدعةً إلاَّ نَزَعَ اللهُ عنهم مِن السنّةِ مِثلها**» رواه الإمامُ أحمد.

وقد شدّد النبيُّ ﷺ النكيرَ على مَن أحدثَ البدعَ؛ لأنَّ البدعَ تُوجبُ لِمنِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧).

ارتكَبَها فسَاداً في دِينه وقَلبه؛ لأنَّ القلبَ لا يتّسعُ للسنّة والبدعِة، ولا يَجمعُ بين العِوض والمُعَوَّضِ؛ ولهَذا تَجدُون الذين يعملُونَ بالبدعِ ويحيُونَها مِن أبعدِ الناسِ عن الشريعةِ والسُّننِ، فالبدعُ تُنَاقِضُ السننَ، وتُورثُ في القلبِ نِفاقاً وبُغضاً للسُّننِ، وبُغضاً لِمن يعملُ بِها.

وفي البدعِ مَفاسدُ عظيمةٌ، ولهَا عواقبُ وخيمةٌ. وصاحبُ البِدعةِ يَفْتَتِنُ بهَا ويَحْرِصُ عليها أكثرَ مِمَّا يحرصُ على السُّننِ؛ لأنَّ الشيطانَ يُزينُها لَه، والمُبدعةُ يُسَهِّلُونَ الصَّعبَ ويُنفقونَ الأموالَ الطائلةَ في سبيلِ إحياءِ البدعِ، ويكسلون عن إقامةِ السُّننِ فيهجرُونها أو يؤدونها بفتورٍ. والبدعُ تجعلُ المَعروفَ مُنْكَراً والمُنْكَرَ مَعروفاً، وتحملُ أصحابَها على الاستكبارِ عن الحقِّ عندما يَدعُون إليه. والبدعُ تُشتّتُ شَمْلَ المُسلمينَ، لأنَّ كُلَّ فريقٍ مِن المُبتدعةِ يبتكرُ لنفسه طَريقةً في البدعةِ يرَى أنَّهَا أحسَن من بدعةِ الفريقِ الآخرِ فيصبِح كُلُّ فريقٍ منهم بمَا لديهِم فَرِحُون.

أيهَا المُسلمون: إنَّ مِنَ البدعِ المُحدثةِ مَا يُعملُ في بعضِ الأقطارِ في ليلةِ السابعِ والعشرِين مِن شَهرِ رَجب مِن إحياءِ ذكرى الإسراءِ والمَعراجِ بالاحتفالاتِ وأنواعِ العباداتِ، فتخصيصُ هذِه الليلَةِ بالذِّكرِ والعبَادَةِ والأدعيةِ بدعةٌ لا أَصْلَ لَه. والإسراءُ والمِعراجُ حَقٌّ. لكنه لم يقم دليل على تحديد ليلته ولا على شهره، ولو كان في تحديد ذلك الشهر أو تلكَ الليلة مَصلحةٌ لنَا، لبيّنه اللهُ ورسولُه لنَا، ولو كانَ التعبدُ في تلكَ الليلة مَشروعاً لفَعَلَه نبيُّ اللهِ وخلفاؤه، وصحابتُه فَهُم أحرصُ على الخيرِ وأسبقُ إليه مِنّا.

وقَالَ ﷺ: «عليكُم بسنّتي وسُنّة الخلفاءِ الراشدينَ المَهديينَ مِن

بعدي»[١]. فَكلُّ عِبادةٍ لم يفعلْها الرسولُ وخُلفاؤه فهي بدعةٌ وضَلالةٌ. أَضِفْ إلى ذلكَ مَا يشتمِلُ عليه غَالبُ تلكَ الاحتفالاتِ البِدعيةِ مِن مُنكَرَاتٍ. مِنْ أَشدِّهَا الشركُ باللهِ عزّ وجلّ مِن دُعاءِ الرسولِ والاستغاثةِ به والغُلوِّ في مَدْحِه، ومِمَّا يزيدُ الأمرَ خُطورةً في هذا الزمانِ أنَّ تلكَ البدعِ لا يَقتصرُ شَرُّهَا على المَوضِعِ الذي تُقامُ فيه أو يَقتصرُ إثمُها على مَن يُقيمُها أو يحضُرُها بلْ صَارتْ وقائعُها تصدرُ إلى المَشَارِقِ والمَغَارِبِ، بواسطةِ وسائلِ الإعلامِ المَرئيةِ والمَسموعةِ والمَقروءةِ فيظنُّها الجُهّالُ حَقاً ويحسبونَها مِن الدِّينِ، ويعتبرُون مَن لم يفعلْها مُقصراً في حَقِّ الرسولِ ﷺ، بل أصبحتْ كأنَّهَا شَعيرةٌ مِن شعائرِ الإسلامِ. ولاشَكَّ أنَّ في هذَا مِنَ التغريرِ بالعوّامِّ ولبسِ الحقِّ بالباطلِ مَا لايخفَى على ذَوي البصائرِ، لاسِيما إذَا شَارَكَ في إقامةِ هذِه الاحتفالاتِ وتجديدِ هذه الذكرياتِ مَن هُم مُحسوبونَ مِن العلماءِ. وهُم في الحقيقةِ مِن الأئمةِ المُضلّينَ الذين يَحصلُون مِن وراءِ هذه البدعِ على مَطامعَ دُنيويةٍ ويختلونَ الدنيا باسمِ الدِّينِ. فيا مَن تحتفلونَ بِذكرَى الإسراءِ والمِعراجِ أو غيرِها مِنَ الذكرياتِ البِدعيةِ هَل لكُم دليلٌ على ما تَفعلونَ مِن كتابِ الله وسُنّة رسولِه؟ ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البَقَرَة: ١١١]. هَل فُعِلَ شيءٌ مِن ذلكَ في القرونِ المُفَضَّلَةِ.

﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يُونس: ٥٩]. إنْ قُلتُم إنَّ لكُم دَليلا على مَا فَعلتُم مِنَ الكتابِ والسُّنةِ فقد كذبتُم، وإنْ اعترفتُم بأنَّه لا دليلَ لكم فقد ابتدعتُم فاتقُوا اللهَ في أُمةِ محمدٍ، لاتُفسدُوا عليها دِينَها بالبدعِ.

إنَّ الإسراءَ والمعراجَ نِعمةٌ عظيمةٌ على أهلِ الإسلامِ، ولكنَّ إحياءَ هذِه

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧).

الذكرى وغيرَها مِنَ الذكرياتِ وتخصيصَها بعبادةٍ لا دليلَ عليها يُعتبرُ بِدعةً في الدِّينِ، وكُلُّ بدعةٍ ضَلالة، والعملُ الصَّالحُ لايَختصُّ بليلةٍ واحدةٍ في السَّنة، وإنَّمَا هُو مُستمرٌّ في حياةِ المؤمنِ.

إنَّ الدِّينَ لايُؤخذُ مِنَ العوائدِ، وإنَّمَا يُؤخذُ من الكتابِ والسنَّةِ، وإنَّ عَملاً لمْ يَعملْه الرسولُ ولا صَحابتُه ولا أتباعُهم بإحسانٍ عَملٌ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ يَجبُ رَفْضُهُ.

قَالَ تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢ ﴾ [آل عِمرَان: ٣١، ٣٢]. وقَالَ النبيُّ ﷺ: «من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منهُ فهو ردٌّ» رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ، وفي رواية لمسلمٍ «مَن عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمْرُنَا فهو رَدٌّ».

والاحتفالُ بِذكرى الإسراءِ والمِعراجِ أَمْرٌ مُحْدَثٌ في الدِّينِ ليسَ عليه أَمْرُ الرسولِ فهو مَردودٌ ومَرفوضٌ.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّ الشيطانَ يُحاولُ صَدَّكُمْ عَنْ هَذَا الدِّينِ وإخراجِكُم منه إمَّا بالنقصِ منه والتساهلِ في تنفيذِ أحكامِه، وإشغَالِكم بالشهواتِ وتَرْكِ الواجباتِ وفِعْلِ المُحرماتِ، وإمَّا بالزيادةِ فيه بالغلوِّ والبِدَعِ، فاحذرُوا مِنَ الشيطانِ ومَكْرِه بِكم، فقد حَذَّرَكُمُ الله مِنه بقولِه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فَاطِر: ٦].

بَارَكَ الله لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطْبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَكْمَلَ لنا الدِّينَ وأتمّ علينا النِّعْمَةَ ورَضِيَ لنَا الإسلامَ دِيناً، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه

ورسولُه أَمَرَ بإحياءِ السُّنَنِ واجتنابِ البدعِ؛ لأنَّ السُّنَنَ شَرْعُ اللهِ والبدعَ شَرْعُ الشيطانِ؛ ولأنَّ السُّنَنَ هَدْيٌ، والبدعَ ضَلالةٌ، وكُلُّ ضَلالةٍ في النارِ، اللَّهمّ صَلِّ على نبيّنا مُحمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه ومَن تَمَسَّكَ بسُنّته إلى يومِ الدِّينِ.

أمّا بعدُ:

عِبادَ اللهِ: اتقُوا اللهَ تعَالى واعلمُوا أنَّ الذي يَحْرُمُ ويُعتبرُ بِدعةً في شهرِ رَجب هو تخصيصُه بِشيءٍ مِنَ العباداتِ.

أمَّا العبادةُ المَشروعةُ فيه وفي غَيرِه مثلُ صَلاةِ التهجّدِ في الليلِ والوترُ، وصِيامُ يومَ الإثنينِ والخَميس، وثَلاثة أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ وصلاةُ الضُّحى والنوافلُ المُطلقةُ والمُقيدةُ التي صَحّتْ بها السنّة فهذِه العِباداتُ تُفعل في شَهرِ رَجب وفي غيرِه، فَمَنْ كانَ له عَمَلٌ مِنْ هذِه الأعمالِ فليستمرَّ عليه في شهرِ رَجب كغيرِه مِنَ الشهورِ.

فأَكْثِروا رحمكم اللهُ مِنَ الطاعاتِ ولازمُوا الجُمعَ والجَماعاتِ، وتزودُوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوىٰ، واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

الاعتبارُ بآيةِ الإسراءِ والمعراجِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، على فضلِه وإحسانِه حَمداً طَيباً كَثيراً، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لاشريكَ له، سُبحانَه وتعَالى عمّا يقولُ الظالمونَ عُلوّاً كَبيراً. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أسْرَى به مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، وعُرِجَ به إلى السمواتِ العُلى، فَنَالَ بذلكَ فَضْلاً كَبيراً وخَيراً كَثيراً، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلّم تسليمَاً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ واشكرُوا نعمتَه عليكُم، ومِنْ جُلِّ نِعمِه بعثُه الرسولِ ﷺ إليكُم، ومَا خَصّه الله بِه مِنَ الخصائصِ العظيمةِ، ومَا شَرّفَه به مِنَ المَنزلةِ الكريمةِ، ومِنْ ذَلكَ مُعجزةُ الإسراءِ إلى المسجدِ الأقصى والمعرَاجِ إلى السماءِ، فقد كانَ الإسراءُ والمعراجُ من أكبرِ النِّعمِ على هذِه الأُمةِ، وقَد نوّه الله بشأنِه في كتابِه وبيّنَ الحِكمةَ فِيه في سُورةِ الإسراءِ وفي سُورةِ النجمِ.

وقد أَكْرَمَ الله فيه نبيّه وأرَاه مِن آياتِه الكُبرى، وفَرَضَ على أُمتِه الصلواتِ الخَمْسَ التي هي آكدُ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ، فَرَضَهَا خَمسينَ صَلاة في اليومِ والليلةِ. ثُمَّ خفّفها إلى خمسِ صَلواتٍ في العملِ وهي عن خَمسينَ في الثوابِ، ورأى في هذِه الرحلةِ المُباركةِ من آياتِ الله الكُبرى مَا قَرّتْ به عينُه وقَوي به يقينُه، وصَارَ هذَا الإسراء من أكبر مُعجزاتِه، وأعظم آياتِه، قد فَرِحَ به أهلُ الإيمانِ، واغتاظَ منه أهلُ الكُفرِ والطغيانِ. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسرَاء: ٦٠]. فأقامَ اللهُ بِه الحُجةَ، واستنارتْ

به المَحجةُ، فآمنَ مَن آمنَ على يقينٍ من رَبِّهِ. وكَفَرَ مَن كَفرَ بعد أنْ قامتْ عليه الحجةُ.

فواجبُ المُسلمينَ في كُلِّ عصرٍ أنْ يشكرُوا اللهَ عَلى هذِه النعمةِ بأداءِ مَا أَوْجَبَ اللهُ عليهم فيهَا مِنَ الصلواتِ الخمسِ في اليومِ والليلةِ في أوقاتِها، في بيوتِ اللهِ وجَمَاعَاتِهَا، وأن يتجنبُوا الذنوبَ التي أخبرَ النبيُّ ﷺ أنه رَأى في هذِه الليلةِ أهلَها يُعذبُون بهَا أشدَّ العذابِ، فقد أَخْبَرَ ﷺ أنَّه أتَى على قومٍ تُرْضَخُ رؤوسُهم بالصخرةِ كُلَّمَا رُضِختْ عادتْ كمَا كانت، ولا يفترُ عنهم من ذَلكَ شيءٌ فَقَالَ: مَا هَؤلاءِ يا جبريلُ؟ قَالَ: هؤلاءِ الذينَ تَتثاقلُ رؤوسُهم عن الصلاةِ المُكتوبةِ، ثم أتَى على قومٍ على أقبالِهم رِقاعٌ، وعَلى أدبارِهم رِقاعٌ يَسرحُون كما تَسرحُ الإبلُ والنّعم ويأكلونَ الضَّريعَ والزقومَ ورضفَ جهنمَ وحجارتَها، فقالَ: فمَا هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قَالَ: هؤلاءِ الذين لايُؤدونَ صَدقاتِ أموالِهم، ومَا ظلمَهم اللهُ تعَالى شَيئاً ومَا الله بظلاّمٍ للعبيدِ، ثم أتَى على قومٍ بين أيدِيهم لحمٌ نَضِيجٌ في قِدْرٍ، ولحمٌ آخرُ نيءٌ خَبيثٌ فجعلُوا يأكلُون اللحمَ النيءَ الخبيثَ ويَدَعُونَ النضيجَ الطيبَ، فَقَالَ: مَا هؤلاءِ يا جبريلُ، فَقَالَ: هذا الرجلُ من أمتِك تكونُ عندهُ المرأةُ الحلالُ الطيبةُ فيأتي امرأةً خَبيثةً فيبيتُ عندَها حتى يصبحَ، والمرأةُ تَقُوم مِن عندِ زَوجِها حَلالاً طيباً فتأتي رَجُلاً خَبيثاً فتبيتُ معه حتى تُصبحَ، قَالَ ثُمَّ أتَى على رجلٍ قد جَمَعَ حُزْمَةً عَظيمةً لا يستطيعُ حَمْلَهَا وهُو يزيدُ عليها فَقَالَ: مَا هذَا يا جبريلُ؟ قَالَ: هذا الرجلُ مِن أُمتكَ يكونُ عليه أماناتُ الناسِ لا يَقْدِرُ على أدائِها وهو يريدُ أن يَحملَ عليها، ثم أتَى على قومٍ تُقْرَضُ ألسنتُهم وشفاهُهم بمقاريضَ مِن حديدٍ كُلَّمَا قُرضتْ عَادتْ كمَا كانت لايُفَتَّرُ عنهم مِن ذلكَ شَيءٌ، فَقَالَ: مَا هذَا يا جبريلُ، فَقَالَ: هؤلاءِ خُطباءُ الفتنةِ، ثُمَّ أتَى على جُحْرٍ صَغيرٍ

يخرجُ منه ثورٌ عظيمٌ فَجعَلَ الثورُ يريدُ أن يرجعَ مِن حيثُ خَرجَ فلا يستطيعُ، فَقَالَ: ما هذا يا جبريلُ: فقَال: هذا الرجلُ يتكلمُ بالكلمةِ العظيمةِ ثُمَّ يندمُ عليها فلا يستطيعُ أنْ يردّها.

وأتَى ﷺ على قومٍ بُطونُهم كالبيوتِ فيها الحيّاتُ تأتي من خارج بطونِهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قَالَ: هؤلاءِ أكَلَةُ الرِّبا) الحديث. رواه ابنُ جريرٍ بسندِه عن أبي هريرةَ.

عِبادَ اللهِ: إنَّ النبيَّ ﷺ، رأى هؤلاءِ المُجرمينَ يُعذبونَ بجرائهم وأخبرَ عن ذلكَ تَحذِيراً للأُمةِ مِنَ ارتكابِ هذِه الجرائمِ الشَّنيعةِ. ومنها التكاسلُ عن أداءِ الصلاةِ المَكتوبةِ في وقتِها تَحذِيراً للأُمةِ مِنَ ارتكابِ هذِه الجرائمِ الشَّنيعةِ. ومنها التكاسلُ عن أداءِ الصلواتِ، فالواجبُ عليهم التوبةُ إلى اللهِ والمُحافظةُ على الصلواتِ. قبلَ أن يُواجِهُوا هذَا المَصيرَ المُؤلمَ.

ومنا منعُ الزكاةِ وهي قرينةُ الصلاةِ والوعيدُ على مَنعِها شديدٌ، فالواجبُ على أصحابِ الأموالِ إخراجُ زكاتِها كمَا أمَرَ اللهُ بذلكَ.

ومِنها: ارتكابُ جَريمةِ الزنى: وهو من أشنعِ الجرائمِ. وعقوبتُه في الدنيا والآخرةِ مِنْ أشَدِّ العقوباتِ. وقَد قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسرَاء: ٣٢] وذكَرَ اللهُ الزنى قَريناً للشركِ وقتلِ النفسِ، قَالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفُرقان: ٦٨، ٦٩] ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفُرقان: ٧٠]. وهذَا عذابُ الزاني في الآخرةِ، وأمَّا عذابُه في الدنيا فالذي يزني بعدَما تَزَوَّجَ واستمتَعَ بزوجتِه يُرجَمُ بالحجارةِ حتى يموتَ. وهذا مِمَّا يدلُّ على شَناعةِ الزنى وفُحْشِه

وقُبْحِه وشَدَّةِ عذابِه في الدنيا والآخرةِ.

ومِنها ـ خيانةُ الأمَانةِ ـ فقد رأى النبيُّ ﷺ الخائنَ لأمانتِه قد كُلِّفَ تعَذيباً له بِحَمْلِ حُزمةٍ لايستطيعُ حملَها وهو يجمعُ عليها زيادةً.

ومِنها الخطباءُ الذين يوقدونَ الفتنةَ بخُطبهم ويُحرشُون بين الناسِ تُقْرَضُ أَلسنتُهم وشِفاهُهم، وما أكثرَ خُطباءِ الفتنةِ اليومَ في النوادي والإذاعاتِ مِمّن يحرّضونَ على الثوراتِ وسَفْكِ الدماءِ، والإخلالِ بالأمنِ.

ومِنها أن الذين يتكلمون بالكلام المحرّم من كذب وشتم وغيبة ونميمة وشهادة زور وأيمان فاجرة، فيفسدون بين الناس ولايستطيعون إصلاح ما أفسدوا ولا استرجاع ما تكلموا به من الفحش والزور.

ومِنها أنَّ أكَلَةَ الربا تتضخمُ بُطونُهم فتصيرُ كالبيوتِ العظيمةِ فيهاالحياتُ المُروعةُ ومِصداقُ هذَا في قولِه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥]. أي لايقُومونَ مِن قُبورِهم عندَ البعثِ إلا كقيامِ المَصروعِ الذي به مَسٌّ مِنَ الجِنِّ فهُو يقومُ ويَسْقُطُ.

ومَا أكثرَ الربا اليوم، بسببِ تَضَخُّمِ الأموالِ ووجودِ البنوكِ الربويةِ التي تُستثمرُ فيها تلكَ الأموالُ في الداخلِ والخارجِ حتى أصبحَ الربا وسيلةً اقتصاديةً مَألوفةً يُستغربُ مَن يُنكرَها ويُسخرُ منه ـ كما قَال المُرابون مِن قَبْلُ: ﴿إِنَّمَا البيعُ مِثْلُ الربا﴾.

أَيُّهَا المسلمونَ: إنَّ واجِبَنَا أنْ نَستفيدَ مِنْ حَادِثِ الإسراءِ والمِعراجِ العبرةَ والعظةَ والتمسكَ بأوامرِ اللهِ واجتنابِ مَناهيهِ، ولايكونُ حَظُّنَا منه إحداثُ البدعِ بإقامةِ الاحتفالاتِ التي ما أَنزلَ الله بِهَا من سُلطانٍ، والتي حَذَّرنَا منها نبيُّنا محُمدٍ ﷺ فكثيرٌ مِنَ الناسِ لا يعرفُ عن هذِه الآيةِ إلاَّ أنَّهَا وقتٌ سَنوي يُقيمونَ فيه

احتفالاً مُبتدَعاً. في موعدٍ حَدّدُوه مِن عندِ أنفسِهم، كأنَّ النعمةَ بهذِه الآيةِ العظيمةِ لا تَحصلُ إلاَّ في تلكَ الليلةِ الواحدِة مِن السَّنةِ، وليسَ لهَا أثرٌ مُستمرٌ باستمرارِ الصلواتِ الخمسِ في اليومِ والليلةِ ومُستمرٌ كُلَّمَا تُليتْ هذِه الآيةُ في القرآنِ، لكنَّها التقاليدُ الفاسدةُ والطقوسُ الفارغةُ التي شَابهُوا بها اليهودَ والنصَارى. هذا فِقهُهم للأحداثِ وتفقهُهم في الدينِ، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واستفيدُوا من سِيرةِ نبيِّكم القدرةَ الحسنةَ، والعبرةَ والعظةَ وأحيُوا السُّنَنَ واحذرُوا البدعَ، فهذَا هُو سبيلُ النجاةِ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

الخُطْبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، القائلِ في كتابِه المُنيرِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسرَاء: ١]. وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ﴿وهو العليم الخبير﴾ وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه المُؤيَّدُ بالبيِّناتِ المُعجزات صَلّى الله عليه وعلَى آلِه وأصحابِه الذين آمنُوا به ونَاصرُوه وجاهَدوا معَه ونشَروا دِينه في مَشارقِ الأرضِ ومَغاربِها حتى ظَهرَ على سَائرِ الأديانِ.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى وتأَملُوا هذَا الحدثَ العظيمَ الذي نَوّه اللهُ بشأنِه فقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسرَاء: ١]. مَجّدَ

الرَّبُّ نفْسَه لقدرتِه الباهرةِ حيثُ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ١] مُحمد ﷺ بأنْ نَقَلَهُ في جُنْحِ الظَّلَامِ ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. بمكةَ المُشرّفةَ ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾. وهو بيتُ المقدسِ الذي بفلسطينَ ـ مسجدُ الأنبياءِ من عهدِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهم جَميعاً أفضلُ الصلاةِ والسلام ـ مَع بُعد مَا بينَ المَسجدينِ مِن المسافةِ، ثُمَّ عُرِجَ به مِن هُناكَ حتى تجَاوز السبعَ الطباقَ والتقَى بالأنبياءِ وكلّمه اللهُ مِن وحيه بمَا شَاء وفَرَضَ عليه الصلواتِ الخمسَ، ثُمَّ عادَ إلى مَكةَ من ليلتِه وحدّث الناسَ بذلكَ فآمنَ به مَن آمنَ وكَفرَ مَن كَفرَ، كمَا قَال تعَالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسرَاء: ٦٠]. رَوى البيهقيُّ بسندِه عن عائشةَ قالت: لمَّا أُسري برسولِ اللهِ ﷺ إلى المسجدِ الأقصى أصبحَ يحدّثُ الناسَ بذلكَ فارتدّ ناسٌ مِمّن كانوا آمنُوا به وصدّقُوه، وسَعَوا بذلكَ إلى أبي بكر فقَالوا: هل لكَ في صاحبِك يزعمُ أنه أُسري به الليلة إلى بيتِ المقدسِ، فقالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: أَوَ قَالَ ذلكَ؟ قالوا: نَعم، قال: لئنْ كانَ قَالَ ذلكَ لقدْ صَدَقَ، قالوا: فتصدقُه أنه ذَهبَ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ وجَاءَ قبلَ أن يُصبحَ؛ قَالَ: نَعم. إني لأصدقُه فيمَا هو أبعدُ مِن ذلك أصدقُه في خَبرِ السماءِ في غدوةٍ أو روحةٍ؛ فلذلك سُمي أبو بكر الصِّدِّيقُ، وهذَا هو الإيمانُ الراسخُ واليقينُ الصادقُ، ومنه تؤخذُ القاعدةُ العظيمةُ في أصولِ العقيدةِ، وهو أن المدارَ على ثبوتِ الخبرِ عن النبيِّ ﷺ فإذا ثَبَتَ آمنّا به وصدّقناه بدونِ اعتراضٍ أو شَكٍّ أو استغرابٍ؛ لأنّه نَبيٌّ صادقٌ لا ينطقُ عن الهَوى، وقدرةُ اللهِ تامةٌ لا يُعجزُها شيءٌ، فمَا هي الغرابةُ إذاً؟ وكيفَ تُصدقه أنه رسولُ اللهِ يأتي بالوحي ولا تصدقُه في خَبرِه أنَّ الله أَسرى به إلى بيتِ المقدسِ وعرجَ به إلى السماءِ ورجعَ إلى مَكةَ في ليلةٍ واحدةٍ؟ ليسَ هناكَ شُبهةٌ أمامَ هؤلاءِ المُكذّبين إلا بُعد المَسافةِ في هذِه الرحلةِ،

ونسُوا قُدرةَ اللهِ التي لا يعجزها شيء ونسوا سُرعةَ وصولِ الوحي إلى النبيِّ ﷺ مِن السماءِ وهو بمكةَ، أليسَ اللهُ قد أَقْدَرَ البشرَ الآنَ على قَطْعِ المسافاتِ الطويلةَ في ساعاتٍ قليلةٍ بواسطةِ المخترعاتِ الحديثةِ، إنَّ الذي أَقْدَرَ البشرَ على ذلكَ قَادرٌ على أن يُسري برسولِه مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ وإرجاعِه في ليلةٍ واحدةٍ، مِن بابِ أولَى وهُو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ـ وصَدَقَ اللهُ ورسولُه . . .

أَيُّهَا المُسلمونَ: إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

في وجوبِ اتباعِ الكتابِ والسنّةِ
والنهيِ عنِ الابتداعِ في شعبانَ وغيرِه

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، أَمَرَنَا باتباعِ الكتابِ والسنّةِ، ونهَانا عنِ الابتداعِ والفتنةِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، مَن يُطِع الله ورسولَه فقد رَشد، ومَن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد غَوى ولا يَضُرُّ إلاَّ نفْسه ولايضرّ اللهَ شَيئاً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه تَرَكَ أُمتَه على البيضاءِ لا يزيغُ عنها إلا هَالكٌ. صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه الذين سَاروا على نهجِه وتمسكُوا بسنّتهِ ومَن تَبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً كَثيراً. . . أمّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وتمسكُوا بكتابِه وسُنّة نبيّه ففيهِمَا الكفايةُ والهُدى والنُّورُ، وإياكُم ومُحدثَات الأمورِ، فإنَّها ضلالٌ وغُرورٌ، قَالَ تعَالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الأعراف: ٣]. وقَالَ تعَالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣]. فقَد وعَدَ الله مَن تَمَسَّكَ بكتابِه وعَمِلَ به أنْ لايضلّ في الدنيا ولا يشقَى في الآخرةِ، وتوعَّد مَن أعرضَ عن كتابه فقَال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

أي مَن خَالَفَ أَمري ومَا أنزلتُه على رَسولي فأعرضَ عنه وتناسَاه، وأخذَ مِن غيرِه هُداه ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]. أي ضَنْكاً في الدنيا فلاَ طُمأنينةَ له ولا انشراحَ لصدرِه، بل صدرُه ضَيقٌ حَرجٌ لضَلالِه وإنْ تَنعَمَ ظَاهرُه، ولَبِسَ مَا شَاء وأَكَلَ مَا شَاءَ فإنَّ قلبَه في قَلقٍ وحِيرةٍ وشَكٍّ، وقِيل: إنَّ المَعيشةَ الضَّنك أنْ يُضيقَ عليه في قبرِه حتَّى تَختلفَ أضلاعُه ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

[طه: ١٢٤]. أي أعمَى البصَر والبصِيرة كمَا قَال تعَالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ ﴾ [الإسرَاء: ٩٧]. وقد أَمَرَ اللهُ بطاعتِه وطاعةِ رسولِه في كثيرٍ مِن الآياتِ، وطاعةُ اللهِ تكونُ باتباعِ كِتابَه، وطاعةُ الرسولِ تكونُ باتباعِ سُنّتِه، قالَ تعَالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النِّساء: ١٣، ١٤]. وهذا مِن مُقتضَى شهادةُ أن لا إلَه إلاَّ الله وأنَّ محمّداً رسولُ اللهِ فَمَن شَهِدَ أن لا إلَه إلاَّ الله وجَبَ عليه أنْ يُطيعَه ويتبعَ كتابَه، ومَن شَهِدَ أنَّ محمّداً رسولُ اللهِ، وجب عليه أن يطيعه ويتبع سنّته.

وقد أَخبرَ اللهُ سُبحانه أنَّ مَن يُطِع الرسولَ فذلكَ دَليلٌ على مَحبتِه لله ومَحبةُ اللهِ لَه، ومَن لمْ يُطِع الرسولَ فإنَّ ذلكَ دَليلٌ على كُفره، قَال تعَالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ٣١، ٣٢].

وأَخبرَ أنَّ مَن أطاعَ الرسولَ فقد أطاعَ الله لأنَّ طاعةَ الرسولِ طاعةٌ لِمن أرسلَه قَالَ تعَالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾ [النِّساء: ٨٠]. وأَخبرَ سُبحانُه أنَّ مِن أطاع الرسولَ حَصلتْ له الهدايةُ التامةُ قالَ تعَالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النُّور: ٥٤]، وأخبرَ أنَّ طاعةَ الرسولِ سَببٌ للرحمةِ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٢]. وأخبرَ أن مَن عصَى الرسولَ ﷺ فهو ضَالٌ مُتبعٌ لهَواه. قَالَ تعَالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [القَصَص: ٥٠].

وتوعّد مَن خَالَفَ أمرَ الرسولِ بالعقوبةِ العاجلةِ والآجلةِ، فقَال تعَالى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النُّور: ٦٣].

وقال ابنُ كثيرٍ رحمَه الله: أي فليحذَرْ وليخشَ مَن خَالفَ الرسولَ ﷺ بَاطِناً وظَاهِراً ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النُّور: ٦٣]. أي في قُلوبِهم مِن كُفْر أوْ نِفَاقٍ أوْ بدعةٍ ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النُّور: ٦٣]. أي في الدنيا بقتلٍ أوْ حَدٍّ أَوْ حَبسٍ أوْ نَحوِ ذلكَ: وكانَ النبيُّ ﷺ يُحذّرُ مِن مخالفةِ الكتابِ والسنّةِ وبيّنَ مَا خالفَ الكتابَ والسنّة فهو بِدعةٌ وضَلالة فكانَ يقولُ في خُطَبِه: «إنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدي هَدْيُ مُحمدٍ ﷺ وشَرَّ الأمُورِ مُحدثاتُها وكُلَّ بِدعةٍ ضَلَالَةٌ»[1]، ويقُول: «مَن يَعِشْ منكم فسَيرى اختلَافاً كَثيراً فعليكُم بسنّتي وسُنّة الخلفاءِ الراشدين مَن بعدي تمسَّكُوا بِها وعَضُّوا عليها بالنواجذِ وإياكُم ومحدثَات الأمورِ فإنَّ كُلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ»، وقَالَ ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أمرِنا هذا مَا ليسَ منه فهو رَدٌّ»، رواه البخاريُّ ومُسلمٌ[2]، وفي روايةٍ لمُسلمٍ: «مَن عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمرُنا فهُو رَدٌّ»[3] أي مَردودٌ على مُحْدِثِه وعَمَلُه لا يُقْبَلُ؛ لأنَّه بِدعةٌ مُخالفةٌ لِمَا شَرَعَهُ اللهُ لعبادِه، ففي هذِه النصوصِ وأَمثالِها التحذيرُ مِن البدعِ والمخالفاتِ. والبدعةُ: هي الطريقةُ المُختَرَعةُ في الدين التي ليسَ لهَا دَليلٌ مِن الكتابِ والسنّةِ يُقْصِدُ فَاعلُها ومخترعُها التقرّبَ بِهَا إلى اللهِ عزّ وجلّ، كإحداثِ عِبادةٍ لمْ يشرعْها اللهُ ولا رسولُه، أو تخصيصِ وقتٍ للعبادةِ لمْ يخصّصْه اللهُ ولا رسولُه لهَا، أو فِعْلِ العبادةِ على صِفةٍ لمْ يشرعْها اللهُ ولا رسولُه.

---

(١) رواه مسلمٌ (٨٦٧)، والنسائي (١٨٨/٣) وابن ماجة (٤٥) وغيرهم.
(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٣) رواه مسلم (١٧١٨).

فالبدعةُ قد تكونُ بإحداثِ عبادةٍ ليسَ لهَا أَصْلٌ في الشرعِ مِثل بدعةِ الاحتفالِ بمناسبةِ مَولدِ النبيِّ ﷺ، واحتفَال بمُناسبةِ الإسراءِ والمعراجِ، أوْ بمناسبةِ الهجرةِ النبويةِ. أوْ تَخصيصِ وقتٍ مِن الأوقاتِ للعبادةِ ليسَ له خُصوصيةٌ في الشرعِ كتخصيصِ شهرِ رَجبَ أوْ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ بصلاةٍ أو ذِكرٍ أو دُعاءٍ، وتخصيصِ يومَ النصفِ مِن شهرِ شَعبانَ بِصيامٍ، وقد تكونُ البدعةُ بإحداثِ صِفةٍ للعبادةِ غيرِ مَشروعةٍ كالدعاءِ الجَماعي بعدَ الصلواتِ والمَفروضةِ والأذكارِ الجماعيةِ ومَا أشبَه ذلكَ، والبدعُ تَصُدُّ عن دِينِ اللهِ وتُبْعِدُ عن اللهِ وتُوجِبُ العقوبةَ العَاجلةَ والآجلةَ، لأنَّهَا مِن دِينِ الشيطانِ، لا مِن دِينِ الرحمٰن.

والمبتدعُ مُتبعٌ لهَواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القَصَص: ٥٠].

والمُبتدِعُ يقولُ على اللهِ بِلاَ عِلْمٍ، والقولُ علَى اللهِ بلا عِلمٍ قَرينُ الشركِ، قَالَ تعَالى مُحَذِّراً مِن ذلكَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعرَاف: ٣٣]. قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ: والقولُ على اللهِ بِلا عِلمٍ والشركُ مُتلازمانِ، ولَمَّا كانتْ هذِه البدعُ المُضلَّةُ جَهْلاً بصفاتِ اللهِ وتكذِيباً بِمَا أخبرَ به عن نفْسِه وأخبرَ به عنه رسولُ اللهِ ﷺ كانتْ مِن أكبرِ الكبائرِ إن قَصُرَتْ عَنِ الكُفرِ، وكانت أحبَّ إلى إبليسَ مِنَ المَعصيةِ؛ لأنَّ المعصيةَ يُتاب مِنها والبدعَة لا يُتَابُ مِنها، وقالَ إبليسُ لَعَنَهُ اللهُ: أَهلكتُ بين آدمَ بالذنوبِ وأهلكُوني بلاَ إلٰه إلاّ الله وبالاستغفارِ، فلَمَّا رأيتُ ذلك بَثثْتُ فيهم الأهواء، فَهُم يُذنبونَ ولا يتُوبونَ؛ لأنَّهم يَحسبونَ أنهُم يُحسنونُ صُنعاً. ومَعلومٌ أنَّ المذنبَ إنَّمَا ضَررُه على نفسِه، وأمَّا المبتدعُ فَضَررُه على الناسِ، وفتنةُ المُبتدعِ في أصلِ الدِّين، وفتنةُ المُذنِب

في الشهوةِ. والمُبتدِعُ يتهمُ رَبَّهُ بأنَّه لم يُكمل الدِّينَ قبلَ وفاةِ النبيِّ ﷺ فهُو مُكذِّبٌ لقولِه تعَالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المَائدة: ٣]، أو يتهمُ الرسولَ بعدمِ الإبلاغ.

والمبتدعُ يُريدُ أنْ يفرّقَ جماعةَ المُسلمينَ لأنَّ اجتماعَ المُسلمين إنَّما يتحققُ باتباعِ مَا شَرَعَ اللهُ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]. وقَالَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعَام: ١٥٣].

فالمبتدعُ يُريدُ أنْ يُفرّقَ المسلمينَ عن صراطِ اللهِ وعن سبيلِه المُتّحدِ إلى سبيلِ البدعِ المُختلفةِ؛ لأنَّ البدعَ لا تقفُ عند حَدٍّ ولا تنتهي إلى غَايةٍ. فَكُلُّ مُبتدعٍ له طريقةٌ خَاصةٌ غيرُ طَريقةِ المُبتدِعِ الآخَرِ. كمَا صَوّرَ النبيُّ ﷺ ذلكُ حينَما خطَّ بيدِه خَطّاً وقَالَ: «هذَا سَبيلُ اللهِ مُستقيماً»، وخَطَّ خُطوطاً عن يمِينِه وشِمالِه، ثُمَّ قَال: «هذه السُّبُلِ ليسَ مِنها سَبيلٌ إلاَّ عليه شيطانٌ يدعُو إليه»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعَام: ١٥٣]. رواه أحمدُ والحاكمُ. وقال: صحيحٌ ولمْ يُخرّجاه[١]، وهُو دليلٌ واضحٌ على أنَّ البدعَ تُفرّقُ المُسلمينَ.

عِبادَ اللهِ: إنَّنَا في زمانٍ كَثُرتْ فيه البدعُ ونَشَطَ فيه المُبتدعةُ فصَاروا يُروجُون البدعَ بينَ الناسِ ويدعُون إليها في كُلِّ مُناسبةٍ، وهذاَ بسببِ غُربةِ الدِّينِ، وقِلَّةِ العُلماءِ المُصلحِين. ومِن هذِه البدع مَا يُروجُ كُلَّ عَام، ويَغترّ به الجُهّال والعَوامُّ، مِنَ الاحتفالِ بِليلةِ النّصْفِ مِن شعبانَ وتَخصيصِها بأنواعٍ مِنَ الذِّكْرِ

---

(١) رواه أحمدُ (١/ ٤٣٥)، والدارميُّ (١/ ٦٧، ٦٨).

والصلاةِ، لأنَّهم يَزعمُون أنَّها تُقَدَّرُ فيها الآجالُ والأرزاقُ ومَا يجري في العَامِ ويَظنونَ أَنَّهَا هي المَعنيّة بقولِه تعَالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [الدّخان: ٤]. ويَخصّونَ اليومَ الخَامسَ عشَر مِن شَهرِ شَعبانَ بالصيامِ ويَستدلّون بحديثٍ رُوي في هذَا، وهذا كُلُّهُ مِن البدعِ المُحدَثةِ؛ لأنَّه لمْ يَثبتْ تخصيصُ ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ بذكرٍ ولا قيامٍ، ولا تخصيصُ يومِها بالصيامِ، لمْ يَثبتْ في ذلكَ حديثٌ عَنِ النبيِّ ﷺ، ومَا لمْ يثبتْ فيه دَليلٌ فهو بدعةٌ في الدينِ ومُخالفٌ لعملِ المُسلمينَ المتمسكينَ بالسنّةِ التاركينَ للبدعةِ. وإليكُم ما قَاله العلماءُ المُحقّقونَ في هذه الليلةِ، قالَ أبو بكر محمدُ بنُ الوليدِ الطرطوشيّ في كتابِ الحَوادِثِ والبِدَعِ: ورَوى ابنُ وضّاح عن زيدِ بنِ أسلمَ قَالَ: (مَا أدركْنا أحَداً مِن مَشيختِنا ولا فُقهائِنا يلتفتُون إلى النصفِ مِن شَعْبانَ ولا يَرونَ لهَا فَضْلاً على سِواهَا).

وقَال ابنُ رجبٍ في كتابِه لطائفُ المَعارِف: وأَنْكَرَ ذَلكَ ـ يعني تخصيصَ ليلةِ النصفِ مِنْ شَعبانَ أكثرُ علماءَ الحِجازِ. منهم عَطاءٌ وابنُ أبي مُليكةَ، ونَقَلَه عبدُ الرحمنِ بنِ زَيد بنِ أسلمَ عن فُقهاءِ أهلِ المدينةِ، وهُو قولُ أصحابِ مَالكٍ وغيرِهم. وقَالُوا ذلكَ كُلّهُ بِدعةٌ. وقَالَ أيضاً: قيامُ ليلة النصفِ مِن شعبانَ لمْ يثبتْ فيها شَيءٌ عن النبيِّ ﷺ ولا عنْ أصحابِه، وقَال الحافظُ العِراقيُّ: حَديثُ صَلاةِ ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ باطلٌ. وأخرجَهُ ابنُ الجَوزيِّ في المَوضوعاتِ.

وأمّا صيامُ يومِ النصفِ مِن شَعبانَ فلمْ يَثبتْ بِخصوصِه حديثٌ عنِ النبيِّ ﷺ. والحديثُ الواردُ فِيه ضَعيفٌ كمَا قالَه ابنُ رَجَبٍ وغيرُه. والضعيفُ لا تَقومُ به حُجةٌ. وأَمّا زَعمُهم أَنَّهَا الليلةُ التي تُقَدَّرُ فيها أعمالُ السّنةِ وأنّها المَعنيةُ بقولِه تعَالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [الدّخان: ٣، ٤]. فهذا زَعْمٌ باطلٌ؛ لأنَّ المُرادَ بتلكَ الليلةِ ليلةُ القَدْرِ، كمَا قَال

تعَالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [القدر: ١]. وهي في رمضانَ لا في شَعبانَ، لأنَّ اللهَ سُبحانَه قَالَ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]. فالقرآنُ أُنزلَ في ليلةِ القَدْرِ وليلةُ القَدْرِ في رمضانَ بلا خِلافٍ. بدليلِ قولِه تعَالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]. قَالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ: يقولُ اللهُ تعَالى مُخْبِراً عن القرآنِ العظيمِ أنَّه أنزلَه في ليلةٍ مُباركةٍ وهي لَيلة القَدْرِ كمَا قَالَ عزَّ وجلَّ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [القَدر: ١]. وكَانَ ذلكَ في شَهْرِ رمضانَ كمَا قَالَ تَبارَكَ وتعَالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقَرَة: ١٨٥]. قَالَ: ومَن قَالَ إنَّهَا ليلةُ النصفِ من شَعبانَ كمَا رُوي عن عِكرمةَ فقد أبعدَ النَّجْعَةَ. فإنَّ نَصَّ القرآنِ أنَّهَا في رَمضانَ. ثُمَّ قَالَ عن الحديثِ المَرويِّ في ليلةِ النصفِ مِن شَعبانَ وهُو أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «تُقطعُ الآجالُ مِن شَعبانَ إلى شَعبانَ حتَّى أنَّ الرجلَ لينكحُ ويولَدُ له وقد أُخرِجَ اسمُه في المَوتى» قَالَ: هو حديثٌ مُرسلٌ مثلُه لايُعارِض النصوصَ.

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وتَمسكُوا بكتابِ رَبّكُم وسُنَةِ نبيّكُم ومَا كانَ عليه السلفُ الصالحُ، واحذرُوا مِنَ البدعِ ومُرَوِّجِهَا كمَا حَذّركُم النبيُّ ﷺ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾ [الأنعَام: ١٥٣].

بارِكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ: أَمَرَنَا باتباعِ صراطِه المُستقيمِ، ونَهَانَا عن اتباعِ سُبُلِ أصحابِ الجَحيمِ، وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له المَلِكُ البَرُّ

الرحيمُ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه بَلَّغَ البلاغَ المُبينَ، وقَالَ: عَليكم بسنّتي وسُنّة الخلفاءِ الراشدينَ، صَلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه الذين تَلَقَوْا عنه الدِّينَ. وبَلَّغُوه للمسلمين. ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ وسَلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى والزمُوا السَّيْرَ على الطريقِ الصحيحِ الذي يوصلُكم إلى دَارِ السلامِ. واحذرُوا الطُّرُقَ المُنحرفةَ التي توردُكم المهالكَ والآثامَ، واعلمُوا أنه ليسَ لليلةِ النصفِ مِن شَعبانَ ولا ليومِها خُصوصيةٌ على غيرِها مِنَ الليالي والأيامِ، فمَن كانَ مُعتاداً قيامَ الليلِ في سَائرِ السَّنةِ فليقُم في تلكَ الليلةِ كغيرِها مِنَ اللّيَالي. ومَن كانَ مُعتاداً الصيامَ أيامَ البِيضِ مِن كُلِّ شَهْرٍ فليصُم تلكَ الأيامَ مِن شعبانَ كعادتِه في شُهورِ العَامِ، وكذلكَ مَن كانَ يَصومُ الإثنين والخميسَ مِن كُلِّ أسبوع وصَادَفَ ذلكَ يومَ النصفِ مِن شعبانَ فليصمْه على عادتِه تَابِعَاً لغيرِه، وهكَذا مَن كانَ عادَتُه أنْ يَصومَ غالبَ شَهْرِ شعبانَ كمَا رَوى مُسلمٌ عن عائشةَ رضي اللهُ عنهَا قَالت: (ولَمْ أَرَهُ صَائماً مِن شَهرٍ قَطّ أكثرَ مِن صِيامِه مِن شَعبانَ) وفي روايةٍ (كانَ يصومُ شعبانَ إلاَّ قَليلاً) فمَن اقتدَى بالنبيِّ ﷺ وصَامَ غالبَ شَعبانَ ومَرَّ النصفُ أثناءَ صِيامِه فلا بأسَ. لأنَّه في هذِه الحالِ صَارَ تَابعاً.

وإنَّمَا المَمنوعُ تخصيصُه دُونَ غيرِه ـ واعلمُوا عِبادَ اللهِ أنَّ فيمَا ثَبَتَ عَنِ النبيِّ ﷺ مِن نَوافِلِ الصلواتِ والصيامِ غُنيةٌ للمُسلمِ وخَيرٌ كَثيرٌ. فلا يجوزُ للمُسلمِ أنْ يَلتفتَ لِمَا سُوى ذلكَ مِنَ الشُّذوذاتِ والمُبتدَعاتِ والمَروياتِ التي لمْ تَثبتْ. فإنَّ هذا سَبيلُ أَهلِ الزيغِ الذينَ يتبعونَ المُتشابِهَ ويتركُونَ المُحْكَمَ ويُحيونَ البِدعَ

ويُميتونَ السُّننَ. وإنكَ لتعجبُ حينَ حرصَ بعضُ الناسِ على تَتَبُّعِ الشَّواذِّ، وتَركَ الثَّوابتِ مِن العباداتِ فاتقُوا الله واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ فتمسكُوا بهِ. وخيرَ الهَدي هَديُ مُحمدٍ ﷺ فاقتدُوا بِه. وشَرّ الأمورِ محدثَاتها فاجتنبُوها. فإنَّ كُلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ وكُلّ بدعةٍ ضَلالةٍ وكُلّ ضَلالةٍ في النارِ... إلخ.

* * *

في التحذيرِ مِنَ المَعَاصي وبيانِ أضرارِهَا

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وعَدَ مَن أطاعُه أجراً عظيماً، وأعدَّ لِمنْ عَصَاه عَذاباً أليمَاً، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النِّساء: ٤٨]. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابهِ وسَلّم تسليماً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى بفِعْلِ مَا أمرَكُم، واحذرُوا مَعصيتَه بارتكابِ مَا نهَاكُم عنه واعلمُوا أنَّ للطاعةِ آثاراً حَميدةً، وعَاقبةً سَعيدةً، وأنَّ للمعَاصي آثاراً قَبيحةً وعقوباتٍ شَنيعةً ـ قَالَ تعَالى في بيانِ آثارِ المعَاصي: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرُّوم: ٤١]. أي بانَ النقصُ في الزروعِ والثمارِ بِسببِ المعَاصي، وقَالَ بعضُ السلفِ: مَن عَصى الله في الأرضِ فقد أَفْسَدَ فيها؛ لأنَّ صَلاحَ الأرض والسماءِ بالطاعةِ، ولهَذا جَاءَ في الحديثِ: «**لحَدٌّ يُقامُ في الأرضِ أحبّ إلى أَهْلِهَا مِن أن يُمْطَرُوا أربعينَ صَباحَاً**» وذلكَ لأنَّ الحُدودَ إذَا أُقيمت انكفّ الناسُ أو أكثرُهم عن المعَاصي، وإذا تُركت المَعَاصي كانَ ذلكَ سَبباً في حُصولِ البركاتِ مِن السماءِ والأرضِ، وثبتَ في الصحيحينِ أنَّ الفاجرَ إذا ماتَ يستريحُ منه العِبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ، قَالَ بعضُ السلفِ إذا أجدبتِ الأرضُ قالتِ البهائمُ هذَا مِن أَجْلِ عُصاةِ بني آدمَ لعَنَ الله عُصاةَ بني آدمَ، وجَاءَ في الحديثِ: «**ومَا منَعَ قَومٌ زكاةَ أَموالِهم إلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السماءِ، ومَا بَخَسَ قَومٌ المِكيالَ والمِيزانَ إلاَّ**

ابتلُوا بشدةِ المُؤونةِ وجَوْرِ السُّلْطَانِ» فالمعَاصي تسبّبُ قَصْمَ الأعمارِ وانحباسَ الأمطارِ وخرابَ الديارِ وغَوْرَ الآبارِ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعرَاف: ١٣٠]. مَا الذي أَغْرَقَ قَومَ نُوحٍ بالطوفانِ، وأغرقَ فرعونَ وجنودَه في البحرِ، ومَا الذي سَلّط الريحَ العقيمَ على عَادٍ؟ ومَا الذي أرسلَ الصيحةَ على ثمودَ؟ ومَا الذي أرسلَ الحَاصِبَ وأَمْطَرَ الحِجارةَ على قوم لُوطٍ وقَلَبَ عليهم عَاليَ البلادِ سَافِلَهَا؟ ومَا الذي خَسَفَ الأرضَ بقَارونَ؟ ومَا الذي أَمْطَرَ النارَ المُحرقَةَ وأرسلَ الصيحةَ على قوم شُعيبٍ؟ أَليستْ هي الذنوبُ والمعَاصي؟ قَال تعَالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العَنكبوت: ٤٠]. إنَّ الذنوبَ هي التي أهلكَتْ هذِه الأُمَمَ المَاضيةَ، وهي التي تُهلِكُ الأُممَ اللاحقةَ. قَالَ تعَالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المُرسَلات: ١٦ـ١٩]. وهذَا مَا ذَكَرَهُ اللهُ مَن عقوباتِ الأممِ المَاضيةِ، ومَا نَشاهدُه اليومَ ومَا نسمعُه مِن العقوباتِ بالأممِ المُعَاصِرَةِ فيه أكبرُ زَاجرٍ وأعظمُ واعظٍ لنَا، فهَا هي الحُروبُ الطَّاحِنَةُ تَشتعلُ نيرانُها في البلادِ المجاورةِ، وهي حُروبُ دَمارٍ لمْ يسبقْ لهَا مَثيلٌ في تاريخِ البشريةِ لِمَا يُستعملُ فيها مِنَ الأسلحةِ الفتّاكةِ والانفجاراتِ المُروعةِ والقذائفَ المُدمِّرةَ بعيدةَ المَدَى التي لا يَمنعُ مِنها حصَونٌ ولا تَقِي مِنها درُوعٌ، كانت حُروبُ الزمنِ المَاضي بالسيفِ والبندقيةِ يُقْتَلُ فيها أفرادٌ ويُمكنُ التحصينُ مِنها، أمَّا هذِه الحُروبُ المُعاصِرةُ فهي حروبُ إبادةٍ تهْلكُ فيها الجماعاتُ البشريةُ بقذيفةٍ واحدةٍ وتُدَكُّ الحصونُ وتُشْعَلُ النيرانُ في

البيوتِ والمَساكنِ وتُمَزَّقُ الأجسامُ بِلا حُدودٍ. ومَن ينجُ منها يبقَى بلاَ مَأوى ولا طعامٍ ولا شَرابٍ، كمَا تسمعُون عن مَلايين اللاجئينَ الذين شُرِّدُوا مِن بلادِهم وفيهم النساءُ الأراملُ والأطفالُ اليتامَى وفيهم المَرضَى والجَرحَى وكبارُ السِّنِّ والمُعوقونَ، وصَاروا يعيشون في مُخيماتٍ على المُساعداتِ الدوليةِ التي لا تَسُدُّ حَاجتَهم ولا تُروي غلّتَهُم.

ومِن العقوباتِ التي تَحُلُّ بالأمُمِ المُعاصرةِ كَثرةُ الزلازلِ والبراكينِ التي تُدَمِّرُ البلدانَ. وتهلكُ عشَرات الألوفِ مِن بني الإنسانِ. وتتركُ الكثيرَ بِلا مَأوى.

ومِن العقوباتِ التي تَحُلُّ بالأممِ المُعاصرةِ عُقوباتُ الجَدْبِ وانحباسُ الأمطارِ حتى أجدبتِ الأرضُ وتعطلتِ الزراعةُ. وهَلكتِ المَواشي وشَاعتِ المَجاعةُ. حتى هَلكَ خَلْقٌ كثيرٌ، ومَن بقي حَيّاً ارتحلَ مِن بلدِه إلى بلدٍ آخَر لطلبِ لقمةَ العَيْشِ إمَّا مِنَ الصدقاتِ وإمَّا مِنَ الأُجرةِ التي يَحصلونَ عَليها مِنَ العَمَالةِ لدى الدولِ الغَنيةِ. ومِنَ العُقوباتِ التي تحُلُّ بالأُممِ المُعَاصرةِ مَا يُصيبُ الثمارَ والزروعَ مِنَ الآفاتِ التي تَقضي على المحَاصيلِ أو تُنقصُها.

ومِن عُقوباتِ المعَاصي في الأممِ المُعاصرةِ انتشارُ الأمراضِ المُستعصِيةِ التي يَعجزُ الطبُّ عن مُعالجتِها (كمرضِ السرطانِ والأيدزِ والهربسِ) وغيرِها وكثرةُ مَوتِ الفُجْأةِ بالإصاباتِ المُفاجِئةِ وبحوادثِ المَراكبِ الجويةِ والبريةِ والبحريةِ في الطائراتِ والسياراتِ والقطاراتِ والبواخرِ التي يذهبُ فيها جمَاعاتٌ مِن الناسِ في لحظةٍ واحدةٍ. ومِن عقوباتِ المَعَاصي في الأممِ المعُاصرةِ تَسليطُ الظلمةِ والجبابرةِ على الشعوبِ. وتَسليطُ الأحزابِ المُتعارضةِ بعضِها على بعضٍ. وتسليطِ الكفّارِ على المسلمينَ لَمَّا تَرَكَ المُسلمونُ الجهادَ وقصَّرُوا فيمَا أوْجَبَ الله عليهم، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ومِن أعظمِ عُقوباتِ المعَاصي أنها تُؤثرُ في القلوبِ مَرضاً وظُلمةً وقَسوةً، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفّفين: ١٤]، وعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذَنباً كانت نُكتة سَوداء في قلبِه، وإن تَابَ منها صُقِلَ قَلبُه وإن زادَ زَادَت»[١].

فذلكَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفّفين: ١٤] قَالَ الترمذيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، وقَالَ الحسنُ البصريُّ: هو الذنبُ على الذنبِ حتى يعمَى القلبُ ويموتَ. . .

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واحذرُوا المعَاصي ـ فَإنَّنَا في زمانٍ عَظُمَتْ فيه الفِتنةُ بِسببِ اختلاطِ الأشرارِ بالأخيارِ لتقارب البلدانِ وسُهولةِ المُواصلاتِ وتَوَفُّرِ وسائِلِ الإعلامِ التي تنقلُ الشرورَ من الأغاني والمزاميرِ والدعاياتِ المُغْرِضةِ بواسطةِ الإذاعاتِ والتلفزيوناتِ وأجهزةِ الفيديو بأفلامِها المُفسدَةِ، حتى صَارَ العالَمُ كالبلدِ الواحدِ مَا يحدثُ في أقصَاه يَصِلُ إلى أقصَاه في أسرعِ وقتٍ مَسموعاً ومَرئياً ومَقْرُوءاً.

لقد تَساهَلَ كَثيرٌ مِن الناسِ بالصلاةِ والزكاةِ وهُمَا مِن أعظمِ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ، لقد فَشَى الرِّبَا الخبيثُ في مُعاملاتٍ كثيرةٍ بينَ المسلمينَ، وَوَقعَ بعضُ شَبابِ المُسلمينَ في تعَاطي، المُسْكِرَاتِ والمُخَدِّرَاتِ، وكَثُرَ الغِشُّ في المُعاملاتِ. وَوُجِدَ بينَ المَسؤولينَ مَن يتعاطَى الرِّشْوَةَ التي لَعَنَ رَسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) رواه الترمذي (١٣٣١) بلفظ «إن العبد. . . .».

السَّاعي فيها ودافعَها وآخذَها كَثُرَ الفجورُ في الخُصوماتِ والزُّورُ في الشهاداتِ، وبعضُ النساءِ يتسَاهلنَ بالحجابِ، ويتبرجنَ بزينةِ الثيابِ، فعَلى المُسلمينَ أنْ يتقُوا الله ويتنبهُوا لهذِه الأخطارِ. ويُكثِرُوا مِنَ التوبةِ والاستغفارِ. ويأخذُوا عَلى أيدِي سُفهائِهم لعلّ اللهَ أنْ يتوبَ على الجَميع.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فَضْلِه وإحسانِه، لا نُحصي ثَناءً عليه، هو كمَا أثنَى على نفْسِه، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واسألُوه مِن فَضْلِهِ فإنَّه كريمٌ، وخَافُوا مِن عقابِه، فإنَّ عِقابَه أليمٌ.

عِبادَ اللهِ: كَمَا أنَّ للمعَاصي عُقوبات، فإنَّ لهَا عِلاجاً تُعَالَجُ به ويُتقَى به شَرُّهَا «**مَا أنزلَ الله دَاءً إلا أنزلَ له شفاءً**» ومِنْ أعظمِ مَا تُعَالجُ به المعَاصي التوبةُ والاستغفارُ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفَال: ٣٣]. وقد أَمَرَ اللهُ بالاستغفارِ والتوبةِ في آياتٍ كَثيرةٍ مِن كتابِه وَوَعَدَ بالمغفرةِ، قَالَ تعَالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]. وفي الحديثِ القَدسيِّ أنَّ الله تعَالى يقولُ: «**ياعِبادي إنَّكُم تُخطِئونَ بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جَميعاً فاستغفرُوني أغفرْ**

لكُم»[(١)].

والاستغفارُ هو طَلَبُ المَغفرةِ مَع تَرْكِ الذنوبِ والندمِ على فِعْلِهَا وعدمِ العَودةِ إليهَا، وليسَ مَعناه التلفّظُ به باللسانِ مَعَ البقاءِ على الذنوبِ والمعَاصي.

ومِمَّا تُعَالَجُ به المعَاصي نصيحةُ العُصاةِ ووعظُهم وتذكيرُهم ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعرَاف: ١٦٤]. ومِمَّا تُعالجُ به المعَاصي الأمرُ بالمعروفِ والنهيِ عَنِ المُنْكَرِ، قَالَ عليه الصلاةُ والسَّلاَمُ: «مَن رأى مِنكم مُنكراً فليغيِّرْه بيدِه، فإنْ لمْ يَستطعْ فبلسانِه، فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبِه وذلكَ أضعفُ الإيمانِ»[(٢)].

فيجبُ على المسلمِ إنكارُ المُنكَرِ بحسبِ استطاعتِه، يجبُ على قيِّمِ البيتِ أنْ يَأْمُرَ مَن تحتَ يَدِه وينهَاهُم مِن أولادِه وأهلِ بيتِه، قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التّحريم: ٦]. فَوقايةُ النفسِ والأهلِ مِن النارِ واجبةٌ، وذلكَ بالتزامِ طَاعةِ اللهِ والابتعادِ عَن مَعصيتِه، ويجبُ على وُلاةِ الأمورِ وأهلِ الحِسبةِ القيامُ على مَن تحتَ ولايتِهم بأمرِهم بالمعروفِ ونهيِهم عن المُنكَرِ وإلزامهم بطاعةِ اللهِ والأخذِ على أيدِيهم، ويجبُ على عُمومِ المُسلمينَ التعاونَ مَع ولاةِ الأمُورِ في ذلكَ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المَائدة: ٢]. وقَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «كُلّكم راعٍ وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رعيتِه»[(٣)]. فإذا أُهمِلَ جَانبُ الأمْرِ بالمعروفِ والنّهي عنِ المُنكَرِ وتُرِكَ العُصاةُ بدونِ إنكارٍ عَمّتِ العُقوبةُ الجَميعَ، كمَا قَال تعَالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٥٧٧).

(٢) رواه مسلمٌ (٤٩).

(٣) رواه البخاريُّ (٢٥٥٤)، ومسلمٌ (١٨٢٩).

كَفَرُوا مِنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [المَائدة: ٧٨، ٧٩].

والمَعصيةُ إذَا خَفِيَتْ لمْ تَضر إلاَّ صَاحِبَهَا وإذَا ظَهَرَتْ ولمْ تُنكَرْ عَمّتْ عقوبتُها الجَميعَ. ومِمَّا تُعالَجُ به المعَاصي تأديبُ العُصاةِ بإقامةِ الحُدودِ، والتعزيراتِ الشرعيةِ التي تَرْدَعُ العَاصي، قَال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ لِسَبْعٍ، واضربُوهم عليها لِعَشْرٍ، وفرِّقوا بينَهم في المَضَاجِعِ»(١). وجَاء في الحديثِ أنَّ الحَدَّ الواحدَ يُقام في الأرضِ خير مِنْ تُمطر أربعينَ صَباحاً، واللهُ عزّ وجلّ يَزَعُ بالسلطانِ مَا لا يزعُ بالقرآنِ.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، واعلمُوا أنَّ الأمرَ خَطيرٌ فخُذُوا لأنفسِكم قَبل فواتِ الأوانِ، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (رقم: ٤٩٥).

التحذير مِنَ الذنوب وعُقُوبَاتِهَا

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، مَنَّ على مَن شَاء مِن عِبادِه بهدايتِهم للإيمانِ، وَكَرَّهَ إليهِمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شَريكَ له تَفَرَّدَ بالكمالِ والجَلالِ والعَظمةِ والسُّلطانِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه المَبعوثُ إلى كَافةِ الإنسِ والجَانِّ، فَبَلَّغَ رِسالةَ رَبِّهِ وبيّن غَايةَ البيانِ، صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه الذين جَاهَدُوا في اللهِ حَقّ جِهادِه حتى نشرُوا العَدلَ والأمنَ والإيمانَ، وسَلّم تسليمَاً كثيراً. . . أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى واحذَرُوا المعَاصي فإنَّ لهَا أثراً سَيئاً على العَاصِي وعلَى المَكانِ والسكانِ، قالَ تعَالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعرَاف: ٥٦]. أي لاتُفسدُوا فيها بالشركِ والمَعاصي والظلمِ، بعدَ إصلاحِها بالتوحيدِ والعَدلِ والطاعةِ وإرسالِ الرسلِ.

فالمعَاصي تَضُرُّ بالقلوبِ كَضَرَرِ السمومِ في الأبدانِ، وهَل مَا في الدنيا والآخرةِ مِن شُرورٍ وعقوباتٍ إلاَّ وَسَبَبُه الذنوبُ والمعَاصي؟ فمَا الذي أَهْلَكَ الأُممَ المَاضيةَ إلا الذنُوب والمعَاصي؟

قَالَ تعَالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العَنكبوت: ٤٠].

والذنوبُ تَتفاوتُ وتَنقسمُ إلى كبائرَ وصَغائرَ وتَتفاوتُ مَفاسدُها وعقوباتُها في الدنيا والآخرةِ، قَالَ الإمامُ العَلاّمةُ ابنُ القيّمِ رحمَه اللهُ: ثُمَّ هذِه الذنوبُ

تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ: «ملِكيةٌ، وشَيطانيةٌ، وسَبعيةٌ، وبَهيميةٌ» لا تخرجُ عن ذلكَ.

فالذنوبُ الملِكية: أن يتعَاطى ما لايصلحُ له من صفاتِ الربوبيةِ كالعظمةِ والكبرياءِ والجبروتِ والقهرِ والعُلوِّ بغيرِ الحقِّ واستعبادِ الخلقِ ونحوِ ذلكَ، ويدخلُ في هذَا الشركُ بالربِّ تَباركَ وتعَالى، وهذَا القسمُ أعظمُ أنواعِ الذنوبِ، ويدخلُ فيه القولُ على اللهِ بِلاَ عِلْمٍ في خَلقِه وأمرِه، فمَن كانَ مِن أهلِ هذِه الذنوبِ فقد نَازَعَ اللهَ سُبحانَه في ربوبيتِه ومُلْكِهِ وجَعَلَ نفسَه له نِدّاً. وهذَا أعظمُ الذنوبِ عندَ اللهِ ولا ينفعُ معَه عَمَلٌ.

وأمَّا الشيطانيةُ: فالتشبّهُ بالشيطانِ في الحَسَدِ والبغيِ والغِشِّ والغِلِّ والخِداعِ والمَكْرِ والأمرِ بمعَاصي اللهِ وتحسينِها، والنهيِ عَن طَاعةِ اللهِ وتَهجينِها، والابتداعِ في دِينِه والدعوةِ إلى البدعِ والضلالِ، وهذَا النوعُ يلي النوعَ الأولَ في المَفسدةِ وإن كانت مَفسدتُه دُونَه.

وأمَّا السَّبعيةُ: فذنوبُ العدوانِ والغضبِ وسَفْكِ الدماءِ والتَّوَثُّبِ على الضعفاءِ والعَاجزينَ...

وأمَّا الذنوبُ البهيميةُ: فمِثل الشَّرَهِ والحِرْصِ على قضاءِ شَهوةِ البطِن والفَرْجِ، ومِنها يَتولدُ الزنَى والسرقةُ وأَكْلُ أموالِ اليتامَى والبخلُ والشُّحُ والجُبنُ والهَلَعُ والجَزَعُ وغيرُ ذلكَ.

وهذَا القسمُ أكثرُ ذنوبِ الخَلْقِ لعجزِهم عَنِ الذنوبِ السُّبُعيةِ والملِكيةِ ومنه يَدْخُلُونَ إلى سَائرِ الأقسامِ.

عِبادَ اللهِ: لقد حَذّرَ النبيُّ ﷺ مِنَ المعَاصي وعقوباتِها عُموماً، وحَذّرَ مِن كبائرِ الذنوبِ خُصوصَاً لأنَّ خَطرَهَا أشدُّ، فَفي الصحيحِ عَنه ﷺ أنّه قَالَ: «ألا

أُنبئكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قُلنَا: بلى يا رسولَ اللهِ فقَالَ: «الإشراكُ باللهِ وعُقوقُ الوالدينِ وشَهادةُ الزورِ»(١) وفي الصحيحِ أيضاً عنه ﷺ: «اجتنبُوا السَّبْعَ المُوبقَاتِ»، قِيل ومَا هُنّ يارسولَ اللهِ؟ قَالَ: «الإشراكُ باللهِ والسِّحْرُ، وقَتْلُ النفسِ التي حَرّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ، وأكلُ مَالِ اليتيمِ، وأكلُ الربَا والتولّي يومَ الزحفِ، وقَذْفُ المُحصنَاتِ الغَافلاتِ المؤمناتِ»(٢). وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ أنَّه سُئل أيّ الذنبِ أكبرُ عندَ اللهِ؟ قَالَ: «أنْ تَجعلَ للهِ نداً وهُو خَلَقَكَ، قِيل ثُمَّ أَي؟ قَالَ: أنْ تَقْتُلَ ولدَكَ مَخافةَ أنْ يطعمَ مَعكَ»، قِيل: «ثُمَّ أيّ؟ قَالَ أن تزني بحَليلةِ جَارِكَ»(٣)، فأنزلَ اللهُ تعَالى تَصديقَها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفُرقان: ٦٨].

ولَمَّا كانَ الشركُ أكبرُ الكبائرِ؛ لأنَّه ضِدُّ التوحيدِ الذي خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ مِن أَجْلِهِ، حرّم اللهُ الجَنَّةَ على كُلِّ مُشركٍ وأَباحَ دَمَه ومَالَه وأَهلَه لأَهْلِ التوحيدِ. وأنْ يتخذُوهم عَبيداً لهُم لَمَّا تَركُوا القيامَ بعبوديتِهِ، وأَبىٰ اللهُ سُبحانَه أنْ يَقبلَ مِن مُشركٍ عَملاً ويقبلَ فيه شَفاعةً أو يستجيبَ له في الآخرةِ دَعوةً أو يَقبلَ له فيها رَجَاءً. ولَمَّا كانَ السِّحْرُ مِن عَمَلِ الشياطينِ كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢].

لأنَّ السَّاحِرَ في الغالبِ يتعاملُ معَ الشياطينِ ويَخضعُ لهُم ويتقرّبُ إليهم صَارَ مُفسِداً للعقيدةِ ومَفسِداً للمُجتمعِ لِمَا يُحْدِثُه مِنَ الأضرارِ بإحداثِ التباغضِ بينَ المُتحابينَ كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

(١) رواه البخاريُّ (٢٦٥٤)، ومسلمٌ (٨٧)، والترمذيُّ (٢٣٠٢).
(٢) رواه البخاريُّ (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).
(٣) رواه البخاريُّ (٤٤٧٧)، ومسلمٌ (٨٦).

وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] ويُحدِثُ أمرَاضاً وقَتلاً، لَمَّا كانَ يَشتملُ على هذِه الأضرارِ وغيرِها صَارَ قَريناً للشركِ ويليه في المَرْتَبَةِ، وحَكَمَ الشارعُ بكُفرِ السَّحَرَةِ، وثبَتَ الأمرُ بقتلِهم عن جَماعةٍ مِنَ الصحابةِ لإراحةِ المجتمعِ مِن شَرِّهم، ونَهى النبيُّ ﷺ عن الاتصالِ بِهم والذهابِ إليهم.

ويلي الشِّرْكَ في كِبَرِ المَفسدةِ القولُ على اللهِ بِلا عِلْمٍ في أسمَائِه وصفاتِه وفي عِبادتِه وتَحليلِه وتَحريمِه مِن وَصْفِهِ بمَا لمْ يَصِفْ بِه نفْسَه، أوْ نَفْيِ مَا وَصَفَ به نفْسَه أو إحداثَ عِبادةٍ لمْ يَشرّعها أو تَحليلَ مَا حَرّمَه أو تحَريمَ مَا أَحلّه. فإنَّ ذلكَ كله ابتداعٌ في دِينِ اللهِ وإنقاصٌ لجلالِ اللهِ. . .

والبدعةُ أَحَبّ إلى إبليسَ مِن كبَارِ الذنوبِ كَمَا قَالَ بعضُ السلفِ الصالحِ: البدعةُ أَحَبّ إلى إبليسَ مِنَ المعصيةِ؛ لأنَّ المعصيةَ يُتابُ مِنها والبدعةَ لا يُتابُ مِنها وهي اتباعٌ للهَوىٰ. قَالَ إبليسُ لَعَنَهُ اللهُ: أهْلَكْتُ بني آدمَ بالذنوبِ وأهلكُوني بلا إلَه إلاّ الله وبالاستغفارِ، فلمَّا رأيتُ ذلكَ بَثَثْتُ فيهم الأهواءَ، فهم يُذنبون ولايتوبون لأنهُم يَحْسَبُونَ أنّهم يُحسنونَ صُنعاً، والمُذنبُ ضَرَرُه على نفسِه فقط، والمبتدعُ ضَرَرُه على الناسِ، وفتنةُ المبتدعِ في أصلِ الدينِ، وفتنةُ المُذنبِ في الشهوةِ، والمبتدعُ يَصُدّ الناسَ عن الدينِ الصحيح إلى البدعِ المُحدَثَةِ والدينِ الباطلِ.

ومِن الكبائرِ المُوبقةِ قَتلُ النفسِ التي حرّمَ اللهُ إلاّ بالحقِّ، وقد قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النّساء: ٤]. وقَال تعَالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المَائدة: ٣٢].

وإنما صَارَ قاتلُ النفسِ الواحدةِ ـ ظُلماً وعدُواناً ـ كالقاتِل للناس جَميعاً لأنَّه تَجرأَ على سَفْكِ الدمِ الحرامِ. فإنَّ مَن قَتَلَ نفسَاً بغيرِ استحقاقٍ بل لمُجرد الفسادِ في الأرضِ أو لأخذِ مَالِ المَقتولِ فإنه يتجرأُ على قتلِ كُلِّ مَن ظَفَرَ بِه وأمكنَه قتلُه. فهو مُعادٍ للنوعِ الإنساني. ولأنَّ اللهَ جَعلَ المؤمنينَ في توادّهم وتراحمِهم وتعاطفِهم كالجسدِ الواحِدإذا اشتكَى منه عضوٌ تَداعى له سَائرُ الجسد بالسَّهرِ والحمّىٰ، فإذا أتلفَ القاتلُ عُضواً مِن ذلكَ الجسدِ فكَأنَّما أَتْلَفَ سَائرَ الجسدِ وآلَمَ جميعَ أعضائِه فمَن آذى مُؤمناً واحداً فقد آذى جميعَ المُؤمنينَ، ومَن آذى جميعَ المُؤمنين آذى جميعَ الناسِ، فإن الله إنَّمَا يُدافعُ عن الناسِ بالمؤمنينَ الذينَ هُم بينَهم، ولأنَّ مَن قَتَلَ نفْساً بغيرِ حقٍّ فقد جَرّأ غيرَه على القتِل وسَنّ سُنّة سيئةً لغيرِه من الاعتداءِ على الناسِ جَميعاً، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**لا تُقتلُ نفسٌ ظُلماً بغيرِ حقٍّ إلا كانَ على ابنِ آدمَ الأولِ كِفلٌ مِن دَمِهَا؛ لأنّه أولُ مَن سَنّ القتلَ**»[1].

وقَتْلُ النفسِ بغيرِ حَقٍّ يتفاوتُ إثمهُ وضررُه بحسبِ مَفسدتِه، فَقَتْلُ الإنسانِ ولَده الصَّغير الذي لا ذنب له خشيةَ أنْ يُطْعَمَ معَه أو يُشاركَه في مالِه مِن أعظمِ أنواعِ الظلمِ وأكبرِ الكبائرِ، وكذَا قتلُه لِوالِديه تَجتمعُ فيه جريمةُ القتلِ وجريمةُ العقوقِ، وجريمةُ قطيعةِ الرحمِ؛ وكذلكَ قَتلُه لبقيةِ قَرابتِه فيه جَريمةُ القتلِ وجريمةُ القطيعةِ، وهكَذَا تتفاوتُ دَرجاتِ القتلِ بحسبِ قُبحهِ وسُوءِ أَثَرِهِ؛ ولهذاَ كانَ أشدّ الناسِ عذَاباً يومَ القِيَامةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيّاً أو قَتَلَهُ نبيٌّ. ويَليه مَن قَتَلَ إمَامَاً عَادِلاً أو عَالِمَاً يأمرُ الناسَ بالقسطِ، ومِنَ الكبائِر المُوبِقة جَريمةُ الزّنَى، فهُو مِن أعظمِ المَفَاسِدِ لأنَّه يترتبُ عليه فسادُ نِظامِ العَالَمِ في حِفْظِ الأنسابِ وحِمايةِ الفروجِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٣٣٥)، ومسلمٌ (١٦٧٧) وغيرهما.

وصِيانةِ الحُرماتِ وهو يُوقعُ العداوةَ والبغضاءَ بينَ الناسِ ويسبِّبُ حُدوثَ الأمراضِ الخطيرةِ، وكلٌّ مِنَ الزناةِ يُفْسِدُ زوجةَ الآخَرِ وأختَه وبنتَه وأُمَّه، وفي ذلكَ خَرابُ العَالَمِ؛ ولهَذا كانت جريمةُ الزنى تلي جَريمةَ القتلِ في الكِبَرِ؛ ولهَذا نَهى اللهُ عَنْ قُرْبِهِ وأخبرَ أنه كانَ فَاحشةً وسَاء سَبيلاً في قولِه، تعَالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢ ﴾ [الإسرَاء: ٣٢].

النَّهيُ عَن قُربانِه أبلغُ مِنَ النَّهي عَن فعله لأنَّه نَهْيٌ عنه وعنِ الوسائلِ المُفْضيةِ إليه، كالنظرِ المُحَرَّمِ والخلوةِ بالمرأةِ الأجنبيةِ، واختلاطِ المرأةِ بالرجالِ، وحَرّمَ التبرجَ والسُّفُورَ وسَفَرَ المرأةِ بدونِ مَحْرَمٍ، كُلّ ذلكَ مِن أَجْلِ الابتعادِ عن الزنى. قَالَ الإمامُ ابنُ القيّمِ: ومَفْسَدَةُ الزنا مُناقضةٌ لصَلَاحِ العَالَمِ، فإنَّ المَرأَةَ إذا زَنَتْ أدخلَتْ العارَ على أَهْلِهَا وزوجِها وأقارِبِها ونكَّسَتْ رؤوسَهم بينَ الناسِ، وإنْ حَمَلَتْ مِنَ الزنى، فإمَّا أنْ تَقتلَ ولَدَهَا فتَجمعُ بينَ الزنى والقتلِ، وإنْ أبقتْه حَملتْه على الزوجِ فأدخلتْ على أهلِها وأهلِه أجنبيًّا ليسَ مِنهم، فورِثَهم وليسَ مِنهم ورآهُم وخَلا بِهم وانتسبَ إليهم وليسَ مِنهم، وأمَّا زِنَى الرجلِ فإنَّه يُوجِدُ اختلاطَ الأنسابِ وإفسادَ المَرأةِ المَصُونَة وتعريضَها للتلفِ والفسادِ، ففي هَذِه الكبيرةِ خَرابُ الدنيا والدِّينِ، فكَم في الزنى مِنَ استحلالِ مُحرماتٍ وفَواتِ حَقوقٍ ووقوعِ مَظالم، ومَن خَاصيتِه أنه يُوجِبُ الفقرَ ويُقصِّرَ العُمْرَ ويَكْسُو صَاحِبَه سَوادَ الوجهِ وثَوبَ المَقْتِ بينَ الناسِ، ومِن خَاصيتِه أيضاً أنه يُشتِّتُ القلبَ ويُمرضُه إنْ لمْ يُمِتْه، ويجلبُ الهمّ والحزنَ والخوفَ ويُباعدُ صَاحِبَه مِنَ المَلكِ ويقرِّبه مِن الشيطانِ، فليسَ بعد مَفْسَدَةِ القتلِ أعظمُ مِن مَفسدةِ الزنى. ولهَذَا شُرِّعَ فيه القتلُ على أشنعِ الوجُوه وأفحشِها وأصعبِها (يعني أنَّ الزاني يجبُ رَجْمُه بالحجارةِ حتى يموتَ) ولو بلغَ الرجلُ أنَّ امرأتَه أوْ حُرمتَه قُتِلَتْ كانَ أسهلَ

عليه مِن أنْ يَبْلُغَهُ أنَّها زَنَتْ، وخَصَّ سُبحانَه حَدَّ الزنى بثلاثِ خَصائِصَ مِن بين سَائرِ الحدود، أحدُهما القتلُ فيه بأشنعِ القتلاتِ، الثاني أنه نهى عِبادَه أنْ تَأخذَهم بالزناةِ رَأفةٌ في دِينه بحيثُ تَمنعهم من إقامةِ الحدّ عليهم، الثالثُ أنه أَمَر سُبحانَه أن يُقام حَدّ الزنا بمَشهدٍ مِنَ المؤمنينَ فلا يكونُ في خُلوةٍ حيثُ لا يَراه أَحَدٌ. . .

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واجتنبُوا الذنوبَ والمعَاصي مَا ظَهَرَ مِنها ومَا بَطَنَ . . . أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفُرقان: ٦٨ــ٧٠] الآيات . . .

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، حرّم الفواحشَ مَا ظَهَرَ مِنها ومَا بَطَنَ، وأَمَرَ بتقوَاه في السِّرِّ والعَلَنِ. وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تَسليماً كَثيراً.

أمَّا بَعْدُ

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واجتنبُوا الإثم والفَواحشَ لعلّكم تُفلحونَ. . .

عِبادَ اللهِ: ومِنَ الكبائرِ المُوبقةِ جَريمتانِ عَظيمتانِ مُهلكتَانِ، كَثيرٌ وقوعُهما اليومَ، وتَسَاهَلَ الناسُ فِيهما، وهُما تركُ الصلاةِ وأكلُ الرِّبَا.

فأمَّا تَرْكُ الصلاةِ فإنّه كُفرٌ مُخرجٌ مِنَ المِلّةِ - على الصحيحِ - وإنْ لم يَجْحَدْ وجوبَها، قَال تعَالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القِيَامَة: ٣١، ٣٢] وقَال تعَالى عَنْ أصحابِ النَّارِ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ

ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المُدثر: ٤٢، ٤٣]. وقَالَ النبيُّ ﷺ: «بينَ الرجلِ وبينَ الكُفرِ تركُ الصَّلَاةِ» رواه مُسلمٌ. وقَالَ النبيُّ ﷺ: «العهدُ الذي بيننَا وبينَهم الصلاةُ فمَن تَرَكَهَا فقد كَفَرَ» رواه الإمامُ أحمدُ وأهلُ السننِ. وقالَ الترمذيُّ: حديثٌ صحيحٌ إسنادُه على شَرْطِ مُسلمٍ، قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ: لايَخْتَلِفُ المَسلمونَ أنَّ تَرْكَ الصَّلاةِ المَفروضةِ عَمْدَاً مِنْ أعظمِ الذنوبِ وأكبرِ الكبائرِ، وأنَّ إثمَه أعظمُ عندَ اللهِ مِنْ إثْمِ قَتْلِ النفسِ وأخذِ الأموالِ ومِنْ إثْمِ الزنى والسرقةِ وشُرْبِ الخمرِ، وأنَّه مُتعرضٌ لعقوبةِ اللهِ وسَخَطِهِ وخزْيِهِ في الدنيا والآخرةِ . . .

فاتقُوا اللهَ يا مَنْ تَهَاونتُمْ بِالصلاةِ فإنَّكُمْ ضَيَّعتُم أعظمَ أركانِ دِينكم بعدَ الشهادتينِ وضيعتُم عمودَ الإسلامِ فمَاذا بقِي عندكُم مِنَ الدِّينِ؟ ومَا هي حُجتُكم عند ربِّ العَالمين؟ واتقُوا الله يا مَن تَتْرُكُون في بيوتِكم رِجالاً لا يُصلّون ولا يدخلُون المَساجدَ لَيلاً ولا نَهاراً كأنهم يهودٌ أو نَصَارى، لقدْ آويتُم أعظمَ العُصاةِ والمُجرمينَ وعُرضْتُمْ أنفسَكم ومَن في بيوتِكم لأعظمِ العقوباتِ. وأمَّا أَكْلُ الرِّبَا فقد أصبحَ مُتفشياً بينَ أصحابِ الأموالِ والمُستثمرينَ غَير مُبالينَ بوعيدِ اللهِ وعقوبتِه، وقد أعلنَ اللهُ الحربَ مِنه ومِن رسولِه عَلَى أكَلَةِ الرِّبَا فليلبسُوا سِلاحَهم لمُحاربةِ اللهِ ورسولِه وليستعدُّوا للقدومِ على النارِ وسوءِ القرارِ، إنْ لمْ يتُوبوا إلى رَبِّهِم . . .

عِبَادَ اللهِ: إنَّ بابَ التوبةِ مَفتوحٌ أمامَ كُلِّ تَائبٍ، فبادِرُوا بالتوبةِ إلى اللهِ قبلَ غَلْقِ هَذَا البابِ، قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النِّساء: ١٧، ١٨] . . . واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

في تَمييزِ الطيبِ مِنَ الخبيثِ

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، أحلّ لنَا الطيباتِ وحرّم علينا الخبائثَ وأسبغَ علينا نِعمه ظَاهرةً وباطنةً، ووعَد بالمزيدِ لِمنْ شَكَرَه، وتوعَّد بالعذابِ الشديدِ لِمَن كفَره، وأشهدُ أن لا إلَهَ إلاّ الله وحدَه لاَ شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدينَّ، وأتمَّ بِه النعمَة، وهدَى به إلى الصراطِ المُستقيمِ، صلّى الله عليه وعلَى آلِه وأصحابِه الذين آمَنوا به وعزَّرُوه ونصرُوه واتبعُوا النورَ الذي أُنزلَ معَه، وعلى مَنِ اتبعَهم بإحسانٍ، وسَلّم تسليمَاً كثيراً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وأطيعُوا أمْرَه واجتنبُوا مَا نهَاكُم عنه لعلّكُم تُفلحونَ. . . عِبادَ اللهِ: يقولُ الله تعَالى لنبيّه ﷺ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المَائدة: ١٠٠].

فَمِنْ حِكمةِ اللهِ تعَالى خَلقُ المُتضاداتِ في هذِه الحياة، مِنَ الطيبِ والخبيثِ، والصالحِ والفاسدِ والمؤمنِ والكافرِ والضَّارِّ والنافعِ، ليتمَّ الابتلاءُ والامتحانُ للعبادِ، وفي هذِه الآية الكريمة نفيُ المُساواةِ بينَ الخبيثِ والطيبِ؛ لأنَّ الطيبَ نافعٌ مُفيدٌ، والخبيثُ ضَارٌّ مُفْسِدٌ، ولو زادتْ كِميةُ الخَبيثِ، أو كُسِي شَيئاً مِنَ المُحَسِّنَاتِ فلابدّ أنْ تنكشفَ حَقيقتُه ويفتضحُ زَيْفُهُ، ولفظُ الخبيثِ هُنا يشمـلُ الخبيـثَ مِـنَ الأشخـاصِ والأعمـالِ والأقـوالِ والأمـوالِ، والمَـآكـلِ والمشاربِ، فلا يَستوي الخبيثُ والطيبُ مِن هذِه الأشياءِ ولا مِن غيرِها.

لايستَوي الخبيثُ والطيبُ مِنَ الأشخاصِ، كمَا قَال تعَالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السَّجدَة: ١٨] وقَال تعَالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨]. وقَالَ تعَالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثيَة: ٢١]، وقَالَ تعَالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحَشر: ٢٠] وقَال تعَالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القَلَم: ٣٥، ٣٦]. ولايستَوي الخبيثُ والطيبُ مِنَ الأعمالِ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤] ولاَ يستَوي الخبيثُ والطيبُ مِنَ الأقوالِ ـ قَالَ الله تعَالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ـ٢٦]. وأخبرَ أنَّه يَصعدُ إليه الكَلِمُ الطيبُ فقَالَ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فَاطِر: ١٠] ولايستَوي الخبيثُ والطيبُ مِنَ الأموالِ فقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الله لا يَقبلُ الصدقةَ إلاَّ إذَا كانت مِن مالٍ طَيِّبٍ، أمَّا إنْ كانت مِن مَالٍ خَبيثٍ فإنَّه لاَ يقبلُها فقَال ﷺ: «ما تَصَدَّق عبدٌ بصدقةٍ مِن مَالٍ طَيبٍ ـ ولايقبلُ اللهُ إلا الطيبَ ؛ إلا أخذَها الرحمنُ بيمينِه» مُتفقٌ عليه[1].

وفي صحيحِ مُسلمٍ عن النبيِّ ﷺ: «لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةً بغيرِ طَهورٍ ولا صَدقةً

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤١٠)، ومسلمٌ (١٠١٤).

مِن غَلولٍ»[(١)] والغلولُ مَا أُخِذَ مِنَ الغنيمةِ أو مِن بيتِ المالِ بغيرِ حَقٍّ.

وفي مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ رحمَه اللهُ عن ابن مَسعودٍ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «لا يكتسبُ عَبْدٌ مَالاً مِن حَرامٍ فَيُنْفقُ مِنه فَيبارِكَ فيه ولا يتصدقُ بِه فَيتقبل مِنه ولا يتركُه خلفَ ظَهرِه إلا كانَ زادُه إلى النارِ. إنَّ الله لايمحُو السيءَ بالسيءِ، ولكنْ يمحُو السيءَ بالحَسَنِ. إنَّ الخبيثَ لايمحُو الخبيثَ» وكذلك لايستَوي الخبيثُ والطيبُ مِن الأطعمةِ والأشربةِ فقد أحَلَّ اللهُ الطيباتِ وحَرّم الخبائثَ، قَالَ تعَالى في وصفِ رسولِه ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعرَاف: ١٥٧]؛ لأن تَناولَ الطيباتِ مِن المَآكلِ والمَشَارِبِ له تأثيرٌ طَيبٌ عَلى القلبِ والبدنِ والسلوكِ.

وتناول الخبائث من المآكل والمشارب له تأثير سيء على القلب والبدن والسلوك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعَالى طَيبٌ لاَ يَقبلُ إلاَّ طَيباً، وإنَّ اللهَ تعَالى أَمَرَ المؤمنينَ بمَا أَمَرَ بِهِ المُرسلينَ»، فَقَالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]... الآيةُ، وقَالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقَرة: ١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ «الرجلَ يُطيلُ السَّفَرَ أشعثَ أغبرَ يَمُدُّ يديه إلى السماءِ ياربِّ ياربِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِّيَ بالحرامِ، فأنّى يُستجاب

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٢٤).

له»، رواه مُسلمٌ. ومَعناه: أنَّ الله تعَالى مُقَدَّسٌ مُنَزَّهٌ عَنِ النقائصِ والعيوبِ لا يَقْبَلُ إلا الطيبَ مِنَ الأعمالِ وهُو مَا كانَ خَالياً مِنَ المُفسِداتِ كالرياءِ والسُّمْعَةِ والعُجْبِ وسَائرِ أنواعِ الشركِ، ولا يقبلُ مِنَ الصدقاتِ إلاَّ مَا كانَ من مَالٍ طَيبٍ حَلالٍ، ولايَقبلُ مِن الأقوالِ إلاَّ مَا كانَ طَيباً، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، ولايقبلُ من الأشخاصِ إلاَّ مَن كَان طَيباً وهو المُؤمنُ، فالمؤمنُ كُلُّهُ طيبٌ، قَلبُه ولسانُه وجسدُه، وذلكَ بِمَا يَسكنُ قَلبَه مِن الإيمانِ ويظهرُ على لسانِهِ مِن ذِكر اللهِ وعلى جوارحِه مِن االأعمالِ الصالحةِ التي هِي ثَمرةُ الإيمانِ ودَاخلةٌ في اسمِه، فهذِه الطَّيبات كُلّها يقبلُها الله، كمَا في حديثِ التشهدِ: (التحياتُ للهِ والطيباتُ) ومِن أعظمِ مَا يحصلُ به طِيبُ الأعمالِ للمؤمِن طِيبُ مَطعمِه وذلكَ بأكلِ الحلالِ، ومن أعظمِ مَا يفسدُ العملَ ويمنعُ قبولَه أكلُ الحرامِ، كمَا في الحديثِ في الذي يَمُدُّ يديه ياربّ ياربّ ومَطعمُه حَرامٌ ومَشربُه حَرامٌ وملبسُه حرامٌ وغذيَ بالحرامِ فأنى يُستجابُ له؟! فدلّ على أنَّ أكْلَ الحرامِ وشُرْبَه ولُبْسَه يمنعُ من قَبُولِ الدعاءِ، وفي هَذا أكبرُ زاجرٍ وأعظمُ رَادعٍ لهؤلِاء الذين أَطلقُوا لأنفسِهم العنانَ في جَمْعِ الأموالِ المُحَرّمةِ والمَكاسِبِ الخبيثةِ مِن الربا والرِّشْوَةِ والكذبِ والغشِّ في البيعِ والشراءِ والمقاولاتِ، والاستيلاءِ على أموالِ الناسِ بالخصوماتِ الفاجرةِ والأيمانِ الكاذبةِ وشَهاداتِ الزورِ، وفي ذلك أكبرُ زاجرٍ وأعظمُ رادعٍ لهؤلِاء الذين يتغذُّون بالمحرماتِ ويشربُون المُسْكِرَاتِ والمخدِّراتِ مِن الخمورِ والحشيشِ والأفيونِ، أو يستعملونَ المُفتراتِ فيشربُون الدخانَ ويمْضغون القاتَ، فيتغذونَ بهذِه الأشياءِ الخبيثةِ التي تُفسدُ العقلَ والمزاجَ وتُمرضُ الجسمَ وتَقتلُ الرجولَة وتَجرُ إلى الرذيلةِ وفِعْلِ الفواحشِ والمحرّماتِ، أنّى يُستجابُ لهم دُعاء؟! وكيف ينشطُ في الطاعةِ جِسمٌ غُذي

بمحرمٍ؟! وكيفَ يكونُ في عِدَادِ الصَّالحينَ شَخصٌ يتغذَّى بالخبائِث؟! فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واستغنُوا بمَا أَحلّ الله لكُم عمّا حرّم عليكُم ففي الحَلالِ غُنيةٌ عن الحرامِ. ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ ﴾ [الحج: ٣٠].

عَوِّدُوا ألسنتكم النطقَ بالكلمِ الطيبِ مِن تلاوةِ القرآنِ والتسبيحِ والتهليلِ والتكبيرِ والتحميدِ لتكونُوا مِنَ الذينَ قَالَ اللهُ تعَالى فِيهم: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤ ﴾ [الحج: ٢٤].

وتجنبُوا الكلامَ الخبيثَ كالكذبِ والغيبةِ والنميمةِ والشتمِ وشهادةِ الزورِ، وأيمانِ الكذبِ والفجورِ، لاتنطقُوا بهذا الكلامِ ولا تستمعُوا إليه لتكونُوا مِن الذينَ قَالَ اللهُ تعَالى فِيهم: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥ ﴾ [القصص: ٥٥].

ومِن الكلامِ الخبيثِ واللَّغوِ المُحرمِ الذي لايجوزُ استماعُه الأغاني التي سَمّاهاالله ﴿ لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: ٦]، الذي توعَّدَ مَن استمعَ إليها وانشغل بها عَنِ القرآنِ بالعذابِ المُهينِ، وقد فسّر كثيرٌ مِنَ أكابرِ صَحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ ﴿ لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: ٦]، بأنَّه الغناء، وحَلَفَ باللهِ على ذلكَ عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضي الله عنه ثلاثَ مَراتٍ، مِمَّا يدلُّ على خُطورةِ الاستماعِ إلى الأغاني، وقد تَفَشَّى هَذا البلاءُ في هذَا الزمانِ فصَارَ الغناءُ والطربُ فَنّاً مِنَ الفنونِ التي تُشَجَّعَ عَليها، ولوسائلِ الإعلامِ دَورٌ كبيرٌ في ترويجِ هذِه الأغاني وتَشجيعِ المُغنينَ والمُطربينَ. وهي أغانٍ مَاجنة تشتملُ على وَصْفِ العِشْقِ والغَرَامِ، وتبعثُ عَلى فِعْلِ الفواحشِ والآثامِ، وتُصْحَبُ بالمعازفِ والمُوسيقَى المُحرّمةِ بالنصِّ والإجماعِ، وقدَ خُصِّصَ لِبَثِّ هذِه الأغاني المَاجنَةِ والمُوسيقَى المُحرمةِ كَثيرٌ من بَرامجِ الإذاعاتِ لإفسادِ الدِّينِ وتَسْفِيهِ العُقولِ وتَضييعِ الأوقاتِ وصَرْفِ

المُسلمينَ عن العملِ الجَادِّ المُثْمِرِ إلى الانشغالِ بالعِشْقِ والغَرامِ وفَسَادِ الأخلاقِ. فاتقُوا الله عِبادَ اللهِ، وتجنبُوا خَبائثَ المَطَاعِمِ والمَشَارِبِ والأعمالِ والأقوالِ. . .

أعوذُ باللهِ مَنَ الشيطانِ الرحيمِ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المَائدة: ٨٧، ٨٨].

بارِكَ الله لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ ربّ العَالمينَ، خلقَنا ورزقَنا ولمْ يتركْنا سُدى، بل جَعَلَ لنَا مَوعداً يُجَازَى فيه المُحسنُ بإحسانِه والمُسيءُ بإساءتِه ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فُصّلت: ٤٦] أَحْمَدُهُ على نِعَمِه التي لا تُحْصَى، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ لَه، لَهُ الأسماءُ الحُسنى، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، غَفَرَ اللهُ له مَا تَقَدَّمَ مِن ذنبِه ومَا تَأَخَّرَ، فَقَامَ على قَدميهِ الشريفتينِ حتى تفطرتَا مِن طُولِ القيامِ شُكراً لله، فصَلّى اللهُ وسَلّم عليه وعلَى آلِه وأصحابِه الذين تمسكُوا بسنّتِه وسَاروا على نهجِه.

أمّا بعدُ:

نُوا مَعَ المؤمنينَ الصَّادِقِينَ الطَّيبينَ، وابتعدُوا عَنِ الخُبثاءِ والمُفسدينَ، فقد أمَرَكُمُ اللهُ بذلكَ في مُحكمِ كتابِه المُبينِ. قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبَة: ٧١]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن

فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفالُ: ٧٣]. وقَالَ تعَالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النُّور: ٢٦] أي الخبيثاتُ مِنَ النساءِ أو مِن الكلماتِ، للخبيثينَ مِن الرجالِ، والخبيثُون مِن الرجالِ للخبيثاتِ مِنَ النساءِ أو الكلماتُ والطَّيِّباتُ مِنَ النساءِ أو مِنَ الكلماتِ للطيبينَ مِنَ الرجالِ. والطيبونَ مِن الرجالِ للطيباتِ مِن النساءِ أو مِن الكلماتِ، وهذَا مَعناه أنَّ كُلاًّ مِن الصِّنفينِ يُعامَلُ بمَا يُعامَلُ بِه، فيزوَّجُ بِمَا يَليقُ بِه مِنْ أمثالِه ويخَاطَبُ بمَا يليقُ بِه، وكمَا أنَّ الله مَيَّزَ بينَ الطيبينَ والخَبيثينَ في الدنيا فإنَّه يُمَيِّزُ بينَهم في الآخرةِ كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الرُّوم: ١٤-١٦].

فالجنةُ دَارُ الطيبينَ كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٧٣] وقَال تعَالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النّحل: ٣٢].

والنارُ دَارُ الخبيثينَ، قَالَ تعَالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفَال: ٣٧] فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ومَيِّزُوا بينَ الخبيثِ والطَّيِّبِ.

فكونُوا مَع الطيبينَ مِنَ المؤمنينَ، وتمتعُوا بالطيبِ مِنَ الطعامِ، وانطقُوا بالطيبِ مِنَ الكلامِ، وتقربُوا إلى اللهِ بالطيبِ مِنَ الأعمالِ، وتصدقُوا بالطيبِ مِنَ الأموالِ، لتصلُوا إلى دَارِ الطيبينَ وهي الجنةِ، وتجنبُوا الخبيثَ مِن القولِ ومِنَ المَطاعِمِ والمكاسِبِ والأعمالِ، والخبثاءِ مِنَ الناسِ لعلكم تنجَون مِن دارِ الخبثاءِ يومَ القيامةِ واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

في الحثّ على طَلَب الرزقِ
من المكاسب المباحة، والنهي عن المكاسب المحرّمة

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ وإحسانِه، شَرَعَ لعبادِه طلبَ الرزقِ بالأسبابِ المُباحةِ وحَرّمَ عليهم طَلَبَهُ بالأسبابِ المُحرّمةِ، فَقَالَ تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥]، وقَال تعَالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النِّساء: ٢٩]. وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ له وهو العليمُ بمصالحِ عِبادِه، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦] وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، بيّن لأُمتِه مَا أَحَلّ الله لهُم مِنَ المكاسبِ ومَا حَرّمَ عَليهم، صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ، وسَلّم تسليماً . . . أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ، ولايحملنكُم حُبُّ المَالِ والطمعُ فيه أنْ تطلبُوه بالتعاملِ المَحَرَّمِ والطُّرُقِ غيرِ المَشروعةِ، فإنَّ في الحلالِ غُنيةً عَنِ الحرامِ، والمؤمنُ قد أغنَاه اللهُ بحلالِه عن حَرامِهِ، وكفَاه بفضلِه عمّن سِواه، والكسبُ الحلالُ يُباركِ اللهُ فيه، وإنْ كَانَ قَليلاً فينمُو ويكونُ عَوناً لصاحبِه على طَاعةِ اللهِ.

والحرامُ يَمحقُ الله بركتَه وإنْ كانَ كَثيراً، فلا ينتفعُ به صَاحبُه إن بقي في يدِه، وقد يُسَلِّطُ اللهُ عليه مَا يتلفُه فيتحسَّر عليه صَاحبُه. قَالَ الله تعَالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٦] وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الرُّوم: ٣٩] والرِّبَا قد يُطلقُ على كُلِّ بَيْعٍ مُحَرّمٍ، والله جلّ وعَلا أَمَرَ بالأكلِ مِنَ الحلالِ والتصدّق والإنفاقِ مِنَ الحلالِ، قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وأمَرَ المؤمنينَ بمَا أمَرَ بهِ المُرسلينَ فقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقَرَة: ١٧٢]، وقَال تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ [البقَرَة: ٢٦٧]. وقَالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله تعَالى طَيِّبٌ لايقبلُ إلا طَيباً**» ونهَى سُبحانَه عن أكلِ الحَرامِ والإنفاقِ مِنَ الحرام، فقَال تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٠] وقَالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النِّساء: ٢٩] وقَالَ تعَالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾ [المَائدة: ١٠٠].

هَذَا وإنَّ مِنَ المَكاسِبِ الخبيثَةِ المُحرّمةِ المَكَاسِبُ التي يحصلُ عليها الإنسانُ مِن بيعِ الموادِّ المُحرّمةِ، فإنَّ اللهَ إذا حَرّم شَيئاً حَرّم ثَمَنَه، قَالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله حَرّمَ بيعَ الخمرِ والمَيتةِ والحنزيرِ والأصنامِ**» فقيل: يارسولَ الله أرأيتَ شُحومُ الميتةِ فإنه يُطلى بِهَا السفنُ وتُدهن بها الجلودُ ويَستصبحُ بها الناسُ؟؛ فقَالَ: «**لاَ هُو حَرامٌ**». ثُمَّ قَالَ ﷺ عندَ ذلكَ: «**قَاتَلَ اللهُ اليهودَ إنَّ اللهَ لَمَّا حَرّمَ شُحومَ المَيتةِ جملُوه ثُمَّ بَاعُوه وأكلُوا ثَمَنَه**» رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ وغيرُهما[1] ... وعنِ ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ حُرّمَتْ عليهم الشُّحُومُ وأَكَلُوا أثمَانَها، وإنَّ الله إذَا حَرّمَ على قومٍ أكْلَ شيءٍ حَرّمَ عليهم ثَمَنَه**» رواه أحمدُ وأبو داودَ[2].

مِنْ هَذينِ الحديثينِ الشريفينِ يتبينُ أنَّ بيعَ الموادِ المُحرمةِ مُحرّمٌ وأنَّ

---

(١) وراه البخاريُّ (٤٢٩٦)، ومسلمٌ (١٥٨١).

(٢) رواه أبو داود (٣٤٨٨).

الكسبَ الذي يأتي مِن هذَا الطريقِ كَسْبٌ مُحرّمٌ يجبُ على المسلمِ أنْ يبتعدَ عنه، فكَمَا أنَّ شُرْبَ المُسكِرِ حَرامٌ وكَبيرةٌ مِن كبائرِ الذنوبِ فكذلكَ بيعَه وأَكْلَ ثَمَنِهِ.

وقد لَعَنَ النبيُّ ﷺ بائعَ الخَمْرِ ومُبْتَاعَهَا وآكِلَ ثَمَنِهَا في جُملةِ مَنْ لَعَنَهُم فِيهَا، وكذلكَ بيعُ المخدراتِ وأكلُ ثمنِها مِنْ أعظمِ المُحَرَّمَاتِ وأخبثِ المَكَاسِبِ، وهي أشدُّ مِنَ الخمرِ، ويجبُ تأديبُ مُروِّجِهَا ببيعٍ أو غيرِه ومُعاقبتِه بأشدِّ العقُوباتِ، وإذا تَكَرَّرَ مِنه تَرويجَها فإنَّه يُقْتَلُ؛ لأَنَّه مِنْ أعظمِ المفسدينَ الذين يسعونَ في الأرضِ فَساداً. ويَحْرُمُ على المُسلمِ بيعُ المُفتراتِ مِنَ القاتِ والدخانِ؛ لأن القاتَ والدخانَ من الخبائثِ ويُلْحِقَانِ أضراراً بالغةً بالإنسانِ مِنْ خُبْثِ الرَّائحةِ وتَغَيُّرِ اللونِ والأمراضِ الخطيرةِ التي ثَبَتَ بالطبِّ والمُشاهَدَةِ حُدوثها بمَن يَتَعَاطَوْنَ القاتَ والدخانَ، فالذي يبيعُ هَاتينِ المَادتينِ يبيعُ خَبائثَ ضَارّةً، وينشرُ الأمراضَ الخبيثةَ بينَ الناسِ، إضافةً إلى أنَّ تَعَاطِي الدخانِ بالنسبةِ لصغارِ السنِّ يُسبّبُ لهم فَسادَ الأخلاقِ والأعراضِ ويُسهلّ للخبثاءِ إفسادَهم وفِعْلَ الفاحشةِ بِهم، فلا يجوزُ للمسلمِ الذي يخافُ الله أنْ يبيعَ الدخانَ ويتجرَ به، ويجبُ على ولاةِ الأمورِ المنعَ مِن ذلكَ وتأديبَ مَن يبيعُه، ويجبُ على المُسلمينَ عُموماً أنْ يُنكرُوا على مَن يفعلُ ذلكَ ويناصحُوه ويأخذُوا على يدِه إنقاذاً له ولأنفسِهم ولأولادهم ومجتمعِهم من شَرّه لأنَّه أصبحَ كالقُرحةِ الخبيثةِ في الجسمِ لا بدَّ من عِلاجِها لئلا تقضِي على الجسمِ، ومِمَّا يَحْرُمُ بيعُه والاتجارُ به وأكلُ ثمنِه آلاتُ اللهو بجميعِ أنواعِها واختلافِ أسمائِها مِنَ المعازفِ والمزاميرِ والأفلامِ الخليعةِ التي تُستعملُ في الفيديو، وأشرطةِ الأغاني، قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمَان: ٦].

قَالَ ابنُ كثيرٍ رَحمه الله على هذِه الآيةِ: لَمَّا ذَكَرَ تعَالى حَالَ السعداءِ وهُم

الذينَ يهتدُون بكتابِ اللهِ وينتفعُون بسماعِه، عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِي الأشقياءِ الذين أعرضُوا عَنِ الانتفاعِ بسمَاعِ كلامِ اللهِ وأقبلُوا على استماعِ المزاميرِ والغِنَاءِ بالألحانِ وآلاتِ الطربِ إلى أنْ قَالَ: وقِيل أرادَ بقولِه: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمَان: ٦] اشتراءَ المُغنياتِ مِنَ الجَواري ثُمَّ نَقَلَ عن ابنِ أبي حاتمٍ أنه روَى بسندِه عن أبي أُمَامَةَ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لايحلّ بيعُ المُغنياتِ ولا شراؤهنَّ، وأكلُ أثمانهنّ حَرامٌ». وفيهنّ أنزلَ اللهُ عزّ وجلّ عليّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمَان: ٦][1] انتهى كلامُه.

وإذَا كانَ بَيْعُ المَملوكةِ المُغنِّيَةِ لا يجوزُ وثمنُها حَرامٌ مَعَ أَنَّهَا يُنْتَفَعُ بِها في غيرِ الغناءِ كالعملِ والخِدمةِ، فكيفَ ببيعِ المَوادِّ الخَاصةِ بالغناءِ كالمعازفِ والمَزاميرِ والأشرطةِ المَملوءةِ بالأغاني التي غَالبهَا دعوةٌ للعشقِ والغَرَامِ، أو الأفلامِ التي تُعَلّمُ الإجرامَ، كَيفَ تَطيبُ نفسُ المُلسمِ أنْ يبيعَ هذِه الأوبئةِ الخَبيثِة ويأكلَ ثَمَنَها أو يتموّلَه؟ وكيفَ تَطيبُ نفسُ المُسلمِ أنْ يشتري هذِه الأوبئةَ الخبيثةَ والسمومَ القاتلةَ المُدمّرةَ للأخلاقِ، ويُدخلَها في بيتِه ويُمكّنَ أولادَه ونساءَه مِنَ استمَاعِها ورؤيتِها؟ وكيفَ تَطيبُ أنفسُ المُسلمينَ أنْ يتركُوا هذِه المَوادَّ الخبيثةَ والأمراضَ القاتلةَ تَروجُ في أسواقِهم وتُفْتَحُ مَعارِضهَا بينَ بيوتِهم؟

هذَا ومِمَّا ينبغي التنبيهُ عليه مَا كَثُرَ تَدَاولُه بينَ الشبابِ المُتدينِ مِنَ أشرطةِ مُسَجَّلٌ عَليها أناشيدٌ بأصواتٍ جَماعيةٍ يَسمّونَها الأناشيدَ الإسلاميةَ، وهِيَ نَوعٌ مِنَ الأغاني، ورُبَّمَا تكونُ بأصواتٍ فَاتنةٍ وتُباعُ في مَعارِضِ التسجيلاتِ مَعَ

---

(١) الحديثُ ضعيفٌ؛ ولذا قال الحافظُ ابن كثير بعدما أورده: قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريبٌ وضعَّف عليَّ بنَ يزيد المذكور، ثم قال: عليٌّ وشيخهُ ـ أحد رجال الإسناد ـ والراوي عنه كلهم ضعفاء والله أعلم. أ.هـ.

أشرطةِ تسَجيلِ القرآنِ الكريمِ والمُحاضراتِ الدينيةِ، وتسميةُ هذِه الأناشيدُ بأنَّها أناشيدُ إسلاميةٌ، تسميةٌ خاطئةٌ، لأنَّ الإسلامَ ليس فيه أناشيدُ دِينيةٌ، وإنَّمَا فيه ذِكرُ اللهِ وتلاوةُ القرآنِ وتعلّمُ العِلم النافعِ.

أمَّا الأناشيدُ فهي من دينِ الصوفيةِ المُبتدعةِ، الذين اتخذُوا دِينهم لَهْواً ولَعِباً، واتخاذُ الأناشيدِ مِنَ الدينِ فيه تَشبّه بالنصارَى الذينَ جَعَلوا دِينَهم بالترانيمِ الجَماعيةِ والنغماتِ المُطربةِ، فاواجبُ الحَذَر مِنْ هذِه الأناشيدِ ومَنع بيعِها وتداولِها، علاوةً على مَا قد تشتملُ عليه هذِه الأناشيدُ مِن تهييجِ الفتنةِ بالحماسِ المُتهورِ والتحريشِ بينَ المُسلمينَ، وقد يستدلُّ مَن يروّج هذه الأناشيدَ بأنَّ النبيَّ ﷺ كانت تُنشدُ عندَه الأشعارُ ويستمعُ إليها ويُقِرُّهَا، والجوابُ عن ذلك: أنَّ الأشعارَ التي كانت تُنشدُ عندَ الرسولِ ﷺ ليستْ تُنشد بأصواتٍ جَماعيةٍ على شكلِ أغانٍ ولا تُسمى أناشيدُ إسلاميةٌ، وإنَّمَا هي أشعارٌ عَربيةٌ تَشتملُ على الحِكم والأمثالِ ووصفِ الشجاعةِ والكرَمِ، وكانَ الصحابةُ يُنشدونَها لأجلِ مَا فيها مِن هذِه المعَاني وينشدُون بعضَ الأشعارِ وقتَ العملِ المُتْعِبِ كالبناءِ والسيرِ في الليلِ في السفرِ، فيدلُّ هذَا على إباحةِ هذا النوعِ من الإنشادِ في مِثْلِ هذِه الحالاتِ الخَاصةِ لا عَلى أن يُتخذَ فَنّاً مِن فُنونِ التربيةِ والدعوةِ كَمَا هُو الواقعُ الآنَ، حيثُ يُلَقَّنُ الطلابُ هذِه الأناشيدَ ويُقالُ أناشيدُ إسلاميةٌ، أو أناشيدُ دِينيةٌ وهذَا ابتداعٌ في الدِّين وهُو مِن دينِ الصوفيةِ المُبتدعةِ، فهُم الذينَ عُرِفَ عنهم اتخاذُ الأناشيدِ دِيناً، فالواجبُ التنبيهُ لهذِ الدسائسِ ومَنْعُ بيعِ هذِه الأشرطةِ لأنَّ الشَّرَّ يبدأُ يَسيراً ثم يتطورَ ويكثرُ إذَا لمْ يُبَادَرْ بالإزالةِ عند حدوثِه . . .

وفّقَ اللهُ المُسلمينَ لنُصرةِ الدِّينِ والابتعادِ عن كُلِّ مَا يَشينُ . . . أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ

ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٨-١٧٠].

بارك اللهُ لي ولكُم في القرآنِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، أَحَلَّ لنَا الطيباتِ وحرّم علينا الخبائثَ، ويَسَّرَ الرزقَ الحلالَ لِمَنْ طَلَبَهُ وقَنعَ به ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطَّلاَق: ٢، ٣] وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لاَ شريكَ له، لاَ حَلالَ إلاَّ مَا أَحَلَّهُ، ولاَ حَرامَ إلاَّ مَا حَرّمَهُ، ولا دِينَ إلاَّ مَا شَرَعَ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه بيّن لأُمتِه الحلالَ والحرامَ، فعليه مِن رَبِّهِ أفضلُ الصلاة والسلام، وعلى جميعِ صَحْبِهِ الكِرامِ وكُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ على دِينه واستقامَ . . . أمَّا بعدُ.

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى، واعلمُوا أن مِمَّا يَحْرمُ بيعُه والاتجارُ به وعَمَلُهُ واستعمالُه التصاويرُ التي لذواتِ الأرواحِ بجميعِ أنواعِها مُجسمَةٍ أو مَرسومَةٍ على لوحاتٍ أو أوراقٍ سَواءً كانت مَعمولةً باليدِ أو مأخوذةً بالآلةِ الفوتوغرافية؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لعَن المُصورينَ وأخبرَ أنهم أشدُّ الناسِ عَذاباً يومَ القيامةِ، وأَمَرَ بِطَمْسِ الصورِ وإهانتِها وانتهاكِها، فيحرُم بيعُها وشِرَاؤها وأكلُ ثَمَنِهَا والاتجارُ بِهَا، وتحرّمُ صِناعتُها وترويجُها.

فالذين يفتحونَ مَحلاتِ التصويرِ أو يصوِّرونَ الناسَ بالأُجرةِ، والذين يبيعونَ الصورَ كُلُّهُم عَاصُون للهِ ورسولِه مُتوعَّدُون بأشدِّ الوعيدِ، ومَا يأخذُون مِنَ المَالِ في مُقَابِلِ ذلكَ حَرامٌ وسُحْتٌ ومَكْسَبٌ خَبيثٌ، والذين يشترُون هذِه الصورَ ويُعلقونَها في بيتِهم ودكاكِينِهم أو ينصبونَها على طَاولاتِ التجميلِ أو يحتفظُون بِها

للذكرياتِ كُلُّ هَؤلاءِ آثمُونَ، ومُتعرضُون للوعيدِ الشديدِ. فقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الملائكةَ لا تَدخلُ بيتاً فيه صورةٌ، يعني والله أعلمُ مَلائكةَ الرحمةِ، والذي يَمْنَعُ دُخولَ المَلائكةِ في بيتِه بِسببِ اقتنائِه الصُّور المُحرمة، إنسانٌ لا خَيرَ فيه لنفسِه ولا لأهلِ بيتِه. وهو مُستبدلٌ للخبيثِ بالطيبِ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. وإذَا كانت الصُّورةُ مُهانةً كالصورِ التي في الفرشِ التي تُداسُ ويُجْلَسُ عليهاأو كانتْ مَطموسةً بإزالةِ رأسِها أو تَلطيخِه فهذِه لا تَضُرُّ، وكَذَا الصورةُ التي أُخِذَتْ للضرورةِ كصورةِ حَفيظةِ النفوسِ أو جوازِ السَّفَرِ أو رُخصةِ القيادةِ فهذِه لعلّ الإنسانَ لا يُؤاخذُ عليها لأنَّه مضْطَرٌ. ومِمَّا يَحْرُمُ بيعه والاتجارُ به ملابسُ النساءِ التي لا تَسترُ أجسَامَهن وتغرسُ الفتنةَ بينَ الناسِ، كالملابسِ القصيرةِ والملابسِ الضيقةِ والملابسِ التي فيها تَشَبُّهٌ بالكافراتِ، فهذهِ الملابسُ لايجوزُ بيعُها ولا يجوزُ تفصيلُها وخياطتُها ولا يجوزُ أَكْلُ ثَمَنِهَا؛ لأنَّ في ترويجِها شَرّاً وفتنةً وإعانةً على المَعصيةِ، ومَا أَدَّى إلى الحرام فهُو حَرامٌ، واللهُ تعَالى يقولُ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المَائدة: ٢].

أَيُّهَا المُسلمونَ: إنَّ للمَكَاسِبِ المُحرّمة آثاراً سَيئةً على الفردِ والجَماعةِ، مِنْ أشدِّهَا أنَّ الإنسانَ إذَا أكلَ مِنها لم يُستَجَبْ له دُعَاءٌ، وهو لايَستغني عن رَبِّهِ طَرفةَ عَينٍ، ومَا نَدري لعلّ مَا أصابَ كثيراً مِنَ الناسِ اليومَ مِنَ الوقوعِ في المُحرماتِ وإضاعةِ الصلواتِ والتكاسلِ عن الطاعاتِ سَبَبُهُ المَكاسبُ الخبيثةُ والمآكلُ المُحرّمةُ، وكذلكَ مَا أصابَهم مِنْ أمراضٍ فتّاكةٍ ومَا ينزلُ مِن كَوارثَ مُروعةٍ سَبَبُهُ المكاسبُ الخبيثةُ والمَطاعِمُ المُحرّمةُ.

فاتقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ـ وانظرُوا مَا تأكلونَ ومَا تدّخرُونَ في بيوتِكم، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

عِنايةُ الإسلامِ بشأنِ الأُسْرَةِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، على نِعَمِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، لانُحصي ثَناءً عليه هو كَمَا أَثْنَى على نفسِه، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهُو على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه لبيانِ الحَقِّ، وهَدايةِ الخَلْقِ، فبيّنَ للناسِ مَا نُزِّلَ إليهم مِن ربهم وتَرَكَ أمتَه على البيضاءِ ليلهَا كنهَارها، لايزيغُ عنها إلا هَالِكٌ، صَلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومَن تَبعهم بإحسانٍ، وسَلّم تسليمَاً كثيراً، . . . أمَّابعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى بِفِعْلِ مَا أمَرَكُم به، وتَرْكِ مَا نهَاكم عنه، وشُكْرِ مَا أنعمَ به عليكُم: فقد وَعَدَ بالعاقبةِ للمُتقينَ والمزيدِ للشاكرينَ.

عبادَ اللهِ: مِنَ المعَلومِ لديكُم أنَّ المجتمعَ يتكوّنُ مِنَ الأُسرةِ، والأُسرةُ تتكوّنُ مِنَ الأفرادِ، كالبناءِ الذي يتكوّنُ مِنَ الأساسِ واللَّبناتِ، وبقدرِ قُوةِ الأساسِ وقوةِ اللَّبناتِ وانتظامِها يكونُ البناءُ صَرْحَاً شَامِخَاً، وحِصْنَاً راسِخَاً، كذلكَ المجتمعُ الإنسانيُّ إنمَا يكونُ صَالِحَاً بصلاح الأفرادِ والأُسرِ التي يتكوّنُ مِنها؛ ولهذَا شَبّه النبيُّ ﷺ المجتمعَ المسلمَ بالبنيانِ الذي يَشُدُّ بعضُه بعضَاً، وبالجسدِ الواحدِ الذي يتألمُ كُلُّهُ بتألمِ عُضْوٍ مِن أعضائِه، ولهذَا عُني الإسلامُ عِنايةً تامةً بتكوينِ الأُسرةِ المُسلمةِ، واستصلاحِها، ولمّا كانَ تكوينُ الأُسرةِ يبدأُ مِنَ اتصالِ الذكرِ بالأُنثى عن طريقِ الزواجِ، أَمَرَ باختيارِ الزوجِ الصالحِ والزوجةِ الصالحةِ.

قَال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أتاكُم مَن تَرضَونَ دِينه وخُلقه فزوجُوه، إلا تفعلُوه

تَكُنْ فِتنةٌ في الأرضِ وفَسادٌ كَبيرٌ» رواه الترمذيُّ وحَسَّنَه(١)، وقدأَمَرَ النبيُّ ﷺ في هذَا الحديثِ بتزويجِ مَن كانَ مَرْضِيَّ الدِّينِ والخُلُقِ، وهذَا يَدُلُّ على أن مَن كانَ فَاسِدَ الدِّينِ سَيِّءَ الخُلُقِ لايجوزُ تَزويجُه ففيه حَثٌّ على اختيارِ الأزواجِ، واعتبارِ المؤهلاتِ الشرعيةِ، وكثيرٌ مِن الأولياءِ لا يُعيرُ هذا الجانبَ اهتمَاماً عند تزويجِ مَولّيته فلا يختارُ لهَا الرجلَ الذي أرشدَ إليه الرسولُ، وإنَّمَا يختارُ لهَا الرجلَ الذي يَهواهُ هو ولَو كَانَ فَاسِداً في دِينه، سَيئاً في خُلقهَ لا مَصلحةَ للمرأةِ مِنَ الزواجِ به، فكَم سَمِعْنَا مِن مِشاكلِ النساءِ اللاتي وقَعْنَ في سُوءِ الاختيارِ، هذه تقولُ إنها بُليتْ بزوجٍ لايُصلي، وهذِ تقولُ إن زوجَها يشربُ المُسكِرَاتِ ويتعاطى المُخَدِّرَاتِ، وهذِه تقولُ إنَّ زوجَها أَمَرَهَا بالسفورِ وإلقاءِ الحجابِ، وهذِه تقولُ إنَّ زوجَها يَسْتَمْتِعُ بها في غَيرِ مَا أحلّ الله، فيجامعُها في نهارِ رمضانَ أو يجامعُها وهي حَائضٌ، أو في غيرِ المَحِلِّ الذي أباحَ اللهُ، وهذِه تقولُ إن زوجَها لا يبيتُ عندَها لأنَّه يَسْهَرَ مَعَ الفَسَقَةِ، والمسؤولُ عن ذلك هُو وليّها الذي أَسَاءَ الاختيارَ لهَا، وخانَ أمانتَه عليها، وهو المَسؤولُ أيضاً عن فَسَادِهَا وفسادِ ذُريتِها بسببِ هذا الزوجِ الذي غَشَّهَا بِه، وكَمَا حَثَّ الإسلامُ على اختيارِ الأزواجِ الصَّالحينَ حَثَّ كذلكَ على اختيارِ الزوجاتِ الصالحاتِ، فعن عبد اللهِ بنِ عمرو ابنِ العاصِ رضي الله عنهُما أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «الدنيا مَتاعٌ وخَيرُ مَتاعِها المرأةُ الصَّالحةُ» رواه مُسلمٌ(٢)، وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسولُ ﷺ: «تُنْكَحُ المَرأةُ على إحْدَى خصالٍ، لجَمَالِهَا ومَالِهَا، وخُلُقِهَا ودِينِهَا، فعليكَ بذاتِ الدِّينِ والخُلُقِ تَربتْ يَمينكَ» رواه أحمدُ بإسنادٍ صَحيحٍ وابنُ حَبّانَ

---

(١) رواه الترمذيُّ (١٠٨٥).
(٢) رواه مسلمٌ (١٤٦٧).

في صَحيحِه، وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ: لمَالِهَا، ولحَسَبِهَا ولجمالِها ولدِينِها، فَاظْفَرْ بذاتِ الدِّين، تَربَتْ يدَاك» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ[١]، ومَعْنَاهُ الحَثُّ على اختيارِ الزوجةِ الصَّالحةِ دَونَ نظرٍ إلى الاعتباراتِ الأُخرى مِنَ الحَسَبِ والمَالِ والجَمَالِ مَعَ الخُلُوِّ مِنَ الدِّينِ، وعن عبدِ الله بنِ عمرو رضي الله عنهُما قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَوجُوا النساءَ لحُسنهنّ فعَسَى حُسنهنّ أنْ يرديهنَّ، ولا تزوجُوهنَّ لأموالِهنّ فعسَى أموالهُنّ أنْ تُطغيهُنّ، ولكنْ تزوجُوهُنّ على الدِّينِ، ولأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوداءُ ذاتُ دينٍ أفضلُ» رواه ابنُ مَاجَه[٢]، والخرماءُ هي التي قُطِعَ شيءٌ مِن أطرافِها، والحديثُ يدلُّ على أنَّ الدِّينَ في المرأةِ يُغطي ما فيها من العيوبِ، بخلافِ المَالِ والجَمَالِ إذَا كانَ بِدُونِ دِينٍ فإنَّهُمَا يَجرّانِ إلى مَفاسدَ، وأمَّا إذَا اجتمعَ في المرأةِ الدِّينُ والجَمَالُ وغيرُه من صِفاتِ الكَمَالِ فذلكَ مِن تمامِ النعمةِ. ولكِن كُلّ نقصٍ يمكنُ التغاضِي عنه إلاَّ نقصُ الدِّينِ، ثُمَّ يأمرُ الإسلامُ بعدَ تَمَامِ الزواجِ بحُسْنِ العِشرَةِ بينَ الزوجينِ، ومِن هُنَا نَدْرِكُ اهتمَامَ الإسلامِ باختيارِ الزوجينِ لأنَّهُمَا رَكيزةُ الأسرةِ وبِصَلاحِهِمَا تصلحُ الأسرةُ بإذنِ اللهِ واهتمَامه ببقاءِ الزوجيةِ الصالحةِ. ثُمَّ بعدَ هذِه المَرحلةِ في تكوينِ الأُسرةِ وهِي مَرحلة اختيارِ الزوجينِ، يهتمُ الإسلامُ بتربيةِ الذريةِ الحاصلةِ بينَ هَذين الزوجينِ، فيأمرُ الوالدينِ بتنشئةِ أولادِهما على الصلاحِ والابتعادِ عن الفسادِ، يقولُ ﷺ: «مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ لسَبْعٍ واضربُوهم عليها لعشرٍ وفرّقوا بينَهم في المَضَاجِعِ». ويأمرُ ﷺ بالعدلِ بينَ الأولادِ في العَطِيَّةِ ويمنعُ الوالدَ أنْ يُعطيَ بعضَ أولادِه ويَحْرِمَ البعضَ الآخَرَ؛ لأنَّ

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٠٩٠)، ومسلمٌ (١٤٦٦).

(٢) ضعيفٌ جدًا. انظره في «الضعيفة» (١٠٦٠). وكذا ضعيف الجامع (برقم ٦٢١٦).

هذَا يُفْضِي إلى العَداوة بينَ الأولادِ ويَجُرُّ إلى القَطيعةِ التي تفكّكُ الأسرةَ وتهدِمُ بناءَها، عنِ النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي ببعضِ مَالِه فقالتْ أُمي عَمْرَةُ بنتُ رَواحة: لاَ أَرْضَى حتَّى تُشْهِدَ رسولَ الله ﷺ فانطلقَ أبي إليه يُشْهِده على صَدَقَتِي، فقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «أَفَعَلْتَ هذَا بولدِك كُلِّهم؟» قَالَ: لاَ ـ فَقَالَ: «اتقُوا الله واعدلُوا في أولادِكم، فرجَعَ أبي في تلكَ الصدقةِ» رواه مسلمٌ[1].

وحَثَّ النبيُّ ﷺ على حُسْنِ تأديبِ الأولادِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا نَحَلَ والدٌ ولَداً مِن نِحَلٍ أفضَلَ مِن أدبٍ حَسَنٍ» رواه الترمذيُّ[2]. وروى ابنُ مَاجه عن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ: «أكرِمُوا أولادَكم وأحسِنُوا أدَبَهُم».

وكمَا أَمَرَ اللهُ الوالدين بتربيةِ الأولادِ والإحسانِ إليهم وحُسْنِ تأديبِهم فقد أَمَرَ الأولادَ بَرَدِّ هذَا الجميلِ والإحسانِ إلى الوالدينِ وبرِّهمَا لاسيمَا عند كِبَرِهِمَا، قَالَ تعَالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسرَاء: ٢٣، ٢٤].

وهكَذا يأمرُ الله الوالدينِ بالإحسانِ إلى الأولادِ في حالةِ صِغَرِهم وعَجْزِهم، ويأمرُ الأولادَ بالإحسانِ إلى الوالدين عندَ كِبَرِهم وعَجْزِهم، وفي هذَا تَكَافلٌ وتَعَاونٌ بينَ أفرادِ الأُسرةِ على مَا هو أهمُّ مِن ذلكَ وأنفعَ في العَاجِلِ والآجِلِ، وهُو التعاونُ على البِرِّ والتقْوى وذلكَ بالتآمرِ بالمعروفِ والتناهِي عن

---

(١) رواه مسلمٌ (١٦٢٣).
(٢) رواه الترمذيُّ (١٩٥٣).

المُنكَرِ بينَ أفرادِ الأُسرةِ الواحدةِ، قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التّحْريم: ٦].

فَأَمَرَ المؤمنينَ أن يقوا أنفسَهم ويقُوا مَن لَهم عليهم وَلايةٌ مِن أَهْلِيهم مِنَ النارِ التي لا يُنجي مِنها إلا فِعْلُ الطاعاتِ، وتَرْكُ المُحَرَّمَاتِ، والتعاونُ عَلى البِرِّ والتقوَى، وكمَا يجبُ على الإنسانِ أنْ يحرصَ على نَجاةِ نَفْسِهِ فإنه يَجبُ عليه أنْ يَحْرِصَ على نَجاةِ غيرِه مَن أقارِبِه وإخوانِه.

وقَالَ تعَالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] وهَذَا فيه أنَّ قَيِّمَ الأسرةِ محمّل مَسؤوليةَ أسرتِه بالأمرِ بأداءِ الصلاةِ وغيرِها مِن الواجباتِ، وتَرْكِ المعَاصي والمحرماتِ وهذَا يتضمنُ اتخاذَ وسائلِ الخيرِ في البيوتِ مِن التعليمِ والتأديبِ والأمرِ بالمعروفِ والنهي عَنِ المنكرِ.

وإبعادُ وسائلِ الشرِّ عن البيوتِ مِن المَلاهي وكُلِّ المظاهرِ السيئةِ؛ لأنَّ البيوتَ هي مَحِلُّ اجتماعِ الأسرةِ وتَلاقي أفرادِها فَلابُدّ أنْ تكونَ بيوتاً إسلاميةً مُؤسسةً على البرّ والتقوى، وخالية مِمَّا يتنافَى مَعَ الإسلامِ وآدابِه.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واعلمُوا أنَّ صَلاحَ الأُسرةِ سَببٌ لجمعِ الشملِ وقرّةِ الأعينِ في الدنيا والآخرةِ.

وفسادُ الأُسرةِ يُسبّبُ القَطيعةَ في الدنيا والآخرةِ، قَال اللهُ تعَالى: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى

ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرّعد: ١٩ـ٢٥].

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فضلِه وإحسانِه، وأشهدُ أن لا إلّه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له في إلّهيتِه وسلطانِه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه الداعي إلى رضوانِه صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله يُعِنكم على فِعْلِ الخيراتِ، ويحفظْكُم مِن جميعِ المَحذُوراتِ. قَالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: ١٢٨].

واعلمُوا أنَّ إهمالَ تعاليمِ الإسلامِ في شَأنِ الأُسرةِ يُسبّبُ تَشَتُّتَهَا وضَياعَها في الدنيا والآخرةِ ـ فإنّها مَا فسدتْ الذراري إلا بسببِ إهمالِ الوالدينِ وسُوءِ تربيتِهم لأولادِهم، ولا حصلَ العقوقُ مِن الأولادِ لآبائِهم إلا بسببِ أنَّ هَؤلاءِ الآباءِ قد سَبَقَ أن عقّوا آباءَهم مِن قَبلُ، فإنَّ الجزاءَ مِن جِنسِ العملِ. وقد يكونُ العقوقُ بسببِ حَيْفِ الأَبِ مَع بعضِ الأولادِ بتخصيصِه دونَ إخوانِه بشيءٍ مَن المالِ والعطفِ، ومَا حصلَتْ قَطيعةُ الأرحامِ بينَ الأقاربِ إلا بسببِ التشاحنِ والتنافسِ على أمورِ الدنيا، وبالجملةِ فإنَّه مَا حصلَ الخللُ في بناءِ الأُسرِ اليومَ إلا بسببِ الخللِ في الدِّينِ.

انظرُوا إلى المجتمعاتِ الكافرةِ كيفَ يعيشونَ عيشةَ البهائمِ لا رَوابَط تجمعهم كمَا قالَ الله تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمَّد: ١٢].

لا يَعطفُ قَوِيُّهم على ضَعيفِهم ولا يوقِّرُ صَغيرُهم كَبيرَهم ولو كانَ أبَاه أو أُمَّه. إذا هرِمَ الشخصُ مِنهم وعَجَز عن المشي وضِعَ في دُورِ العَجزة إلى أنْ يموتَ مَيتةَ الحيوانِ الحسيرِ.

وقد يكونُ له أَولادٌ يملؤونَ الفجاجَ، لكن لمَّا ضَيعُوا دِينَ الله أضَاعَهمُ اللهُ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ في أنفسِكم وفي أَسرتِكم واعتبرُوا بغيرِكم، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . .

* * *

فيمَا يجبُ أنْ يكونَ عليه بيتُ المسلمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ على فَضلِه وإحسانِه، كفَانَا وآوانَا وأطعمَنا وسقَانا، فلَه الحمدُ والشكرُ على نِعمِهِ التي لاتُحصى، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المُنيرُ، صَلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومن تَبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى كمَا أمرَكم بتقواه، واشكُروا نِعمه عليكُم. فمَا بِكم مِن نِعمةٍ فَمِنَ الله.

عِبادَ اللهِ: إنَّ نِعَمَ اللهِ علينا كثيرةٌ لاتُعدّ ولا تُحصى، ويجبُ علينا أن نُقابِل هذِه النِّعَمَ بالشكرِ، ونستعينَ بها على البرّ والتقوىٰ لتسقرَّ وتبقَى وتزيدَ، قَالَ الله تعَالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

ومِن أَعظمِ نِعَمِ اللهِ على بني آدمَ أنْ جَعلَ لَهم بيوتاً ثَابتةً لإقامتِهم في المدنِ وبيوتاً مُتنقلةً لأسفارِهم في البرَارِي، يسكنُون فيها ويستريحُونَ، ويستَدفِئون بِها مِنَ البردِ ويَستظلُّون بِها مِنَ الحرّ، ويَستترُون فيها عَنِ الأنظارِ، ويحرزونَ فيها أموالَهم ويتحصَّنُونَ بِها مِن عدوِّهم، وغيرِ ذلك مِنَ المصَالحِ.

قَالَ الله تعَالى مُمْتَنّاً عَلى عِبادِه بهذِه البيوتِ الثابتةِ والمُتنقلةِ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ

إِقَامَتِكُمْ﴾ [النّحل: ٨٠] فَذَكرَ أولاً بيوتَ المُدنِ لأنَّهَا الأصلُ، وهي للإقامةِ الطويلةِ، وجَعلَهَا سَكَناً بمعنَى أنَّ الإنسانَ يستريحُ فيها مِنَ التعبِ والحركةِ وينعزلُ فيها عَمّا يقلقُه فيحصُل على الهدوءِ والراحةِ، ثُمَّ ذَكرَ تعَالى بيوتَ الرحلةِ والنقلةِ فقَالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النّحل: ٨٠] يعنِي وجَعَلَ لكُم بيوتاً خَفيفةً مِنَ الخِيَامِ، والبيوتِ المُصنوعةِ مِنْ جُلودِ الأنعامِ تَستعملُونها في حالةِ الإقامةِ المُؤقتةِ في السفرِ. . .

فنعمةُ السكنِ في البيوتِ مِنْ أعظمِ النِّعَمِ، وتأملُوا مَن لايجدْ سَكَناً يَؤويهِ مَاذا تكونُ حَالُه، وأَنتم تَسكنُون في هذِه البيوتِ الحديثةِ المَزودةِ بِكُلِّ وسائلِ الرَّاحَةِ مِنَ الإنارةِ والتكييفِ الصَّيْفِيِّ والشِّتْوِيِّ والمِيَاهِ المُتدفقةِ العذبةِ الحارةِ والباردةِ، كُلُّ ذلكَ مِنْ نِعَمِ اللهِ في المَسَاكِنِ، وذَلكَ مِمَّا يَستوجبُ الشكرَ والثناءَ على اللهِ بِمَا هُو أهلُه؛ لأنَّ ذلك مِنَّةٌ وفضلٌ.

عِبادَ اللهِ: إنَّ بيتَ المُسلمِ يَجِبُ أنْ يَكُونَ مُتميزاً عَنْ غَيرِهِ مِنَ البيوتِ بِفِعْلِ مَا شَرَعَهُ اللهُ للمسلمينَ في بيوتِهم مِنْ ذِكْرِ اللهِ والإكثارِ مِنْ صَلواتِ النوافلِ فِيها، وقِرَاءةِ القرآنِ وخُلوِّهَا مِنْ وَسائلِ الفَسَادِ.

عَن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولَ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ البيتِ الذي يُذْكَرُ اللهُ فِيه والبيتِ الذي لايُذْكَرُ اللهُ فيه مثلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**»[1].

وعَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهُما عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «**اجعلُوا مِن صَلاتِكم في بيوتِكم ولا تتخذُوها قُبوراً**». أي صَلُّوا فِيها مِنَ النَّوافِلِ ولا تَجْعَلُوهَا كالقبورِ مَهجورةً مِنَ الصَّلاَةِ»[2].

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٠٧)، ومسلمٌ (٧٧٩).

(٢) رواه البخاريُّ (٤٣٢)، ومسلمٌ (٧٧٧).

وعَن أبي هَريرةَ رضي الله عنه قَالَ: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَجعلُوا بيوتَكم مَقَابِرَ، إنَّ الشيطانَ يَنْفِرُ مِنَ البيتِ الذي تُقرأُ فيه سُورةُ البقرةِ»[١]. وقَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «عَليكُم بالصَّلاةِ في بيوتِكم، فإنَّ خَيْرَ صَلاةِ المَرْءِ في بيتِه، إلاَّ المَكتوبة». رَوى هذِه الأحاديثَ مُسلمٌ في صَحيحِه[٢]، وهذِه الأحَاديث ومَا جَاءَ بمعنَاها تَدلُّ عَلى مَشروعيةِ إحياءِ بيوتِ المُسلمينَ وتنويرِها بِذكْرِ اللهِ مِنَ التهليلِ والتسبيحِ والتكبيرِ وغيرِ ذَلكَ مِنْ صَلاتِها في المسجدِ، وفيهَا النهيُ عن جَعْلِ البيوتِ مِثْلَ القبورِ، مَهجورةً مِنْ صَلاةِ النافلةِ فِيهَا.

وفي الأحَاديثِ الترغيبُ بقراءةِ القرآنِ في البيوتِ ولاسيمَا سورة البقرةِ وأنَّ قِرَاءَتَهَا في البيتِ تَطْرُدُ الشيطانَ، وإذَا تَوفَّرَتْ هَذِه الأُمُورُ في البيوتِ: ذِكْرُ اللهِ فيها، وصَلواتُ النوافلِ. وقِراءةُ القرآنِ، أصبحَتْ مدرسةً للخيرِ يتَربَّى فِيها مَن يَسْكُنُهَا مِنَ الأولادِ والنساءِ على الطاعةِ والفضيلةِ. وتَدخلُها المَلائكةُ وتبتعدُ عنها الشياطينُ. وإذَا خَلَتِ البيوتُ مِنْ هَذِه الطاعاتِ صَارتْ قُبوراً مُوحِشَةً وأَطْلاَلاً خَربَةً، سُكَّانُهَا مَوتَى القلوبِ وإنْ كَانُوا أَحْيَاءَ الأجسامِ، يُخَالِطُهُم الشيطانُ وتَبْتَعِدُ عَنهم مَلائكةُ الرحمَنِ، فمَا ظَنُّكَ بمَن يتربَّى في هذِه البيوتِ كيفَ تَكُونَ حَاله وقَد تَخرَّجَ مِنْ هذِه البيوتِ الخاويةِ الخاليةِ مِن ذِكْرِ اللهِ والتي هِي مَقابرُ لِمَوتى القُلُوبِ؟ إنَّ هذِه البيوتَ سَتؤثرُ تأثيراً سَيئاً عَلى مَنِ تَرَبَّى فِيها، وسَكَنَهَا، فَكيفَ إذا انضافَ إلى خُلُوِّهَا مِنْ وسَائِلِ الخيرِ شُغْلُهَا بوسائلِ الشَّرِّ وأَسبابِ المعَاصي بحيثُ يتوفرُ في تِلكَ البيوتِ الفيديو بأفلامِه الخليعةِ التي تدعُو إلى الفحشاءِ والمُنكَرِ؟ بما تَعرضُه مِن صُورِ الفسادِ والدعارةِ أمامَ الأولادِ

---

(١) رواه مسلمٌ (٧٨٠).

(٢) ورواه البخاريُّ (٦١١٣)، ومسلمٌ (٧٨١).

والنساءِ.

وتتوفرُ في تلكَ البيوتِ أشرطةُ الأغاني المَاجنةِ التي تُغْرِي بالعشقِ والغرامِ، والطَّرَبِ والإجرامِ، في تلكَ البيوتِ مَن يتركُ الصلاةَ ويتهاونُ بالجمَع والجَمَاعَاتِ. وقد همَّ النبيُّ ﷺ بإحراقِ مِثل هَذِه البيوتِ بالنارِ عَلى مَن فِيها مِمَّنْ يتخلّفونَ عن صَلاةِ الجَمَاعةِ، فكيفَ بمَنْ يتركُونَ الصلاةَ نِهائيًا.

إنَّ مِثْلَ هَذِه البيوتِ، وهي اليوم كَثيرةٌ، تكونُ أوكاراً للشرِّ وجراثيمَ مَرَضِيَّةً تَفْتِكُ في جِسْمِ الأُمَّةِ الإسلامية، يجبُ عِلاجُها أو استئصالُها حتَّى لا تؤثرُ على مَنْ حَولَها، كَمَا هَمَّ النبيُّ ﷺ بتحريق أمثالِها ولمْ يمنعْه مِن ذلكَ إلاَّ مَا فِيها مِنَ المَعْذُورينَ ومَنْ لاَ تَجِبُ عليهم صَلاةُ الجماعةِ مِنَ النساءِ والذريةِ. قد يكونُ بعضُ هَؤلاءِ له مَنْصِبٌ كَبيرٌ في المُجتمعِ بأنْ يكونَ مِن كبارِ المُوظفينَ أو كبارِ الأثرياءِ، فَيأتيه الشيطانُ فيقولُ لَه: أنتَ أكبرُ مِنْ أنْ تَخرجَ إِلى المَسجدِ وتُصليَ مَعَ الناسِ لأنَّ هذَا يقلّلُ مِنْ شَأْنِكَ ويُضْعِفُ هَيْبَتِكَ، فَيترك الصلاةَ في المسجدِ ترفّعاً وكِبراً. وقد يكونُ بعضُهم مَشغولاً بمَالِه، وقد وَرَدَ في الحديثِ أنَّ مِثْلَ هَؤلاءِ يُحشرُونَ يومَ القيامةِ مَعَ نُظرائِهم مِنَ المُتكبرينَ. فعنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العَاصِ رضي الله عنهُمَا عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه ذَكَرَ الصلاةَ يوماً فقَالَ: «**مَن حَافَظَ عَليهَا كانت لَه نُوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ ومَن لمْ يُحَافظْ عليها لمْ تكنْ له نُوراً ولاَ برهاناً ولا نَجَاةً، وكانَ يومَ القيامةِ مَعَ قَارونَ وفِرعونَ وهَامانَ وأُبيٍّ بنِ خَلَفٍ**» رواه الإمامُ أحمدُ في مُسندِه وأبو حاتم وابنُ حِبّان في صَحيحِه ـ قَالَ الإمامُ ابنُ لقيّم رَحِمَه اللهُ: إنَّمَا خُصَّ هَؤلاءِ الأربعةِ بالذِّكْرِ لأنَّهم مِنْ رُؤوسِ الكَفَرةِ.

وفيه نكتةٌ بَديعةٌ، وهو أنَّ تَاركَ المُحافظةِ على الصلاةِ إمَّا أنْ يَشغلَه مَالُه أَوْ مُلكُه أَوْ رِئاستُه أَوْ تِجارتُه، فمَن شَغَلَهُ عنهَا مَالُه فهُو مَعَ قَارونَ، ومَن شَغَلَهُ عنهَا

مُلْكُهُ فهُو مَعَ فِرعونَ، ومن شَغَلَهُ عنها رئاسةٌ ووزارةٌ فهُو مَعَ هَامَانَ، ومَن شَغَلَهُ عنهَا تجارتُه فهُو مَعَ أُبيِّ بنِ خَلَفٍ.

عِبادَ اللهِ: إنَّ هَؤلاءِ الذينَ جَعَلُوا بيوتَهم بِهَذِه الصفةِ القَبيحةِ، خَاليةً مِنْ ذِكْرِ اللهِ مَشغولةً بآلاتِ اللهوِ ومَواطن للكُسالى والعُصاةِ، والمُتخلفِين عَنِ الصَّلاَةِ، إنَّ هَؤلاءِ حَريُّونَ بالعُقوبةِ بأنْ تنهدمَ عليهم تلكَ البيوتُ أو تَحْتَرِقَ أو يُشَرَّدُوا مِنها عَلى يَدِ عَدُوِّهِم فَيبْقُوا بِلاَ مَأوىً كما شُرِّدَ خلقٌ كثيرٌ من مسَاكِنِهم اليومَ وأُبعِدُوا عن دِيارِهم، لأنَّهم لمْ يشكرُوا نِعمة اللهِ عَليهم بهذِه المساكنِ وبارزُوه فيها بالمعَاصي، والمعاصي تَدَعُ العَامِرَ خَراباً، وتُحَوِّلُ النِّعمةَ عَذاباً.

عِبادَ اللهِ: ومِمَّا يجبُ أنْ يُصانَ عنه البيتُ المُسلمُ الصورُ والكلابُ، لِمَا رَوى أبو طَلحةَ رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تدخلُ المَلائكةُ بيتاً فيه كلبٌ ولا صُورةٌ**» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ[1]، وفي روايةٍ لمُسلمٍ: (لا تدخلُ المَلائكةُ بيتاً فيه كَلَبٌ ولا تمَاثيل)[2] وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أتاني جبريلُ عليه السلامُ فَقَالَ لي: أَتيتُكَ البارحةَ فَلَمْ يمنعنْي أنْ أكونَ دَخَلتُ إلاَّ كَانَ على البابِ تَمَاثيل، وكانَ في البيتِ قِرامٌ فيه تمَاثيل وكانَ في البيتِ كلبٌ فمُرْ بِرأسِ التمثالِ الذي في البيتِ يُقْطَعُ فَيصِير كهيئةِ الشجرةِ، ومُرْ بالسترِ فيُقطعُ فيُجعلُ وسَادتينِ مَنبوذتينِ تُوطَآنِ، ومُرْ بالكلب فَليُخْرَجْ**» رواه أبو داود والترمذيُّ، وقَالَ: حَسَنٌ صَحيحٌ، ورَواه ابنُ حِبّان في صَحِيحِه[3]، وفي هَذينِ الحَديثينِ دَليلٌ عَلى تحريمِ تَعليقِ الصُّورِ عَلى جُدرانِ الغُرَفِ والمَجَالِسِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٢٢٥)، ومسلمٌ (٢١٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٠٦).

(٣) رواه أبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٧).

والمَكَاتِبِ والاحتفاظِ بِهَا للذكرياتِ ونَحوهَا، وفِيها دَليلٌ على عُقوبةِ مَنْ فَعَلَ بِحرمَانِه مِنْ دُخُولِ مَلائكةِ الرحمةِ في بيتِه وحِينئذٍ يَخسرُ خُسراناً مُبيناً.

وقَد ابتُلي بعضُ الناسِ اليومَ بهَاتين الظَّاهِرتين السَّيئتين، فَتَرَى بعضَهم يضعُ الصُّورَ في براويزَ ويُعَلِّقُهَا على الجُدرانِ في الغُرَفِ والمَكَاتِبِ، والبعضَ الآخرَ يحتفظُ بالصُّورِ في صَناديقَ خَاصَّةٍ مِنْ أَجْلِ الذكرياتِ للأولادِ والأصدقاءِ، والبعضَ الآخرِ يَنْصِبُ تَماثيلَ كَبيرةً أوْ صَغيرةً للآدميينَ أوْ للحيواناتِ أو للطيورِ ويجعلُها على طَاولاتِ المَجَالِسِ ونَحوِهَا للتجميلِ، وكُلّ هَذَا مِن مَظاهرِ الوثنيةِ وفِعْلِ الجَاهِليةِ؛ لأنَّ نَصْبَ الصُّورِ وتعليقَها مِنْ وَسَائِلِ الشركِ كَمَا حَصَلَ لقومِ نُوحٍ وقومِ إبراهيمَ مِنَ الشركِ بسببِ الصُّورِ والتماثيلِ؛ ولأنَّ في تلكَ الصُّورِ مَضاهاة لخَلْقِ اللهِ عزّ وجلّ، وذَلكَ مِنْ أعظمِ الكبائرِ، وبعضُ الناسِ قَد ابتُلوا بتقليدِ الكفارِ واقتنُوا الكِلابَ في بيوتِهم وتباهُوا بتربيتها وصحبتِها لَهم في بيوتِهم، وسَياراتِهم، وقد قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقتنَى كَلباً إلاَّ كلبَ صَيدٍ أو مَاشيةٍ فإنَّه ينقصُ مِن أَجرِه كُلَّ يومٍ قِيراطانِ». رواه مَالكٌ والبخَاريُّ ومُسلمٌ[1].

والأحاديثُ في هذَا كثيرةٌ مَشهورةٌ.

واقتناءُ الكلابِ في البيوتِ واصطحابُها خَارجَ البيوتِ لغيرِ الحاجةِ المُرَخَّصِ فِيهَا شَرْعاً (وهي حراسةُ المَاشيةِ والزرعِ واتخاذُها للصيدِ)، اتخاذُها لغيرِ ذلكَ فيه مَحاذير:

أولاً: أنَه يَمْنَعُ دُخولَ مَلائكةِ الرحمةِ في البيتِ، وأيّ مُسلمٍ يستغنِي عَن مَلائكةِ الرحمةِ؟

(١) رواه البخاريُّ (٥٤٨٢)، ومسلم (١٥٧٤).

ثَانِياً: ينقصُ مِنْ أجرِه كُلَّ يوم قِيراطانِ، وهذَا نَقْصٌ عَظيمٌ ومستمرٌ، والمُسلمُ لاَ يفرطُ في أَجْرِهِ. والقيراطُ كَمَا جَاءَ تفسيرُه في بعضِ الأحاديثِ بأنَّه مِثْلُ الجبلِ العظيمِ.

ثَالثاً: في ذَلكَ تَشَبُّهٌ بالكفّارِ الذين يُربونَ الكلابَ، والتشبّه بِهم حَرامٌ. قَالَ النبيُّ ﷺ: «**مَن تشبّه بقومٍ فهُو مِنهم**»[1].

رابعاً: مَا يحصلُ بِها من الأضرارِ، كأذيةِ الجيرانِ والمَارّةِ بهذِه الكلابِ وأصواتِها، ولِمَا فِيها مِنَ النجاسةِ والأضرارِ الصحيةِ في لُعَابِهَا ومُلاَمَسَتِهَا.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واعتنُوا ببيوتِكم وبمَن فِيهَا حتَّى تَصيرَ بيوتاً إسلاميةً نَظيفةً حَيّةً بِذِكْرِ اللهِ وعبادتِه، وأَبعدُوا عنها كُلّ مَا يتنافَى مَعَ آدابِ الإسلامِ ويَجُرُّ إلى الآثامِ... أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

بَارَكَ اللهُ لي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخُطْبَةُ الثانيةُ:

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، لا نُحْصِي ثناءً عَليه، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لاَ شَريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، صَلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليمَاً كَثيراً... أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤]

عِبَادَ اللهِ: ويَجِبُ أنْ يَكُونَ البيتُ المُسلمُ مَستوراً مَصوناً عن الأنظارِ المَسمومةِ،

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١).

يأمنُ مَنْ بداخلِه مِن الاطّلاعِ عَلى عَوراتِهم وأَسرارِهم لا يدخلُه غَيرُ أَصحابِه، إلاَّ باستئذانٍ وإذنٍ. قَالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [النُّور: ٢٧، ٢٨].

قَالَ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ [النُّور: ٢٧] أي تَستأذنُوا قَبْلَ الدخولِ ﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ﴾ [النُّور: ٢٧] أي تُسَلِّمُوا بعْدَ الدخولِ، وقَالَ: ثُمَّ ليُعلمِ أنَّه يَنبغِي للمُستأذنِ على أهلِ المنزلِ أنْ لا يقفَ تِلْقَاءَ البابِ بوجهِه، ولكنْ لِيَكُنِ البابُ عَن يَمينِه أَوْ يَسارِه، وفي الصحيحينِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قَالَ: «لوْ أنَّ امرأً اطّلعَ عَليكَ بغيرِ إذنٍ فحذَفته بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ مَا كانَ عَليكَ مِنْ جُنَاحٍ»[1].

وعن عُقبةَ بنِ عَامرٍ رَضِي اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إيَّاكُم والدخُول عَلَى النساءِ**»، **فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ: أفرأيتَ الحمو؟، قال: «الحموُ المَوتُ»**. رواه البخاريُّ ومُسلمٌ[2] والحمو قَريبُ الزوجِ ـ أي أنَّ الخوفَ مِنه أكثرَ؛ لأنَّه يُتَسَاهَلُ في دُخولِه أكثرَ مِن غيرِه، فَدَلَّ هذَا الحديثُ عَلى تعظيمِ حرماتِ بيوتِ المُسلمينَ ومَحارِمِهم وخَطَرِ دُخولِ الرجالِ الأجانبِ عَلى النساءِ ولَو كَانُوا مِن أقاربِ الزوجِ، وقد تَسَاهَلَ في هذَا الأمرِ الخطيرِ كَثيرٌ مِنَ الناسِ اليومَ فبعضُ النساءِ لا تَحتَجِبُ مِن أقاربِ زَوجِها، كأخيه وعمّه، وبعضُ الناسِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٩٠٢)، ومسلمٌ (٢١٥٨) وهذا لفظُ البخاريِّ.
(٢) رواه البخاريُّ (٥٢٣٢)، ومسلمٌ (٢١٧٢).

جَلَبُوا إلى بيوتِهم الرجالَ الأجانبَ وخَلطُوهُم مَعَ نسائِهم في بيوتِهم باسم طَبَّاخِينَ أَوْ سَائقينَ أو خَدم، وبعضُ الناسِ جَلَبُوا النساءَ الأجنبياتِ وجَعَلُوهُنَّ في بيوتِهم يَدخلُونَ عَليهنّ ويخالطونهنَّ وربمَا يَخلونَ بِهنّ كأنهنَّ مِنْ مَحارِمِهم، وهذَا ارتكابٌ لِمَا نَهى عنه الإسلامُ، ومَدعاةٌ إلى الوقوعِ في الفُحْشِ والإجرامِ. وجَلْبُ النساءِ والرجالِ الأجانبِ إلى البيوتِ دَليلٌ على عَدَم الغيرةِ وقِلةِ الحياءِ وعَدمِ المُبالاةِ؛ لأنَّ المؤمنَ الغيورَ لا يرضَى بدخولِ الرجالِ الأجانبِ في بيتِه، واختلاطِهم بمَحَارِمِه، والمؤمنُ الغَيورُ لا يرضَى لزوجتِه أو بِنْتِه أنْ تَركبَ وحدَها معَ سَائقٍ غيرِ مَحْرَمٍ لَهَا، والمؤمنُ الغَيورُ لا يرضَى بوجودِ امرأةٍ أَجنبيةٍ في بيتِه يدخلُ عَليها كمَا يدخلُ على مَحَارِمِه وتَمشي أمامَه وتسكنُ معَه ويخلُو بِها كمَا يخلُو بزوجتِه.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واحذرُوا شُرورَ هذِه الفتنِ، ولاتحملنَّكُم المَدنيةُ الزائفةُ والتقليدُ الأَعمَى على هذِه المُغامرةِ الخطيرةِ، فتخربُوا بيوتكم بأيدِيكم وأيدِي أعدائِكم وأنتُم لاتَشعرُونَ واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

في الطلاقِ وأحكَامِه

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النّحل: ٧٢] وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له في ربوبيتِه وإلَهيتِه ومَا له مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه المُؤيَّد بالمعجزاتِ الباهراتِ، صَلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وكلِّ مَن آمَنَ بِه واتبعَ النورَ الذي أُنْزِل مَعَه، وسلّم تسليماً كثيراً . . .

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تَعالى واذكرُوه يذكرْكُم واشكرُوا له ولا تكفرُوه، يقولُ اللهُ تعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النِّساء: ١] ويقولُ تعَالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم: ٢١] إنَّ الاتصالَ بينَ الرجلِ والمَرأةِ عن طريقِ الزواجِ الشرعيِّ والارتباطِ الأُسريِّ مِنْ أعظمِ نِعمِ اللهِ على بني آدمَ لِمَا يَترتبُ على هذِه العَلاقةِ الشريفةِ مِن مَصالحَ عَظيمةٍ مِنها:

أَنَّه سَببٌ لغضِّ البصرِ وحِفظِ الفَرْجِ عمّا حَرّمَ اللهُ، كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «يا معشرَ الشبابِ مَنِ استطاعَ مِنكُمُ الباءةَ فليتزوجْ، فإنه أغضّ للبصرِ وأَحْصَنُ للفرجِ» رواه البخاريُّ ومسلمٌ[١].

ومِنها حصولُ الراحةِ النفسيةِ والسكنِ والأنسِ بينَ الزوجينِ، قَالَ تعَالى:

---

(١) رواه البخاريُّ (١٩٠٥)، ومسلمٌ (١٤٠٠).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الرُّوم: ٢١] وقَالَ تعَالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعرَاف: ١٨٩] والسكنُ هُنَا هُو الأنسُ والطمأنينةُ، ومِنْ مَصالحِ الزواجِ حصولُ الذريةِ التي بها بقاءُ النسلِ الإنسانيِّ وتكثيرُ عددِ المُسلمينَ، لهٰذِه المصالحِ ولغيرِها في الزواجِ أَمَرَ اللهُ بِه وَوَعَدَ، بترتيبِ الخيرِ عليه.

قَالَ تعَالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢] ورغَّبَ سُبحانَه بالإبقاءِ على الزوجيةِ ونَهى عن كُلِّ ما يعرِّضُها للزوالِ، فأمَرَ بالمعاشرةِ بينَ الزوجينِ بالمعروفِ ولَو مَعَ كراهةِ أحدِهما للآخرِ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النِّساء: ١٩].

وعَن أبي هَريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ المرأةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ وإنَّ أَعْوجَ مَا في الضِّلَعِ أعْلاَهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمهُ كَسَرْتَه وإنْ تَرَكْتَهُ لمْ يَزَلْ أعوج فَاسْتَوصُوا بالنساءِ» رَواه البخاريُّ ومُسلمٌ[1]، وفي روايةِ لمُسلمٍ: «وكَسْرَهَا طَلاقُها»، وإذَا شَعُرَ الزوجُ بِنفَرَةِ زوجتِه مِنه وبِعَدَمِ انقيادِها لحَقّه فقد أَمَرَهُ اللهُ أن يُعالجَ ذلكَ بالحِكمةِ واتخاذِ الخُطواتِ المُناسبةِ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النِّساء: ٣٤] أي الزوجَات اللاتي يَحْصُلُ مِنهنَّ عِصيانٌ لأزواجهنَّ فيمَا يجبُ عليهنَّ لهُم فذكِّروهنّ مَا أَوْجَبَ الله عَليهنّ في كتابِه مِن حُسْنِ العِشرةِ للزوجِ ومَا عليهنّ مِن

(١) رواه البخاريُّ (٥١٨٤)، ومسلمٌ (١٤٦٨).

الوعيدِ في مُخالفةِ ذَلكَ، فإنْ لمْ يجدْ فيهنّ الوَعظ فعَاقبوهنّ بالهَجْرِ، وهو الإعرَاض عنهنّ في الفرشِ، لأنَّ ذَلكَ يَشُقُّ عَليهنّ فيحملهنّ على الانقيادِ لأزواجهنّ والعودةِ إلى طَاعتِهم، فإنْ لمْ يجد في الزوجةِ الهجران فإنَّها تُعَاقَبُ بِمَا هُو أشدُّ مِنه وهو الضربُ غَير الشديدِ، فإنَّ الضربَ هو الذي يُصلحُها لزوجِها ويحملُها على تَوفيةِ حَقِّهِ. . .

وكُلُّ هذِه الإجراءاتِ يتخذُها الزوجُ مع زوجتِه دُونَ تَدَخُّلٍ مِنْ أَحَدٍ خَارجيٍّ فَإن اسْتَمَرَّ الشقاقُ بينَ الزوجينِ فَقد أَمَرَ اللهُ بالتدخلِ بينَهما للإصلاحِ قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النِّساء: ٣٥] فأمَرَ سُبحانَه عندَ تطور الخلافِ بين الزوجينِ بتشكيلِ هَيئةٍ للنظرِ في إزالتِه تَتكونُ مِن عُضوينِ يتحليانِ بالإنصافِ والعدلِ، أَحدِهما مِنْ أُسرةِ الزوجِ، والثاني من أُسرةِ الزوجةِ، يدرُسَانِ مُلابساتِ الخلافِ ويأخذانِ على يَدِ المُعتَدِي مِنَ الزوجينِ، ويُنصفانِ المُعْتَدَىٰ عَليه، ويُسوِّيانِ النزاعَ. كُلُّ هذِه الإجراءاتِ لإبقاءِ عَقْدِ النكاحِ واستمرارِ الزوجيةِ، فإذَا لمْ تَجِدْ وكانَ في بقاءِ الزوجيةِ ضَرَرٌ على الزوجينِ أو أحدِهما بدونِ مَصلحةٍ رَاجحةٍ فقد شَرَعَ اللهُ الفُراقَ بينَهما بالطلاقِ.

فالطلاقُ هُو آخِرُ المَراحِلِ وهو في مِثْلِ هذِه الحالةِ رحمةٌ مِنَ اللهِ يتخلصُ به المُتَضرِّرُ، ويُتيحُ له الفرصةَ للحصولِ على بديلٍ أَحسَن، قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النِّساء: ١٣٠].

أي وإن لمْ يصطلحَا بل تفرقَا فليحسنا ظَنَّهُمَا باللهِ فَقد يُقَيِّضُ للرجلِ امرأةً تقرُّ بِهَا عينُه، ويُقَيِّضُ للمرأةِ رَجُلاً يُوَسِّعُ عَليها بِهِ. . .

وإذَا كَانَ الزوجُ لايَرغبُ في الزوجةِ ولا يُريدُها، وإنَّمَا يُمَانِعُ في طلاقِها مِن

أجلِ أنْ تَفتديَ مِنه بمالٍ فقد حَرّم الله عَليه هذَا وأمَرَه بطلاقِها فوراً مِن غَيرِ أنْ يأخذَ مِنها شَيئاً، قَالَ تعَالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النِّساء: ١٩] أي لا تُضَارّ أيّها الزوجُ زوجتَك في العِشْرَةِ لتتركَ لكَ مَا أصدقتَها أو بعضَه أو حَقًّا من حُقوقِها عليكَ على وجْهِ القَهْرِ لهَا والإضرارِ، أو لتبذلَ لكَ مَالاً تفدي به نفسَها مِنكَ.

قَالَ ابنُ عباسٍ: يعني الرجُل تكونُ له المرأةُ وهُو كَارهٌ لِصحبتِها ولهَا عليه مَهْرٌ فَيضرّهَا لتفتديَ بِه، وأمَّا إذا كانت المَرأةُ هي التي لا تُريدُ الرجلَ وأبغَضَتْهُ ولمْ تَقْدِرْ على مُعاشرتِه والقيامِ بحقوقِه فلهَا أنْ تفتديَ مِنه بمَا أَعطَاهَا ولا حَرَجَ عَليهَا في بَذلِها لَه ولا حَرَجَ عليه في قَبُولِ ذلكَ مِنهَا، قَالَ تعَالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩].

أيُّهَا المُسلمونَ: إنَّ اللهَ جَعَلَ الطلاقَ حَلاًّ أخيراً بعدَ مَا تفشلُ كُلُّ الحلولِ لِحَسْمِ النزاعِ وبقَاءِ الزوجيةِ، فهُو كالدواءِ الذي يُستعملُ عندَ الحاجةِ وَوِفْقَ طَريقةٍ خَاصَّةٍ رَسَمَهَا الشَّارعَ، فإذَا استُعملَ مِن غيرِ حَاجةٍ أو استُعمل على غيرِ الطريقةِ المَرسومةِ فإنَّه يَضُرُّ كَمَا يَضُرُّ الدواءُ المُستعملُ على غَيرِ حاجةٍ أو استعُمل على غيرِ الطريقةِ المرسومةِ فإنَّه يضُرُّ كما يَضُرُّ الدواءُ المُستعملُ على غير أصولِه؛ ولهذَا وَرَدَ في الحديثِ: «إنَّ أبغضَ الحلالِ إلى اللهِ الطلاقُ» رواه أبو داودَ وابنُ ماجه[1].

ولِهَذَا رَسَمَ الله سُبحانَه وتعَالى للطلاقِ خُطَّةً حَكيمةً تُقَلّلُ مِن وقُوعِه ويَكُونُ

---

(١) رواه أبو داود (٢١٧٨) قال المنذريُّ: وأخرجه ابنُ ماجة، والمشهور فيه المرسل وهو غريبٌ، وقال البيهقيُّ: ولا أراه محفوظاً.

المُتمشّي على تلكَ الخُطةِ الإلّهية في الطلاقِ لايتضررُ بِه ولايندمُ عليه ويتجنبُ الآثارَ السيئةَ التي يقعُ فِيها مَن أخلّ بتلكَ الخُطّةِ، فَجَعَلَ للرجلِ أنْ يُطَلِّقَ المرأةَ عندَ الحاجةِ طَلقةً واحدةً في طُهْرٍ لمْ يجامِع فِيه ويتركَها حتَّى تنقضِي عِدَّتُهَا، ثُمَّ إنْ بَدَا لَه في تلكَ الفترةِ أنْ يُراجعَها فلَه ذلكَ، وإنِ انقضتْ عِدّتُها قبلَ أن يراجعها بانتْ مِنه ولمْ تَحِلُّ لَه إلاَّ بعَقْدٍ جَديدٍ . . . . قَالَ تعَالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩] أيْ إذَا طَلقْتَهَا واحدةً أو اثنتينِ فأنتَ مُخَيَّرٌ فِيها مَادَامت في عِدّتها فَلَكَ أنْ تردّها إليكَ ناوياً الإصلاحَ والإحسانَ إليْهَا، ولكَ أنْ تتركَها حتَّى تنقضيَ عِدّتها فتَبينَ مِنكَ وتُطلق سَراحَها مُحْسِناً إليها لا تَظْلِمهَا مِن حَقِّهَا شَيئاً ولا تُضَارّ بِهَا وقَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطّلاَق: ١] يَعْنِي طَلقوهنّ وهُنّ طَاهراتٍ مِنَ الحيضِ مِن غيرِ أنْ يَحْصُلَ مِنكُم جِماعٌ لَهُنَّ في هَذَا الطُّهْرِ، فبيّنَ سُبحانه في الآيةِ الأولَى العددَ المَشروعَ في الطلاقِ وهُو طَلقة واحِدة، وبيّنَ في الآيةِ الثانيةِ الوقتَ الذي يجوزُ فِيه الطَّلاَقُ، وهو وقْت الطهارةِ مِنَ الحيضِ بشرطِ أنْ لايكونَ قد جَامَعَهَا في هذَا الطُّهْرِ، فتبيّنَ بِهذَا أنه يَحْرُمُ علَى الزوجِ أنْ يُطَلّقَ زوجتَه ثَلاثاً؛ لأنَّ هَذَا يَسُدُّ عليه بابَ الرَّجْعَةِ، وأنه يَحْرُمُ عليه أنْ يُطلقَهَا وهي حائضٌ، لأنَّ هذَا يُطِيلُ العِدَّةَ على الزوجةِ، ولأنَّه وقتٌ يَنزلُ فيه الحيضُ علَى المرأةِ وهُو أذىً قد يدفعُ الزوجُ إلى كَراهةِ زوجتِه وذَلكَ مِظَنَّةٌ لتطليقِها في تلكَ الحالةِ فنَهى عنه، ويحرمُ كَذلكَ تطليقُ المَرأةِ في طُهْرٍ جَامَعَهَا فيه لأنَّهَا رُبَّمَا تكونُ قد حَمَلَتْ من هذَا الجماعِ فيشتدُّ نَدَمُه إذَا عَلِمَ أنَّهَا حَاملٌ ويكثرُ الضررُ.

وبهذَا يتبينُ أنَّ الشّارِعَ أباحَ الطلاقَ في حالِ الحاجةِ إليه وَوَضعَ لَه نِظاماً يجعلُه لاَ يَقعُ إلاَّ في أضيقِ الحُدودِ، وحِينئذٍ لا يحصلُ مِنه ضَرَرٌ عَلى أحدٍ مِنَ

الزوجينِ. . .

قَالَ أميرُ المُؤمنينَ عَليّ بن أبي طَالبٍ رضي الله عنه: «لا يُطَلِّقُ أحدٌ للسَّنَةِ فَيندَم» وقَال أيضاً: «لو أنَّ الناسَ أخذُا بمَا أمَرَ اللهُ في الطلاقِ مَا يتبعُ رَجُلٌ نفْسَه امرأةً أبداً، يُطلقُها تَطليقةً ثُمَّ يَدَعَهَا مَا بينَها وبينَ أنْ تَحيضَ ثَلاثاً فمتَى شَاءَ رَاجَعَهَا».

هذَا وبعضُ الناسِ بتلاعبُونَ في الطلاقِ، فبعضُهم يُطلّقُ عند أدنَى سَببٍ وعندَ أوَّلِ إشكالٍ بينَه وبينَ زوجتِه فيضرّ بنفسِه وبزوجتِه وبأولادِه.

والبعضُ الآخَرُ يتزوجُ ويُطلقُ ويتزوجُ ويُطلقُ، مِن غيرِ مُبررٍ للطلاقِ إلاَّ أنّه أَصبحَ عَادةً لَه وعُرِفَ بِه. ومِثْلُ هَذَا ينبغِي أنْ يَعَلَمَ أنَّ فِعْلَه هذَا مَكروه؛ لأنَّ أبغضَ الحلالِ إلى اللهِ الطلاقُ، فالطلاقُ بغيضٌ إلى الرحمنِ، حَبيبٌ إلى الشيطانِ، والمسلمُ يبغضُ ما يبغضهُ اللهُ، ومِنَ الناسِ من يجرِي الطلاقُ على لسانِه بسهولةٍ وبأدنَى مُناسبةٍ فَيَسْتعمِله بدَلاً مِنَ اليمينِ، إذَا أرادَ أن يحلفَ على نفسِه أو على غيرِه، قَالَ: عليّ الطلاقُ، فإذَا انْتَقَضَتْ يمينُه وَقَعَ في الحَرَجِ وصَارَ يسألُ عَنِ الحُلولِ التي تنقذُه مِن هذَا الطلاقِ الذي حَلَفَ به، وبعضُ الناسِ لا يتورعُ عن الطلاقِ المُحرمِ فيبتّ زوجتَه بالثلاثِ دُفعةً واحدةً.

وكُلّ هذَا بسببِ تَلاعبِ الشيطانِ ببني آدمَ ليوقعَهم في الحرجِ ويورطَهم في الحرامِ، فإذا بتّ زوجتَه بالثلاثِ ونَدَمَ على ذلكَ صَارَ يبحثُ عمّن يُفْتِيهِ، ويخلّصُه مِن هذَا المأزقِ.

فاتقُوا اللهِ عِبادَ اللهِ، وتقيدُوا بمَا شرّعه اللهُ لكُم في الطلاقِ وفي غيرِه فإنَّه خَيرٌ لكُم في العاجلِ والآجلِ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البَقَرَة: ٢٣١].

بَاركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيم

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمُتقينَ، وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لاَ شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسلِيمَاً كَثيراً . . . أَمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وأطيعُوه، عِبادَ اللهِ: اعلمُوا أنَّ أسبابَ الطلاقِ كثيرةٌ، . . .

أولاً: سُوءُ اختيارِ الزوجينِ بعضِهما للآخَرِ عندَ الزواجِ فقد يُقدِمُ أحدُهما على الزواجِ بالآخَرِ وهو لايعرفُ عنه شَيئاً لا في دِينِهِ ولا في خُلقِه، فإذَا تكَشفتْ له الحقائقُ وأَخفقَ، أرادَ التخلّصَ من هذَا القرينِ الذي لايُنَاسِبُه ولهذَا شُرِعَ التحرّي لكُلٍّ مِنَ الرجلِ والمرأةِ قبلَ الإقدامِ على الزواجِ.

ثانياً: ومِن أسبابِ الطلاقِ إثقالُ كَاهِلِ الزوجِ بالتكاليفِ الباهظةِ عندَ الزواجِ فإنَّ هذَا يُسبّبُ كُرْهَهُ لهذِه الزوجةِ التي استنفدتْ مِنه أموالاً كثيرةً وعدمَ تحمّلِه

مِنها أدنَى زَلَّةٍ، ولهَذا استُحبّ تَيسيرُ المُهورِ، فعنْ عَائشةَ رضي الله عنْهَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ أعظمَ النساءِ بركةً أيسرُهنّ مؤنةً» رواه أحمد، ومن أسبابِ الطلاقِ سُوءِ العِشرةِ بين الزوجينِ وعَدَمُ قيامِ أحدِهما بمَا أوجبَه اللهُ عليه للآخَرِ، وقد أمَرَ اللهُ بِحُسْنِ العِشرةِ فقَال تعَالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النِّساء: ١٩] وقَالَ تعَالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البَقَرة: ٢٢٩].

ثالثاً: ومِن أسبابِ الطلاقِ مَا تَبثُّهُ وسائلُ الإعلامِ مِنَ التمثيلياتِ التي تُصَوِّرُ مَشَاكِلَ مُفْتَعَلَةً حَولَ تَعَدُّدِ الزوجاتِ وتزويجِ كبيرِ السنِّ مِنَ الصغيرةِ وتزويجِ المُتعلماتِ مِن غَيرِ المُتعلمينَ، فمَن سَمِعَ أو رأى أو قَرأَ تلكَ التمثيلياتِ مِنَ النساءِ وهُنَّ ناقصَات الدينِ والعقولِ زَهَدَتْ إحدَاهنّ في زوجِها الذي تَرَى أنَّ هذِه التمثيليةِ تنطبقُ عليه، ولا شَكَّ أنْ هذَا العملَ الذي تقومُ به وسائلُ الإعلامِ يكونُ مِنَ التخبيبِ الذي حَرَّمَهُ رسولُ اللهِ ﷺ وتوعَّد مَن فَعَلَه، فعن أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ليسَ منّا مَن خَبَّبَ امرأةً على زَوجِها» رواه أبو داود والنسائيُّ وابنُ حِبّان في صحيحَه(١)، ويدخلُ في التخبيبِ مِنْ بابِ أولى مَن سَبَّ رَجُلاً عند زوجتِه حتَّى زَهَّدَهَا فيه، ومِن أعظمِ أسبابِ الطلاق في وقْتِنَا الحاضرِ مَا يُوجدُ في كثيرٍ مِنَ البيوتِ مِنَ أفلامِ الفِديو التي تُعْرَضُ فِيها الصُّورُ الفاتنةُ والمَشاهِدُ التي تُثيرُ الغرائزَ وتُزَهِّدُ الزوجَ بزوجتِه حينَما يُعْرَضُ في هذِه الأفلامِ فَتاةٌ جَميلةٌ أحسَن مِن زوجتِه. وقد تُشَاهِدُ فيها المرأةُ شَاباً جَميلاً يُزهِّدُهَا في زَوجِها، ومِنَ أسبابِ الطلاقِ سفرُ بعضِ الأزواجِ إلى الخارجِ ومُشاهدتِه للمَشَاهِدِ الفاتنةِ مِنَ النساءِ الفاتناتِ والمُتبرجاتِ فيتعلّقُ قَلبُه بتلكَ

---

(١) رواه أبو داود (٢١٧٥)، ولم أجده في سُنن النسائيّ.

المَشاهدِ ويَعُودُ زَاهِداً في زوجتِه مُنصرِفاً قَلبُه إلى غيرِها مِمَّا يؤولُ به إلى طَلاقِها، فيجبُ على المُسلمينَ تَجَنُّبَ هذِه الأسبابِ وغيرِها مِمَّا يتخذُه الشيطانَ سِلاحَاً للتفريقِ بينَ الزوجينِ وتَشتيتِ الأسرةِ.

ومِنْ أسبابِ وقُوعِ الطلاقِ مَا ظَهَرَ في هذِه الأوقاتِ مِن دَعاياتٍ مُغرضةٍ تقولُ بأنَّ المَرأَةَ في المجتمعاتِ الإسلاميةِ مَظلومةٌ ولا تَنَالُ حُريتَها وأنَّهَا طَاقةٌ مُعطَّلةٌ فإذَا سَمِعَتِ النساءُ هذِه الدعاياتِ المَسمومةِ تَنكَّرنَ علَى أزواجِهِنَّ وساءتْ عشرتُهنَّ لهُم فكَان ذلكَ سَبباً للطلاقِ والتفريقِ بينَ الزوجينِ، كعَمَلِ السَحَرَةِ الذينَ يُفرِّقونَ بينَ المَرْءِ وزَوجِه.

ومِنْ أسبابِ الطلاقِ انصرافُ النساءِ عَن العملِ في بيوتِهنّ إلى العملِ الوظيفيِّ خَارِجَ البيوتِ بِسببِ تَعليمِ المرأةِ ونَيْلِهَا المؤهلاتِ الوظيفيةِ، فإذا توظفتْ وخَرجتْ للعملِ خَارجَ البيتِ تَعَطَّلَ عملُها داخلَ البيتِ وأصبحتْ كالرجلِ تحتاجُ إلى مَن يقومَ بإعدادِ الطعامِ لهَا ويقومُ الأعمالِ المنزليةِ بدَلاً مِنها فيحصلُ الشقاقُ بينَها وبينَ زوجِها لأنَّها تُصبحُ عِبأً عَليه وفي النهايةِ لابدّ مِنَ الطلاقِ، لأنَه يريدُ زوجةً يَسْكَنُ إليها لازوجةً يسكنُ مَعَها، ـ أَيُّهَا المُسلمونَ ـ اعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

في الاعتبارِ والتذكّر

الحمدُ للهِ الواحدِ القهّارِ، يُكَوِّرُ الليلَ علَى النهارِ، ويكوِّرُ النهارَ على الليلِ وسَخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجَلٍ مُسمًّى ألاَ هُو العزيزُ الغفّارُ، وأشهدُ أن لاَ إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَه أَمَرَنَا بالتفكّرِ والاعتبارِ، فَقَالَ: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ [الحَشر: ٢] وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه المُصطفى المُختارُ. صَلّى الله عليه وعلَى آلِه وأصحابِه المُهاجرينَ مِنهم والأنصَار. وسَلّم تسليمَاً مَا تَعَاقَبَ الليلُ والنهارُ.

أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وتفكَّرُوا وتذكَّرُوا فإنَّ العِبرَ كَثيرةٌ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غَافر: ١٣].

عِبادَ اللهِ بينَ أيديكُم مِنَ العِبَرِ والعِظَاتِ، والآياتِ البيِّناتِ مَا يتذكرُ فيه مَن تَذَكَّرَ وجَاءكُم النذيرُ فبيّنَ أَيدِيكُم القرآنُ العظيمُ الذي لو أُنزلَ على جَبلٍ لرأيتَه خَاشِعاً مُتصَدِّعاً مِن خَشيةِ اللهِ، والذي قَالَ اللهُ فِيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ [طه: ١١٣] إنّكُم تَقرؤونَ هذَا القرآنَ بأنفسِكم وتسمعُونَه مِن غَيرِكم، وهُو يخاطبكم بِلُغَتِكُم فيأمرُكم وينهاكُم ويحذرُكُم مِنَ الذنوبِ والمعَاصِي ويبيّنُ لكُم عقوبتَها وسوءَ عَاقِبَتِهَا، ويحدّثكُم عِنَ الغيوبِ المَاضيةِ والمستقبلةِ، ويَقُصُّ عَليكُم مِنْ أنباءِ الرسلِ والأممِ والأخيارِ والأشرارِ والجنةِ والنارِ، يَصفُ لكُم الجنةَ ومَا فِيها مِنَ النعيمِ. . . . والنارَ ومَا فِيها مِنَ العذابِ الأليمِ، حتّى كأنّكُم تُشاهِدونَهُمَا عيَاناً،

وهُو كلامُ رَبِّ العَالمينَ، وأصدقِ القَائلينَ، وهُو حَجةٌ لكُم أو عليكُم، فلينظرْ كُلٌّ مِنّا مَوقفَه مِنْ هَذَا القرآنِ وليعرِض أعمَالَه عليه، هل هي مُوافقةٌ لما جاءَ فِيه، أو مُخالفةٌ لأَوامِره ونواهِيه؟ قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ـ١٢٦].

عِبَادَ اللهِ: وبَيْنَ أيدِينَا الآياتُ الكونيةُ في السمواتِ والأرضِ تَدُلُّ على عَظَمَةِ خَالِقِهَا. وتَبْعَثُ على خَشيتِه ومَحبتِه والخوفِ مِنه، قَالَ تعَالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يُونس: ١٠١] وقَال تعَالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ـ٨].

كثيرٌ مِنَ الناسِ يكونُ نَظَرُهُ إلى هَذِه الآياتِ الكَونيةِ لا يعدُو نَظَرَ البهائمِ بحيثُ يكونُ مَقصُوراً علَى مُتْعَةِ النفسِ وتَرفيهِها، ولا ينظرُ إلى مَا فِيها مِنَ الحِكم والأحكامِ، ومَا تَدُلُّ عليه مِنْ قُدرةِ الخَالقِ وعَظمتِه، فَيتعَلَّق قلبُه بِه خشيةً وإجلالاً ومَحَبةً.

وقد قَالَ الله تعَالى في هذَا الصِّنْفِ مِنَ الناسِ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يُوسُف: ١٠٥، ١٠٦]. إنَّ كَثيراً مِنَ الناسِ إذَا رَأوا آلةً مُختَرَعةً تَعجبُوا منها وأُعجِبُوا بِمخْتَرِعِهَا وأشَادُوا بِه. ولِهذَا أُعجِبوا بهذِه المُختَرَعَاتِ العَصريةِ وصَاروا يُطلقُونَ على مُخترِعِيها لَقَبَ العلماءِ مضع أنَّهُم في الحقيقةِ مِنْ

أَجهلِ الناسِ فيمَا خُلِقُوا مِنْ أَجْلِهِ، ومِنْ أَجْهَلِ الناسِ بمصَالحِ أنفسِهم، ومِنْ أَجهلِ الناسِ بربهِم وخالِقهم، ومِنْ أجهَلِ الناسِ بمصيرهم وآخرتِهم، إِنَّمَا هُم مَجردُ صُنّاع مُسخَّرِينَ، قد يصنعُونَ مَا فِيه هَلاكُهم وهلاكُ الحَرْثِ والنَّسْلِ. فكيفَ يُمْنَحُونَ هذَا اللقبَ الشريفَ الذي أثنَى اللهُ علَى أَهْلهِ وفضَّلَهُم عَلى غَيرِهم؟ إِنَّمَا العلماءُ الذينَ يستحقونَ هذَا اللقبَ هُم ورثةُ الأنبياءِ الذينَ أَدْرَكُوا أسرارَ هذِه الكَائناتِ والمَخلوقاتِ فاستدلّوا بِهَا علَى عظمةِ خَالقِهَا فعظّمُوه وعبَدُوه حَقَّ عِبادتِه وتركُوا عِبادةَ مَا سِواه ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عِمرَان: ١٩١] واستعَانوا بهذِه الكائناتِ والمُخترعَاتِ على طَاعةِ اللهِ وعَلى تحصيلِ مَصالحِهم العاجلةِ والآجلة. وعَلِمُوا أَنَّهَا لم تُخْلَقْ عَبثاً، ولمْ يكن المقصودُ مِنها عِمارةَ الدنيا والوصولَ بِها إلى شَهواتِ النفوسِ الفَانيةِ، وإِنَّمَا خُلقتْ لِتدلَّ على عَظمةِ الخَالِق، وليُستفادَ مِنها فيمَا يصلحُ الدنيا والآخرةَ، هؤلاءِ هُم العلماءُ حَقيقةً لا المُجرمونَ الذين يصنعون الدمارَ وينظرونَ إلى الكائناتِ على أنها مَجردُ مُتعةٍ عَاجلةٍ ولا تدلُّ عَلى شيءٍ، فهذَا نَظَرُ الجَاهلينَ وإنْ سَمّاهُم الناسُ عُلماءَ، فإنَّ الله قد وصَفَهُم بالجهلِ وعَدَم العِلم، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الرُّوم: ٦ـ٨]، فنفَى سُبحانَه عَن هؤلاءِ العِلْمَ مَعَ أَنَّهم يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحياةِ الدنيا. لأنَّ هذَا لا يُعتبرُ عِلْمَاً حَقيقيًا مَادامَ أَنَّهُم يَجهلونَ الآخرةَ ويغفلُونَ عنها ولا يعملُونَ لهَا، وهذَا هو الجهلُ الحقيقيُّ فكيفَ نَسمّيهم علماءَ وهم يَجهلُون لِمَاذا خُلقُوا ولِمَاذا خُلقتِ السماءُ والأرضُ، ولماذا

سُخِّرت لَهُم هذه المخلوقاتُ. لقد أصبح مفهومُ العلمِ والعلماءِ عند كثيرٍ من الناسِ في هذا العصرِ مُخَالفاً لمَفهومِ العِلْمِ الذي شَرّفَ الله أهلَه في الدنيا والآخرةِ والذي جَاءتْ بِه الرسلُ ونزلتْ به الكُتُبُ، فصارَ يُطلقُ على الجهلِ أنَّه علمٌ، لقد تغيرتِ المفاهيمُ، وانقلبتِ الموازينُ، فصارَ الجهلُ عِلماً والسفاهةُ حِلماً، والحقُّ بَاطلاً، والباطلُ حَقًّا.

عِبادَ اللهِ: ومِنَ الآياتِ والعِبَرِ التي بينَ أَيدينا، تَقَلُّبُ الليلِ والنهارِ، وتَصَرُّمُ الأعمارِ، وخرابُ العامرِ مِنَ الديارِ، ورَحيلُ الآباءِ والأبناءِ والجيرانِ مِنَ الدُورِ والقصورِ إلى ضيقِ القُبورِ، قَالَ الله تعَالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦، ٢٧] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السَّجدَة: ١١] وقَالَ النبيُّ ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَاتِ يعني المَوت»[1] وأمَرَ ﷺ بزيارةِ القبورِ وقَالَ: إنَّها تُذَكِّرُ الآخرة؛ لأنَّ مَن يذكرُ الموتَ وشدّتَه، والقبرَ ووحدتَه، والحسابَ وروعتَه، والميزانَ وخِفتَه، والصراطَ ودِقَّتَه كيفَ يتلذذُ بالدنيا؟ وكيفَ يتمَادى في المعَاصي؟ وكيفَ يلهُو بجمعِ الحُطامِ وهُو في غنيً عنه ويتركُ العملَ وهو بحاجةٍ إليه، وكيفَ يَعصي رَبَّهُ وهو في قَبضتِه ومُلاقِيه ومَرَدُّه إليه؟

عِبادَ اللهِ: ومِنَ العِظَاتِ البَالغةِ مَا يجري في العَالَمِ المُعَاصِرِ مِنَ الحوادثِ المُرَوِّعَةِ والأمراضِ الفتّاكةِ. ففي كُلِّ يومٍ تَسمعونَ وتقرؤونَ عَنْ زِلزالٍ مُدَمِّرٍ، أَوْ عَن فَيضانٍ غَامرٍ، أَوْ عَن إعصارٍ شَديدٍ عَاتٍ، أو عَن حَربٍ طَاحنةٍ، أوْ عَن سُقوطِ

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٣٠٨)، والنسائيُّ (١٨٢٤).

طَائرةٍ أو انقلاب سَيارةٍ، أوْ عَن ثَورةٍ داميةٍ، أَوْ عَن تسلّطِ عُصابةٍ مُجرمةٍ، ومَا يترتبُ عَلى هَذِه الحوادثِ مِن هَلاكِ الأَنفسِ وتَلَفِ الأَموالِ وتَخريبِ المَسَاكِنِ وتَرويعِ الآمِنينَ وانتشارِ الجوعِ والمَرضِ والخوفِ. كلُّ هَذَا يَحْدُثُ فِيمن حَولَنا. فَمَا الذي يُؤمِّنُنَا أنْ يَسري إِلينا وقَد وُجدتْ أَسْبَابُهُ فِينا؟ أَمَا آنَ لنَا أنْ نَعتبرَ ونَتعظَ ونَتوبَ ونُصلحَ أَوضَاعَنَا قَبْلَ أنْ يَحِلّ بِنَا مَا حَلّ بغيرِنَا؟ أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ـ١٠٠].

بارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١] وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [غافر: ٨١] وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه أعرَف الخلقِ بِربِّه وأتقَاهُم لَه، صَلّى الله عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تبِعهم بإحسانٍ وسَلّم تسليماً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وتفكّرُوا في آياتِه واعتبِرُوا بمَا يجري بينكم وحولَكم مِن تَقلباتِ الأحوالِ. ولاتَغترّوا بمَا أنتُم فيه مِن رَغدِ العيشِ وبَسطةِ الدنيا، فإنَّ كُلَّ وحدٍ مِنّا لَه أجَلٌ مَحدودٌ، ويومٌ مَوعودٌ، وكلُّ مَا هُو آتٍ قَريب: ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [نُوح: ٤]. وعند ذلكَ يخسرُ

المُبطلونَ ويتحسرُ الظالمُون، ويَطلبُون العودةَ فلاَ يُمَكَّنُونَ، ويُقالُ لَهُم فَاتَ الأوانُ وانقضَى الزمانُ، وأنتمُ في غَفلةٍ مُعرِضُون.

عِبادَ اللهِ: إذا كنّا لا نَستطيعُ الصبرَ على حَرّ الصيفِ وبَرْدِ الشتاءِ ونتخذُ شَتّى الوسائل لتوقيهما وهُما نفَسَان قليلانِ مِن أنفاسِ جَهنمَ، فكيفَ بالذي تكونُ جَهنَّم مَصيرَه ومَقرّه دَائماً لا يموتُ فيهَا ولا يَحيى؟ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾ [فَاطِر: ٣٦] ولايَطمعُونَ في النجاةِ مِنها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السَّجدَة: ٢٠] لهُم سَرابيلُ مِنَ القطرانِ، وثِيَابٌ مِنَ النيرانِ، ومَقامعُ مِن حَديدٍ. وطَعامُهم مِنَ الزقومِ وشَرابُهم مِنَ المُهْل والحَميمِ والصَّدِيدِ. هذَا جَزاءُ مَن كَفرَ بآياتِ اللهِ ولمْ يَعتبرْ بهَا ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوبَة: ٦٧] ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

عِبادَ اللهِ: إنَّ مِنْ أعْرَضَ عنْ آياتِ اللهِ ولـمْ يتعظْ بِها ولـمْ يتفكرْ فِيها فإنَّه يُبْتَلَى بعَمَى القلب وقسوتِه فَلاَ يزجرُه الوعيدُ، ولا ينفعُه التذكيرُ ولا تؤثرُ فيه العِبرُ، كَمَا قال تعَالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعرَاف: ١٠٠، ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقَالَ تعَالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن

تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف : ٥٧] فليخشَ هَؤلاءِ الذينَ أضاعُوا الصلاةَ واتبعُوا الشهواتِ وهَجَرُوا المَسَاجِدَ وتمَادُوا في المعَاصي ولمْ ينتفعُوا بوعظٍ ولا تَذكيرٍ، ولمْ يتعظُوا بمَا حَلَّ بغيرِهم مِنَ العُقوباتِ، ليحذرُوا أن يُعَاقَبُوا بفسادِ قُلوبهم في الدنيا ثُمَّ ينتقلُوا إلى المَصِيرِ المُؤلِم في الدارِ الآخرةِ وهُم على غيرِ استعدادٍ، ويتمنُّونَ الرجوعَ عندَ الموتِ ليستدركوا مَا تَركوا مِنَ العَمَلِ الصالحِ فيُقالُ لهُم هَيهاتَ، انتهَى الأجَلُ وخُتِمَ العَملُ وحَانَ وقْتُ الجزاءِ ﴿وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس : ٥٤] فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وبَادِرُوا بالتوبةِ قَبْلَ فَواتِ الأوانِ . . . واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ الله والسلامُ عَليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه .

* * *

في مَعنى قَولِه تعَالى:
﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنعَام: ١ـ٤]. وأشهدُ أن لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريكَ لَه، ولا نعبدُ إلاَّ إيَّاهُ مُخلصينَ لَه الدينَ ولو كَرِهَ المُشركُون، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، بَلَّغَ البلاغَ المُبينَ، وبيّنَ للناسِ مَا نُزِّلَ إليهم مِن رَبهم غَايةَ التبيينِ، صَلّى الله عَليه وعلى آلِه وأصحابِه والتابِعينَ لهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وسَلّم تسليماً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وتفكرُوا في مخلوقاتِه، فَإنَّهَا مِن أعظم آياتِه الدالّةِ عَلى قُدرتِه وربوبيتِه، وأنَّه لايستحقُّ العبادةَ إلاَّ هُو، فهو الخالقُ، ومَا سِوَاه مخلوقٌ، وهُو الغنيُّ عمّا سِوَاه، ومَا سِوَاه فَقيرٌ إليه، وأدلةُ قُدرتِه ووحدانيتِه ظَاهرةٌ بينَ أيديكُم، ومُتمثلةٌ فِيكُم، قَالَ الله تعَالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذّاريَات: ٢٠، ٢١] يَعجبُ الناسُ عندمَا يَرونَ تلكَ المُخترَعَات الصناعيةَ ومَا فِيها مِنَ المَنافِعِ والمَضَارِّ، ومَا تشتملُ عَليه مِنْ آلاتٍ دَقيقةٍ وحَركاتٍ عَجيبةٍ، يتعجبُون مِن مَهارةِ مُخترِعِيها، ولَكِنَّ أكثرَهم لايُفكرُون فيمَا وراءَ ذلك، مَن الذي خَلقَهَا وسَخّرها ودَلّ العبادَ على أَسرارِها وأَقْدَرَهُمْ علَى صُنعِهَا وذلَّلَهَا لَهُم؟ كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

[الصَّافات: ٩٦] ولا يتفكرُون في الآياتِ المَبثوثة في الأرضِ، قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ على قولِه تعَالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذّاريَات: ٢٠]: ومِنْ آياتِها أنْ جَعَلَهَا مُختلفةَ الأجناسِ والصفاتِ والمَنافعِ مَعَ أَنَّها قِطَعٌ مُتجاوراتٌ مُتلاصقةٌ، فَهذِه سَهلةٌ، وهذه حزنةٌ تُجَاورُهَا وتلاصقُها. وهذِه طيبةٌ تُنبتُ وتُلاصقُها أرضٌ لا تُنبتُ، وهذِه تُربةٌ وتلاصقُها رِمالٌ، وهذِه صَلبةٌ وتَلاصقُها رخوةٌ، وهذِه بيضاءُ وتُلاصقُها أرضٌ سُوداءُ، وهذِه حَصيٌ كُلُّها ويُجاورُها أرضٌ لايُوجدُ فِيها حَجَرٌ، وهذِه تَصْلُحُ لنَباتِ كذَا وكذَا، وهذِه تَصلحُ لغيرِه، وهذِه سَبِخَةٌ مَالِحَةٌ، وهذِه بِضِدّهَا وهذِه ليسَ فِيها جَبلٌ ولاَ مَعْلَمٌ، وهذِه جَبليةٌ، وهذِه لاتَصلحُ إلاَّ على المَطَرِ. وهذِه لا ينفعُها المَطرُ بَلْ لا تَصْلُحُ إلاَّ علَى سَقْيِ الأنهارِ، فيُمطرُ اللهُ سُبحانَهُ المَاءَ على الأرضِ البعيدةِ ويَسوقُ الماءَ إِليها على وَجْهِ الأرضِ فلَو سَألتَها مَن نوّعَهَا هذَا التنوّع؟ ومَن فرّقَ أجزاءَها هذَا التَّفريق؟ ومَن خصّصَ كُلَّ قطعةٍ مِنها بما خَصّهَا بِه، ومَن ألقَى عَليها رَواسِيها؟ وفتحَ فِيها السبلَ وأخرجَ مِنهاالماءَ والمَرعَى؟ ومَن أمسَكَها عَنِ الزوالِ؟ ومَن بَارَكَ فِيها وقَدّر فِيها أقواتَها، وأنشأَ مِنها حَيوانَها ونباتِها؟ ومن وضَع فِيهَا مَعادنَها وجَواهِرَهَا ومَنافعَها؟ ومَن هَيّأها مَسْكَناً ومُستقراً للأنام؟ ومَن يبدأُ الخَلقَ مِنها ثُمَّ يُعيدُه إِليها ثُمَّ يُخرجُه مِنها؟ ومَن جَعَلَها ذَلولاً غَيرَ مُستعصيةٍ ولا مُمتنعةٍ؟ ومَن وطَأَ مَناكبَها وذَلّلَ مَسالكَها وَوَسّعَ مَخارجَها وشَقّ أنهارَها وأنبتَ أشجارَها وأخرج ثِمارَها؟ ومَن صَدعَها عن النباتِ، وأودعَ فِيها جَميعَ الأقواتِ؟ ومَن بَسَطَها وفرشَها ومَهّدهَا وذلّلَهَا وَطَحَاهَا ودَحَاهَا وجَعَلَ مَا عليهَا زِينةً لَهَا؟ ومَن الذي يُمسكُها أنْ تتحركَ فتتزلزلَ فَيسقُط مَا عَليها مِن بناءٍ ومَعْلَمٍ أَوْ يَخسفُها بمن عَليها فإذَا هِي تَمُورُ؟

ومَن الذي أنشأَ مِنها النوعَ الإنسانيَّ الذي هُو أبدعُ المَخلوقاتِ وأحسنُ المَصنوعاتِ؟ بَلْ أنشأَ مِنها آدمَ ونُوحاً وإبراهيمَ ومُوسَى وعيسَى ومُحمّداً صَلَّى الله وسَلّم عَليهم أَجمَعِين؟

وأنشأَ مِنها أولياءَه وأحباءَه وعبادَه الصالحينَ، ومَن جَعَلَهَا حَافظةً لِمَا استودَع فِيها مِنَ المِياهِ والأرزاقِ والمَعادنِ والحيوانِ؟ ومَن جَعَلَ بينَها وبينَ الشمسِ والقمرِ هذَا القَدْرَ مِنَ المَسافةِ، فلَو زادتْ عَلى ذلكَ لضَعُفَ تأثرُها بحرارةِ الشمسِ ونُور القمرِ فتعطّلت المَنفعةُ الوَاصلةُ إلى الحيوانِ والنباتِ بسببِ ذلكَ؟ ولو زادتْ في القُرْبِ لاشتدتْ الحرارةُ والسُّخونةُ، كمَا نُشاهدُه في الصيفِ، فاحترقتْ أبدانُ الحيوانِ والنباتِ. وبالجملةِ فكانتْ تَفُوتُ الحِكمةُ التي بها انتظامُ العَالَمِ، ومَن الذي جَعلَ فيها الجناتِ والحدائقَ والعيونَ؟ ومَن الذي جَعَلَ بَاطِنَهَا بُيوتاً للأمواتِ، وظَاهرَها بيُوتاً للأحياءِ؟ ومَن الذي يُحْيِيهَا بعدَ مَوتِها فيُنْزلُ عَليها المَاءُ مِنَ السماءِ، ثُمَّ يُرسلُ عَليها الريحَ ويُطلعُ علَيها الشمس فتأخُذ في الحَبَلِ فإذَا كانَ وقتُ الولادةِ مخضتْ للوضْعِ واهتزّتْ ورَبَتْ وأنبتتْ مِن كُلِّ زَوجٍ بَهيجٍ؟ فيَا لهَا مِن آيةٍ تكفِي وَحدهَا للدلالةِ عَلى قُدرةِ الخالقِ وصفاتِ كَمَالِهِ وأفعالِه، وعلى صِدقِ رُسُلِهِ فيمَا أخبرُوا بِه عَنه مِنْ إخراجِ مَن في القبورِ ليومِ البعثِ والنشورِ، ومِنَ الآياتِ التي في الأرضِ ووقَائِعه سُبحانَه التي أوقعَها بالأممِ المُكذبينَ لرسلِهم المُخالفينَ لأمرِه وأبقَى آثارَهم دَالّةً عَليهم، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨] وقَالَ تعَالى في قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ [الصَّافات: ١٣٧، ١٣٨] وقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ

لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٣ـ٧٦] أي بطريقٍ ثابتٍ لا يَزولُ عَن حَالِه. وقَالَ: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٧٨،٧٩] أي دَارُ هَاتينِ الأُمَّتَيْنِ بطريقٍ واضِحٍ يَمُرُّ بِهِ السَّالِكُونَ، وقَالَ: تعَالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] وقَالَ عَنْ قوم عَادٍ: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقَالَ تعَالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ [السَّجدة: ٢٦]. ثُمَّ بيّنَ رحِمَهُ اللهُ الدليلَ على صِدْقِ الرسلِ فقالَ: فأيّ دلالةٍ أعظمُ مِنْ رَجُلٍ يخرجُ وحدَه لاَ عُدَّةَ لَه ولاَ عَدَد ولا مَال فيدعُو الأُمَّةَ العَظيمةَ إلى توحيدِ اللهِ والإيمانِ به وطاعتِه ويحذّرُهم مِن بأسِه ونِقمتِه، فَتتفِقُ كلمتُهم أو كَلمةُ أكثرِهم على تكذيبه ومُعاداتِه، فَيذكرُهم أنواعَ العُقوباتِ الخارجةِ عَن قُدرةِ البَشر فَيُغرِق المُكذبينَ كُلَّهم تَارةً، ويَخْسِفُ بغيرِهم الأرضَ تَارةً، ويُهلِك آخرينَ بالريحِ وآخرين بالصيحةِ، وآخرينَ بالمسخِ، وآخرينَ بِالصَّواعِقِ، وآخرينَ بأنواعِ العقوباتِ، وينجُو دَاعِيها ومَن مَعَهُ، والهَالكونَ أضعافُ أَضعافِهم عَدداً وقُوةً ومنعةً وأَموالاً.

فهَلّا امتنعُوا إنْ كَانُوا علَى الحَقِّ وهُم أكثرُ عَدداً وأقوى شَوكةً؟ ولكنَّ أَهْلَ الباطلِ مَهمَا بلغُوا مِنَ القوةِ المَاديةِ والأعدادِ البشريةِ فلَن تُغنيَ عنهُم قوتُهم وكثرتُهم شَيئاً. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفَال: ١٩] وقَالَ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريَم: ٧٤] أي أحسنُ مَالاً ومنَظراً مِنْ هَؤلاءِ الذينَ كَذَّبُوا مُحمداً، وقَالَ تعَالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن

مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ق: ٣٦] أي مُخلّص من العذاب.

وآياتُ اللهِ فِي الأرضِ كَثيرةٌ ولا تزالُ تَحدثُ وتَتجددُ إلى أنْ يَرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليهَا، وقَالَ تعَالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فُصّلَت: ٥٣] وهذَا لا يَختصّ بِقَرْنٍ دُونَ قَرْنٍ بلْ لاَبدّ أنْ يُرِيَ اللهُ سُبحانَه أهلَ كُلِّ زَمانٍ مِنَ الآياتِ مَا يُبيّنَ لَهُم أنه اللهَ الذِي لاَ إلَه إلاّ هُو، وأنَّ رُسلَه صَادقُون ـ فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واعتبرُوا بهذِه الآياتِ ولا تكُونُوا كالذينَ قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يُوسُف: ١٠٥ـ١٠٧].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، نصَبَ مِن آياتِه عَلى وحدانيتِه دَليلاً، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه، رَبُّ المَشْرِقِ والمغربِ لا إلَه إلاّ هُو فاتخذْه وكِيلاً، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه أنزلَ اللهُ عليه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المُزمل: ١٩] صَلّى الله عليه وسَلّم وعلى آلِه وأصحابِه دَائماً وبُكرةً وأصيلاً.

أَمّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وتأملُوا آياتِه فيكُم قَالَ تعَالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذّاريَات: ٢١] ممّا كانَ أقربُ الأشياءِ إلى الإنسانِ نفسَه دَعَاهُ خَالقُه إلى التبصّرِ والتفكيرِ فِيها، فإنّه إذَا نَظَرَ في نفسِه ومَبدإِه ومُنتهَاه وأنَّه قَدْ خُلِقَ مِنْ قَطرةِ مَاءٍ مَهينٍ، كوّن مِنهَا اللحمَ والعِظامَ والعُروقَ والأعصابَ

وأُحيطتْ هذِه الأشياءُ بِجلْدٍ مَتينٍ، وجَعَلَ في هَذَا الإنسانِ ثَلاثمِائة وسِتينَ مِفْصَلاً مَا بينَ كَبيرٍ وصَغيرٍ وثَخينٍ ودَقيقٍ ومُستطيلٍ ومُستديرٍ، ومُستقيمٍ ومَنحنٍ، للاتصالِ والانفصالِ والقبضِ والبَسْطِ والقِيامِ والقعودِ والاضطجاعِ، وجُعِلَ فِي جِسمِه أبواباً مُتعددةً بابانِ للسمعِ، وبابانِ للبصرِ، وبابانِ للشمِّ، وبابانِ للكلامِ والطعامِ والشرابِ والتنفسِ، وبابانِ لخروجِ الفضلاتِ المُؤذيةِ ـ التي يُؤذي احتباسُها فِيه، وجَعَلَ الناسُ مُختلفينَ فِي العقلِ والتفكيرِ، والنطقِ والبيانِ، واللغاتِ والألوانِ.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرُّوم: ٢٢]. وجُعِلُوا مُختلفينَ في الطولِ والقِصَرِ والدَّمَامَةِ والحُسْنِ والأخلاقِ والمَواهبِ والفِطْنَةِ والذكاءِ. مُتفاوتينَ في الأعمارِ والأرزاقِ، وقَد لَفَتَ اللهُ الأنظارَ إلى خَلْقَ هذَا الإنسانِ، في كثيرٍ مِنْ آياتِ القرآنِ، مِثل قَولِه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢ـ١٤] وقَد عَجزَ الطِّبُّ الحديثُ بآلاتِه الدقيقةِ وأجهزتِه المُتطورةِ عَنِ الإحاطةِ بدقائقِ خِلْقةِ هذَا الإنسانِ، فسُبحانَ الخلاَّق العَليم، وتباركَ اللهُ أحسنُ الخالَقينَ، وخُلِق هذَا الإنسانُ حَياً مُتحرِّكاً له قَصْدٌ ولَه إرادةٌ ولَه نَفْسٌ تُوجهُه إمَّا إلى الخيرِ وإمَّا إلى الشَّر، وكُلّ عُضوٍ مِن أعضائِه لَه فِعْلٌ خَاص، إذَا تَعَطَّلَ نَقصتْ حَركةُ الإنسانِ وفِعلُه بِحَسَبِهِ. وأَعظمُ الأعضاءِ تَأثيراً علَى الجسدِ في الصلاحِ والفسادِ هُو القلبُ، كمَا قَالَ ﷺ: «**أَلاَ وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذَا صلُحتْ صَلُحَ الجسدُ كُلُّه وإذَا فَسدتْ فَسَدَ الجسدُ كُلُّه أَلاَ وهِي**

القَلب»[١].

والقلبُ إنمَا يتأثرُ بالنفسِ، فإذا كانتِ النفسُ طَيبةً زَكيةً أثّرتْ في القلبِ صَلاَحَاً واتجَاهاً نَحو الخيرِ، وإنْ كانتْ نَفْسَاً خَبيثةً أثّرتْ في القلبِ فَسَاداً واتجاهَاً نحوَ الشَّرِّ. ولهذَا كانَ النبيُّ ﷺ يقولُ في خُطبتِه: «ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا» وكانَ يقولُ: «اللَّهُم أَلْهِمْنِي رُشْدِي وقِنِي شَرَّ نَفْسِي»، وفي القرآنِ الكريمِ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يُوسُف: ٥٣] فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واعمَلُوا بطاعتِه واجتنبُوا مَعصيتَه تُفلحُوا وتَسْعَدُوا ـ واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلمٌ (١٥٩٩) وأصحاب السنن الأربعة.

حَوْلَ آيةٍ مِنْ كِتابِ اللهِ

الحمدُ للهِ الذي أَنزلَ علَى عَبدِه الكتابَ، وجعلَ فيه الهُدَى والنُّورَ والشفاءَ لِمَا في الصُّدُورِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ يُحيي ويُميتُ وهُو علَى كُلِّ شيءٍ قَدير.

وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المُنيرُ، صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه الذينَ تعلمُوا القرآنَ وتدبرُوه وعَمِلُوا بِمَا فِيه، وسَلَّم تسليمَاً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى واعلمُوا أنَّ بينَ أيدِيكم القرآنَ العظيمَ، كِتابٌ يَهدي للتي هي أقومُ، وهُو كلامُ اللهِ الذي لا يأتِيه الباطلُ مِن بينِ يدَيه ولا مِن خَلْفِهِ تنزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميدٍ، وتكفَّل بحفظِه كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر: ٩] وتكَفَّل لِمَنْ قَرأَه وعَمِلَ بمَا فِيه أنْ لا يَضِلّ في الدُّنيا ولا يشقَى في الآخرةِ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣] وتوعَّدَ مَن أَعْرَضَ عنه بأنْ يُسلّطَ عَليه الشياطينَ التي تُضِلّه وتَصدّه عن الخيرِ. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرُف: ٣٦، ٣٧] ولَقد أثنَى الله علَى الذينَ يتلونَ كِتابَه ويعملُون به ووعدَهم بجزيلِ الثوابِ قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فَاطِر: ٢٩، ٣٠] أَخبَرَ سُبحانَه في هَاتينِ الآيتينِ: أنَّ مَن اتَّصفَ بِهذِه الصفاتِ المَذكورةِ فِيهِمَا، فإنَّ الله يُوفِّيه أجرَه علَى عَمَلِه ويزيدُه أَجْراً مِن عندِه تفضُّلاً مِنه، لأنَّه سُبحان (غفورٌ) أي كثيرُ المَغفرةِ، يغفرُ الذنوبَ لِمن تَابَ مِنها وإنْ عَظُمَتْ (شَكورٌ) أي يشكرُ لعبادِه إذَا عَمِلُوا بطاعِته وتركُوا مَعصيتَه، وقد ذَكَرَ سُبحانَه فِيهِمَا للمؤمنينَ عِدَّةَ صِفاتٍ.

الصفةُ الأُولى: تلاوةُ القرآنِ الكريمِ بتدبرٍ وتَعقّلٍ والمُداومةُ على ذلكَ، فإنَّ تِلاوةَ القرآنِ مِنْ أَفْضَلِ الأعمالِ وأَجلِّ أنواعِ الذِّكْرِ، قَالَ ﷺ: «مَن قَرَأَ حَرْفاً مِن كِتابِ اللهِ فلَه حسَنة، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لا أقولُ، الٓمٓ حَرفٌ ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ ومِيمٌ حرفٌ» وتلاوةُ القرآنِ طَريقٌ إلى العملِ به، والتلاوةُ التي بدونِ عَمَلٍ لا فائدةَ مِنها، بلْ إنَّ الذي يقرأُ القرآنَ ولايعملُ به يأثمُ إثما عظِيماً، وسيكونُ القرآنُ خَصْمَاً له يومَ القيامةِ عندَ رَبِّ العالمينَ، يقولُ ياربِّ حَمَّلْتَنِي إيَّاه فبئسَ حَامِلٍ تَعدّى حُدودي وضَيّع فَرائضِي، ولاَ يزالُ يَقذفُ عَليه بالحُجج حتَّى يُقالُ شأنُك بِه فلا يتركُه حتَّى يَكبَّه في النارِ. وقد قَالَ النبيُّ ﷺ: «والقرآنُ حُجةٌ لكَ أو عليكَ» والقرآنُ أُنزلَ ليكونَ هَادِياً ودَليلاً للعبادِ في عَقائِدهم وعِباداتِهم، ومُعامَلاتِهم، وسلوكِهم وأخلاقِهم. وليحكمَ بينَهم في منازعاتِهم وخصوماتِهم، مَن تركَه مِن جبارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَن ابتغَى الهُدىٰ مِن غيرِه أضلَّه اللهُ، مَا أُنزلَ القرآنُ ليُتلَى باللسانِ فقط تلاوةً مُجردةً عَنِ التدبّرِ مُنفصلةً عَنِ العملِ، ومَا أُنزلَ القرآنُ ليُكتبَ على لوحاتٍ أو مُلصقاتٍ تُعلّقُ على الجدرانِ لأجلِ الزينةِ أو البركةِ، أو ليُكتبَ في حُجُبٍ وحُروزٍ تُعلّقُ لدفعِ العينِ والبلاءِ، ومَا أُنزلَ القرآنُ ليُقرأَ على المَوتَى عندَ قُبورِهم وأضرحتِهم أو في المآتمِ المُبتدَعةِ التي تُقامُ على الأمواتِ باسمِ العزاءِ، أو في المَحافلِ التي تُقامُ للدعايةِ، أو يُتلى

للتلذّذِ بنغمةِ القارىءِ وحُسْنِ الصوتِ والتطريبِ بهِ فقط، ومَا أُنزلَ القرآنُ لتُفتتحَ به برامجُ الإذاعاتِ ثُم يَعقُبهُ العزفُ والغِنَا فهذَا مِمَّا ينزّهُ ويُجَلُّ عنه كلامُ اللهِ، وما أُنزلَ القرآنُ لتتخذَ تَلاوتُه حِرفةً تُتاقضَى عليها الأجورُ كمَا يفعلُ كثيرٌ مِنَ المُقرئينَ الذينَ اتخذُوا قراءةَ القرآنِ في المَآتمِ وعندَ الأضرحةِ وفي الحفلاتِ حِرفةً يأكلونَ بِها أموالَ الناسِ بالباطلِ ويقرؤونَه بطريقةٍ خَارجةٍ عَنِ المَشروعِ بالتمطيطِ والتلحين، فَذَلَكَ يتنافَى مَع حَرمةِ القرآنِ، وفي حديثِ حُذيفةَ بنِ اليمانِ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وسَيجِيءُ قومٌ مِن بَعْدِي يُرجِّعُونَ بالقرآنِ ترجيعَ الغِنَا والرهبانيةِ والنوحِ لا يجاوزَ حَناجرَهم»، رواه الطبرانيُّ في الأوسطِ والبيهقيُّ في الشُّعَبِ وغيرُهما. وفي حديثِ عابسٍ الغِفاريِّ: (وقومٌ يتخذونَ القرآنَ مَزاميرَ، يقدّمونَ أحدَهم ليسَ بأفقهِهم ولا أفضلِهم إلاّ ليغنِيهم به غِناءً) رواه أبو عبيدٍ القَاسمُ بنُ سَلاَّمٍ، وله طُرقٌ أُخرى تُقوّيه. والواقعُ اليومَ يشهدُ لَه، فاتقُوا اللهَ أيّها المسلمونَ وانظرُوا مَوقفَكم مِنَ القرآنِ. . .

الصفة الثانيةُ: في قولِه تعَالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٧] أي أنَّهم اتبَعُوا التلاوةَ بالعملِ ولمْ يكتفُوا بمجردِ التلاوةِ، وذَكَرَ إقامةَ الصلاةِ خاصةً لأنَّهَا عمودُ الإسلامِ والذي يُقيمُها يكونُ مُقيماً لبقيةِ دينه مِن بابِ أولَى. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

والصلاةُ هي الركنُ الثاني مِن أركانِ الإسلام بعدَ الشهادتينِ، كمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «بُني الإسلامُ علَى خَمْسٍ: شَهادةِ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحمداً رسولُ اللهِ وإقامِ الصلاةِ» الحديثُ ومَا وردَ بمعنَاه.

والصلاةُ هي الفارِقَةُ بينَ الكُفرِ والإسلامِ، كَمَا قَالَ النبيُّ عليه الصلاةُ

والسلامُ: «بينَ العبدِ وبينَ الكُفرِ أو الشركِ تركُ الصلاةِ» رواه مسلمٌ. وإقامةُ الصلاةِ معنَاها أداؤُها علَى مَا شَرَعَ اللهُ في أوقاتِها مَعَ الجماعةِ مَعَ استيفاءِ شُروطِها وأركانِها وواجباتِها ومَا يستطيعُ مِن سُننها، فالذي يُخْرِجُ الصلاةَ عن وقتِها ويصليِها خارجَ وقتِها مُتعَمِّدَاً لا يكونُ مُقيمَاً لهَا علَى الوجهِ المَشروعِ، والذي يتركُ الصلاةَ مَعَ الجماعةِ مِن غيرِ عُذرٍ لا يكونُ مُقيماً لهَا علَى الوجهِ المَشروعِ، والذي يبخسُ شَيئاً مِن شُروطِها أو أركانِها أو واجباتِها لايكونُ مُقيماً لهَا.

فالصلاةُ لهَا وزنٌ ثَقيلٌ في الإسلامِ ومَكانةٌ عندَ اللهِ، ترتاحُ لهَا نفسُ المؤمنِ وتنفرُ مِنها نفسُ المنافقِ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقَرة: ٤٥، ٤٦] وقَالَ تعَالى في المُنافقينَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبَة: ٥٤] وقَالَ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النِّساء: ١٤٢].

وقَال النبيُّ ﷺ: «أثقلُ الصلاةِ علَى المُنافقينَ صَلاةُ العشاءِ، وصلاةُ الفجرِ»(١) وهذَا مَعناه أنَّ الصلاةَ كلَّها ثَقيلةٌ علَيهم ولَكِنَّ أثقلَها هاتانِ الصلاتانِ. وقَالَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رضي اللهُ عنه: ولقدْ رأيْتنا ومَا يتخلَّفُ عَنها إلاَّ مُنافقٌ مَعلومُ النفاقِ.

والصفة الثالثةُ: ذَكرهَا في قوله تعَالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرّعد: ٢٢] أي أنفقُوا مِنَ الأموالِ التي تَفَضَّلْنَا بهَ عَليهم في وجوهِ الخيرِ: الصدقةُ الواجبةُ والمستحبةُ إنفاقاً خَفياً لا يطَّلعُ عَليه إلا اللهُ وإنفاقاً ظَاهراً حَسْبَ

---

(١) البخاريُّ (٦٥٧) واللفظ المذكور معلق (كتاب مواقيت الصلاة، باب ذِكر العشاء والعتمة. .)، ورواه مسلمٌ (٦٥١).

المَصْلَحَةِ، مِنْ إطعامِ الجائعِ وإعطاءِ السائلِ. وفي طليعةِ ذلك الزكاةُ التي هي الركنُ الثالثُ من أركانِ الإسلامِ وقرينةُ الصلاةِ، وخَصّ هَاتينَ الخصلَتينِ: (إقامةَ الصلاة، والزكاةَ) أنَّهمَا آكدُ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتينِ؛ ولأنَّ الصلاةَ أعظمَ العباداتِ البدنيةِ والزكاةُ أعظمُ العباداتِ المَاليةِ، فالقيامُ بِهمَا يَدُلُّ علَى القيامِ بِبقيةِ العباداتِ مِن بابِ أولَى، والمُحافظةُ عَليهما أوضحُ عَلاماتِ الإيمانِ، والتهاونُ بِهما أعظمُ أبرزِ علاماتِ النفاقِ. كمَا قَالَ تعَالى في وَصْفِ المُنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

والصلاةُ فِيها إحسانٌ بينَ العبدِ وبينَ ربّه، والإنفاقُ فِيه إحسانٌ بينَ العبدِ وبينَ إخوانِه، فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وحَافِظُوا علَى تلاوةِ القرآنِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والإنفاقِ في وجوهِ الخيرِ لعلكُم تُفلحونَ.

قَالَ تعَالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المُزمّل: ٢٠].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، يمنّ علَى مَن يشاءُ من عِبادِه بهدايتِه للإيمانِ، ويوفّقُه للعملِ الصالحِ وتلاوةِ القرآنِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له واسعُ الفَضْلِ والإحسانِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، كَانَ خُلُقَه القرآنُ، صَلّى الله عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تَبعهم بإحسانٍ، وسَلّم تسليماً كَثيراً.

أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى بامتثالِ أوامِره واجتنابِ نواهيه، فإنَّ تَقوَاهُ عنوانُ

السعادةِ وجماعُ البرّ . . .

ولنعدْ إلى تأمّل الآيتينِ السابقتينِ، قَالَ تعَالى: ﴿ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فَاطِر: ٢٩] ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فَاطِر: ٣٠] أي إنَّ هَؤلاءِ الذينَ يتلونَ كِتابَ اللهِ ويُقيمونَ الصلاةَ وينفقونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ لا يَطْلُبُونَ بذلكَ رِياءً ولاَ سُمْعَةً، ولا يريدُون بذلكَ طَمَعاً مِنْ مَطَامعِ الدنيا الفَانيةِ، ولا يريدُون بذلكَ رئاسةً وتَرَفُّعاً على الناسِ، وإنَّمَا يطلبُون بذلكَ ثوابَ اللهِ ويتاجرُون مَعَ اللهِ الذي تَرْبَحُ عندَه التجارةُ أَضْعَافاً كثيرةً ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [فَاطِر: ٣٠].

وهذِه التجارةُ لا خَطَرَ عَليها مِن الخسارةِ لأنَّ رِبْحَهَا مَضمونٌ، ولا خَطَرَ عَليها مِنَ التلفِ والضَّيَاعِ والسَّرقةِ، لأنَّهَا عِنْدَ مَن لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحسنينَ و ﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النِّساء: ٤٠] ولا خَوْفَ علَى هذِه التجارةِ مِنَ الكَسَادِ، لأنَّ الله أَخبرَ أنَّهَا لنْ تَبورَ بلْ هِي تجارةٌ رابحةٌ دَائماً، إنَّ الناسَ يركضُون ويتعبُونَ في طَلَبِ التجارةِ الدُّنيويةِ التي لايَدْرُونَ هَلْ يَحصلُونَ عليها أولاً، وإذا حَصَلُوا عَلَيْهَا فإنَّهُم لا يأمنُونَ عليها مِنَ الكسادِ والخسارةِ، ولا يأمنونَ عَليها مِنَ التلفِ والضياعِ والنَّهْبِ والسرقةِ، ثُمَّ لَو سَلِمَتْ مِنْ هَذَا كُلِّه فإنَّهم سَيمُوتُون ويتركونَها لغيرِهم ويتحملُون حِسَابَهَا بعدَ أن قَاسُوا أَتْعَابَهَا.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ولا تُلهكُم التجارةُ العاجلةُ الزائلةُ الزائفةُ عَنِ التجارةِ الرابحةِ الباقيةِ . . .

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ . . . إلخ .

* * *

في بكثرةِ الزلازلِ في هذَا الزمانِ

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ، وجَعَلَ الأرضَ قَراراً ومِهَاداً وفِراشاً وبسَاطاً، ألقَى فِيها روَاسيَ أنْ تَميدَ بِكم وجَعَلَ السماءَ سَقْفاً مَحفوظاً وبناءً لِمَا تَحتها؛ أحمدُه علَى نِعمِه الظاهرةِ والباطنةِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، وأَعْرَفَ الخَلْقِ بربِّه وأتقَاهم لَه، صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تَبعهُم بإحسانٍ، وسَلَّم تسليمَاً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: ﴿ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمَان: ٣٣].

عِبادَ اللهِ: لو تأملتُم في هذَا الكونِ وما يَجري فِيه من العِبرِ لعرفتُم عَظمةَ خَالِقه وأدركتُم أنه لمْ يُخلَقْ عَبَثاً، وأنكُم لَن تُتركُوا سُدَىً، ولعرفتُم تَقصيرَكم في حقِّ خالِقكم وغفلتِكم عَنْ ذِكره وشُكرِه، ومَنْ أَعظمِ نِعَم اللهِ عَليكُم أنْ مَكّنكُم مِنْ هذِه الأرضِ التي تَعيشونَ علَى ظَهْرِهَا وتدفنُون في بَطْنِهَا. كمَا قَال تعَالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [المُرسَلات: ٢٥، ٢٦]. وقَالَ تعَالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥] وقَالَ تعَالى: ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعرَاف: ٢٥]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعرَاف: ١٠]. وقَالَ تعَالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [المُلك: ١٥].

والآياتُ في هذَا كثيرةٌ، ومِنْ رَحمتِه أنْ أودَعَ في هذِه الأرضِ كُلَّ مَا يحتاجُه الخَلْقُ الذين يَعيشونَ على ظهرِهَا فبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أقواتَها، وجعلَها قَراراً أي قَارةً ثَابتةً لاَ تتحركُ ولا تَميدُ، وأرساها بالجبالِ حتَّى نتمكنَ مِنَ البناءِ عَليها والعيشِ على ظَهرِهَا، قَالَ تعَالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غَافر: ٦٤] وقَالَ تعَالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النّحل: ١٥].

قَالَ الإمامُ العَلاّمةُ ابنُ القيِّمِ رَحمهُ اللهُ: ثُمَّ تأمَّلْ خَلْقَ الأرضِ علَى مَا هي عَليه، حينَ خَلقَهَا واقِفَةً سَاكنةً لتكونَ مِهاداً ومُستقراً للحيوانِ والنباتِ والأمتعةِ، ويتمكنَ الحيوانُ والناسُ مِنَ السَّعي عَليها في مَآرِبهم والجلوسِ لراحاتِهم والنومِ لهدوئهم والتمكّن مِنْ أعمَالِهم، ولو كَانتْ رجراجةً مُتكفئةً لمْ يستطيعُوا على ظَهرِهَا قَراراً ولا هدوءًا، ولا ثبتَ لهُم عليها بناءٌ، ولا أمكَنهم عَليها صناعةً ولاتجارةً ولا حِراثةً ولا مَصلحةً، وكيفَ كانُوا يَتهنؤُنَ بالعيشِ والأرضُ تَرتجُّ مِن تَحتِهم، واعتبرْ ذلك بما يُصيبُهم مِنَ الزلازلِ عَلى قِلَّةِ وَقْتِهَا، كيفَ تَضطرُّهُم إلى تَرْكِ مَنازِلهِم والهربِ عَنها، وقد نبّه اللهُ تعَالى علَى ذلكَ بقولِه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النّحل: ١٥]. وقَولِه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غَافر: ٦٤]. وقَولِه ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٣] قَالَ رَحمهُ اللهُ: ثُمَّ تأملْ الحكمةَ البالغةَ في ليونةِ الأرضِ مَعَ يبسِهَا، فإنَّهَا لو أفرطتْ في اللِّينِ كالطينِ لمْ يستقرّ عليها بناءٌ ولا حيَوانٌ ولا تَمكنَّا مِنَ الانتفاعِ بِهَا، ولو أفرطتْ في اليبسِ كالحَجَرِ لمْ يُمكنْ حَرْثُهَا ولا زَرْعُهَا ولا شَقُّهَا وفلحُها ولا حفرُ عُيونِها ولا البناءُ عَليها، فنقصَت عن يبسِ الحجارةِ وزادتْ عن ليونةِ الطينِ فجاءتْ بتقديرِ فَاطِرهَا علَى أحسنِ مَا جاءَ عَليه مِهادٌ للحيوانِ في الاعتدالِ بينَ

اللينِ واليبوسةِ فتهيأَ عَليها جميعُ المصالحِ، خَلقَهَا سُبحانَه فِراشاً ومِهَاداً وذلَّلهَا لعبادِه وجَعَلَ فِيها أرزاقَهم وأقواتَهم ومعايشَهم، وجَعَلَ فِيها السُّبُلَ لينتقلُوا فِيها في حَوائجِهم وتَصرفاتِهم، وأرسَاها بالجبالِ فجعلَها أوتاداً تحفظُها لئلاَّ تميدَ بِهم، ووسعَ أكنافَها ودَحَاهَا فحدّها وبسَطهَا وطَحَاهَا فوسعَهَا مِن جوانبِها؛ ثُمَّ انظرْ كيفَ أحكمَ جَوانبَها بالجبالِ الراسياتِ الشوامخِ الصُّمِّ الصِّلاَبِ وكيفَ نَصَبَهَا فأحسنَ نَصْبَهَا، وكيفَ رَفعَهَا وجعلَها أصلبَ أجزاءِ الأرضِ لئلاَّ تضمحلَّ على تطاولِ السِّنينَ وترادفِ الأمطارِ والرياحِ، بلْ أتقنَ صُنعَها وأحكمَ وضعَها وأودعَها مِنَ المنافعِ والمعَادنِ والعيونِ مَا أودعَها، ثُمَّ هَدى الناسَ إلى استخراجِ تلكَ المعَادنِ مِنها، وألهمَهم كَيفَ يصنعونَ مِنها النقودَ والحُليَّ والزينةَ واللباسَ، والسلاحَ وآلاتِ المَعاشِ علَى اختلافِها، لولا هدايتُه سُبحانه لَهم إلى ذلكَ لَمَا كَانَ لَهم عِلْمُ شَيءٍ مِنه ولا قدرةٌ عَليه، وجَعَلَ سُبحانَه الأرضَ كِفاتاً للأحياءِ مَا دَامُوا عَلى ظَهرِهَا، فإذا مَاتوا استودعتْهُم في بَطنِها فكانتْ كِفاتاً لَهم تَضمُّهم علَى ظَهرِها أحياءً وفي بطنِها أمَواتاً، فإذَا كانَ يومُ الوقتِ المعلومِ وقَد أثقلَها الحملُ وحَانَ وقتُ الولادةِ ودُنُوٌّ المَخَاضِ أوحَى إليها رَبُّهَا وفَاطرُها أنْ تَضعَ حملَها وتُخرجَ أثقالَها فتخرجُ الناسَ مِن بَطنِها إلى ظَهرِها، وتقولُ: رَبِّ هذَا ما استودعتني وتُخْرِجُ كنوزَها بإذنِه تعَالى، ثُمَّ تُحدثُ أخبارُها وتشهدُ علَى بَنيهَا بِمَا عَمِلُوا علَى ظَهرِها مِن خَيرٍ وَشَرٍّ، ويُحْدِثُ فِيها سُبحانَه الزلازلَ العِظامَ ليحدثَ مِنْ ذلكَ لعبادِه الخوفُ والخشيةُ والإنابةُ والإقلاعُ عنْ مَعاصِيه والتضرّعُ إليه والندمُ، كمَا قَالَ بعضُ السلفِ ـ لَمَّا زلزلتِ الأرضُ ـ «إنَّ ربَّكُم يستعتبُكم» وقَالَ: عُمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه وقَدْ زلزلتِ المَدينةُ فخطبَهم ووعظَهم وقَالَ: «لئنْ عَادَتْ لاَ أُسَاكِنُكُم فِيهَا».

عِبادَ اللهِ: لقدْ كثُرَ وقوعُ الزلازلِ المُروعةِ التي تُدَمِّرُ العمرانَ وتُهلكُ الإنسانَ، وقَد تتابعَ ذلكَ في سِنينَ مُتقاربةٍ، حَدَثَ زلزالٌ عَظيمٌ في الجزائرِ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ زلزالٌ عظيمٌ في إيطاليا، ثم أعقبَهُ زلزالٌ عَظيمٌ في اليمنِ، ثُمَّ أَعقبهُ زلزالٌ عظيمٌ في المَكسيكِ، وقد دُمِّرَ في هَذِه الزلازلِ مُدُنٌ بأكملِها وهَلَكَ فِيها ألوفٌ مِنَ البشرِ وشُرِّدَ فِيها مِئاتُ الألوفِ مِنْ مَساكنِهِم، مِمَّا تَسمعونَ أخبارَه المُروعةَ ويُشاهدُ الكثيرُ مِنكُم صُورَه المُفزعةَ تُعْرَضُ علَى شَاشَةِ التلفازِ، وهَذِه الزلازلُ لا شكَّ أَنَّهَا عقوباتٌ علَى مَا يرتكبُه العبادُ مِنَ الكُفرِ والمَعَاصِي، وفِيهَا عِبَرٌ وعِظَاتٌ لأُولي الألبابِ، ودلالةٌ علَى قُدرةِ اللهِ البَاهِرَةِ، حيثُ يَأْذَنُ لِهَذِه الأرضِ أنْ تتحركَ بِضْعَ ثَوانٍ أو دَقائقَ فينتجُ عن ذلكَ هذَا الدمارُ وهذَا الهلاكُ وهذَا الرعبُ، لعلّ الناسَ يتوبونَ إلى رَبِّهِم ويستغفرُونَ مِن ذنوبِهم؛ لأنَّ هذَا مَا حَدَثَ إلاَّ بِسببِ كُفرِهِمْ ومَعاصِيهم! ويَكْثُرُ هَذَا في آخِرِ الزمانِ، كَمَا في الحديثِ الذي روَاهُ الإمامُ أحمدُ والبخاريُّ عن أبي هرُيرةَ رضي الله عَنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لاتقومُ الساعةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ ويتقَاربُ الزمانُ وتَكْثُرُ الزلازلُ وتَظْهَرُ الفتنُ ويَكْثُرُ الهَرْجُ**». قِيلَ: ما الهرجُ؟ أيْ مَا هُو يارسولَ اللهِ؟ قَالَ: «**القتلُ القتلُ**»[1].

ورَوى الترمذيُّ عَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنْه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذَا اتُّخذَ الفيءُ دولاً، والأمانةُ مَغْنَمَاً، والزكاةُ مَغْرَمَاً، وتعلّمَ لِغَيْرِ الدِّين، وأطاعَ الرجلُ امرأتَه وعَقَّ أُمَّهُ وأَدْنَى صَديقَه وأقصَى أَبَاهُ وظَهَرَتِ الأصواتُ في المَسَاجِدِ، وسَادَ القبيلةَ فَاسِقُهُم، وكَانَ زَعِيمُ القومِ أَرذلَهم، وأُكْرِمَ الرجلُ مَخافةَ شَرِّهِ، وظَهَرَتِ القِينَاتُ والمَعَازِفُ، وشُرِبَتِ الخُمُورُ، ولعَنَ آخِرُ هذِه الأُمَّةِ**

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٦)، وغيره.

أولَها، فليرتقبُوا عندَ ذلكَ رِيحاً حمَراء وزلزلةً وخَسْفاً ومَسْخاً وقَذْفاً وآياتٍ تَتَابعُ كنظامٍ بَالٍ قُطِعَ سلكُه فتتابعَ»[1].

بيّنَ في هذَا الحديثِ أنَّه عندَما تحدثَ هذِه الجرائمُ في آخِرِ الزمانِ فإنَّهَا سَتَقَعُ عَليهم العقوباتُ المُتابعةُ ومِنها الزلازلُ[2] وقد رأيتُم مِصداقَ ذلكَ بمَا تَكَرَّرَ مِنْ حُدُوثِ هذِه الزلازلِ المُروعةِ ـ وقد يقولُ بعضُ المُتحذلقينَ مِنَ الجُغرافِيينَ: هذِه الزلازلُ ظَواهرُ طَبيعةٌ، لهَا أسبابٌ مَعروفةٌ، لا عِلاقَة لهَا بأفعالِ الناسِ ومَعاصِيهم كمَا يجري ذَلكَ علَى ألسنةِ بعضِ الصّحفيينَ والإعلامِيينَ، حتَّى صَارَ الناسُ لايخافونُ عندَ حُدوثِها، ولاَ يعتبرُونَ بِهَا، كَمَا يقولُ أشباهُهم مِن قَبْلُ عندَما تُصيبُهم الكوارثُ والنَّكبَاتُ: (قد مَسَّ آباءنَا الضراءُ والسرّاء) فيعتبرونَ ذلكَ حالةً طَبيعيةً وليستْ عقوباتٍ لَهم فيستمرُّون علَى غَيِّهِمْ وبَغيِهم، ولايتوبُونَ مِنْ ذنوبِهم؛ والذي نقولُه لهَؤلاَءِ المُتحذلقينَ: إنَّ الكتابَ والسنّةَ يدلانِ علَى أنَّ هذِه الزلازلَ كَغيرِها مِنَ الكوارثِ إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم، وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مُقدّرةً مِنَ اللهِ سُبحانَه علَى العبادِ لذنوبِهم فهُو مُسبّبُ الأسبابِ، وخالقُ السببِ والمُسَبب ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ [الزُّمَر: ٦٢ـ٦٣]. فإذَا أرادَ اللهُ شَيئاً أوجدَ سَبَبَهُ وَرَتَّبَ عَليه نتيجتَه. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾ [الإسراء: ١٦] فاتقُوا الله عِبادَ اللهِ واعتبرُوا بمَا يَجري حَولَكم وبينكُم وتوبُوا إلى

---

(١) رواه الترمذيّ (٢٢١٢).

(٢) التي تدمر العمارات ذات الأدوار الشاهقة وتدمر المدارس والمستشفيات والمطاعم والفنادق المكتظة بالناس على من فيها.

ربكُم وتذكرُوا قولَ اللهِ تعَالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥ـ٦٧].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةِ الثانيةِ:

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، القائلِ في كتابِه المَجيد: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فُصّلت: ٥٣]، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له الوليّ الحميدُ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلَّم تسليمَاً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وتوبُوا إليه مِنْ ذنُوبِكم قَبْلَ أن يَحِلّ بِكُم مَا حَلَّ بغيرِكُم مِنَ العُقوباتِ، واعلمُوا أنَّ مَا وَقَعَ بالناسِ مِمَّا يكرهونَ فإنَّمَا هُو مِنْ جرّاءِ ذُنوبِهم. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرُّوم: ٤١].

نَعَمْ إنَّ مَا يحدثُ في الأرضِ اليومَ مِنَ الزلازلِ المُدمّرةِ، والأعاصيرِ القَاصفةِ والحروبِ الطَّاحِنَةِ، والمَجاعَاتِ المُهلكةِ، والأمراض الفتّاكةِ وحوادثِ المَرَاكِبِ البريةِ والبحريةِ والجويةِ التي يَذْهبُ فِيها الأعدادُ الكبيرةُ مِنَ البشرِ، وتسلّط قُطّاعُ الطُّرُقِ ومَختطِفي الطائراتِ وسَطْوِ اللصوصِ، كُلُّ ذلكَ يحدثُ بِسببِ الذنوبِ والمعَاصي. كَماَ قَالَ تعَالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشّورى: ٣٠] وقَالَ تعَالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩] وإنَّه يحدثُ منَّا مِنَ الذنوبِ والمعَاصي مَا لايُحْصَى، ومِنه مَا هُو كُفْرٌ كتركِ الصلواتِ المَفروضة، ومَا هُو مِنَ الكبائرِ المُوبقةِ كَأَكْلِ الرِّبَا، والرشوةِ، وتَبَرُّجِ النساءِ، وتركِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عَنِ المُنْكَرِ، وفِعْلِ الفواحشِ وغيرِ ذلكَ مِمَّا نتخوفُ منه نزولَ العقوبةِ صَباحاً ومَسَاءً. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النّحل: ٤٥، ٤٦].

هَلِ اعتبرْنا يا عبادَ الله بمَا يحدثُ؟ هَلْ غيّرنَا مِنْ حَالِنَا مِن سَيءٍ إلى حَسَنٍ؟ إنَّنَا علَى كَثْرَةِ مَا نسمعُ ونقرأُ أو نَرى بأعينِنا مِنَ الحوادثِ المُروعةِ، والعقوباتِ الشديدةِ، لايزالُ الكثيرُ مِنّا مُصِرّاً على مَعَاصِيه، مِنْ أَكلِ الحرامِ، وتَرْكِ الصلاةِ وهَجْرِ المَسَاجِدِ، وفِعْلِ المُنكراتِ حتَّى أصبحَ كَثيرٌ مِنَ البيوتِ أوكاراً للفَسَقةِ والعُصَاةِ والتاركينَ للصلاةِ، ولاَ يُنكرُ عَليهم صَاحبُ البيتِ ولا جيرانُه ولاَ مَن يعلمُ بحالِهم. وفي الحديثِ «**إنَّ الناسَ إذَا رَأَوا المُنْكَرَ فلَم يغيّرُوه أوشكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعقابٍ مِنْ عندِه**».

تَرَوْنَ الشوارعَ والبيوتَ مَلأىٰ بِالرجالِ، وتَرَوْنَ المَساجِدَ وقتَ الصلاةِ فارغةً مِنهم لاَ يؤمُّهَا إلاَّ القليلُ وفي فُتُورٍ وكَسَلٍ، والذي يُصلي مِنهم لا يُنكرُ علَى مَن لايُصلي مِن أَهْلِ بيتِه وجيرانِه ومَن يَمُرُّ بِهم في طَريقِه إلى المسجدِ، مَا الذي أماتَ الغيرةَ في قلوبِ الناسِ؟ إنَّه ضَعْفُ الإيمانِ. كمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «**مَن رأى مُنكراً فليغيِّرْه بيدِه، فإنْ لمْ يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبِه، وليسَ وراءَ**

ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1] قد يقولُ أحدُهم: أنَا أُنكِرُ المُنْكَرَ بقلبِي وإنْ لمْ أتكلَّم بلسانِي. والجوابُ: إنَّ الإنكارَ بالقلبِ لايَكفِي مَعَ القُدْرَةِ علَى إنكارِه بالكلامِ، وأيضاً الذي يُنكرُ بقلبِه لا يتركُ العُصاةَ في بيتِه ولا يُساكنُهم فِيه ولَو كَانُوا أولادَه وأقربَ الناسِ إليه. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

عِبَادَ اللهِ: وتذكرُوا أنَّ مَا يَحِلّ بالناسِ مِنَ العُقوباتِ في الدنيا وإنْ كانَ شَديداً فهُو أَخفّ مِنْ عذابِ الآخرةِ. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ في أنفسِكم وتوبُوا مِنْ ذُنوبِكم وقومُوا علَى أولادِكم وأهلِيكم وأنقذُوا أنفسَكم وأنقذُوهم مِنْ عَذابِ اللهِ. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التَّحْريم: ٦].

واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدي هديُ مُحمدٍ ﷺ.

* * *

(١) رواه مسلم (٤٩) وأصحاب السنن الأربعة وأحمد.

في تكريم الإنسانِ مِن بينِ سَائرِ المَخلوقاتِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ ﴾ [الأنعَام: ١ـ٣]، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، خَلَقَ الإنسانَ، عَلّمَه البيانَ، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه إلى الإنسِ والجَانِّ، صَلَّى الله علَيه وعلَى آله وأصحابِه أَهْلِ العِلمِ والعِرفانِ. وسَلّم تسليمَاً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى كمَا أمرَكُم أنْ تتقُوه، وأطيعُوا أَمْرَهُ ولا تعصُوه، فإنَّ السعادةَ بتقوَاه وطَاعتِه، والشقاءَ بمخالفةِ أمْرِه ومَعصيتِه.

قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩ ﴾ [الأنفَال: ٢٩] وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [الطّلاَق: ٢، ٣]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ﴾ [الطّلاَق: ٤]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣ ﴾ [الجنّ: ٢٣]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦ ﴾ [الأحزَاب: ٣٦].

وقد خصّ اللهُ الإنسانَ مِن بينِ المَخلوقاتِ فاستخلَفَه في هذِه الأرضِ، وسَخّر لَه هذَا الكونَ وأَمدّه بإمكانياتٍ عَقليةٍ وجِسميةٍ، وابتَلاه بالخيرِ والشرِّ، وأمرَه ونَهاه ووعدَه وتوعَّدَه فقَالَ تعَالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ ﴾

[القيامة: ٣٦]. وقَالَ تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] وجَعَلَ الجزاءَ مِن جِنْسِ العملِ، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرًّا فشر، قَالَ تعَالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّجم: ٣٩ـ٤١]. وقَالَ تعَالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وفي الحديثِ القدسيِّ: **«يا عِبادي إنَّمَا هِي أعمَالُكم أُحصِيها لكُم ثُمَّ أُوفيكُم إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيراً فليحمدِ اللهَ، ومَن وجدَ غيرَ ذلكَ فلاَ يلومَنَّ إلاَّ نفْسَه»**.

وقد خَاطَبَ الله هذا الإنسانَ بِعِدَّةِ خِطَاباتٍ، وَوَصَفَه بكثيرٍ مِنَ الصفاتِ، قَالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦] أي إنَّكَ سَاعٍ إلَى ربِّك سَعياً وعاملٍ عَمَلاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ أي سَتلقَى مَا عَمِلْتَ مِن خَيرٍ أو شرٍّ.

عنْ جَابرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَ جبريلُ: يَا مُحمدُ عِشْ مَا شِئتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحببْ مَن شئتَ فإنَّكَ مُفارقُه، واعملْ مَا شئتَ فإنَّك مُلاقِيه»** وقيل مَعنى الآيَةِ: أنكَ سَتلقَى ربَّك فيجازِيك بعملِك ويُكافئُك على سَعيكَ، والقولانِ مُتلازمانِ، فالإنسانُ لاَبدَّ أنْ يعملَ عَملاً يُلاقي الله بِه فيجازِيه عَليه.

وقَالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ـ٨] أي مَا غَرَّكَ يا ابنَ آدمَ بربِّكَ العظيمِ حتَّى أقدمتَ على مَعصيتِه وقابلتَه بِمَا لايَليقُ به، وأتىٰ باسمِه الكريمِ لينبّه علَى أنَّه لاينبغِي أنْ يُقَابَلَ الكريمُ بالأفعالِ القبيحةِ وأعمالِ الفجورِ، ومَن

كرَمِهِ أنْ أوجَدَ سُبحانَه هذَا الإنسانَ مِن عَدَم وجَعَلَه سَوياً مُستقيماً مُعتدلَ القَامةِ مُنتصباً في أحسنِ الهيئاتِ والأشكالِ، وهُو قادرٌ علَى أن يجعلكَ في صُورةٍ قَبيحةٍ. ولكنَّه برحمتِه ولطفِه جَعَلكَ في شكلٍ حَسَنٍ مُستقيمٍ مُعتدلٍ، تَامَّ الأعضاءِ والحَواسِّ، حَسَنَ المَنظرِ والهيئةِ، ثُمَّ إن هذَا الإنسانَ إذا أحسنَ عَمَلَه وأطاعَ ربَّه أحسنَ اللهُ صُورتَه الباطنةَ، كمَا أحسنَ صُورتَه الظاهرةَ، وواصلَ إكرامَه في الدُّنيا والآخرةِ، وإنْ أَسَاءَ عملَه مَسَخَ اللهُ صُورتَه الباطنةَ وأهانَه في الدُّنيا والآخرةِ. قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التّين: ٤ـ٦]. وقَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العَصر: ٢، ٣]. كمَا أخبرَ سُبحانَه أنَّه خَلَقَ هذَا الإنسانِ مِن ضَعْفٍ، وأوجدَه مِن عَدَمٍ، وعَلَّمَه مِن جَهْلٍ، ثُمَّ إنَّ هذَا الإنسانَ إذَا رأَى نفْسه قَد استغنَى وكَثُرَ مَالُه فَرِحَ وأَشَر وبَطَرَ وطَغَى، قَالَ تعَالى: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العَلق: ١ـ٧].

ثُمَّ توعَّدَه اللهُ ووعظَه وذكَّرهُ بمصيرِه. فقَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ [العَلق: ٨] أي إلى اللهِ المَصيرُ والمرجعُ، وسُيحاسبُك على عَمَلِكَ وطُغيانِكَ.

والإنسانُ صِفتُه الطغيانُ والظلمُ والجهلُ والكفرُ إلاَّ مَن رَحِمَ اللهُ، قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وقَالَ تعَالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢] وقَالَ تعَالى: ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعَارج: ١٩ـ٢٢]. وأخبر سُبحانَه أنَّ الإنسانَ يقنطُ عِندَ الشِّدَّةِ

ويفرحُ ويفخرُ عند الرخاءِ، قَالَ تعَالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هُود: ٩ـ١١].

فهذَا شَأنُ الإنسانِ وهذِه صفاتُه. مِن حيث نفسِه وذاتِه، وخُروجُه عن هذِه الصفاتِ إلى الصفاتِ الخيرّةِ والحميدةِ إنَّمَا هُو بفضلِ رَبِّه، وتوفيقِه لَه، لا مِن حيثُ ذاتِه، فليسَ لَه مِن ذَاتِه إلا هذِه الصفاتُ الذميمةُ، فَلاَ حَوْلَ لَه ولا قوةَ على التخلّي عَنْهَا، والتحلّي بالصفاتِ الكريمةِ إلاَّ بربِّه وفَضْلِه ومِنَّتِه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣]. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجرَات: ١٧]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحُجرَات: ٧،٨]. وهُو الذي يكتبُ الإيمانَ في قلوبِ عِبادِهِ المؤمنينَ ويثبِّتُهم عليه ويصرفُ عنْهم السوءَ والفحشاءَ. وقدْ قَالَ تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يُونس: ١٠٠] وقَالَ تعَالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدَّثر: ٥٦]. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

فالهدايةُ التي هِي التوفيقُ للخيرِ وقَبولُ الحقِّ بيدِ اللهِ عَزّ وجَلّ يَمُنُّ بِها علَى مَنْ يَشَاءُ، وهي فَضْلٌ مِنه وإحسانٌ، والعبدُ مَأمورٌ بتعاطِي أسبابِ هذِه الهدايةِ، بأنْ يَطْلُبَهَا مِنَ اللهِ ويُنيبَ إليه ويصغي إلى كتابِ اللهِ وسُنّةِ رسولِه ليعرفَ الحَقَّ فَيلتزِمه ويعرفَ الباطلَ فَيجتنبه، ويقتدي بأهلِ الخيرِ، ويبتعدُ عنْ أهلِ الشَّرِّ، ويفعلَ مَا أَمَرَ اللهُ بِه ويتركَ مَا نَهَى عَنه مِنَ الأعمالِ والأقوالِ والنيّاتِ والمَكاسبِ

وسَائرِ التصرفاتِ المَنهيِّ عنْها. قَالَ اللهُ تعَالى: بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ١-١٠].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، خَلَقَ الإنسانَ مِن نُطفةٍ فإذَا هُو خصيمٌ مُبينٌ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، المَلِكُ الحَقُّ، وإليه مَصيرُ الخَلْقِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه إلى جميعِ الثقلينِ الجنِّ والإنسِ بَشيراً ونَذيراً، ودَاعياً إلى اللهِ بإذنِه وسِرَاجاً مُنيراً، صَلّى اللهُ عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليمَاً كَثيراً . . . أمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللهِ: اتقُوا اللهَ واذكرُوا بدايتكم ونهايتكم فقدْ خُلقتمْ مِنَ التُّرَاب، وتَصيرونَ إلى الترابِ، ثُمَّ تُبعثونَ للجزاءِ والحسابِ: ﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥ ﴾ [طه: ٥٥] فكيفَ يليقُ بمَنْ هذَا حالُه، وتذكَّر سُرعةَ زوالِه عَن هذِه الدُّنيا وانتقالِه أنْ يتكبرَ ويطغَى، أنْ رَآه استغنَى، وينسَى أنَّ إلى ربِّه الرُّجْعَى، لقد بَلَغَ مِن طُغيانِ هذَا الإنسانِ، أنْ جَحَدَ قُدرةَ الرحمنِ، وأنكرَ البعثَ والحسابَ: ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ ﴾ [يس: ٧٨] ونَسِيَ بدايتَه وإيجادَه مِنَ العَدَمِ وأنَّ الذي قَدرَ علَى خَلْقِه أولَ مَرَّةٍ قَادرٌ مِنْ بَابِ أَولَى علَى إعادتِه ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [يس: ٧٩].

بَلْ لقدْ بَلَغَ مِنْ طُغيانِ هذَا الإنسانِ أنْ أنكرَ وجودَ اللهِ، فهَا هِي الشيوعيةُ في عَصرِنَا الحَاضِرِ ومَنْ شَابَهَهَا مِنَ المَلاحِدَةِ تُنْكِرُ وجودَ اللهِ الخالقِ وتتعامَى، عَنْ

آياتِه الكَونيةِ في الآفاقِ والأنفسِ، وتنسَى أنَّ في كُلِّ شَيءٍ لَه آيةٌ تَدُلُّ علَى أنَّه واحدٌ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطُّور: ٣٥، ٣٦] لقدِ اغترَّ هذَا الإنسانُ بمُخترعاتِه، ومُنجزاتِه الحضاريةِ ظَنًّا مِنه أنَّه حَصلَ عَليها بحَوله وقوتِه وخِبرتِه ومَهارتِه ونَسيَ أنَّ اللهَ هُو الذي خَلَقَهُ وَوَهَبَهُ العقلَ والتفكيرَ، وسَخَّر لَه هذِه الكائناتِ، وألهمَه كَيف يستخدمُها، وأنَّ كُلَّ شَيءٍ بقضاءِ اللهِ وخَلْقِهِ وتدبيرِه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التّكوير: ٢٩]. ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصَّافات: ٩٦].

ثُمَّ مَا هِيَ هذه المُنجزَات التي اغترَّ هذَا الإنسانُ بإبرازِها، إنَّ غالبَها آلاتُ خَرَابٍ ودَمَارٍ للإنسانِ والعُمرانِ، أسلحةٌ فَتَّاكَةٌ، وقذائفُ جَهنميةٌ تُهلكُ الحرثَ والنسلَ. مَا مُكّنَ الإنسانُ مِنها إلا عُقوبةً لَه وعناءً عَليه وعلَى الإنسانيةِ. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعَام: ٦٥].

فَاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واعتبرُوا بمَنْ قَبلكُم مِنَ الأممِ التي اغترّتْ بقوتِها وعَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ورسلِه فَحَاسَبَهَا اللهُ حِسَاباً شَدِيداً وعذاباً نُكراً، فَذاقتْ وبَالَ أمْرِهَا وكَانَ عاقبةُ أَمْرِهَا خُسْرَاً.

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

في التحذير مِنَ المُسكِرَاتِ والمُخدِّرَاتِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، خَلَقَ الإنسانَ، وَوَهَبَهُ العَقْلَ الذي مَيّزَهُ به عنْ سائرِ الحيوانِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وهُو ذُو الفضلِ والإحسانِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أنزلَ علَيه القرآنَ هُدى للناسِ وبيِّناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرقانِ، صَلّى اللهُ عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تبعَهُم بإحسانٍ، وسَلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واشكُرُوه، فلقدْ كَرّمَ اللهُ هذَا الإنسانَ علَى غَيرِه مِنَ المَخلوقاتِ. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسرَاء: ٧٠].

ومِمّا كَرّمَ اللهُ بِه هذَا الإنسانَ العقلَ الذِي يَمْتَازُ به عَنِ الحَيوانِ، ويُميّز به بينَ الخَيرِ والشَّرِّ، والضَّارّ والنافعِ، فإذَا فَقَدَ العقلَ لمْ يكنْ بينَه وبينَ الحيوانِ فَرْقٌ، بَلْ يكونُ الحيوانُ أحسنَ حَالاً مِنه، لأنَّ الحيوانَ ينتفعُ به، والإنسان الذِي فَقَدَ عقلَه لاينتفعُ به، وإنَّمَا يُصبحُ عَالَةً علَى غَيرِه، وبالعقلِ يفكرُ الإنسانُ في آياتِ اللهِ ويتفقّه فِيها وبالعقلِ يخترعُ ويُنتجُ.

والعقلُ يَحملُ الإنسانَ علَى أنْ يتحلَّى بالفضائلِ ويتخلَّى عَنْ الرذائلِ، ويبذلَ النَّدَىٰ، ويكفَّ الأذَى، وقدْ سَمَّىٰ اللهُ العقلَ عَقلاً وحَجراً، ونُهَىً ولُبًّا وهِي أسماءٌ تَدُلُّ علَى مَعَانِي عَظيمةٍ؛ لأنَّه يَعقلُ الإنسانَ ويَحجرُ علَيه ويحجزه

عَمّا لا يليقُ بِهِ.

وقَد ذمّ الله الذينَ لا يعقلونَ وجَعَلَهُم في مَرتبةٍ أَقَلّ مِن مَرتبةِ البَهَائِم، قَالَ تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤].

وقَد نَهَى الله عَن تَعَاطِي مَا يُخِلُّ بالعقلِ وَرَتَّبَ علَى ذلكَ حَدّاً رَادِعَاً وعُقوبةً زَاجرةً، فالعقلُ هُو أحدُ الضَّرُوريَّاتِ الخَمْسِ التي أَجْمَعَتِ الشرائعُ السماويةُ علَى وجوبِ حِفْظِهَا؛ لأنَّ في حِفْظِهَا قوامَ مَصلحةِ البشريةِ؛ لأن فَاقدَ العقلِ يُسيءُ إلى نفْسِه وإلى مجتمعِه، فقد يُوقعُ نفْسَه في الهلاكِ والفسادِ الخُلقيِّ ويتعدَّى علَى غَيرِه بمَا يَضُرُّهُ، فيخلّ بالأمنِ ويُروع المجتمعَ. قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المَائدة: ٩٠، ٩١] فبيّنَ سُبحانَه مَفَاسِدَ الخمرِ ومَا ذُكِرَ معَها مِنَ الجرائمِ أنّهَا تُسبّبُ عَدَمَ الفلاحِ، وأنّهَا رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشيطانِ، وأنّها تُوقعُ في المجتمعِ العَداوةَ والبغضاءَ وتَصُدُّ عَنِ ذِكْرِ اللهِ الذي بِه حَياةُ القلوبِ، وتَصُدُّ عَنِ الصلاةِ التي تَنهى عن الفحشاءِ والمُنكَرِ، وكُلُّهَا مَفَاسدُ عظِيمةٌ، وأخطارٌ جسيمةٌ، والخمرُ كُلُّ مَا خَامرَ العقلَ وغَطَّاهُ مِنَ المُسْكِرَاتِ مِنْ أي مَادةٍ صُنعتْ، وبأيِّ اسمٍ سُمّيتْ. فقد وَرَدَ أنّه يأتي في آخِرِ الزمانِ قومٌ يُسمّون الخمرَ بغيرِ اسْمِهَا، والأسماءُ لا تُغيِّرُ الحقائقَ، ومِثْلُ الخَمْرِ بَلْ شرٌّ مِنه كُلُّ مُفترٍ للجسمِ مُعَطِّلٍ لِلحَوَاسِّ، فقدْ نَهَى النبيُّ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكرٍ ومُفتِرٍ، والمُفترُ كُلُّ مَا ينشَأُ عَنه استرخاءُ الأطرافِ وتخدرِها وفقدانِ الغيرةِ.

أَيُّهَا المُسلمون: إنَّ أعداءَكُم دَائمَاً يخطِّطونَ لإهلاكِكِم وإيقاعِ الضررِ بِكُم

بِكُلِّ وسِيلةٍ، كَمَا قَالَ الله عَنهم: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عِمـرَان: ١١٨] ومِـنْ أخبـثِ المُخَطَّطَاتِ وأَفْتَكِ الأسلحةِ التي غَـزَوكُـمْ بِهَا في هـذَا الـزمـانِ: سَلاح المُخدراتِ، فهُم يَزرعُون المُخدراتِ ويصنعونَها ويُصدِّرونَها إليكُم ويروِّجُونَها بينكُم بطُرقٍ مُتنوعةٍ وخَفيّةٍ يَستخدمُون فِيهَا شَياطينَ الإنسِ مِن تُجارِ الدَّمَارِ الذينَ يقومُونَ بَجَلْبِ هذِه المُخدراتِ وبيعِها في دِيارِ المُسلمين، وهَؤلاءِ المُروِّجونَ يَستحقونَ أَشَدَّ العقوباتِ؛ لأنَّهم يَسْعَونَ في الأرضِ فَسَاداً، ويجبُ علَى مَن عَلِمَ بِهم أنْ يُبَلِّغَ عَنهم السُّلطَةَ لرَدْعِهِم وكَفّ شَرّهم. وهذَا مِنَ التعاونِ علَى البِرِّ والتقوَى ومِنَ النصيحةِ لأئمةِ المُسلمين وعَامّتهم ولايجوزُ التستّرُ عَليهم والشفاعةُ فِيهم.

أَيُّهَا المُسلمونَ: إنَّ المُخَدِّراتِ أَشَرُّ مِنَ الخمْرِ، لأنَّهَا تُفْسِدُ العقلَ والمزاجَ وتقتلُ الغيرةَ في الإنسانِ، فَهِي تُشاركُ الخمرَ في الإسكارِ، وتزيدُ عَليه في كَثْرَةِ الأضرارِ، وقَد ذَكَرَ بعضُ العلماءِ فِيها مِائةً وعِشرينَ مَضرّةً دِينيةً ودُنيويةً.

فمِنْ أضْرَارِها الدينيةِ: أَنَّهَا تُنسي ذِكْرَ اللهِ وتُذهِبُ الحَيَاءَ والمُروءةَ، وتُسبّبُ تَرْكَ الصَّلاَةِ والوقوعَ في المُحرماتِ.

ومِن مَضارِّها البدنيةِ: أَنَّهَا تُفْسِدُ العقلَ، وتقطعُ النسلَ، وتولدُ الجذامَ، وتورثُ البرصَ وتجلبُ الأسقامَ، وتحرقُ الدمَّ، وتضيقُ النفسَ، وتفتّتُ الكبدَ، وتُحدِثُ البخرَ في الفمِّ، وتُضعفُ البصرَ، وتَجلبُ الهُمومَ والوساوسَ، وتخبلُ العقلَ، وتورثُ الجنونَ، وتورثُ قلّةَ الغيرةِ وزوالَ الحمِيّةِ، حتَّى يصيرَ آكلُها دَيوثاً، وتفسدُ الأمزجةَ حيثُ جَعلتْ خَلقاً كَثيراً مَجانينَ، ومَن لم يجنّ أُصيبَ بنقصِ العقلِ، وإنَّ المُخدِّراتِ أخطرُ سِلاحٍ تستخدمُه العصاباتُ التخريبيةُ في

المُجتمعاتِ البشريةِ للوصولِ إلى أغراضِها، وغالبُ مَن يستخدمُه اليهودُ لتحطيمِ الشعوبِ، لأَجْلِ السيطرةِ عليَها وإذلالِها، فالمخدراتُ مِنَ الآفاتِ الخطيرةِ التي تهدّدُ المُجتمعَ الإنسانيَّ بالفناءِ والدمارِ، ولا يقلّ خَطَرُهَا عن خَطَرِ الأمراضِ الوَبائيةِ التي تفتكُ بالأممِ والشعوبِ، ومِن ثَمَّ أنشئتْ في غالبِ الدولِ أجهزةٌ خَاصةٌ لمُكافحةِ المُخَدِّرَاتِ، حتَّى الدولُ الكافرةُ شعُرَتْ بخطرِ المُخدراتِ فصارتْ تُكَافِحُهَا.

ومِنْ تَوَغُّلِ مَروجِيها في الإجرامِ أنُهُم يستعملُون حِيلاً دَقيقةً وخَفيّةً لتهريبِها وترويجها لا ينتبهُ لهَا كثيرٌ مِنَ الناسِ، ويصنعونُها على أشكالٍ مُختلفةٍ، ويدسونَها في أشياءَ يُستبعدُ وجودُها فِيها . . . فتنبهُوا أيُّهَا المُسلمونَ لهَذَا الخطرِ واحفظُوا أولادَكم أن تُصيبَهم عَدْوَاهُ، لاتتركُوهم يَهيمونَ في الشوارعِ ويُخالِطُونَ مَا هَبّ ودَبّ، فَإِنّه إذَا فَسَدَ فَرْدٌ مِنَ الأفرادِ أَثّرَ علَى البقيةِ الذينَ يُخالطُونَه ويجلسونَ معَه، خُصوصاً هَؤلاءِ الشبابِ الضائعونَ الذينَ يتجولونَ بالسياراتِ، فإنهم محلّ شُبهةٍ، وهَناكَ بعضُ الوافدينَ إلى هذِه البلادِ مِن دُولٍ أَخرَى لا يُؤمَنُ شرُّهُم. وهناكَ وسائلُ ووسائلُ، ومَكْرٌ خَفِيٌّ يدبرهُ شَياطينُ الأنسِ والجِنِّ ويغزُونَ به تَجمعاتِ الشبابِ. فأَنتُم في زمانٍ كَثُرَ الشَّرُّ في أهلِه وكَثُرَ فيه دُعَاةُ الفَسَادِ، واختلطَ فيهِ الناسُ مِنْ كُلِّ جِهةٍ بسببِ تيسّرِ وسائلِ النقلِ السريعةِ وصَارَ الشَّرُّ ينتشرُ بِسرعةٍ، وهذَا يستدعِي مِنكُم شِدَّةَ الانتباهِ، وقوةَ الحَذَرِ، والمحافظةَ على أولادِكم أكثرَ مِمَّا تُحافظون على أَموالِكم، لاسِيمَا وأنتمْ تعلمُونَ مَا يحدثُ مِنْ جرّاءِ تَعَاطِي المُخدِّراتِ مِنْ حَوادثِ الطُّرُقِ التي هَلَكَ فِيها أعدادٌ كَبيرةٌ. وذَلِكَ مِنْ أَثَرِ تَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ علَى عُقولِهم فأصبحُوا. مَخبّلينَ. ومنِهم مَن قُبِضَ عَليهم فأُودِعُوا السُّجونَ السِّنينَ الطويلةَ

وعُزِلُوا عَنِ المُجتمعِ، وانعزلُوا عن أُسَرِهِم حتَّى إنَّ مِنهم مَن قَضَى حَياتَه كُلَّهَا في السِّجْنِ كُلَّمَا خَرَجَ مِنه رَجَعَ إليه فَالأمرُ خَطيرٌ، والشَّرُّ مُستطيرٌ، ولا نَجَاةَ مِنْ شَرِّ هذِه المُخدِّراتِ إلاَّ بالاستعانةِ باللهِ سُبحانَه ثُمَّ بتطبيقِ العقوباتِ الرادعةِ علَى مَن يتعاطَى هذَا الدمارَ أو يروِّجُه، ويجبُ التعاونُ مَعَ أجهزةِ الحُكومة التي تُكافحُ هذَا الإجرامَ، ويجبُ أيضاً المُحافظةُ علَى الأولادِ الصِّغَارِ مِنَ التسيّبِ في الشوارعِ ومُخالطةِ المَشبوهينَ، ويجبُ أيضاً التحذيرُ مِنْ هذَا البلاءِ عَن طَريقِ الوعظِ والتذكيرِ والخُطَبِ والمُحاضراتِ والكتابةِ في الصُّحُفِ وغيرِ ذلكَ مِن وسائلِ الإعلامِ والمُختلفةِ.

وفّقَ اللهُ الجميعَ لِمَا فيه الخيرُ والصلاحُ.

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المَائدة: ٢].

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، خَلَقَ الإنسانَ وفَضّلَهُ علَى كَثيرٍ مِنْ مَخلوقاتِه، وسَخّرَ لَه مَا خَلَقَ في أرضِه وسمَاواتِه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له في ربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه ومُصطفَاه مِن جميعِ برياتِه، صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه، الذي آمنوا وهَاجروا وجَاهدوا والذينَ آوَوْا ونَصَرُوا وسَلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله واشكرُوه علَى مَا خَصّكُم بِه مِنَ الإنعامِ والتكريمِ، خَلَقَكُمْ في أَحْسَنِ تقويمٍ، ووهبَكم العقلَ السليمَ، وجعلَه أحدَ الضرورياتِ الخمسِ التي تَجِبُ المُحافظةُ عَليها ويُعَاقَبُ مَن اعتدَى علَيها، وذلكَ أَنَّ مَن

شَربَ مُسكِراً أو مُخدِّراً فإنه يُجلدُ ثَمانينَ جَلدةً عُقوبةً لَه علَى مَا فَعَلَ، ورَدْعَاً له في المُستقبلِ، ولَعَن ﷺ مَنْ شَربَ الخمرَ ومَنْ صَنَعَهَا ورَوّجَهَا وأعانَ علَيها، وأخبرَ أنَّ مُدْمِنَ الخمرِ كعابدِ الوثنِ، فمَن استحلّها فقد كَفرَ، ومَن شَربهَا غَيرَ مُستحلٍّ لَهَا فهُو فَاسقٌ وفاعلٌ لكبيرةٍ مِن كبائرِ الذنوبِ، يُقامُ عَليه الحَدُّ الشرعيُّ، وتَسقطُ عَدالتهُ إلاَّ إنْ تابَ توبةً صَحيحةً. فلا يجوزُ شربُ الخمرِ للذةِ ولا لتداوٍ، ولَمَّا سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الخمرِ تُصْنَعُ للدواءِ قَالَ: «إنَّهَا دَاءٌ وليستْ بدواءٍ»[1] وقَد ابتُلي الناسُ اليومَ بتصنيعِ الخمرِ وخَلْطِهَا مَعَ بعضِ الأدويةِ وبعضِ المُعَلَّبَاتِ وبعضِ الأطيابِ وهُو مَا يُسمى بمادةِ الكُحول، فيجبُ أن يُتجنبَ استعمالُ ما خُلِطَتْ مَعه مِن هذِه الأشياءِ لقوله ﷺ: «مَا أَسْكَرَ كَثيرهُ فقليلهُ حرامٌ»[2] ولقولهِ تعَالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [المَائدة: ٩٠].

ولأنَّ الخمرَ نَجسةٌ في أَصَحِّ قَولَيِّ العلماءِ فَلاَ يَجُوزُ التطيّبُ بالعطوراتِ المَخلوطةِ بالكُحول لأنَّها تُنَجِّسُ الأبدانَ والثيابَ، فيجبُ على المُسلمِ الحذرَ مِن كُلِّ المُصَنَّعَاتِ المَشُوبَة بالكُحول، وفيمَا أباحَ الله مِنَ الأدويةِ والأشربةِ والأطيابِ غُنيَةٌ عَمّا هو حَرامٌ أو مُشتبَهٌ . . .

اللّهمّ اغنِنا بحلالِك عن حَرامِك واكْفِنا بِفضلِك عمّن سِواكَ، ثُمَّ اعلمُوا أيُّها الناسُ أنَّ خَيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

(١) رواه مسلمٌ (١٩٨٤)، وأبو داود (٣٨٧٣)، والترمذيُّ (٢٠٤٧).

(٢) رواه أبو داود(٣٦٨١)، والترمذيُّ (١٨٦٦)، والنسائي (٥٦٠٧).

في التجمُّلِ المَشروعِ والتجمل المَمنوعِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ حَمْدَاً طَيباً كَثيراً، خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فقدَّرَهُ تَقديراً، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ لَه، وسبحانَه عَمّا يقولُ الظالمونَ عُلوّاً كبيراً، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، بَعَثَهُ بينَ يدي الساعةِ بَشيراً ونَذيراً، ودَاعياً إلى اللهِ بإذنِه وسِراجَاً مُنيراً، صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليمَاً كَثيراً . . . أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا النِاسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واشكرُوه علَى مَا أولاَكُم مِنَ النِّعَمِ، ودَفَعَ عنكُم مِنَ النِّقَمِ، فقد خَلَقَ اللهُ الإنسانَ في أَحْسنِ تَقويمٍ، فإنْ شَكَرَهُ وأطاعَه واصَلَ له التكريمَ، وإنْ عَصَاهُ وخالف أمْرَه فإنَّ عِقَابه أليمٌ.

أَيُّهَا المُسلمونَ: إنَّ التجمّلَ في حُدودِ المَشروعِ أَمْرٌ مَطلوبٌ، فإنَّ اللهَ تعَالى جَميلٌ يُحِبّ الجَمَالَ، والتجمّلُ يكونُ في إصلاحِ الجسمِ بأَخْذِ مَا شُرِعَ أخذُه وإبقاءُ مَا يُشرعُ إبقاؤُه.

فأمّا مَا يُشرعُ أخذُه فقد بيّنَه رسولُ اللهِ ﷺ في الحديثِ الذي رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي هُريرة رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «خَمْسٌ مِنَ الفِطرةِ الاسْتِحْدَادُ والخِتَانُ وقَصُّ الشَّارِبِ ونتفُ الإبطِ وتقليمُ الأظافرِ»[1] فأخبرَ ﷺ أنَّ أخذَ هذِه الأشياءِ مِنَ الفِطرةِ، أي من السُّنّةِ القَديمةِ التي اختارَها الأنبياءُ واتفقتْ عَليها الشرائعُ، لأنَّ في تَرْكِ هذِه الأشياءِ تَشْويهاً للجسمِ، وتَشَبُّهاً بالحيواناتِ والسِّبَاعِ والكفّارِ، وبقاؤُها أيضاً يُسَبّبُ تَجَمّعَ الأوساخِ ووجودَ الروائحِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٨٨٩)، ومسلمٌ (٢٥٧).

الكَريهةِ، والاستحدادُ مَعناه: حَلْقُ العَانَةِ، والخِتَانُ معنَاه: قَطْعُ جَميعِ الجِلْدةِ التي تغَطِّي الحشفةَ، لأنَّ بقاء القلفةِ يُسبّبُ بقاءَ النجاسةِ المُتحقنةِ فِيها، وذلكَ يُخِلُّ بالعبادةِ ويُسبّبُ أضراراً صِحيةً، وقَصُّ الشَّاربِ معنَاه: جَزّهُ وإنهَاكُه، ونتفُ الإبطِ يُرادُ بِه إزالةُ الشَّعْرِ النابتِ فيه بنتفٍ أو حَلْقٍ ونحوِه وتقليمُ الأظافرِ قَصُّهَا لئلّا تطولَ.

وأمَّا مَا يُشرعُ إبقاؤُها فهُو شَعْرُ اللحيةِ، كمَا في الصحيحينِ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**خَالِفُوا المُشركينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى**»[(١)]، وفي روايةٍ «**أعفُوا اللِّحَى**» وفي رواية «**أوفُوا اللِّحَى**» وفي روايةٍ «**أرخُوا اللِّحَى**»، وكُلُّ هذِه الرواياتِ تَدُلُّ علَى وجوبِ تَوفيرِ اللحيةِ وإبقائِها وتحريمِ حَلقِها أو قَصِّهَا، كمَا تدلُّ الأحاديثُ على وجوبِ إحفَاءِ الشَّاربِ والنهي عَن توفيرِه وإطالتِه، ولكنَّ الشيطانَ زَيّنَ لكثيرٍ مِنَ الناسِ مُخالفةَ سُنَّةِ النبيِّ ﷺ في ذلكَ وتقليدَ الكفّارِ، فصَاروا يَحلقُونَ لِحاهُم أو يقصّونَها ويوفّرونَ شَواربَهم ويطيلونَها، كمَا أنَّ هُناكَ فَريقاً مِنَ الناسِ يرتكبُونَ مَا نَهى عنه النبيُّ ﷺ في صَبْغِ اللحيةِ فقد نَهَى عن صَبْغِ اللّحيةِ بالسوادِ وأمَرَ بتغييرِ الشَّيْبِ بغيرِ السَّوادِ مِنَ الحِنَّا والصُّفْرَةِ، فَخَالَفَ هَولاءِ سُنَّةَ الرسولِ وصَاروا يصبغونَ بالسوادِ، وقد رَوى أبو داودَ والنسائيُّ وابنُ حبّانٍ والحاكمُ وصَحّحَه عَن أبي هُريرة رضي الله عنه قَال: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ «**قومٌ يخضبونَ في آخرِ الزمانِ بالسوادِ كحواصلِ الحمامِ لا يَروحون رائحةَ الجنةِ**»[(٢)]. وهذَا وعيدٌ شديدٌ لِمن فَعلَ ذلكَ.

وبعضُهم يجمعُ بينَ المَعصيتينِ فيقصُّ لحيتَه ويصبغُ البَاقي مِنها بالسوادِ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٨٩٢) والروايات المذكورة. لمسلم (٢٥٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٢١٢)، والنسائي (٥٠٧٥).

كمَا زيّن الشيطانُ لبعضِ النساءِ أخذَ حَوَاجِبهِنّ، وهُو النّمْصُ الذِي لَعَنَ النبيُّ ﷺ مَن فَعَلَتْهُ بِنَفْسِهَا أو بغيرهَا، فقد لَعَنَ النبيُّ ﷺ النَّامِصَة، والمتنمصةَ، كمَا في الحديثِ الذي رواه البخاريُّ ومُسلمٌ وغيرُهما، والنَّمْصُ هو أَخْذُ شَعْرِ الحَاجِبِ وترَفيعِه، تَزْعُمُ مَن فَعَلَتْه أنَّه تَجمُّلٌ، وهُو في الواقعِ تَغْييرٌ لخَلْقِ اللهِ، وهُو مِمَّا يأمرُ بِهِ الشيطانُ كَمَا قَالَ اللهُ تعَالى عَنه: ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النِّساء: ١١٩] كمَا زيّن الشيطانُ لبعضِ النساءِ وبعضِ الشبابِ إطالةِ أظافرِهم مُخالفةً لسُنَّة الرسولِ ﷺ حيثُ أَمَرَ بتقليمِ الأظافرِ، فصَاروا يُطيلونَها تَشبهاً بالكفّارِ ومُخالفةً للسنّةِ، وكُلّ هذِه الأمورِ التي يفعلونَها مِن حَلْقِ اللحى أو صَبْغِهَا بالسوادِ وإطالةِ الشواربِ والأظافرِ وإزالةِ النساءِ لشَعْرِ الحواجبِ يظنونَ أنَّهَا مِنَ التجمّلِ. وهي في الواقعِ تَشويةٌ وتقبيحٌ للصورةِ الآدميةِ ومُخالفةٌ للفِطرةِ، ولكنَّ الشيطانَ زيّنها لَهُم فاستحسنُوها كمَا قَال تعَالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فَاطِر: ٨].

ومن التجميلِ الذي شَرَعَهُ اللهُ ورسولُه التجمّلُ في اللباسِ، قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعرَاف: ٢٦]. فقَد امتنَّ اللهُ سُبحانَه على عِبادهِ بأنْ أوجدَ لهُم لباساً يَسْتُرُونَ به عَوراتِهم، ويجمّلُونَ بِه هَيئاتِهم الظاهرةَ، وذكّرهُم لِباساً أحسنَ مِنه وهو لِباس التقوى الذي يُجمّل ظَاهرَهم وبَاطِنَهم فقَالَ: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعرَاف: ٢٦]، وقَالَ تعَالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعرَاف: ٣١] والزينةُ هي اللباسُ، والمُرادُ بالمسجدِ الصلاةُ فقد أَمَرَ اللهُ سُبحانَه العبادَ أنْ يَلبسُوا أحسنَ ثِيابِهم وأَجْمَلِهَا في الصلاةِ للوقوفِ بين يَدي الربِّ سُبحانَه وتعَالى. والتجمّلُ في اللّباسِ مَطلوبٌ مِنَ المُسلمِ بمَا أباحَ اللهُ ومِن

غَيرِ إسرافٍ ولا تكبّرٍ، فقد نَهى ﷺ الرجالَ عن إسبالِ الثيابِ وهُو إرسالِها تحتَ الكعبينِ، وأخبرَ أنَّ مَن جَرّ ثوبَه خيلاءَ لمْ ينظر اللهُ إليه، وأنَّ المُسْبِلَ مِنَ الثلاثةِ الذِينَ لا يُكلمُهم الله ولا ينظرُ إليهم ولا يَزكّيهم ولَهم عذابٌ أليمٌ، وأنَّ الله لا يقبلُ صَلاَة رَجُلٍ مُسبلٍ، وهذَا مِن أعظمِ الوعيدِ، وهُو يدلُّ علَى أنَّ الإسبالَ مِنَ أكبرِ الكبائرِ، سواءٌ كان في الثوبِ أو الإزارِ أو البِشْتِ، وشَرَعَ للنساءِ تطويلَ الثيابِ لسترِ أرجلِهنَّ. لِمَا رواه الإمامُ أحمدُ والنسائيُّ وأبو داودَ والترمذيُّ وقَالَ: حسنٌ صَحيحٌ. عن أمِّ سَلمةَ رضي الله عنها قَالت: قُلتُ يارسولَ اللهِ، كيفَ تَصنعُ النساءُ بِذيولهنّ؟ قَالَ: «يُرخينَ شِبراً»، قلتُ: إذاً تَبدُو أقدمهُنّ يارسولَ اللهِ، قَالَ: «فَذِرَاعٌ ولا يَزِدْنَ عَليه»[1] وقد خَالفَ كَثيرٌ مِنَ الرجالِ والنساءِ مَا شَرَعَ اللهُ لَهم في اللباسِ وعَكَسُوا الأمرَ. فصَار الرجالُ يَسبلونَ ثِيابَهم ويجرّونَها، وصَار النساءُ يُقصرنَ ثيابهنّ حتَّى تَبدُو سِيقانهنّ، وتَشبّه الرجالُ بالنساءِ وتشبهتِ النساءُ بالرجالِ. ولقد لَعَنَ النبيُّ ﷺ المُتشبهينَ مِنَ الرجالِ بالنساءِ والمُتشبهاتِ مِنَ النساءِ بالرجالِ. رواه البخاريُّ[2]. ولَعنَ ﷺ الرجالَ يَلبسُ لُبْسَ المرأةِ، والمرأةَ تَلبسُ لُبْسَ الرجلِ. رواه الإمام أحمد وأبو داود[3].

ويَحْرُمُ علَى الرجالِ لُبْسُ الحريرِ والتحلّي بالذهبِ، قَال رسولُ الله ﷺ: «حُرِّمَ لباسُ الحريرِ والذهبِ علَى ذُكورِ أُمتي وأُحلّ لإناثِهم» رواه الخمسةُ وصَحّحَهُ الترمذيُّ[4]، وفي الصَّحيحينِ مِن حديثِ أبي هُريرة والبراءِ رضي الله

---

(١) رواه أبو داود (١٤١٧)، والنسائي (٥٣٣٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٨٨٥)، وأبو داود (٤٠٩٧).
(٣) رواه أبو داود (٤٠٩٨).
(٤) رواه أبو داود (٤٠٥٧)، والترمذيُّ (١٧٢٠). والنسائي (٥٢٦٥)، ولم أجده في سنن ابن ماجة.

عنهُما أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ رأى خَاتماً مِن ذَهَبٍ في يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وقَالَ: «يعمدُ أحدُكم إلى جمرةٍ من نارِ جهنمَ فيجعَلها في يدِه» فَقِيلَ للرجلِ بعدَ أنْ ذَهَبَ رسولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خَاتمَك انتفعْ به، فَقَالَ: لا واللهِ لاَ آخذُه أبداً، وقدْ طَرَحَهُ رسولُ اللهِ ﷺ[1].

وبعضُ الرجالِ اليومَ يَلبسونَ خواتيمَ الذهبِ تَمشياً مَعَ العاداتِ السيئةِ والتقاليدِ الفاسدةِ مِن غَيرِ مُبالاةٍ بالوعيدِ، مَعَ أنَّهم يَسمعونَ ويَقرؤونَ الأحاديثَ التي تَنْهَى عنْ ذلكَ ويعلمونَ أنَّهم يحملُون في أيدِيهم جَمْرَاً مِن جَهنمَ، لكنَّهم لايُبالونَ لأنَّ الشيطانَ زَيّنَ لَهم ذلكَ، كمَا زيّنَ الشيطانُ لكثيرٍ مِنَ النساءِ لُبْسِ الثيابِ القصيرةِ أو الثيابِ الضيقةِ أو الثيابِ الشفّافةِ التي لاَ تَسترُ الجسمَ أو تُبدي مَقاطعَ الأعضاءِ، وأُخريات يكشفنَ عن وجُوههنّ ونُحورهنّ وأَيديهنّ وأرجلهنّ أمامَ الرجالِ في الأسواقِ أو في البيوتِ عندَ أقاربِ الزوجِ أو غيرِهم.

وفي حديثِ أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«صنفَانِ مِن أَهْلِ النارِ لمْ أَرَهُمَا، قومٌ مَعهم سِياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربُونَ بِها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مَائلاتٌ مُميلاتٌ رُؤوسهنّ كأسنمةِ البُخْتِ المَائلةِ لا يدخلنَ الجنةَ ولايجدنَ رِيحهَا، وإنَّ رِيحَها ليوجدُ مِن مَسيرةِ كذَا وكذَا»** رواه الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ[2].

قَالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ في مَعنَى «كاسِيات عَارِيات» أي كاسياتٍ بلباسٍ يَصِفُ البشرةَ. أو يُبدي بعضَ تقاطيعِ أَبدانهنّ كالعضدِ والعجيزةِ، فهنّ كاسياتٌ بلباسٍ، عَارياتٌ حقيقةً، وهذَا ينطبقُ على كثيرٍ مِن

---

(١) البخاريُّ مختصراً (٥٨٦٤)، ومسلمٌ (٢٠٨٩).

(٢) رواه مسلمٌ (٢١٢٨).

لِبَاسِ النساءِ اليومَ فَهُنَّ يَلْبَسْنَ لِبَاساً رَقيقاً أَوْ ضَيقاً يُبدي تقاطيعَ الجسمِ، أو لِباساً شَفَّافاً يُرى مِن ورَائه لونَ الوجهِ والنَّحْرِ وغيرَ ذلكَ.

فاتقُوا الله أيّها الرجالُ في نِسَائِكُم فإنَّ اللهَ سَيسألُكم عَنهنّ بِمَا جَعَلَ لكُم مِنَ القوامةِ عَليهنّ والرعايةِ لشؤونهنّ وكُلكُم مَسؤولٌ عَن رعيتِه. واتقينَ اللهَ أيتُها النساءُ فإنَّكُنَّ مَسؤولاتٌ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

بارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ عَلى فضلِه وإحسانِه، أحَلّ لنَا الطيباتِ، وحرّمَ علينا الخبائثَ، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلّى اللهُ عَليه وعلَى آلِه وصحبِه وسَلّم تسليمَاً كَثيراً.. أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النّساء: ١].

عِبادَ اللهِ: إنَّ التنظيفَ والتجمّلَ في البدنِ والثيابِ أمرانِ مَطلوبانِ شَرعاً، وقد رَسَمَ النبيُّ ﷺ الطريقةَ المَطلوبةَ فِيهمَا بقولِه وفِعْلِه، وقدْ قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فلَا يجوزُ لنَا أن نرسمَ لأنفسِنا أو نستوردَ مِن أعدائِنا عاداتٍ وتقاليدَ تخالفُ هَدْيَ رسولِ اللهِ ﷺ كمَا يفعلُ كثيرٌ مِنَ المُتشبهينَ بالكفّارِ فِي عَاداتِهم وعِباداتِهم وتقاليدِهم، وقَد كانَ هَدْيُ النبيِّ ﷺ في شَعْرِ الرأسِ تركَه كُلّه أوْ أخْذَهُ كُلّهُ، ولمْ يَكُنْ يحلقُ بعضَه ويـدعُ بعضَـه، وكانَ يَقُصُّ شَـارِبَـه، ويقولُ: «مَن لمْ يأخذْ مِن شَارِبه فليسَ مِنّا»

رواه الترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ صَحيحٌ.

وفي صَحيح مُسلمٍ عن أبي هُريرة رضي الله عَنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قُصّوا الشواربَ وأرخُوا اللِّحَى خَالفوا المجوسَ»[1] وفي صَحيحِ مُسلمٍ عن أنسٍ قَالَ: (وقّت لنَا رسولُ اللهِ ﷺ في قَصّ الشارِب وتقليمِ الأظافرِ ألاّ نتركَ أكثرَ مِن أربعينَ يومَاً وليلةً)[2] وكَانَ النبيُّ ﷺ يُحِبُّ السواكَ، وكانَ يستاكُ مُفطراً وصَائِمَاً، ويستاكُ عِنْدَ الانتباهِ مِنَ النومِ وعندَ الوضوءِ، وعندَ الصلاةِ وعندَ دُخولِ المنزلِ، وكانَ ﷺ يُكثِر التطيّبَ ويحبّ الطِّيبِ، ونَهَىٰ ﷺ عَن أَكْلِ مَا لَه رائحةٌ كريهةٌ كالبصلِ والكراثِ والثومِ، ولاسِيما عند دُخولِ المَسَاجِدِ.

شُرِعَ الاغتسالُ يومَ الجُمعةِ لإزالةِ الروائحِ الكريهةِ الناشئةِ عَن العَرقِ وغيرِه، وكَانَ غالبُ مَا يَلْبسُ النبيُّ ﷺ هُو وأصحابُه مَا نُسِجَ مِنَ القُطْنِ ورُبَّمَا لَبِسُوا مَا نُسِجَ مِنَ الصُّوفِ والكتانِ، وكانَ هَدْيُهُ في اللِّباسِ أنْ يَلْبَسَ مَا تَيَسَّرَ مِنَ اللباسِ مِنَ الصوفِ تَارةً، والقطنِ تارَةً، والكتانِ تارةً. قَالَ الإمامُ ابن القيّم رحمَه الله: فالذينَ يَمتنعونَ عَمّا أباحَ اللهُ مِنَ المَلابِسِ والمَطَاعِمِ والمَنَاكِحِ تَزَهُّدَاً وتَعبداً بإزائِهم طَائفة قَابلُوهم لا يلبسونَ إلا أشرفَ الثيابِ ولا يأكلونَ إلا ألينَ الطعامِ، فلا يرونَ لُبْسَ الخَشِنِ، ولاَ أكلَه تكبراً، وتَجبراً، وكِلا الطائفتينِ هَدْيُهُ مُخالفٌ لِهَدْيِ النبيِّ ﷺ؛ ولِهَذَا قَالَ بعضُ السلفِ: كَانُوا يَكرهُون الشُّهرتينِ مِنَ الثيابِ العَالي والمُنخفضِ، وفي السننِ عَن ابن عُمرَ يرفعُه إلى النبيِّ ﷺ: «مَن لَبِسَ ثَوبَ شُهرةٍ ألبسَه اللهُ يومَ القيامةِ ثَوبَ مَذلّةٍ، ثُمَّ تُلْهَبُ فيه النارُ»[3] وهذَا لأنَّه قَصدَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٠٢٩)، وابنُ ماجة (٣٦٠٦). وليس في سُنن الترمذي ولا سُنن النسائيِّ.

بِهِ الاختيالَ والفخرَ فعاقبَه اللهُ بنقيضِ ذَلك، كمَا عَاقَبَ مَنْ أطالَ ثَوبَه خُيلاء، بأنْ خَسَفَ بِه الأرضَ فَهُو يَتجلجلُ فِيها إلى يوم القيامةِ، وكذلكَ لُبْسُ الدنيءِ مِنَ الثيابِ يُذَمُّ في مَوضعٍ ويُحمدُ في مَوضعٍ، فَيُذَمُّ إذَا كانَ شُهرةً وخُيلاءَ، ويُمدحُ إذَا كانَ تَوَاضعاً واستكانةً، كمَا أنَّ لُبْسَ الرفيع مِنَ الثياب يُذَمُّ إذَا كانَ تكبُّراً وخُيلاءَ، ويُمدحُ إذَا كانَ تَجملاً وإظهاراً لنعمةِ اللهِ، وفي صحيحِ مُسلمٍ عن ابنِ مَسعودٍ قَالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ مَن كانَ في قلبِه مثقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَردلٍ مِنْ كِبْرٍ، ولايدخلُ النارَ مَن كَانَ في قلبِه مِثقالُ حبةِ خَردلٍ مِن إيمانٍ»، فقالَ رَجلٌ: يَا رسولَ الله: إني أُحبُّ أنْ يكونَ ثوبي حَسناً ونَعلي حسَنةً، أَفمِنَ الكِبْرِ ذَلكَ؟ فقَالَ: «لا إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحبّ الجَمَالَ. الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ»[1]. وبَطَرُ الحقِّ: دَفْعُه، وغَمْطُ الناسِ: تَنَقُّصُهُم.

عِبادَ اللهِ: إنَّ الشيطانَ تَلاعَبَ ببني آدمَ في شأنِ اللباسِ فأوقعَهم في المُتناقضاتِ المُخالفةِ لشرعِ اللهِ، فطائفةٌ زيّنَ لَهم التَّعرِّي باسمِ المَدَنِيَّةِ والحضارةِ، كَمَا زيّنَ للمُشركينَ الطوافَ بالبيتِ وهُم عُراة. وأنّ ذَلكَ عبادةٌ يُؤجَرُون عَليها، وأنَّ اللهَ أَمَرهُم بذلكَ كَمَا قَالَ اللهُ عَنهم: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

فَرَدَّ اللهُ عَليهم وأخبرَ أنَّ كَشْفَ العورةِ فَاحشةٌ يُنزّه اللهُ عَن الأمرِ بهَا وتشريعِها للناسِ، وطائفةٌ مِنَ الناسِ زيّن لهُم الشيطانُ كَشْفَ عوراتِهم عندَ الألعابِ الرياضيةِ والمبارياتِ ـ واعتبرُوه فَنّاً مِنَ الفُنونِ، فصَاروا يكشفونَ أفخاذَهم

(١) رواه مسلمٌ (٩١)، والترمذيُّ (٢٠٠٠)، وأبو داود (٤٠٩١).

ولا يُغَطُّونَ إلاّ العورةَ المُغَلَّظَةَ، كمَا عَليه كَثيرٌ مِنَ الفِرَقِ الرياضيةِ مِنْ كَشْفِ عوراتِهم أمامَ المُشاهدينَ، وتُؤخذُ لهُم صُورٌ سَيئةٌ تُنْشَرُ في الجرائدِ والمجلاتِ وتُبثّ في التلفازِ ليشاهدُها مَن لمْ يَحضرْها.

وطائفةٌ أُخرى مِنَ الناسِ عَلى العكسِ مِن ذلكَ زيّن لهُم الشيطانُ الإسبالَ في اللباسِ وجرّه تكَبّراً وتَعاظُماً، دُونَ مُبالاةٍ بالوعيدِ الشديدِ والإثمِ العَظيمِ، وغَرَضُ الشيطانِ أنْ يُخرجَ هَؤلاءِ وهَولاءِ عَن الاعتدالِ والاستقامةِ في اللباسِ واتباعِ سُنّة الرسولِ ﷺ.

كمَا أَغرى الشيطانُ كَثيراً مِنَ النساءِ بالسفورِ ومُحاربةِ الحجابِ الشَّرعيِّ ليَعْرِضْنَ أجَسامهنّ ومَفاتنهنّ رَخيصةً أمامَ الأنظارِ المَسمومةِ . . . . فاتقُوا اللهَ أَيّها المُسلمونَ وتمسكُوا بكتابِ ربّكم وسُنّةِ نبيّكُم ولا تنساقُوا وراءَ التياراتِ الهدّامةِ والتقاليدِ المُحرمةِ.

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ . . . إلخ.

❊ ❊ ❊

القُدوةُ الحَسنةُ والسيئةُ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودِينِ الحَقِّ ليظهرَه على الدينِ كُلِّه وكَفَى باللهِ شَهيداً، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وإقراراً به وتوحِيداً، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صَلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليمَاً مَزيداً . . أمّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ وآمِنُوا برسولِه، ولاتتبعُوا السُّبُلَ فتفرّقَ بِكم عن سَبيلِهِ.

عِبَادَ اللهِ: مِن الظواهرِ الاجتماعيةِ في حياةِ البشرِ أنَّ الإنسانَ بِطَبْعِه يَميلُ إلى التقليدِ والمُحاكاةِ خُصوصاً لِمن يَرى فيه أنَّه أفضلُ مِنه، فالصغيرُ يُقلِّدُ الكبيرَ، والضعيفُ يقلِّدُ القويَّ، المتعلمُ يقلّد المُعلّمَ، وهذِه الظاهرةُ لهَا خُطورتُها، خُصوصَاً إذا كانَ المُقلَّدُ مُنحرفاً عن جادةِ الصَّوابِ، فإنَّ المُقلّدَ ينحرفُ معَه بقدرِ تقليدِه له ويتأثرُ بأخلاقِه بقدرِ مُيولِه إليه.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميةَ رحمَه اللهُ: إنَّ المُشاركةَ في الهَدْي الظاهرِ تُورثُ تَناسباً وتشَاكلاً بينَ المُتشابهيْنِ يقودُ إلى مُوافقةٍ مّا في الأخلاقِ والأعمالِ، وهذَا أمرٌ مَحسوسٌ فإنَّ اللابسَ ثيابَ أَهْلِ العِلم يَجِدُ في نفْسِه نوعَ انضمامٍ إليهم، واللابسَ لثيابِ الجُنْدِ المُقاتلةِ مَثلاً يَجِدُ مِن نفْسِه نوعَ تَخلّقٍ بأخلاقِهم، ويَصِيرُ طَبْعُهُ مُتقاضِياً لذلكَ، إلاَّ أنْ يمنعَه مَانعٌ . . . انتهى.

ولذلكَ شَرَعَ لَنَا الاقتداءَ بالآخيارِ، ونَهَانَا عَن الاقتداءِ بالأشرارِ، ورأسُ الأخيارِ هُو رسولُ اللهِ ﷺ وقد أَمَرَنَا اللهُ بالاقتداءِ به خَاصَّةً. قَالَ الله تعَالى: ﴿ لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

فَشَرَعَ اللهُ للمُسلمينَ الاقتداءَ برسولِه في جَميعِ أَعمالِهم وأحوالِهم ـ وهذه الآيةُ وإنْ كانَ سَبَبُهَا خَاصّاً بغزوةِ الأحزابِ فَهي عَامّةٌ في كُلِّ شَيءٍ. ومثلُها قولُه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

قَالَ الإمامَ ابنُ كَثير رَحِمَه اللهُ: هَذِه الآيةُ أصلٌ كَبيرٌ في التأسّي برسولِ اللهِ ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه، وكمَا شَرَعَ اللهُ الاقتداءَ برسولِه شرعَ الاقتداءَ بأصحابِ رسولِه الكِرام.

قَالَ تعَالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فَأَخْبَرَ سُبحانه أنّه رَضي عَنِ السَّابقينَ الأَولينَ مِنَ المُهاجرينَ والأنصارِ وأعدَّ لَهُم الجناتِ مِنْ غَيرِ تقييدٍ، وقَيَّدَ رِضَاهُ عَن غيرِهم مِمّن جاءَ بعدَهم إلى يومِ القيامةِ بشرطِ اتباعِه للمُهاجرينَ والأنصارِ بإحسانٍ، أي حَالةَ كَونه مُحسناً باتباعِه لَهُم في الأقوالِ والأعمالِ، وهذَا يدلُّ على مَشروعيةِ الاقتداءِ بهؤلاءِ الصحابةِ الكرام.

قَال الإمامُ ابنُ كَثيرٍ رَحمه اللهُ: فَيَا ويلَ مَن أبغضَهم أو سَبّهم أو أبغضَ أو سبّ بعضَهم، ولاسِيما سَيدَ الصحابةِ بعدَ الرسولِ وخَيرهم وأفضَلهم. أعني الصدّيقَ الأكبرَ، والخليفةَ الأعظمَ، أبا بكرٍ رضي الله عنه، فإنَّ الطائفةَ المَخذولةَ مِنَ الرافضةِ يُعادُونَ أفضلَ الصحابةِ ويبغضونَهم ويسبّونَهم عِياذاً باللهِ مِن ذلكَ، وهذَا يَدُلُّ عَلى أنَّ عقولَهم مَعكوسةٌ، وقُلوبَهم مَنكوسة، فأين هؤلاءِ مِنَ الإيمانِ

بالقرآنِ، إذْ يسبّون مَن مَدَحَهُمُ اللهُ ويَبغضُون مَن أحبّهم اللهُ، ويَسخطون عَلى مَن رَضِي الله عَنْهُم.

عِبادَ اللهِ: وكمَا شَرَعَ اللهُ الاقتداءَ برسولِه مُحمدٍ ﷺ واتّباعِهِ فِي جَميعِ الأعمالِ، فَقَدْ شَرَعَ اللهُ الاقتداءَ بِهم في البراءةِ مِنَ المُشركينَ وفي مُخالفتِهم لَهم، قَالَ تعَالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [المُمتَحنَة: ٤]. . . إلى قوله تعَالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [المُمتَحنَة: ٦].

فَقَدْ شَرَعَ الاقتداءَ بالخليلينِ وأتباعِهما في عبادةِ اللهِ وتَرْكِ عبادةِ مَا سِواه، وفي البراءةِ مِنَ المشركينَ ومُعاداتِهم في اللهِ، والبراءةِ مِن دِينهم وأخلاقِهم وعاداتِهم الخَاصَّةِ بِهم، وهذِه هي الحنيفية مِلّة إبراهيمَ التي أمَرَ اللهُ عَبدَه مُحمداً ﷺ باتباعِها في قولِه: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النّحل: ١٢٣] فهَذا أَصْلُ القُدرةِ.

ومِنَ القُدوةِ الحَسنةِ والتقليدِ المَحمودِ اقتداءُ الذريةِ بالآباءِ الصالحينَ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطُور: ٢١].

قَالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ رَحمهَ اللهُ عَلى هذِه الآيةِ: يُخبرُ تعَالى عن فَضْلِهِ وكَرَمِه ولُطفِهِ بخَلقهِ وإحسانِه: إنَّ المؤمنينَ إذَا اتبعتْهم ذُرياتُهم في الإيمان يلحقُهم بآبائِهم في المنزلةِ وإنْ لَم يبلغُوا عَمَلَهُم؛ لتقرّ أعينُ الآباءِ بالأبناءِ عندَهم في

مَنازِلِهم، فيجمعُ بينَهم عَلى أَحْسَنِ الوجوهِ بأنْ يَرفعَ الناقصَ العملِ بكاملِ العملِ، ولاينقصُ ذَلكَ مِن عَمَلِهِ ومَنزلتِه للتساوي بينَه وبينَ ذَاكَ، ومِن اقتداءِ الذريّةِ بالآباءِ في اتباعِ الحقِّ اقتداءُ نَبيِّ اللهِ يُوسفَ عليه السلامُ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨ ﴾ [يُوسُف: ٣٧، ٣٨].

يقولُ عَليه السلامُ هَجَرْتُ طَريقَ الكُفْرِ والشركِ الذي عَليه الكَفَرةُ والمُشركونَ، وسَلَكْتُ طَريقَ هَؤلاءِ المُرسلين، فَصَارَ سَبباً في هِدايةِ اللهِ لِي وتَعليمِه إيّاي، وهَكَذَا يكونُ حَالُ مَن سَلكَ طَريقَ الهُدَى وتَرَكَ طَريقَ الضَّلاَلِ، وهَكَذا يكونُ الصَّالِحُونَ خَلَفاً لِمَنْ سَلَفَ، يكونُ الآباءُ قُدوةً لأبنائِهم في الخيرِ، وتكونُ الذريّةُ تَبَعاً لَهُم في ذلكَ في سِلسلةٍ مُتصلةٍ تَسيرُ إلى الجَنَّةِ علَى هُدى ونُورٍ.

ولَكِنَّ المُصيبةَ إذاَ فَسَدَ الآباءُ وكَانوا قُدوةً سَيئةً لأولادِهم في الضلالِ كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٠].

مَا ظَنُّكم إذَا كَانَ الأبُ لا يُصلي ولا يعرفُ المَساجدَ، وإذا كانَ يتعَاطى المُسكِراتِ والمُخدِّرَاتِ، أو يشربُ الدخانَ الخبيثَ أمامَ أولادِه، مَا ظَنُّكم إذَا كَانَ الأبُ لا يتورعُ عَنْ كَسْبِ المالِ الحرامِ ولَو عن طريقِ الرِّبَا والقمارِ والرِّشْوَةِ وبيعِ المَوادِّ المُحرّمةِ كالتصاويرِ والأفلامِ الخَليعةِ وأدواتِ اللهوِ؟ مَا ظنكم إذا كانَ الأبُ لا يتورعُ عن الغِشِّ في المُعاملةِ والفجورِ في الخُصومةِ والتزويرِ في الشهادةِ، والكذبِ في اليمينِ؟ مَاذا تَظُنُّونَ في الذريةِ التي تُشَاهِدُ كُلَّ هذِه

الجرائمِ تُفعلُ أمَامَهَا وفي مُحيطِها ويُمارسُها أَبُوهُم وأقربُ الناسِ إليهم؟ إنهُم سَيكونون كمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إذَا كَانَ رَبُّ البيتِ بالدفِّ مُولعاً فَشِيمَةُ أَهْلِ البيتِ كُلِّهِمُ الرَّقْصُ

وكَمَا قَالَ آخَرُ:

وينشأُ نَاشِئُ الفتيانِ مِنَّا علَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

إِنَّهم في الغالبِ سَيقولونَ كمَا قَالَ أسلافُهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزّخرُف: ٢٣]. لَقد حَرّم اللهُ علَى الأولادِ الاقتداءَ بهؤلاءِ الآباءِ المُنحرفينَ، قَالَ تعَالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ [المجَادلة: ٢٢] الآيةُ. وقَالَ تعَالى في النَّهْي عَن طَاعةِ الوالدينِ المُنحرفَيْنِ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [القمَان: ١٥]، فاتقُوا الله أَيُّها الآباءُ وكونُوا قُدوةً صَالحةً لأولادِكم كَمَا أَمَرَكُم اللهُ بذلكَ في قَولِه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التّحريم: ٦] ولا تكُونُوا مِنَ الذينَ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النّحل: ٢٥] كَيفَ نَطلبُ مِنَ الشبابِ أنْ يُبَكِّرُوا إلى المساجدِ لانتظارِ الجُمَعِ والجَماعاتِ وتِلاوةِ القرآنِ في بيوتِ اللهِ وهُم يُشاهدونَ آباءَهم مِمّن هُم في سِنِّ الستينَ أو السبعينَ وهُم آخِرُ مَن يأتي إلى المَساجدِ، وأولُ مَن يخرجُ مِنها، وأقلُّ الناسِ رَغبةً فِيها وفي عِمارتِها، لا يأتونَ الصلاةَ إلاَّ وهُم كُسَالى: مُتأخرونَ يَبخلونَ في أوقاتِهم أنْ يَصْرِفُوا شَيئاً مِنْهَا في المَساجِدِ.

وإِذَا غَلَطَ أحدُهم بعضَ المَرَّاتِ وجَاءَ مُبكِّراً نَدَمَ على ذلكَ واعتبرَه وقْتاً

ضَائِعَاً حيثُ لَمْ يشغلْه بأمورِ الدُّنيا.

وإذَا أردتُم مِصداقَ ذلكَ فانظرُوا فراغَ المَساجدِ فيمَا بينَ الأذانِ والإقامةِ في الأوقاتِ الخمسةِ، ومَن تفوتُهم الصلاةُ أو بعضُها بصفةٍ مُستمرةٍ، وانظرُوا تَأَخُّرَهُم في الحضورِ لصلاةِ الجُمعةِ التي يُشْرَعُ التبكيرُ لَهَا.

فاتقُوا الله أَيّها الآباءُ وحَاسِبُوا أنفسَكم واعلمُوا أنَّكُم محَلّ القُدوةِ وأنَّ سُوقَ التجارةِ الرابحةِ هُو بِذِكْرِ اللهِ في المَسَاجِدِ والصلواتِ، وتِلاوةِ السُّورِ والآياتِ، والإحسانِ والبِرّ والصدقاتِ.

قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فَاطِر: ٢٩، ٣٠].

بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ، أَمَرَنَا بالاقتداءِ بأهلِ الخيرِ والرشادِ، ونَهَانَا عَن الاقتداءِ بأهلِ الشَّرِّ والفسادِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، شَهادةً تنفعُ قَائلَها يومَ المعادِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه مِن سَائرِ العِبادِ، صَلَّى الله عليه وسَلّم وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن اهتدَى بِهُدَاه.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واعلمُوا أنَّ العُلماءَ والمُعلمينَ والدُّعَاةَ والآمِرِينَ بالمعروفِ والنَّاهِينَ عَنِ المُنكَرِ هُم في طَليعةِ مَن يُقتدَى بهم، فإنْ كَانُوا صَالحِينَ ومُستقيمينَ فَهُمْ قَدوةٌ صَالحةٌ، وهُم مِن أَعْظَمِ الناسِ أَجْراً، قَالَ الله تعَالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فُصّلت: ٣٣] وإنْ كَانُوا غَيرَ مُستقيمينَ وغَيرَ عَامِلينَ بِعِلْمِهِم ومَا يدْعُونَ الناسَ إليه فَهُم قُدوةٌ سَيئةٌ وهُم مِنْ أَشَدِّ الناسِ عَذَاباً. قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٤٤] وقَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصَّف: ٢، ٣]. فَاقْتَدُوا رَحِمَكُم اللهُ بِالعلماءِ العَاملينَ والدُّعَاةِ المُخلصينَ، واختارُوا لأولادِكم المُعلمينَ الصَّالحينَ، واحذرُوا مِن عُلماءِ الضلالِ ودُعاةِ الفسادِ والانحلالِ، والمُعلمينَ والمُنحرفينَ في عقائدِهم وأخلاقِهم، فإنَّ هَؤلاءِ أخطرُ على الأمةِ مِنَ الأسلحةِ الفتّاكةِ والأمراضِ الوبائيةِ، ومِنْ أشدِّ مَا يتأثرُ به الأطفالُ والنساءُ وضِعافُ الإيمانِ مَا يشاهدُونَه علَى شَاشَة التلفازِ أوِ الفديُو مِنَ الأفلام الخَليعةِ والمُسلسلاتِ الإجراميةِ التي تَعْرِضُ الفُحْشَ في الأعراضِ، وتَدْرُسُ طُرُقَ السرقةِ واللصوصيةِ، وتُغْرِي باستماعِ المَعَازفِ والأغاني المَاجنةِ.

فأبعدُوا عن أولادِكم ونسائِكم هذِه الوسائلَ الخَبيثةَ لتسلمَ لَهم فِطرتُهم وتستطيعُوا تربيتَهم.

عِبادَ اللهِ: ومِن أَهَمِّ أنواعِ القُدوةِ: الجُلساءُ والقُرناءُ والأَصحابُ، فإنْ كَانَ هَؤلاءِ طَيبينَ في عقيدتِهم وأخلاقِهم صَاروا قُدوةً صَالحةً لِمَنْ جَالسَهُم وصَاحَبَهُم وأثّروا فِيه صَلاحاً واستقامةً، وإنْ كَانُوا فَاسدينَ في أخلاقِهم ومُنحرفِين في عقيدتِهم صَاروا قُدوةً سَيئةً لِمنْ جَالَسَهُم وصَاحَبَهُم، وقَد شَبّه ﷺ الجليسَ الصالحَ بِحَامِلِ المِسْكِ الذي يَكتسبُ مِنه مُجالسُه خَيراً، إمَّا بِحصولِه علَى شيءٍ مِنَ المِسْكِ أو بتمتعِه برائحته الطيبةِ وقتَ جُلوسِه مَعه، وشبّه الجليسَ السيءَ، بنافخِ الكِيرِ الذي إذا جلستَ عِندَه نَالَكَ مِنه مَضرّةٌ إمَّا بإحراقِ ثيابِك أو

تأذِّيكَ برائحةٍ كَريهةٍ وقتَ جُلوسكَ عِندَه.

فاتقُوا اللهَ وانظرَوا مَن تُجالسُون وتُصاحبونَ ومَن يُجالسُ ويُصاحبُ أولادُكم، فإنَّ المرءَ على دِينِ خَليلِه وسَيندمُ مَن صَاحَبَ الفُجَّارَ والأشرارَ، وتَرَكَ مُصاحبةَ الأخيارِ.

قَالَ تعَالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفُرقان: ٢٧ـ٢٩].

أيُّهَا المُسلمونَ: لقدْ أَخبَرَ النبيُّ ﷺ بِحصولِ الأجرِ العظيمِ لِمَنْ كَانَ قُدوةً في الخيرِ لأنه سَنّ في الإسلامِ سُنّة حسَنةً، وأخبرَ بِحصولِ الإثمِ العظيمِ لِمَنْ كَانَ قُدوةً في الشرّ، لأنَّه سَنَّ في الإسلامِ سُنّة سيئةً، فقد رَوى مُسلمٌ في صَحيحهِ مِن حديثِ جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن سَنّ في الإسلامِ سُنّة حسَنةً فَلَهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِنْ بعدِه مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهم شَيءٌ، ومَن سَنّ في الإسلامِ سُنّةً سَيئةً كَانَ عَليه وزرُها ووزرُ مَن عَمِلَ بِها مِن بَعدِهِ مِن غَيْرِ أنْ يَنقصَ مِنْ أوزارِهم شَيءٌ»...

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وكُونُوا قُدوةً لغيرِكُم في الخيرِ ولا تَكونُوا قُدوةً في الشرِّ...

واعلمُوا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ... إلخ.

* * *

في النَّهي عَنِ التَّشَبُّه بالكُفَّار

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، أتمَّ عَلينا النعمةَ وأكملَ لنَا الدِّينَ، ونَهَانَا عَنِ التشبّهِ بالكفّارِ والمُشركينَ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه مُخلصَاً له الدينَ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عَبدُه ورسولُه بَعَثَه رحمةً للعَالمينَ، وأَمَرَهُ بجهادِ الكفّارِ والمُنافقينِ، صَلَّى الله عَليه وعلى آلِه وأصحابِه والتابعينَ لَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وسَلّم تسليماً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واشكُروا نِعمتَه عَليكم إذْ هَدَاكُم للإسلامِ، وخصّكُم بمحمدٍ نَبيِّ الرحمةِ عَليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وجَعَلَكُمْ إنْ تَمسكتُم بَهذَا الدينِ، واتبعتُم هذَا الرسولَ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرجتْ للناسِ، يَحتاجُ الناسُ إليكُم لبيانِ العِلْمِ والهُدَى ولا تَحتاجونَ إليْهم.

لأنَّ دِينكُم غَنيٌّ بالعقيدةِ الصحيحةِ، والشريعةِ العَادلةِ، والأخلاقِ الفَاضلةِ، والقُدوةِ الحَسَنَةِ، مُتضمنٌ لهدايةِ البشريةِ كُلِّهَا إلى طريقِ الرشادِ وحُصولِ السعادةِ العَاجلةِ، والآجلةِ في الدُّنيا والآخرةِ، فهُو دِينٌ عَالميٌّ صَالحٌ لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، ولِكُلِّ فَرْدٍ، ولِكُلِّ أُمَّةٍ وجِيلٍ، قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسرَاء: ٩] وقَالَ تعَالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفُرقان: ١] وقَالَ تعَالى لِنبيّه ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧].

لَمَّا تَمسَّكَ المُسلمونَ الأوائلُ بهذَا الدينِ سَادُوا العَالَمَ، وفَتَحُوا البلادَ شَرقاً

وغَرباً ومَلَؤُوهَا بالعِلْمِ والحِكمةِ والعَدْلِ، وصَارُوا أئمةً يُقتدَى بِهم، أَعِزَّةً يَخافُهم عَدوُّهُم، أغنياءَ عَمَّا سِوَى الله، يجودُونَ بالخيرِ علَى البشريةِ ومَا ذَاكَ إلاَّ لأنَّ هَذَا الدِّينَ تَنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ، يعلمُ مَا يُصْلِحُ عِبادَهُ ومَا يَضرّهُم: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [المُلك: ١٤]، ولِكَوْنِ هَذَا الدِّينِ غَنيٌّ بتعاليمِه السَّامِيَةِ، حَكيمٌ في تَشريعاتِه العَادلةِ فقد أَمَرَنَا اللهُ بالتمسكِ بِه والعملِ بأحكامِه والاقتداءِ بِرسولِه، ونَهَانَا عَن طَلَبِ الهُدَى مِن غَيرِه واستيرادِ النُّظُمِ والقَوانين المُخالفةِ لأحكامِه، وعن تقليدِ الأُمَمِ الكافرةِ في دياناتِها وعاداتِها؛ لأنَّ هذَا يَعني التبعيةَ لغيرِنا، والتشبهَ بأعداءِ اللهِ وأعدائِنا مِنَ الكُفَّارِ والمُنافقينَ، قَالَ تعَالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣] وقَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هُود: ١١٣]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحَشر: ١٩].

إنَّ المسلمَ يجبُ عَلَيه أنْ يعتزَّ بدِينِه وأنْ يرفعَ به رأسَه أينَما كانَ لا تأخذُه في اللهِ لومةَ لائمٍ، قَال تعَالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٩]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنَافِقون: ٨].

لايجوزُ للمُسلمِ أنْ يَنظرَ إلى الكفارِ نظرةَ احترامٍ وإكبارٍ وإعظامٍ؛ لأنَّ الله قَد أهانَهم بالكفرِ ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ ﴾ [الحَجّ: ١٨].

ولايجوزُ للمسلمِ أنْ ينظرَ إلى مَا بأيدي الكفارِ مِنْ مَتاعِ الدُّنيا نَظرةَ إعجابٍ، وَلَكِنْ يَعتبرُ ذَلكَ استدرَاجاً لَهُم وفتنةً ومَتاعاً إلى حِينٍ. كَمَا قَالَ اللهُ لَهم: ﴿ قُلْ

تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٠]. وقَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١]. بَل المُسلمُ يعتبرُ مَا بأيدي الكفّارِ عَذاباً لَهم في الدنيا يَشْقَونَ في تَحصيلِه وجَمْعِه، ويهتمُّونَ بِحِفْظِهِ ومَنْعِهِ، ثُمَّ يُؤخَذُون منه وهُم على الكُفرِ دُونَ أنْ يَستفيدُوا مِنه لآخرتِهم، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة: ٨٥].

والمؤمنُ سَعيدٌ بإيمانِه، وإنْ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنيا شَيئاً فهُو زِيادةُ خَيرٍ وعَوْنٍ علَى الطاعةِ، وإنْ لمْ يُعْطَ مِنها فمَا عِندَ اللهِ خَيرٌ لَه وأبقَى، والمؤمنُ سَعيدٌ في الدُّنيا والآخرةِ، سَعيدٌ في الدُّنيا لأنَّه استفادَ مِن حَياتِه فِيها بالأعمالِ الصالحةِ، وسَعيدٌ بالآخرةِ لأنَّه فَازَ بالجَنَّةِ البَاقيةِ خَالداً فِيها، والكافرُ شَقِيٌّ في الدُّنيا والآخرةِ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحَجّ: ١١].

فهُو شَقِيٌّ في الدُّنيا لأنَّه لَمْ يَستفدْ مِنها إلاَّ إبعادَ نفْسه عَن اللهِ وعَن جنتِه، وشَقِيٌّ فِي الآخرةِ لأنَّ مَأْواهُ النارُ خَالداً فيها وبئسَ المَصير. إذاً كيفَ يَليقُ بالمؤمنينَ الذينَ أعزَّهُمُ اللهُ بهذَا الإسلامِ. وَرَفَعَهُم بِه فَوقَ الأنام، أنْ يُقلدُوا الكفارَ ويتشبهُوا بِهم؟ كيفَ يتشبَّهُ العَالي بالسَّافِلِ؟ كيفَ يتشبَّه الصَّاعِدُ بالنازِلِ؟ إنَّ التشبّهَ يقتضِي أنَّ المُتشبَّهَ بِه أكملُ مِنَ المُتشبِّه، ولهَذا حَذّرنَا اللهُ ورسولُه مِنَ التشبّهِ بالكفّارِ في عباداتِهم وفي عَاداتِهم وتقاليدِهم، رَوى الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ وغيرُهما عَن عبدِ اللهِ بنِ عُمر رضي الله عنهُما، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن تشبّه بقومٍ فهُو مِنهم»[1]. وفي جامعِ الترمذيِّ عَن عبدِ الله بنِ عُمرَ رضي الله

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١).

عَنهَما أنَّ رَسولَ ﷺ قَالَ: «ليسَ منّا مَن تشبّه بغيرنا، لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى»[١].

وذلكَ لأنَّ التشبّهَ بالكفّارِ يَجُرّ إلى مَفَاسِدَ عظيمةٍ وعَواقبَ وخِيمةٍ. مِنها أنَّ التشبّهَ بِهم يَدُلُّ علَى تعظيمِهم؛ لأنَّ المتشبِّه بغيرِه يرَى أنَّه أكملُ مِنه وإلاَّ لَمَا تَشبّه بِه، وهذَا مِنَ المُسْلِمِ شُعورٌ بالنقصِ وضَعْفٌ في الشخصيةِ، وهُو يَجُرُّ إلَى الخضوعِ للكافرِ وتعظيمِه وهذَا أمرٌ خَطيرٌ.

ومِنها أنَّ تَشبّه المُسلمِ بالكافرِ هُبوطٌ وسُفولٌ، لأَنَّ المُسلمَ أعلَى مِنَ الكَافِرِ، فإذَا قَلّدهُ هَبَطَ مِنْ عَلْيَائِه ومَنزلتِه، واستبدَلَ الذِي هُو أدنَى بالذي هُو خَير، وهذَا كُفرانٌ للنِّعمةِ، وإهانةٌ للإسلامِ (والإسلامُ يعلُو ولا يُعلَى عَليه).

ومِنها أنَّ تَشبُّه المسلمِ بالكافرِ يجرُّه إلى مُوافقتِه في أخلاقِه السيئةِ وأعمالِه الخبيثةِ، ومِنها أنَّ تَشبُّه المسلمِ بالكافرِ يبعثُ علَى مَحبتِه لَه ومُوالاتِه لَه. وقد قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المَائدة: ٥١].

ومِنها أنَّ تَشبُّه المُسلمِ بالكافرِ يزيلُ الفَارقَ بينَه وبينَه، واللهُ تعَالى قَد فَرّقَ بينَ المؤمنينَ والكفّارِ في الأحكامِ والأجسامِ في الدُّنيا والآخرةِ ولَو كَانُوا مِنْ أَقْرَبِ القَرَابَةِ، وأَمَرَ المُؤمنينَ بالهجرةِ مِنْ بلادِ الكفّارِ، وحرّم السفرَ إلى بلادِهم بلا حَاجَةٍ مُعتبرةٍ، وفِي التشبُّه بِهم مَدعاةٌ لمُخالطتِهم والسُّكْنَى مَعهم والسفرِ إليهم، ومُرافقتِهم وغيرِ ذَلكَ، وقَد جَرّ التشبّهَ بالكفّارِ في عصرِنا إلى شُرورٍ كثيرةٍ وأمورٍ خَطيرةٍ مِنها:

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٦٩٦).

التشبّه بِهم في تعظيمِ القبورِ والغُلوّ في الصَّالحينَ وبناءِ المَسَاجِدِ علَى قبورِهم مِمَّا هُو وسيلةٌ إلى الشركِ الأكبرِ. ففي الصَّحيحينِ عَن عَائشةَ رضي الله عَنْهَا قَالَت: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ في مَرَضِهِ الذي لَمْ يَقُمْ مِنه: **«لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنصارَى اتخذُوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجدَ»**، قَالَتْ: فَلَولاَ ذَلكَ أبرزَ قَبْرُهُ غَير أنَّه خَشي أنْ يتخذَ مَسجدًا[1].

ولاَ يَخْفَى اليَومَ مَا وَقَعَ مِنَ الشركِ الأكبرِ في هذِ الأُمَّةِ بِسببِ مُشابهةِ اليهودِ والنَّصارَى في تعظيمِ القبورِ حتَّى عُبدتْ مِن دُونِ اللهِ عزّ وجلّ في بلادِ الإسلامِ ومِن ذلكَ بناءُ المساجدِ على آثارِ الأنبياءِ كالمكانِ الذي جَلَسَ فيه نبيٌّ أو صَلَّى فِيه أو رُؤي في المنامِ أنَّه يُصلي فِيه ومَا أشبهَ ذلكَ.

ومِنها: استيرادُ النُّظُمِ والقَوانين الكُفريةِ والمَبادىءِ الهَدَّامَةِ مِن رأسماليةٍ وشُيوعيةٍ وغيرِ ذَلكَ مِن أَنظمةِ الحُكمِ والاقتصادِ وغيرِها حتَّى حُكِمَ بغيرِ مَا أَنزلَ اللهُ واستبيحَ الرِّبَا وعُطلتِ الحدودُ الشرعيةُ في كثيرٍ مِن بلادِ المُسلمينَ تَشبهاً بالكفّارِ وجَرْياً ورَاءَهُم.

ومِنها: إحداثُ أعيادٍ بِدعيةٍ ليستْ مِنْ أعيادِ المُسلمينَ، كأعيادِ المَوالِد للأنبياءِ أو العلماءِ أو للملوكِ أو الأعيادِ الوطنيةِ أو القوميةِ، والاحتفالِ بالذكرياتِ كذكرَى المِعراجِ والهجرةِ وغيرِهَا تَقليدَاً للكفّارِ الذين يُحيونَ ذِكريات لعُظمائِهم وأحداثِهم التاريخيةِ، نَظراً لفراغِهم وإفلاسِهم مِنَ الدِّينِ الصَّحيحِ الذي يستغلُّون بِه وقتَهم، والمسلمونَ في غِنىً عَن هذَا لأنَّ الله قَد مَنَّ عَليهم بدينٍ يستثمرُ أوقاتهم بالخيرِ.

---

(١) رواه البخاريُّ (١٣٣٠)، ومسلمٌ (٥٢٩)، وغيرهما.

ومِنَ التشبّه بالكفّارِ إحداثُ الأسابيعِ المُخصصةِ لبعضِ الأعمالِ، كأسبوعِ الشجرةِ وأسبوعِ النظافةِ، وأسبوعِ المساجدِ وأسبوعِ وأسبوعِ . . إلخ والمُسلمونَ ليسُوا بحاجةٍ إلى هذِه الأسابيعِ، لأنَّ الإسلامَ يَحثُّ علَى الأعمالِ النافعةِ بدونِ تَحديدٍ بأسابيعَ، فهُو يَحُثُّ على الزراعةِ وغَرْسِ الأشجارِ المُفيدةِ في مَواقِعها وأوقاتِها المُناسبةِ بدُونِ أنْ تُخصَّصَ لذلكَ أسَابيع رسميةٌ تُجَنَّدُ لهَا الإمكانياتُ وتُبَثُّ لهَا الدعاياتُ، والإسلامُ يأمرُ بالنظافةِ دائمَاً في الأجسامِ والملابسِ والبيوتِ والشوارعِ، ولمْ يُخصّصْ ذَلكَ بأسبوعٍ مُعينٍ مِنَ السَّنَةِ يعتني بالنظافةِ فيه وتُهْمَلُ فِيمَا عَدَاهُ أو تَقِلُّ .

والإسلامُ يأمرُ بالعنايةِ بالمساجدِ دَائمَاً، يأمرُ ببنائِها وتَنظيفِها وتأمينِ مُتطلباتِها وكُلِّ مَا تَحتاجُ إليه ولمْ يَخُص ذلكَ بأسبوعٍ مِنَ السَّنَةِ يُستنفرُ لَه الناسُ وتُعْمَلُ لَه دعاياتٌ عَريضةٌ، ثُمَّ تُتركُ العنايةُ بِها في بقيةِ السَّنَةِ إلى مِثْلِ هذَا الأسبوعِ مِنَ السَّنَةِ القَادمةِ، وهذا العملُ زيادةٌ علَى أنّه تشبّهٌ فِيه ابتداعٌ أيضَاً، لأنَّ تَنظيفَ المساجدِ عبادةٌ، وتَخصيصُ تلكَ العبادةِ بأسبوعٍ لمْ يُخصّصْهُ الشّارعُ يُعتبرُ بدعةً . . .

ومِنَ التشبّهِ بالكفّارِ التَّخَاطُبُ بِلُغَتِهم مِن غَيرِ حَاجةٍ مَاسّةٍ والكتابةُ بلُغتِهم علَى المتَاجِرِ والمَحلاتِ في بلادِ الإسلامِ، أَو خَلْطُ كَلماتٍ مِن لُغتِهم ومُصطلحاتِهم في الكُتُبِ الإسلاميةِ والرسائلِ وغيرِها، واستعمالُ لُغتِهم بَدَلَ اللغةِ العَربيةِ، في المُستشفياتِ والمَطاراتِ التي في بِلادِ المُسلمينَ وفي مَوْطِنِ اللغَةِ العَربيةِ واستعمالُ التاريخِ المِيلاديِّ بَدَلاً مِنَ التاريخِ الهجريِّ، كُلُّ ذَلكَ مِنَ التشبّهِ المُحَرَّمِ .

ومِنَ التشبّهِ بالكفّارِ الإكثارُ مِنَ الأنشطةِ الرياضيةِ التي تأخُذُ كثيراً مِن جُهودِ

الشبابِ وأوقاتِهم بدونِ فَائدةٍ لَهم ولمُجتمعِهم إلى غيرِ ذلكَ مِن أنواعِ التقاليدِ المُستوردةِ.

فيجبُ علَى المُسلمينَ التنبهُ لذلكَ والحذرُ مِنه، وعدمُ التساهلِ في شيءٍ مِنه. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨: ١٩].

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ، علَى فضلِه وإحسانِه، وأشهدُ أن لاَ إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لاَ شَريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمدًا عبدُه ورسولُه، صَلَّى اللهُ عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه وسَلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واعتصِمُوا بِحَبْلِهِ وتمسَّكُوا بدِينه تُفلحُوا وتَسعدُوا ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠١] واعلمُوا أنَّ الأخذَ بالأسبابِ النافعةِ والاستفادة مِمَّا جَدَّ مِنَ المُختَرعَاتِ الحديثةِ مِمَّا سَخَّرَ اللهُ لِعبادِه في هذَا الكونِ الاستفادةَ مِن ذلكَ أمرٌ مَطلوبٌ شَرعاً، وهُو مِن إعدادِ القُوةِ التي أَمَرَ الله بِهَا، فَكُلُّ مَا فِي هذَا الكونِ خَلقَهُ اللهُ لعبادِه المُؤمنينَ وسَخَّرَهُ لَهم وهُو للمؤمنينَ أَصَالَةً والكفَّارُ تَبَعٌ لَهُم، قَال تعَالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

يقولُ اللهُ تعَالى رَدّاً على مَن حَرّم شيئاً مِنَ المَآكِلِ أو المَشَاربِ أو المَلابِسِ مِن تِلْقَاءِ نفْسِه مِن غَيرِ شَرْعٍ مِنَ اللهِ ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾

[الأعرَاف: ٣٢] أي هِي مَخلوقةٌ لِمَنْ آمَنَ باللهِ وعَبَدَهُ في الحياةِ الدُّنيا، وإنْ شَارَكَهُم فِيها الكفّارُ في الدُّنيا فَهِي لَهُم خَاصةً يومَ القيامةِ لا يُشاركُهم فِيها أحدٌ مِنَ الكفّارِ، فإنَّ الجَنَّةَ مُحرّمةٌ علَى الكَافرِين . . .

لَكِنْ لَمَّا تكَاسَلَ المُؤمنونَ انْعَكَسَ الأمرُ وصارَ الكفّارُ هُم الذينَ يَستخرجُون هذِه الأشياءَ ويبيعونَها للمُسلمينَ ويمتنّونَ بِها علَيهم ويستعبدُونَهم مِن أَجْلِهَا. إنَّه يَجِبُ علَى المُسلمينَ أنْ يَستعِيدُوا مَركزَهم ويُعِدُّوا العُدَّة لعَدُوِّهِم، فَيُنشئُوا المَصانعَ ويستفيدُوا مِن خِبراتِ الآخرينَ ويستغلُّوا مَا في الأرضِ مِنْ خَيراتٍ لصَالحِ الإسلامِ والمُسلمينَ، وليسَ هذَا تقليداً للكفّارِ وإنَّمَا هُو عَمَلٌ بِمَا تأمرُ به شريعتُنا، ولكنْ مَعَ الأسفِ المُسلمونَ اليومَ يستهلكُون ولا يُنتجُونَ، صَاروا عَالةً علَى غَيرِهم، وصَارُوا يقلّدونَ الكفارَ لاَ في الإنتاجِ والتصنيعِ، وإنَّمَا في القشورِ والتوافِه يستوردُون الأفكارَ السَّخِيفَة والعَادِاتِ السيئةَ التي تزيدُهم ضَعْفاً إلى ضَعْفِهِم.

إنَّ الإسلامَ لاَ يمنعُنا مِن استيرادِ الخِبراتِ النافعةِ وشِراءِ الأسلحةِ والمُنتجَاتِ المُفيدةِ، وإنْ كانَ الأولىَ والواجبَ عَلينَا أنْ نُنتجَ ولا نَستوردَ، ولَكِنَّ الإسلامَ إنَّمَا يُحرّمُ عَلينا استيرادَ العاداتِ والتقاليدِ الفاسدةِ ويُحرّمُ علَينا التشبّهَ بالكفّارِ في عاداتِهم وعباداتِهم ومَا هوُ مِن خَصائصِهم، ويُوجبُ علَينا أنْ نعتزَّ بدينِنا ونستقلَّ بشخصيتِنا الإسلاميةِ، لأنَّنَا حَمَلَةُ دَعوةٍ، ومَحِلُّ قُدْوةٍ، وأصحابُ عَقيدةٍ وعلَينا مَسؤوليةٌ. فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ . . . واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

* * *

في الابتلاءِ والامتحانِ واختلافِ مَواقفِ النَّاسِ مِنهُما بمناسبةِ الامتحانِ المَدرسيِّ

الحمدُ للهِ ذي الفضلِ والإحسانِ، خَلَقَ هذَا الإنسانَ، وجَعَلَه عُرضةً للابتلاءِ والامتحانِ، فمَن أحسنَ فهل جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسَانُ، ومَن أساءَ فجزاءُ سَيئةٍ بِمِثْلِهَا أو يغفرُ اللهُ لِمَنْ يشاءُ مِن أهلِ الإيمانِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لهَ، يحكمُ لا معقّبَ لحُكمِه وهو سريعُ الحسابِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، بعثَه شَاهِداً ومُبشِّراً ونَذِيرَاً، ودَاعِياً إليه بإذنِه وسِراجَاً مُنيراً، وأنزلَ عليه الحكمةَ والكتابَ، صلَّى الله علَيه وعلى آلِه وأصحابِه الذينَ آمنُوا بِه وعزَّرُوه، ونصَرُوه واتبعُوا النورَ الذي أُنزلَ معَه، وسلّم تسليمَاً، كَثيراً.

أمَّا بعدُ.

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى، واعلمُوا أنَّكُم في دَارِ ابتلاءٍ وامتحانٍ، تُبتلُونَ بالسرّاءِ والضرّاءِ وبالشدةِ والرخاءِ، وبالصحةِ والمرضِ، والغنَى والفقرِ، وبالشهواتِ والشبهاتِ، وبالأخيارِ والأشرارِ، فمَا مَواقفُكم مِن هذِه الأحوالِ؟ إنَّ العاقلَ البصيرَ يحسبُ حِسَابَه لِكُلِّ حَالَةٍ وينظرُ مَا يخرجُ بِه مِنها مِن نَجَاحٍ أو فَشَلٍ، فكُلُّ حَالةٍ تَمرّ على الإنسانِ هُو فِيها مُمْتَحَنٌ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبيَاء: ٣٥] أي نختبرُكُم بالمصائِب تَارةً وبالنِّعَمِ أُخرى. فننظَر مَن يشكرُ ومَن يكفرُ، ومَن يصبرُ ومَن يقنطُ، قَالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهُما ﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾ [الأنبيَاء: ٣٥] أي نبتليكُم ﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾ [الأنبيَاء: ٣٥] أي بالشدةِ والرخاءِ، والصحةِ والسقمِ، والغنَى والفقرِ، والحلالِ والحرامِ، والطاعةِ والمعصيةِ والهُدى والضلالِ، ثُمَّ قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[الأنبيَاء: ٣٥] أي فنجازيكُم على مَواقِفكُم مِن هذِه الأحوالِ، فمَن وَقَفَ مِنها مَوقفَ المُؤمنِ واتقَى اللهَ فِي كُلِّ حَالةٍ نَالَ المَثوبةَ، ومَن أساءَ نَالَ العُقوبةَ، وبهذَا تَتبينُ وتتضحُ حِكمةُ اللهِ في خَلْقِهِ وأَمرِه، فهُو سُبحانَه خَلَقَ هذِه المُتضاداتِ وجَعَلَهَا تَمُرُّ علَى الإنسانِ ليمتحنَه بِها هلْ يَصبرُ ويَشْكُرُ أو يجزعُ ويَكفرُ ويتكبرُ ويبطرُ، خَلَقَ الجوعَ والمرضَ والفقرَ والخوفَ والمصائبَ، وخَلَقَ الأشرارَ والفجّارَ والمنافقينَ والكفارَ وخَلَقَ الشياطينَ والمُفسدينَ، وخَلَقَ الغنَى والصحةَ والأمنَ والنِّعمَ والسرورَ والفرحَ، وخَلَقَ الأخيارَ والأبرارَ والملائكةَ والأنبياءَ والمُرسلينَ والأولياءَ والمُتقينَ، وأَمَرَ بالبرِّ والتقوَى والعدلِ والإحسانِ، ونَهى عن الفحشاءِ والمُنْكرِ والبغْيِ والطغيانِ، وعن الكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ، وأعطَى الإنسانَ عَقلاً وإرادةً ومَشيئةً وقُدرةً واختيارًا ليتمكنَ مِن فِعْلِ الخَيرِ بإرادتِه وفِعْلِ الشرِّ بإرادتِه كذلكَ بعدَما بيّن لَه السبيلَ وأقامَ لَه الدليلَ. ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسَان: ٢ـ٦].

إنَّ الإنسانَ تجاهَ الابتلاءِ بهذِه المَكارِه والمُشتهياتِ، وأمامَ دَعاةِ الخيرِ ودُعاةِ الشرِّ، وأمامَ نَوازِعِه ومُيولِه النفسيةِ لابدّ أن يكونَ لَه مَوقفٌ وانحيازٌ، إمَّا إلى الخيرِ وإمَّا إلى الشرِّ. وسيكونُ جَزاؤُه عندَ اللهِ علَى حَسْبِ ذَلكَ الانحيازِ قَالَ تعَالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليْل: ٤ـ١٠].

إنَّ اللهَ يبتلِي الإنسانَ بالمَالِ، ليتجلَّى مَوقفُه مِنه، هَل يشكرُ النعمةَ أو

يكفرُها؟ هَل يؤدِّي حَقَّ المَالِ أو يبخلُ بِه؟ هَل يقتصرُ علَى الكَسْبِ الحلالِ؟ أو يتجاوزُ إلى الحرام؟

ويبتَلي بعضُ الناسِ بالأولادِ ليتجلَّى مَوقفُه مِنهم، هَل يربونَهم التربيةَ الحسنةَ ويأمرونَهم بطاعةِ اللهِ وينهونَهم عن مَعصيتِه، ويُراقبونَ تَحركاتِهم وتَصرفاتِهم؟ وهل يُقَدِّمُونَ مَحبةَ هَؤلاءِ الأولادِ علَى مَحبةِ اللهِ ورسولِه، إذَا تعارضَت المَحبتَانِ أو بالعكسِ؟ قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (١٥) ﴾ [التّغابُن: ١٤، ١٥]...

ومِن فِتنةِ الأموالِ، والأولادِ أَنَّهَا قَد تَشْغَلُ عَن ذِكْرِ اللهِ وقَد حَذَّرَ اللهُ مِن ذلكَ وأخبرَ أنَّ مَن اشتغلَ بمالِه عن ذِكْرِ اللهِ فهُو الخاسرُ الذي لايربحُ ولا يُفلحُ أبداً. قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٩) ﴾ [المنَافِقون: ٩].

وأَخبرَ سُبحانَه أنَّه قد يُعطي المَالَ والولدَ عُقوبةً واسْتدرَاجاً للعبدِ. قَالَ تعَالى فِي المُنافقينَ: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ (٥٥) ﴾ [التوبَة: ٥٥].

وقَالَ فِي الكُفَّارِ: ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ (٥٦) ﴾ [المؤمنون: ٥٤ـ٥٦].

نَعم إنَّ مِنَ الناسِ ـ وخَاصَّةً في هذَا الزمانِ ـ مَن إذَا زَادَ مَالُه زَادَ إعراضُه عَنِ اللهِ فَأَضَاعَ الصلاةَ واتبعَ الشَّهواتِ، ومَنَعَ الزكاةَ، ومَلأَ بيتَه بالمَلاهِي والأغَانِي والمَزاميرِ والأفلامِ الخَليعةِ، وجَلَبَ الكفّارَ إلى بلادِ المُسلمينَ ليستخدمَهم في

أَعْمَالِه، وتنميةِ مَالِه، دُونَ النظرِ إلى دِيانتِهم الباطلةِ وعقائدِهم الكُفريةِ، وقَد يخلطُهم مَع نسائِه وأولادِه خَادمِينَ وسَائقينَ دُونَ نَظَرٍ إلى مَا يترتبُ علَى ذلكَ مِنَ العَواقبِ الوَخيمةِ وانتهاكِ المَحارمِ وفَسَادِ الأعراضَ، فكَم نَتجَ عَن هذَا مِن حوادثَ وَخِيمةٍ وعَواقبَ أليمةٍ، حَاولُوا سَتْرَهَا فَلَمْ يَستطيعُوا، وأعظمُ مِن ذلكَ أنْ بعضَ هَؤلاءِ يَجلبونَ نساءً أجنبياتٍ وفَتياتٍ جَميلاتٍ سَافِراتٍ ليسَ مَعَهنَّ مَحارمٌ ويُدخلونهنَّ في بيوتِهم كأنهنَّ مِن بناتِهم وزوجاتِهم ينظرونَ إليهنَّ ويخلُو أحدُهم بِهنَّ مِن غيرِ حَياءٍ ولا خَجَلٍ، وقَد حرّم اللهُ علَى الرجالِ أنْ ينظرُوا أو يدخلُوا أو يخلُوا بالنساءِ اللاتِي لَسْنَ مِنْ مَحارمِهم، وكُلُّ هذِه المُحرماتِ يرتكبُها هَؤلاءِ مَع خَادماتِهم، وكُلُّ ذَلكَ فتنةُ الغِنَى والترفِ.

ومِنَ الآباءِ مَن ضَيَّعَ أولادَه فَلَمْ يُربِّهم التربيةَ النافعةَ في دِينهم وأخلاقِهم، وإنَّمَا يُربيهِم التربيةَ البدنيةَ البهيميةَ فقَط فيوفرُ لَهم الطعامَ اللذيذَ والمَلابسَ الفاخرةَ والسياراتِ الفارهةَ ويملأُ جُيوبَهم بالدراهمِ ويتركُهم وشَأْنَهم مَع قرناءِ السوءِ ومَجالسِ اللهو والتجوالِ في الشوارعِ ورُبَّمَا يسمحُ لهُم بالسفرِ إلى الخارجِ ليستكملُوا مَا لَمْ يَحصلُوا علَيه في بِلادهِم مِن شَهواتِهم المُحرّمةِ. قد يقولُ بعضُ هَؤلاءِ الآباءِ: أنَا لاَ أَقْدِرُ ولاَ استطيعُ السيطرةَ علَى تَصرفاتِ أولادِي، فنقولُ لَه: نَعَمْ لَمَّا ضَيعتَهم في أوَّلِ الأمرِ، وأَهملتَ تربيتَهم مِنَ الصِّغَرِ صَعُبَ عليكَ بعدَ ذلكَ تعديلَ سلوكِهم وتمردُوا عليكَ، لقد أَمَرَكَ النبيُّ ﷺ أنْ تَبدأَ معَهم التربيةَ في وقتٍ تَستطيعُ فِيه فقَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: **«مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ لسَبْعٍ واضربُوهم علَيها لعشرٍ، وفرِّقُوا بينَهم في المضاجعِ»**[1].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥).

فلَو نَفَّذت فِيهم أمْرَ الرسولِ ﷺ في وقتِه أعَانَكَ اللهُ وسَهَّلَ قِيادَهُم، ولكنْ ضَيَّعْتَهُم فَضَاعُوا، فاجْنِ الآنَ ثَمراتِ تَضييعِكَ وسُوءِ صَنيعِكَ.

فاتقُوا اللهَ أيُّهَا الآباءُ في أولادِكم وأحسنُوا تربيتَهم ليكونُوا لكُم قُرَّةَ أعينٍ في حَياتِكم وخَلَفاً صَالحاً بعدَ وفاتِكُم، ولا تُهملُوهُم فيكونُوا عَذاباً لكُم في حَياتِكم وخَلَفاً سَيئاً بعد وفَاتِكم.

هذَا، وإنَّ مِنَ الآباءِ مَن يكونُ قُدوةً سَيئةً لأولادِه ويكونُ سَبباً في إفسادِهم، لأنَّه يتعاطَى أمَامَهم المُسكِرَاتِ والمُخدِّرَاتِ، ويتكاسلُ عن الصلاةِ. ويَملأُ بيتَه بالمنكراتِ وآلاتِ اللهوِ كالفِديو بأفلامِه الخَليعةِ ومُسلسلاتِ التمثيلياتِ التي دَسَّهَا الكفّارُ علَى المُسلمينَ لإفسادِ عقائدِهم وأخلاقِهم، وأشرطةِ الأغَاني المَاجنةِ التي تدعُو إلى العِشْقِ والغَرامِ وتَصِفُ الخُدودَ والنُّهُودَ وكُلَّ مَا يُغْرِي بالفحشِ والإجرامِ.

فمَاذا تَتصورونَ مِن تأثيرِ هذَ الوالدِ الخَائنِ لأمَانتِه علَى سُلوكِ أولادِه؟ إنَّ مِثْلَ هذَا الوالدِ يجبُ إنْ يُودعَ في دُور الرعايةِ أو مُستشفَى المَجانينِ حتَّى يعتدلَ سُلوكُه، أو يَسْلَمَ الأطفالُ الأبرياءُ مِنْ شَرِّه. نسألُ اللهَ العَافيةَ والسلامةَ.

ومِنَ الابتلاءِ والامتحانِ ابتلاءُ المُسلمينَ بالكفّارِ والمُنافقينَ، ليقومَ المسلمونَ بجهادِ هَؤلاءِ باللسانِ والسلاحِ حتَّى يَكفُّوا شَرَّهُم ويَردُّوا عُدوانَهم، ويزيلُوا كُفرَهم وطُغيانَهم، قَالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبَة: ٧٣]، قَالَ تعَالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [مُحمَّد: ٤]. وقَالَ تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ

بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفُرقان: ٢٠].

فالرسولُ فِتنةٌ للمُرْسَلَ إليهم، واختبارٌ للمُطيعينَ مِنَ العَاصِينَ، والرُّسُلُ فتناهم بدعوةِ الخَلْقِ هَل يَصبرُون علَى ذلكَ أَوْ لاَ؟ والغَنيُّ فِتنةٌ للفقيرِ حِينَما يَراه في غنىً وهُو في فَقْرٍ هَل يرضَى بقضاءِ اللهِ أو يتسخطُ؟ والفقيرُ فِتنةٌ للغنيِّ حِينَما يَراهُ في فقرِه وحاجتِه وهُو قَد أغنَاه اللهُ هَلْ يشكرُ اللهَ حيثُ فضّلَه علَيه ويعطفُ علَيه أَوْلاَ؟. والعَاصِي فِتنةٌ للمُستقيمِ علَى الطَّاعةِ هَل يُنْكِرُ علَيه ويأمرُه بالمعروفِ وينهَاه عن المعصيةِ أو يتركُه علَى حالِه؟ وهكَذا سَائرُ أصنافِ الخَلْقِ في هذِه الدارِ، دَارِ الفتنِ والابتلاءِ والاختبارِ، والحِكمةُ في ذلكَ كُلِّهِ بيّنَها سُبحانَه بقولِه: ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفُرقان: ٢٠] بأنْ يَقومَ كلٌّ مِنكُم تجاهَ هذِه الفتنةِ بمَا يجبُ علَيه مِنَ العملِ بمَا يخلّصُه مِنها فتستحقّونَ المَثوبةَ، أمْ لا تَصبرونَ فتسقطُون في هذَا الامتحانِ فتستحقّونَ العُقوبةَ؟.

ثُمّ قَالَ تعَالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢٠] يَرَى ويَعلمُ أَحوالَكم ومَا يصدرُ مِنكُم ويَرَى مَواقِفَكُم مِن هذِه الفتنِ فَيُجَازِي كُلاًّ بِمَا يستحقُّ. والمصائبُ التِي يُجْرِيهَا اللهُ علَى العبادِ فِتنةٌ وابتلاءٌ ليتميزَ الصابرَ مِنَ الجَزُوعِ. قَالَ تعَالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البَقَرة: ١٥٥ـ١٥٧].

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مِنْ عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ تعَالى إذَا أَحَبَّ قَوماً ابتلاَهُم، فمَن رَضي فلَه الرضَا ومَن سَخط فلَه السُّخطُ» حسّنه الترمذيُّ[1].

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٣٩٨) وغيره.

نسألُ اللهَ عزّ وجلّ العفوَ والعافيةَ والمُعافاةَ الدائمةَ في الدُّنيا والآخرةِ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ـ٣].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلوَكُم أيّكُم أحسنُ عَمَلاً، ولَمْ يتركْ عِبادَه في هذِه الحياةِ الدُّنيا هَمَلاً، بَلْ أنزلَ عَليهِم لأَجْلِ هِدايتِهم كُتُباً وأرسلَ إليهم رُسُلاً، وجَعَلَ مَوعداً لمُجازاتِهم لَن يجدُوا مِن دُونِه مَوئِلاً، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه ﷺ تسليمَاً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ وتذكرُوا، فإنَّ الشيءَ بالشيءِ يُذْكَرُ، وفي هَذِه الأيامِ يستعدُّ الطُّلَّابُ للامتحانِ في دُروسِهم ويحملونَ الهَمَّ الشديدَ ويُتعبونَ أبدانَهم بالسهرِ والمُذاكرةِ، وأذهانَهم بالتفكيرِ وهُم علَى خَوفٍ شَديدٍ مِن سُوءِ النتيجةِ، ويتعبُ معَهم آباؤُهم وأولياؤُهم، يَخافُونَ لخَوفِهم ويَقلقُونَ لقَلَقِهم ورُبَّما يَستأجرُونَ لَهم مَن يُعطِيهم دُروسَاً إضافيةً للتقويةِ، وإذَا أخفقُوا في الامتحانِ حَزِنُوا أشدَّ الحُزْنِ وصَارُوا يلومونهم علَى تَفريطِهم. كُلّ هذَا يتحملونَه مِن أَجْلِ امتحانِ الدُّنيا وهُو لاَ يترتبُ علَيه سَعادةٌ ولا شقاوةٌ ولا نعيمٌ ولا عذابٌ ولا طاعةٌ ولا معصيةٌ، ويَنْسُونَ الامتحانَ الحَقيقيَّ الذي يُجْرَىٰ علَيهم مِنَ اللهِ في كُلِّ يومٍ أو في كُلِّ سَاعَةٍ، وينسُون أنَّهم مُمْتَحَنُونَ في الأوامرِ والنَّواهِي الشرعيةِ وأنَّهم

مُمتحنونَ في أزواجِهم وأولادِهم ومُمتحنونَ في أموالِهم، مُمتحنونَ في سَرَّائِهم وضَرّائِهم، مُمتَحنونَ بأعدائِهم وأصدقائِهم. فهُم دَائمَاً في امتحانٍ لايخرجُونَ مِن نوعٍ إلاَّ ويدخلُون في نوعٍ آخرَ مِنَ الامتحانِ، والنتيجةُ إمَّا سَعادةٌ وإمَّا شَقَاءٌ، إمَّا جَنَّةٌ ورضوانٌ مِنَ اللهِ وإمَّا نَارٌ وغَضَبٌ مِنَ اللهِ. لمَاذا لا يتذكرونَ هذَا الامتحانَ المُستمرَّ ويحسبونَ لَه حِسابَه ويستعدُّونَ لَه مَع امتحانِ الدراسةِ الذي يحملُون لَه هذَا الهَمَّ الشديدَ مَعَ أنَّه يُمكنُ اجتيازُه بالغشِّ والتزييفِ والاحتيالِ، وأمَّا الامتحانُ الربانيُّ فَلاَ يُمْكِنُ اجتيازُه والنجاةُ مِنه إلاَّ بالصدقِ والعَملِ الصَّالحِ. ثُمَّ لِمَاذا أَيُّهَا الآبَاءُ تَهتمونَ بشأنِ أولادِكم عندَ الامتحانِ الدراسيِّ وتَعملونَ كُلَّ مَا يُمكنُكم مِنَ الأسبابِ لنجاحِهم ولا تَهتمونَ بِدِينِهم وتَربيتِهم علَى الخيرِ، وتعملُونَ الوسائلَ التي تُعينُهم علَى ذلكَ. لمّاذا ظَهرتْ عَاطفتُكم الأبويةُ وقُدرتُكم الشخصيةُ علَى مُساعدتِهم في أمورِ الدُّنيا، وتَعاجزتُهم وتكاسلتُم عَن مُساعدتِهم على أُمورِ الدِّينِ؟ هل أمورُ الدُّنيا أَهَمّ عندَكم مِن أمورِ الدِّينِ؟ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ولا تُهمِلُوا فتندمُوا حِينَ لا ينفعُكم الندمُ واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

بمُناسبةِ عُطلةِ نِصْفِ السَّنَةِ الدراسيةِ ومَا ينبغِي فِعْلُهُ فِيهَا

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ أَمَرَ بحفظِ الأوقاتِ، فيمَا ينفعُ مِن فِعْلِ الخيرِ والطاعاتِ، ونهَى عَن إِضَاعتِها في اللهو والغَفَلاَتِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه في ربوبيتِه وإلَهيتِه ومَا لَه مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه أول سَابقٍ إلى الخيراتِ، ومُحذِّرٍ عَن طريقِ الهَلكاتِ. صَلَّى الله علَيه وعلَى آلِه وأَصحَابِه ذَوي المَناقبِ العظيمةِ والكَراماتِ. وسَلّمَ تسليمَاً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واشكرُوا نِعَمَهُ عَليكُم، واحفظُوا أوقَاتكُم فيمَا يفيدُكم، ولاتستعينُوا بنِعَمِهِ علَى مَعاصِيه، ولا تُضيعُوا أوقَاتكُم فيمَا تندمُون علَيه يومَ الحساب فإنَّ أَعمارَكم مَحدودةٌ، وأعمالَكم مَشهودةٌ، وعندَ الموتِ يقولُ المُفرِّطُ والمَضيِّعُ لأوقاتِه: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] وأنَّكُم ستُحاسَبونَ على هذِه النِّعَمِ التي بينَ أيدِيكم بمَاذا صَرفتمُوهَا، ومَاذَا أديتُم مِن شُكْرِهَا؟. قَالَ تعَالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ [التكاثر: ٨].

قَالَ الإمامُ ابنُ كَثيرٍ رَحمَه اللهُ: أي ثُمَّ لتُسألنَّ يومئذٍ عَن شُكرِ مَا أنعَم اللهُ بِه عليكُم مِن الصِّحةِ والأمنِ والرزقِ وغيرِ ذلكَ مَاذَا قَابلتُم بِه نِعَمَهُ مِن شُكرِهِ وعبادتِه، وقَد قَالَ النبيُّ ﷺ لأصحابِه يومَاً لَمَّا أكلُوا مِنَ البُسْرِ والرُّطَبِ وشَربُوا

علَيه مِنَ المَاءِ: «هذَا مِنَ النَّعيمِ الذي تُسألونَ عَنه يومَ القيامةِ». ورَوى الترمذيُّ بِسندِه عَن أبي هُريرة رَضي اللهُ عَنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ أولَ مَا يُسألُ عَنه العبدُ يومَ القيامةِ مِن النِّعَم أنْ يُقالَ لَه: أَلَمْ نصحَّ لَكَ بدنَك ونَروِكَ مِنَ الماءِ»[١].

وعن ابنِ مَسعودٍ عَن النبيِّ ﷺ في قولِه تعَالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨] قَالَ: الأمنُ والصِّحةُ، وقَالَ زيدُ بنُ أسلمٍ عن رسولِ الله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨] يعني شبَعَ البُطونِ وباردِ الشرابِ وظلالِ المَساكنِ واعتدالِ الخَلْقِ ولذةِ النومِ. رواه ابنُ أبي حَاتم. وقَالَ مُجاهدٌ: عن كُلِّ لَذَّة مِن لذاتِ الدنيا، وثَبَتَ في صَحيح البخاريِّ وغيرِه عن ابنِ عباسٍ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «نِعمتانِ مغبونٌ فِيهمَا كَثيرٌ مِنَ الناسِ: الصحةُ الفراغُ»[٢] ومعنى هذَا أنَّهم مُقصرونَ في شُكْرِ هَاتينِ النِّعمتَينِ، لاَ يقومُونَ بواجبِهما، ومَن لا يَقُومُ بحقِّ مَا وَجَبَ علَيه فهُو مَغبونٌ، ورَوى الإمامُ أحمدُ عَنِ أبي هرُيرة رضي اللهُ عَنه عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: يابنَ آدمَ حَملتُك علَى الخيلِ والإبلِ وزوّجتُكَ النساءَ وجعلتُك تَربعُ وتَرأسُ فأينَ شُكْرَ ذلكَ»[٣].

فيَا عِبادَ اللهِ: انظرُوا مَاذا تُمتعُون بِه اليومَ مِن نِعَمِ اللهِ العَظيمةِ، أَمْنٌ فِي الأوطانِ، وصِحةٌ في الأبدانِ، ووفرةٌ في الأموالِ والأولادِ، ورفاهيةٌ في المآكلِ والمشاربِ والمَساكنِ والمراكبِ، وطُمأنينةٌ في النفوسِ وراحةٌ من الهُمومِ والأحـزانِ، وفَـراغٌ مِنَ الأشغالِ المُتعْبَـةِ. فأيـن شُكـرِ هـذِه النِّعَمِ، وبمَـاذَا

(١) رواه الترمذيُّ (٣٣٥٥).
(٢) رواه البخاريُّ (٦٤١٢).
(٣) لم أجده.

تَصرفُونَها، ومَا هي إجابتُكم يومَ تُحاسبونَ عَنها؟ .

وإنَّا بمناسبةِ حُلولِ عُطلةِ نِصْفِ السَّنةِ الدراسيةِ، نُحَذِّرُ إخوانَنا، وخُصوصاً الشبابَ مِن تَضييعِها في الغفلةِ واللهوِ واللعَبِ، واستغلالِها في المَرَحِ والفرحِ المَذمومِ، بعضهُم يخرجونَ إلى البرارِي في تلكَ الأيامِ ويُكونُون اجتماعاتٍ في الغالبِ أنَّهَا تكونُ سيئةً يُخالطُون فيها العصاةَ، ويُضيِّعونَ فِيها الصلواتِ، ويستعملونَ المَلاهي وآلاتِ الطَّربِ والطُّبُولَ، ويستمعُونَ إلى المُغنينَ والمُطربينَ ورُبَّما يشربونَ المُسكِراتِ، ويُسرفُونَ في طَبْخِ الأطعمةِ واللحومِ التي لا يُؤكلُ مِنها إلا القَليل وأكثرُها يُهْدَرُ في الترابِ، وهذِه أعمالٌ سَيئةٌ وكُفرانٌ للنِّعَمِ، ونَخشَى علَى هؤلاءِ وعلَى غيرِهم مِمّن لا يُنْكِرُ عَليهم، نخشَى علَيهم مِنَ العُقوبةِ العَاجلةِ، لأنَّ الله تعَالى يقولُ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وكَم أَهْلَكَ اللهُ مِن أمثالِ هَؤلاءِ عِند غَفلتِهم وسَكرتِهم وكُفرانِهم للنِّعمِ، فالواجبُ على المُسلمينَ الحذرُ مِنْ مَعَاصي اللهِ، والمُحافظةُ علَى نِعمِ اللهِ، والانضباطُ في صَرْفِ الأموالِ والأوقاتِ فِيمَا ينفعُ ويُفيدُ، لأنَّ كُفْرَ النِّعَمِ يُعرضُها للزوالِ ويُعرضُ مَن كَفرَهَا للعقوبةِ في الدُّنيا والحسابِ الشديدِ في الآخرةِ؛ لأنَّ الإنسانَ لَم يُعْطَ هذِه النِّعَمَ إلاَّ بثمنٍ، وثَمنُها هُو شُكْرُهَا وصَرْفُهَا في طَاعةِ اللهِ، ثُمَّ أيضاً هذِه النِّعَمُ إنَّمَا تُعطَى للعبدِ مِنْ أَجْلِ الابتلاءِ والامتحانِ. قَالَ تعَالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فقيّدوا نِعمَ اللهِ أيّها الناسُ بشُكرِ المُنْعِمِ واعتبرُوا بمَن حَولَكُم مِمّن سُلبَتْ مِنهم هذِه النِّعَمُ، فبُدِّلُوا بالأمنِ خَوفاً، وبالشِّبَعِ جُوعاً، وبالصحةِ أوجَاعاً. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن

كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النّحل: ١١٢]. وبعضُ الشبابِ يَستغلُّ هذِه العُطلةَ في السفرِ إلى الخارجِ لقضائِها فِي الفسادِ وإعطاءِ نفْسِه مَا تشتهِي مِنَ الشهواتِ المُحرَّمةِ والأفعالِ الخَبيثةِ، وهذَا أشَدُّ جُرماً، وأعظمُ إثْماً. ومِثْلُ هذَا يجبُ الأخذُ علَى يَدِهِ مِن قِبَلِ أوليائِه أوَلاً ثُمَّ من قِبَل الحكومةِ بأنْ لا تَمْنَحْهُ جوازَ السفرِ، حِفَاظَاً علَيه وعلَى دِينِه وحِفاظَاً على المجتمعِ من شَرِّهِ إذَا سَافَر وعَادَ إليه مُلَطَّخاً بجرائمه، ولئَلَا يكونَ قُدوةً سَيئةً لغيرِه مِن الشبابِ.

لاَ مَانعَ أنَّ الإنسانَ يتمتعُ بنِعمِ اللهِ، ويُلذِّذُ نفْسَه في حُدودِ المُبَاحِ الذِي لايُلهِي عن ذِكرِ اللهِ، ومِن غَيرِ إسرافٍ ولا إفسادٍ، لا مَانعَ أنَّ الإنسانَ يخرجُ لِلبرِّ لأجلِ النزهةِ ولكنْ مَعَ المُحافظةِ على طَاعةِ اللهِ، وأداءِ الصَّلاَةِ مَعَ الجماعةِ في أوقاتِها، واختيارِ الجُلسَاءِ الصَّالحينَ الذين يُعينُونَه علَى طَاعةِ اللهِ ويُبصرونَه بطريقِ الخيرِ، واللهُ سُبحانه وتعَالى يقولُ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣١ـ٣٤] أقولُ قَولي هذَا وأستغفرُ الله لِي ولكُم. . .

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، قَدَّرَ الأرزاقَ والآجالَ، وأَمَرَ باغتنامِ الأوقاتِ في صَالِحِ الأعمالِ. وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ محمداً

عبدُه ورسولُه. كَانت كُلُّ أوقاتِه طَاعَاتٍ. صَلّى اللهُ علَيه وسَلّم وعلى آلِه وأصحابِه وسَلّم تسليمَاً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى وحَافِظُوا علَى أوقاتِكم أكثرَ مِمَّا تُحافظُونَ على أموالِكم، فإنَّ الأوقاتِ أنفسُ مِنَ الأَموالِ؛ لأنَّ الأموالَ إذَا ضَاعَت يُمكنُ أنْ تَعودَ، والأوقاتُ إذَا ضَاعَت لا تعَودُ، وإتَمَامَاً للحديثِ عَنْ عُطلةِ نِصْفِ السَّنةِ الدراسيةِ نقولُ:

إنَّ الحُكومةَ وفَّقَها اللهُ جَعلَت هَذِه العُطلةَ للانتقالِ مِن فَصْلٍ دِرَاسِيٍّ إلى فَصْلٍ آخرَ، ولتمكينِ الطُّلابِ مِنْ قَضَاءِ بَعْضِ أَشْغَالِهم الضروريةِ كالسفرِ لزيارةِ الأوقاتِ أوْ لآداءِ العُمرةِ ومَا أَشْبَهَ ذلكَ مِمَّا فيه مَصلحةٌ مُستحبةٌ أو مُباحةٌ فينبغِي استغلالُ هذِه الفترةِ فيمَا يُفيدُ، وأنْ لا تُضَاعُ في اللَّهو واللَّعبِ والغَفلةِ؛ لأنَّ ذلك يَضُرُّ ولا ينفعُ، ويكسلُ عَن الطلبِ ويُسَبِّبُ ضَياعَ المَعلوماتِ، ويُميتُ الذَّاكرةَ.

ثُمَّ إنَّه يجبُ علَى أولياءِ أمورِ الطلبةِ أنْ يوجِّهُوهم الوجهةَ الصَّالِحَة في استغلالِ أوقاتِ فَراغِهم فيمَا يُفيدُهم ويعودُ علَيهم بالنفعِ.

فاتقوا اللهَ عِبادَ اللهِ وتعَاونُوا علَى البرِّ والتقوَى، واعلمُوا أنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتابُ اللهِ وخَيرَ الهَدْيِ هَدي مُحمدٍ ﷺ . . . إلخ.

❊ ❊ ❊

فِي فَضْلِ الدعاءِ والاستغفارِ مَعَ سَلامَةِ العَقيدةِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ علَى فَضْلِه وإحْسَانِه، كَتَبَ علَى نفْسِه الرحمةَ أنَّه مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءاً بِجهَالةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بعدِه وأصلحَ أنْ يغفرَ لَه ويرحمْه مهْمَا بلَغت ذُنوبُه، وعَظُمت عيوبُه، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدُه لا شريكَ لَه يَفْرَحُ بتوبةِ عَبدِه وهُو غنيٌّ عَنه، وعبدُه يُعْرِضُ عَنه وهُو فقيرٌ إليه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه كانَ يتوبُ إلى رَبِّهِ ويستغفرُه في اليومِ أكثرَ مِن سَبعينَ مَرة، وصَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه وسلّم تسليمَاً كَثيراً.

أَمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا رَبَّكُم وتوبوا إليه من ذنوبكم ولا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَتِه مَهْمَا بلَغت ذنوبُكم فإنَّه يغفرُ الذنوبَ جَميعاً لِمَنْ تَابَ مِنها. كمَا رَوى أنسُ بنُ مَالكٍ رَضي الله عَنه قَالَ: سَمعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**قَالَ الله تعَالى: يا ابنَ آدمَ إنَّكَ مَا دَعوتنِي ورَجْوتَنِي غفَرْتُ لَكَ مَا كَانَ مِنْكَ ولاَ أُبَالِي، يا ابن آدمَ لَو بَلَغَتْ ذُنوبُك عنانَ السماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غفَرْتُ لَكَ، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لَو أَتيتْنِي بِقرابِ الأرضِ خَطايا ثُم لقيتني لا تُشركُ بِي شَيئاً لأتيتكُ بقرابِها مَغفرةً**» رواه الترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ[1]، وقَد تَضَمَّنَ هَذَا الحديثُ أمُوراً ثَلاثةً تحصلُ بِها المَغفرةُ:

---

(١) رواه الترمذيُّ (٣٥٣٤)، وفي النسخة التي بين يدي قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

الأمرُ الأولُ: الدعاءُ مَعَ الرجاءِ وهُو في قَولِه: «إنَّكَ مَا دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ مَا كَانَ مِنكَ ولا أُبَالِي» فَفِيهِ أنَّه لاَبدّ مِن الجَمْعِ بينَ الدعاءِ ورجاءِ الإجابةِ، فلَو دَعَا بدونِ رجاءٍ لَم يُسْتَجَبْ لَه؛ لأنَّ ذَلكَ قُنوطٌ مِن رحمةِ اللهِ، والقُنوطُ مِن رحمةِ اللهِ ضَلالٌ كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحِجر: ٥٦]، وإنْ رَجَا بِدُونَ دُعَاءٍ لَمْ ينفعْه هذَا الرجاءُ لأنَّه لَمْ يفعل السببَ الذِي يحصلُ بِهِ المَطلوبُ، واللهُ قَد رَبَطَ الأمورَ بأسبابٍ لابدّ مِن فِعْلِها. ومَن تَرَكَها كَانَ عَاجِزاً مُهْمِلاً كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «والعاجزُ مَن أتبعَ نفسَه هَواها وتمنَّى علَى اللهِ الأماني»[١]. وفي قولِه تبارَكَ وتعَالى: «غفرتُ لَكَ مَا كانَ مِنكَ ولاَ أُبالي» بيانُ سِعةِ مَغفرةِ اللهِ، وأنَّه مَهْمَا كَثُرَتْ ذُنوبُ العبدِ فإنَّ اللهَ يغفرُها لَه ولاَ يتعاظمُ كثرتُها، لأنَّه سُبحانَه «لايتعاظمُه شَيءٌ» مَادَامَ العبدُ قَد أتَى بسببِ المَغفرةِ. أمَّا مَنْ يُكْثِرُ مِنَ الذنوبِ ويتركُ التوبةَ اعتمَاداً على سِعَةِ مَغفرةِ اللهِ وعَفوِه فإنَّه خَاسِرٌ لأنَّه أمِنَ مَكْرَ اللهِ، واللهُ تعَالى يقولُ: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعرَاف: ٩٩] ومَكرُ اللهِ سُبحانُه هُو استدراجُه للعَاصِي ثُمَّ أخذُه بالعقوبةِ علَى غِرَّةٍ وغَفْلَةٍ، قَالَ الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: المؤمنُ يعملُ بالطاعاتِ وهُو مُشفقٌ وَجِلٌ خَائفٌ، والفاجرُ يعملُ بالمعَاصي وهُو آمِنٌ.

الأمرَ الثاني: مِمَّا تَضَمَّنَهُ الحديثُ بيان أنَّ الاستغفارَ (وهو طَلَبُ المَغفرةِ) لايُبْقِي مِنَ الذنوبِ شَيئاً، بَل يَمْحُوهَا ولَو كَبُرَ حَجْمُهَا وبَلَغَ ارتفاعُها العنانَ وهُو السَّحاب فإنَّ اللهَ يغفرُها، وقد أمَرَ اللهُ بالاستغفارِ في مَواضعَ مِن كِتَابِه ومَدَحَ أهلَه

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٤٦١)، وغيره.

ووعدَهم بمغفرةِ ذُنوبِهم وتكفيرِ خَطاياهُم، ولابدّ مَعَ الاستغفارِ مِن عَدَمِ الإصرارِ علَى الذنبِ، بمعنَى أنَّ المُستغفرَ يتركُ الذنوبَ المُسْتَغْفَرَ مِنْهَا فإنْ لَم يتركْها لمْ ينفعْه الاستغفارُ؛ لأنَّه حينئذٍ يكونُ استغفاراً باللسانِ فقَط، واللهُ تعَالى يقولُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥].

وللاستغفارِ سَاعاتٌ يُرجَى قَبولُه فِيها أكثرَ مِن غَيرِهَا، كأدبارِ الصلواتِ، ووقتِ الأسحارِ، قَالَ تعَالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ١٧]، وقَالَ تعَالَى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذّاريَات: ١٨] وأفضلُ أنواعِ الاستغفارِ أنْ يَبْدَأَ العبدُ بالثناءِ علَى اللهِ ثُمَّ يُثَنّي بالاعترافِ بذنبِه، ثُمَّ يسألُ اللهَ المَغفرةَ. كَمَا ثَبَتَ في الصحيحِ عن شدادِ بنِ أوسٍ عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «سَيدُ الاستغفارِ أنْ يقولَ العبدُ: اللَّهمّ أنتَ رَبي لاَ إلَه إلاّ أنتَ، خَلَقْتَنِي وأَنَا عَبدُك وأَنَا علَى عَهْدِكَ ووعدِكَ مَا استطعتُ، أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوء لكَ بنعمتِك عَلَيَّ وأبوءُ بِذَنبي فَاغفرْ لِي، فإنَّه لاَ يغفرُ الذنوبَ إلاَّ أنتَ»[1]. وينبغِي الإكثارُ مِنَ الاستغفارِ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ. ففِي صَحيحِ البُخَاريِّ عَن أبي هُريرةَ رَضي اللهُ عَنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «واللهِ إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ مِن سَبعينَ مَرة»[2] وينبغِي أَنْ يُقرنَ الاستغفارَ بالتوبةِ. فيقُولُ: أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، كمَا في هذَا الحديثِ، وكمَا في قوله تعَالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هُود: ٩٠] وذَلكَ ليجمعَ بينَ الاستغفارِ باللسانِ والإقلاعِ عَنِ الذنبِ بالقلبِ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٠٦).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٣٠٧).

والجوارحِ وهذَا معنَاه عَدَمُ الإصرارِ علَى الذنبِ.

الأَمْرَ الثالثُ: مِمَّا تضمنَه هذَا الحديثُ أنَّ التوحيدَ هُو الشرطُ الأعظمُ بَلْ هُو الأساسُ لمغفرةِ الذنوبِ فمَن فَقَدَه فقدَ المَغفرةَ. قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النِّساء: ٤٨]. وقَالَ تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المَائدة: ٧٢] وفي هذَا الحديثِ يقولُ اللهُ تعَالى: «يا ابنَ آدمَ لَو أتيتنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطَايَا ثُمَّ لقيتني لا تشركُ بي شَيئاً لأتيتكَ بقرابِها مَغفرة» وقُرابُ الأرضِ. بِضَمِّ القَافِ مِلؤُها أو مَا يُقاربُ مِلْئَهَا. دَلَّ الحديثُ عَلَى أن المُوحِّدَ تُرجَى لَه المَغفرةُ ولَو كَثُرَتْ ذنوبُه فإِنَّ مَا مَعَه مِنَ التوحيدِ يُكفِّر اللهُ به الذنوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ ومَهْمَا كَثُرتْ، وهذَا مُقيدٌ بمشيئةِ اللهِ عَزّ وجَلّ، كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النِّساء: ٤٨] أي مَا دُونَ الشركِ ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فَفيه فَضْلُ التوحيدِ وبيانُ مَا يكفِّرُ مِنَ الذنوبِ. وأنَّ مَن لَقِيَ دون اللهَ به ومَاتَ عَليه فإنَّه تُرْجَى لَه المغفرةُ، وفيه التحذيرُ من الشركِ لأنه لاَ يُغفرُ لصاحبِه ولو اتعبَ نفسه بالعملِ ولسانَه بالاستغفارِ ولو أنفقَ جَميعَ مَا في الدنيا فلَن يُقْبَلَ مِنه ولنْ يُغْفَرَ لَه مَا دَامَ علَى الشركِ، ولَكِنْ مَا هُو الشركُ الذِي هذَا خَطَرُه؟ كَثيرٌ مِنَ المُنتسبينَ إِلى الإِسلامِ يظنونَ أنَّ الشركَ يقتصرُ علَى عبادةِ الأصنامِ التي كَانَ أهلُ الجَاهليةِ يعبدُونَها مِثْل اللاتِ والعُزّى ومنَاة، وأمَّا عِبادةُ القُبورِ والاستغاثةُ بالأمواتِ ودُعَاؤُهم مِنْ دون اللهِ وطَلَبُ المَدَدِ مِنَ الحُسينِ والبدويِّ والشَاذليِّ والعيدروسِ فهذَا ليسَ بشِرْكٍ وكأنَّ الشركَ أَمرٌ اصطلاحيٌّ يتغيرُ من عُرفٍ إلى عرفٍ، وما دَرَوا أنَّ أَوَّلَ شِركٍ حَدَثَ فِي العَالَم هُو هذَا الذِي يقولُونَ إِنَّه ليسَ بِشِرْكٍ وإِنَّمَا هُو توسلٌ بالصالحينَ، فقَد كَانَ الشركُ الذِي في قَوْمِ نُوحٍ هُو الغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ والتوسلُ

بالأمواتِ، ولَمَّا دَعَاهُم نُوحٌ علَيه السَّلاَمُ إلى تَرْكِهِ: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نُوح: ٢٣] وقَد رَوى البخاريُّ عنِ ابنِ عباسٍ: أنَّ هذِه أسماءُ رِجالٍ صَالحينَ في قوم نوح ماتُوا فعبدُوهُم مِن دُونِ اللهِ[1]. نَسْأَلُ اللهَ أنْ يرزقَنا البصيرةَ في دِينه ومَعرفةَ الحقِّ والعملَ بِه، أقولُ قَولي هذَا وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُم..

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالِمينَ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَه مُخلصينَ لَه الدِّينَ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً خَاتَم النبيينَ، صَلَّى الله علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ، وسَلّم تسليماً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى ووثِّقُوا صِلَتَكُم بِهِ بطاعتِه وفِعْلِ مَا أَمَرَكُم بِهِ وتَرْكِ مَا نَهَاكُم عَنه والإكثارِ مِن دُعَائِه، فإنَّه لاَ غِنَىَ بِكُمْ عَنه طَرْفَةَ عينٍ، وهُو يأمرُكم بدعائِه واستغفارِه مَعَ غِنَاهُ عنكُم، وأنتُم تُعرضُونَ عَنه مَعَ فقرِكُم وحَاجتِكم إليه، وهَذَا مِن عَجائبِ نَفْسِيَّةِ هَذَا الإنسانِ، قَالَ تعَالى: ﴿ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشّورى: ٤٨] أي لاَ يعرفُ إلاَّ الساعةَ الراهنةَ، فإنْ أَصَابتْه نِعمةٌ أَشرَ وبطَر، وإنْ أصابتْه مِحنةٌ يَئِسَ وقَنَطَ. هَذه طَبيعةُ الإنسانِ إلاَّ مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيه بالإيمانِ، فإنَّ المُؤمنَ كَما قَال النبيُّ ﷺ: «إن أصابتْه سَرّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيراً لَه، وإنْ أَصَابتْه ضَرّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيراً لَه، وليسَ ذَلكَ لأَحَدٍ إلاَّ

---

(١) رواه البخاريُ (٤٩٢٠) بنحوه.

للمُؤمنِ»[١] وكذلكَ هذَا الإنسانُ هُو دَائماً فِي حَاجةٍ إلى رَبِّهِ لكنَّه لاَ يدعُوه تَكَبُّراً. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] وقَالَ تعَالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعرَاف: ٥٥] وكذلكَ هَذَا الإنسانُ لا يستغفرُ رَبَّه وهُو مُحَمَّلٌ بالذنوبِ ومُعَرَّضٌ لعقوباتِها، لكنَّه لاَ يستغفرُ إمَّا لأنَّه آمِنٌ مِنْ مَكْرِ اللهِ، أو لأنَّه قَانِطٌ مِن رَحمةِ اللهِ. كمَا قَالَ تعَالى عَنِ المُنَافقِينَ: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [التّوبَة: ١٢٦]، فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وأكثرُوا مِن دُعائِه واستغفارِه وأخلصُوا لَه العبادةَ يُصْلِحُ لَكُم أَعْمَالَكُم ويغفرْ لَكُم ذُنوبَكم، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ... إلخ.

* * *

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٩٩٩).

فِي تحريمِ مُعاداةِ أولياءِ اللهِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، أنزلَ علَى عبدِه الكتابَ والحِكمةَ، وجَعَلَ في اتباعِه الهُدَىٰ والرحمةَ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه. صَلّى اللهُ عليَه وعلَى آلِه وصحبِه، ومَن سَارَ على نَهْجِهِ.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى واعلمُوا أنَّ النبيَّ ﷺ قَد أُوتِي القُرآنَ العظيمَ وأُوتي مِثْلَهُ مَعَه، ومِمَّا أُوتِيَه الأحاديثَ القُدسيةَ التي يَرَوِيهَا عَن رَبِّهِ تعَالى، ومِنْها مَا رَواه البخاريُّ عَن أبي هُريرة رضي اللهُ عَنه قَالَ: قَال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ الله تعَالى قَالَ: «مَن عَادَىٰ لِي وَليّاً فقَد آذنتُه بالحربِ، ومَا تقرّبَ إليّ عبدِي بشيءٍ أحبّ إليَّ مِمَّا افترضتُه عَليَه، ولايزالُ عَبدِي يتقربُ إليّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّهُ، فإذَا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الذي يسمعُ به، وبَصَرَه الذِي يُبْصِرُ به، ويدَه التي يبطشُ بِهَا، ورِجْلَه التي يمشِي بِها ولئنْ سَألني لأُعطينّه، ولئن استعَاذَني لأُعيذنّه»[1] الوَلاية بفتحِ الواوِ المَحَبَّةُ وضَدّهَا العَداوةُ. والوليّ ضِدُّ العَدُوِّ، وأولياءُ اللهِ هُم المؤمنونَ المُتقونَ، قَالَ تعَالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يُونس: ٦٢، ٦٣] فَكُلُّ مؤمنٍ تَقِيٍّ فَهُو وليٌّ للهِ بَحسبِ إيمانِه وتقوَاه، وكُلُّ كَافِرٍ فَهُو عَدوٌّ للهِ، والمؤمنُ العَاصي يجتمعُ فيه الأمرانِ، فهُو وليّ للهِ بحسبِ مَا فِيه مِنَ الإيمانِ، وعَدُوٌّ للهِ بحسبِ مَا فِيه مِنَ العِصيانِ، فليسَ الوليُّ مَعصوماً مِنَ الخَطَأ كمَا يزعمُ بعضُ الغُلاةِ فيمَنْ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

يُسمّونَهم أولياءَ، وليسَ لَهم تصرّفٌ في الكونِ ولاَ قُدرةٌ عَلَى جَلْبِ النفعِ ودَفْعِ الضُرِّ وشِفَاءِ المَرضَى وتفريجِ الكُرباتِ كمَا يزعمُ ذلكَ كَثيرٌ مِنَ الخُرافيينَ الذينَ يتعلقونَ بالأولياءِ ويعبدونَهم مِن دُونِ اللهِ ويستغيثونَ بِهم فِي المُلِمَّاتِ، ويطلبُونَ مِنهم قضاءَ الحَاجَاتِ، وتفريجَ الكُرُبَاتِ ويتبركُونَ بِتُرْبَتِهِم وأضرحتِهم وينذرُونَ لَهم ويذبحونَ لَهم القرابينَ، كمَا كَانَ المُشركونَ في الجَاهليةِ يفعلُون ذلكَ كمَا قَالَ اللهُ تعَالى عنهُم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يُونس: ١٨] وقَال تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزُمَر: ٣] وغَير ذلكَ مِنَ الآياتِ، وليسَ كلُّ مَن ادّعيتَ لَه الوَلاية يكونُ وَليًّا، إنَّمَا الوليُّ من كَانَ مُؤمناً تَقِيّاً، وهُو فَقيرٌ محتاجٌ إلى ربِّهِ لايَملكُ لنفسِه ولا لغيرِه ضَرّاً ولا نَفْعَاً، وأولياءُ اللهِ تَجبُ مَحبتُهم واحترامُهم بدونِ غُلُوٍّ فِيهم وإفراطٍ فِي حَقِّهِم. وذَلِكَ بأنْ يُطْلَبَ مِنهم مَا لاَ يُطْلَبُ إلاَّ مِنَ اللهِ، وتَحْرُمُ عداوتُهم وتنقصُهم وأذيتُهم وقَد تَوَعَّدَ اللهُ مَن فَعَلَ ذلكَ بقولِه في هذَا الحديثِ: «مَن عَادَى لِي وليّاً فقدَ آذنتُه بالحربِ» يعنِي فقَدْ أعلمتُه بأنِّي مُحاربٌ لَه حيثُ كَان مُحَارِباً لي بمعاداتِه أوليائِي، وهذا مُنطبقٌ بالدرجةِ الأُولَى على مَن عَادىَ الصحابةَ رضي الله عنهم وأبغضَهم مِنَ الشيعةِ والمُبتدَعَةِ. وقَد قَال النبيُّ ﷺ: «لا تَسبّوا أصحَابي فوالذي نفسِي بيدِه لَو أنفقَ أحدُكم مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَه»[١] وقَالَ عليَه الصلاةُ والسلامُ: «الله الله فِي أصحَابي، لاتتخذُوهم غَرَضَاً، فمَن آذاهم فقَد آذانِي، ومَن آذانِي فقَد آذَى اللهُ. ومَن آذى الله يُوشكُ أن يأخذَه» خرّجَه الترمذيُّ وغيرُه[٢]. قَالَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٦٧٣)، ومسلمٌ (٢٥٤١)، وأبو داود(٤٦٥٨)، والترمذيُّ (٣٨٦٠).
(٢) رواه الترمذيُّ (٣٨٦١).

ابنُ دَقيق رحمَه اللهُ: ووليّ الله تعَالى هو الذي يَتبعُ مَا شَرَعَهُ اللهُ تعَالى: فليحذَر الإنسانُ مِن إيذاءِ قُلوبِ أولياءِ اللهِ عَزّ وجَلّ. ومَعنى المُعاداةِ أنْ يتخذَه عَدُوّاً، ولا أرى المَعنى إلا مَن عَادَاه لأجل وَلاية اللهِ، أمَّا إذَا كَانت لأحوالِ تَقتضِي نِزَاعَاً بينَ وَليّين للهِ كمُحاكمةٍ أو خُصومةٍ رَاجِعةٍ إلى استخراجِ حَقٍّ غَامِضٍ فإنَّ ذَلكَ لا يدخلُ فِي هذَا الحديثِ، فإنَّه قَد جَرَى بينَ أبي بكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهُما خُصومةٌ، وبينَ العباسِ وعَليٍّ رضي الله عنهُما، وبينَ كَثيرٍ مِنَ الصحابةِ، وكُلّهم كانُوا أولياءَ اللهِ عزّ وجلّ، انتَهى.

ثُمَّ بيّن سُبحانه وتعَالى الأسبابَ التي بِها تُنالُ وَلايةُ اللهِ تعَالى ويكونُ العبدُ بِها وليّاً للهِ ـ أي محبوباً لَه ـ فتحرُم حِينئذٍ مُعاداتُه فقَال: «**ومَا تَقرَّبَ إليّ عَبدي بشيءٍ أحَبَّ إليّ مِمَّا افترضتُه عليه، ولايزالُ عَبدي يتقربُ إليّ بالنوافلِ حتَّى أُحبَّه**» فبيّنَ أنَّ سَبَبَ الوَلايةِ هُو التقرّبُ إليه سُبحانَه بطاعتِه، فأولياءُ اللهِ هُم الذينَ يعملُون مَا يقرّبُهم مِنه مِنَ العملِ بطاعتِه وَتَرْكِ معصيتِه، وهَذَا يُبْطِلُ دعَاوى الذِين يَدّعُونَ الوَلايةَ لأنَاسٍ يُخالفونَ شَرْعَ اللهِ، ويعملُونَ بالبدعِ والخُرافاتِ والشركياتِ، فهؤلاءِ هُم أعداءُ اللهِ علَى الحَقيقةِ، ليسُوا أولياءَه: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفَال: ٣٤] وهَؤلاءِ أعداءُ اللهِ الذينَ أبْعَدَهُم مِنه بأعمالِهم المُقتضيةِ لطَرْدِهِم وإبعادِهم، وإنْ ادّعوا أو ادُّعِي لَهُم أنَّهم أولياءُ اللهِ ليتخذُوا مِنْ هَذِه الدَّعوى حِرفةً يخدعون بِهَا الناسَ، ويسلبُونَ بِهَا أموالَ العَوَامِّ، فقَد أصبحَ لَقَبُ الوَلايةِ والأولياءِ في هذَا الزمانِ مَصْدَرُ ارتزاقٍ تُبْنَى له الأضرحةُ وتُفْتَحُ فِيها صَناديقُ النُّذورِ وتُوظَّفُ حَوْلَهَا السَّدَنَةُ لحراسةِ تلكَ المَصَائِدِ وحِفْظِ مَا يُدْفَعُ لَهَا مِنْ أموالٍ بغَيرِ الحَقِّ. إنَّ أولياءَ اللهِ أيُّهَا المُخرِّفونَ لا يَدَّعُونَ لأنفسِهم أنَّهم أولياءُ. ولاَ يَدَّعي المُسلمونَ الوَلايةَ لمُعَيَّن إلاَّ بشهادةٍ مِن الرسولِ ﷺ بذلكَ.

لكنَّهم يَرجونَ للمؤمنِ الخيرَ ويخَافونَ علَى المُسيءِ الشرَّ، ويُحبّونَ أَهْلَ الخَيرِ ويَكرهونَ أَهْلَ الشرِّ. وفِي قولِه تعَالى: «ومَا تَقربَ إليّ عَبدي بشيءٍ أَحَبَ إليّ مِمَّا افترضتُه عَليه» دليلٌ علَى وجوبِ العنايةِ بالفرائضِ وأدائِها قَبلَ النوافلِ، وأَنَّ النافلةَ لاتُقبلُ إلا بشرطِ أَدَاءِ الفريضةِ، وفَي قولِه تعَالى: «وما يزالُ عَبدي يتقربُ إليّ بالنوافلِ حتَّى أُحِبّهُ» دليلٌ علىَ فضيلةِ فِعْلِ النوافلِ والإكثارِ مِنها لأنَّهَا تُسبّبُ مَحبةَ اللهِ لفاعلِها، ولأنَّهَا تُكمِّلُ بِهَا الفرائضُ إذَا حَصَلَ فِيها نَقْصٌ، ومعنَى قولِه تعَالى: «فإذَا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الذي يسمعُ بِه. وبصرَه الذي يُبْصرُ بِه، ويدَه التي يبطشُ بِهَا، ورِجْلَه التي يمشِي بِهَا» معنَى ذلكَ أنَّ الله يُسدّدُه ويَحفظُه في سَمْعِهِ وبَصَرِهِ وَيدِهِ ورجْلِه فَلا يباشرُ بهذِه الجوارحِ مَعصيةً مِنَ المعَاصي، وإنَّمَا يستعملُها في طَاعةِ اللهِ عزّ وجَلّ، قَالَ ابنُ دَقيق العِيدِ: ومَعنَى ذلكَ أنَّه لايسمعُ مَا لَم يأذنِ الشرعُ لَه بِسَمَاعِهِ، ولا يُبْصِرُ مَا لَم يأذنِ الشرعُ لَه في إبصارِه، ولا يَمُدُّ يدَه إلى شَيءٍ مَا لَم يأذنِ الشرعُ لَه في مَدِّهَا إليه. ولاَ يسعَى إلا فيمَا أَذِنَ الشرعُ في السعي إليه. انتهَى، ومِمَّا يدلُّ علَى هذَا التفسيرِ قولُه في آخِرِ الحديثِ: (ولئِنْ سَألنِي لأعطينّه ولئنِ استعاذَني لأعيذنّه)، ومعنَاه أنَّ اللهَ تعَالى يكونُ معَه بتوفِيقِه ونَصْرِهِ وحِفْظِ جوارحِه مِنْ كُلِّ مَحذورٍ؛ لأنَّ الجزاءَ مِن جِنْسِ العَمَلِ، واللهُ تعَالى يقولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النّحل: ١٢٨].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَمرَنَا بمُوالاةِ عِبادهِ المُؤمنينَ، ونَهَانَا عَن مُوالاةِ الكفّارِ والمُنافقينَ. وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه، المَلِكُ الحَقُّ المُبينُ، وأشهدُ أنَّ مَحمداً عبدُه ورسولُه إلى الناسِ أجمعينَ، صَلَّى الله علَيه

وعلَى آلِه وأصحابِه والتابعينَ لَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ وسَلِّم تسليماً كَثيراً . . .
أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى وكونُوا مَعَ الصادقينَ واعلمُوا أنَّ المعَاصِي كُلَّهَا مُحاربةٌ للهِ عَزّ وجَلّ، قَالَ الإمامُ ابنُ رجبٍ رَحمه اللهُ: واعلمْ أنَّ جَميعَ المعَاصِي مُحاربةٌ للهِ تعَالى. قَالَ الحسنُ: ابنَ آدمَ هَل لكَ بمحاربةِ اللهِ عزّ وجلّ مِن طَاقةٍ، فإنَّ مَن عَصَى اللهَ فقَد حَارَبَه، لَكِنْ كُلَّ مَا كَانَ الذنبُ أقبحَ كَانت المُحاربةُ لله أشدَّ، ولِهَذَا سَمَّى اللهُ تعَالى أكَلَة الرِّبَا وقُطَّاعَ الطريقِ مُحاربينَ للهِ تعَالى ورسولِه لِعِظَمِ ظُلمِهم لعبادِه، وسَعيهم بالفسادِ في بِلادِه، وكذلكَ مُعاداة أوليائِه فإنَّه تعَالى يتولَّى نُصرةَ أوليائِه ويؤيدُهم، فمَن عَادَاهم فقَد عَادى اللهَ تعَالى وحَارَبَه، وقَد روى الإمامُ أحمدُ في كتابِ الزهدِ عن وهبِ بنِ مُنبّه قَالَ: (إنَّ الله تعَالى قَالَ لموسَى عليه السلامُ حِين كَلَّمَهُ: اعلمْ أن مَن أهانَ لي وليّاً أو أَخَافَه فقَد بَارَزَني بالمُحَارَبةِ وعَادَانِي، وعرضَ نفْسَه ودَعَاني إليْهَا، وإنَّ أسرعَ شَيءٌ إليّ نُصرةُ أَوليائِي، أفيظنُّ الذِي يُحاربُنِي أنْ يَقومَ لِي أو يَظُنُّ الذِي يُعادِيني أنْ يُعجزنِي، أمْ يَظُنُّ الذِي يُبارزُني أنْ يسبقَنِي أو يفوتَني، وكيفَ وأنَا الثَّائِرُ لَهم في الدُّنيا والآخرةِ، فلا أَكِلْ نُصرتَهم إلى غَيرِي)، فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وكُونُوا مِنَ الذينَ يُوالونَ اللهَ بالطاعةِ، ولا تكُونوا مِنَ الذِين يُحاربونَه بالمَعصيةِ ومُعاداةِ أوليائِه.
واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ . . . إلخ.

* * *

الإيمان بأشراط الساعة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، الرحمنِ الرحيمِ، مَالكِ يومِ الدِّين، وأشهدُ أن لاَ إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه المَبعوث بينَ يدي السَّاعَةِ بشِيراً ونَذيراً، ودَاعياً إلى اللهِ بإذنِه وسِراجاً مُنيراً، صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصحابِه، وسَلَّم تسليماً كَثيراً . . . أَمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى واعلمُوا أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ هُو أَحَدُ أركانِ الإيمانِ الستةِ التي لايَصِحُّ الإيمانُ إلاَّ بِها.

ولَمَّا كَان ذَلكَ اليومُ مَسبوقاً بِعلاماتٍ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ وقُوعِه، تُسَمَّى أشراطُ الساعةِ، نَاسَبَ أنْ نَعرفَها لأنَّ الإيمان بِها واجبٌ وهُو مِن صُلْبِ العَقيدةِ، قَالَ تعَالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر: ١]، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [مُحمد: ١٨] أي علاماتُها وأَمارتُها، واحدُها شَرْطٌ.

قَالَ الإمامُ البَغَويُّ رَحمه اللهُ: وكَانَ النبيُّ ﷺ مِنْ أشراطِ الساعةِ، وقَالَ تعَالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ ﴾ [الشورى: ١٧] وقَالَ تعَالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٦٦ ﴾ [الزخرف: ٦٦] ولِقُرْبِ وقُوعِ هذا اليومِ، وتَحققِه جَعَلَهُ سُبحانَه كَغَدٍ، قَالَ تعَالى: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨] والغَدُ هُو مَا بَعْدَ يَومِكَ، وقَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾ [المعَارج: ٦، ٧].

ورَوى الترمذيُّ وصَحَّحَهُ مِن حديثِ أنسٍ مَرفوعاً: (بُعِثْتُ أَنَا والساعةُ

كهَاتينِ، وأشارَ بِالسبّابةِ والوسْطَى)[1]. وفي الصحيحين عن ابنِ عُمرَ رضي اللهُ عَنهمَا مَرفوعَاً: (إنَّمَا أَجَلكُم فيمَن مَضَى قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ مِنْ صَلاةِ العصرِ إلى مَغربِ الشمسِ، وفي لفظٍ: إنَّمَا بقاؤُكُم فيمَا سَلَفَ قَبلكُم مِنَ الأُممِ مَا بين صَلاةِ العصرِ إلى غُروبِ الشمسِ) ولَمَّا كَانَ أَمْرُ الساعةِ شَديداً كَانَ الاهتمامُ بشأْنِها أكثرَ مِن غيرِها.

ولِهَذَا أَكْثَرَ النبيُّ ﷺ مِن بيانِ أشراطِها وأَماراتِها وأَخْبرَ عَمَّا يَأتِي بينَ يَدَيْهَا مِنَ الفِتَنِ، ونبّه أُمَّتَهُ وحَذّرهُم ليتأهَبُوا لذلكَ، أمَّا وقتُ مَجيئِها فهُو مِمَّا انفردَ اللهُ تعَالى بِعِلْمِهِ وأخفَاهُ عنِ العِبَادِ لأجلِ مَصلحتِهم، ليكُونُوا علَى استعدادٍ دَائمَاً، كَمَا أَخفَى سُبحانَه عَن كُلِّ نَفْسٍ وَقْتَ حُلولِ أجَلِها لتكونَ دائمَاً على أُهبةِ الاستعدادِ والانتظارِ ولا تتكاسلَ عَنِ العملِ.

قَالَ العلاّمة السَّفارِيني: ثُمَّ اعلمْ أنَّ أشراطَ السَّاعَةِ وأماراتِها تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

* قِسْمٌ ظَهرَ وانقضَى، وهِي الأماراتُ البعيدةُ.
* وقِسْمٌ ظَهرَ ولَمْ ينقضِ بَلْ لايزالُ في زيادةٍ.
* والقسمُ الثالثُ: الأماراتُ الكَبيرةُ والتِي تَعْقُبُهَا الساعةُ وهِي تَتَابَعُ كَنَظْمِ خَرَزَاتٍ انقطعَ سلكُها.

فالأولى: أَعني التي ظَهرتْ ومَضَتْ وانقضَتْ، مِنْهَا بعثةُ النبيِّ ﷺ ومَوتُه، وفَتْحُ بيتِ المقدسِ، ومِنْهَا قَتْلُ أميرِ المُؤمنين عُثمان بن عفان رضي اللهُ عَنه. قَالَ حذيفةُ: أَوَّلُ الفِتَنِ قَتْلُ عثمانَ (وذَكَرَ الحرُوبَ التي وقَعَتْ بينَ المُسلمينَ بعدَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٥٠٤)، ومسلمٌ (٢٩٥١).

ذَلكَ وظُهور الفرقِ الضَّالَّةِ كالخوارجِ والرافضةِ) ثُمَّ قَالَ: ومِنها: خُروجُ كَذَّابينَ دَجَّالِينَ كُلٌّ مِنهم يَدَّعِي أنَّه نَبِيٌّ، ومِنها زَوالُ مَلْكِ العَرَبِ، رواه الترمذيُّ، ومِنها كَثْرَةُ المَالِ، رواه الشيخان وغيرُهما، ومِنْهَا كَثْرَةُ الزلازلِ والخَسْفِ المَسْخِ والقَذْفِ وغيرِ ذَلكَ مِمَّا أَخْبرَ عَنه النبيُّ ﷺ أنَّه مِنْ أَماراتِ السَّاعَةِ فَظَهَرَ ومَضَى وانقضَى.

الثانيةُ: الأَماراتُ المُتوسطةُ وهِي التِي ظَهَرتْ ولَمْ تَنْقَضِ بَلْ تَتَزَايَدُ وتَكثُرُ وهِي كَثيرةٌ جِداً مِنْهَا قوله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يكونَ أسعدَ الناسِ بالدُّنيا لُكَعُ ابنُ لُكَعٍ» رواه الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ والضياء المقدسيُّ من حديثِ حُذيفةَ رضي الله عنه[1]، واللكَعُ: العَبدُ والأحمقُ واللئيمُ، والمعنَى لاتقومُ الساعةُ حتَّى يكونَ اللئامُ والحَمْقَى ونحوُهم رؤساء الناسِ.

ومِنَ الأَماراتِ قَولُه ﷺ: «يأتِي على الناسِ زَمانٌ الصابرُ علَى دِينه كالقابضِ علَى الجَمْرِ» رواه الترمذيُّ عن أنس رضي الله عنه[2].

وقولُه ﷺ: «لاتَقومُ الساعةُ حتَّى يتباهَى الناسُ في المساجدِ» رواه الإمام أحمدُ وأبو داودَ وابنُ حبَّان وابنُ مَاجه عن أنسٍ رضي الله عنه[3].

وقَولُه ﷺ: «يكونُ فِي آخِرِ الزمانِ عِبادٌ جُهَّالٌ وقُرّاءٌ فَسَقَة، وفي لفظٍ: فُسَّاق» رَواه أبو نُعيم والحَاكِمُ عن أنسٍ رضي الله عنه[4].

ومِنها: أن يُرَى الهِلاَلُ سَاعةَ يَطْلع فيُقَال لِلَيْلتَينِ، لانتفاخِه وكِبَرِهِ رَوى

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٢١٠).
(٢) رواه الترمذيُّ (٢٢٦١).
(٣) رواه الترمذيُّ (٤٤٩).
(٤) حَكَمَ عليه العلاَّمةُ الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ بأنه موضوع «ضعيف الجامع» (٦٤٤٠).

معنَاه الطبرانيُّ عَن ابنِ مَسعودٍ، وفي لفظٍ: (من أشراطِ الساعةِ انتفاخُ الأهلّةِ). بالخَاء المُعجمةِ أي عِظمهَا، ورُوي بالجِيم، ومِنهَا اتخاذُ المسَاجدِ طُرُقاً. إلى أنْ قَالَ: ومِنها مَا في صَحيحِ البخاريِّ وغيرِه مِن حديثِ أنسٍ رضي الله عَنه أنَّه قَال: : لأُحدثنكُم بحديثٍ سَمعتُه مِنَ رَسولِ اللهِ ﷺ لاَ يُحدّثكم بِه أحدٌ غَيري، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أنْ يُرفعَ العِلْمُ ويكثُرَ الجهلُ ويَكْثُرَ الزنَى ويَكْثُرَ شُرْبُ الخمرِ ويَقِلُّ الرجالُ، ويَكْثُرُ النساءُ، حتَى يكونَ لخمسِينَ امرأةٍ القَيِّمُ الواحدُ»[١] وفي الصحيحِ مِن حَديثِ أبي هُريرةَ رضي الله عَنه قَالَ: بينَما النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحدّثُ القومَ جاءَه أعرابيٌّ قَالَ: متَى الساعةُ؟ فَمَضَى رَسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، وقَالَ بعضُ القومِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وقَالَ بعضُهم: بَلْ لَم يَسمعْ، حتَّى إذَا قَضَى حديثَه قَالَ: «أينَ السائلُ عَنِ السَّاعةِ»؟ فقَال: هَا أنَا يَا رَسولَ اللهِ، قَالَ: «فإذَا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ السَّاعةَ»، قَالَ: «كيفَ إضاعتُها»؟. قَالَ: «إذَا وُسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أَهْلِهِ فانتظرِ السَّاعَةَ»[٢].

النوعُ الثالثُ: مِنْ أماراتِ السَّاعَةِ العلاماتُ العِظامُ. والأشراطُ الجِسَامُ التي تَعْقُبُهَا السَّاعةُ، ومِنْهَا: خُروجُ المَهدي، والمَسِيحُ الدجّالُ، ونُزولُ عيسَى ابنِ مَريمَ عليه السَّلامُ، وخُروجُ يأجوجَ ومَأجوجَ، وهَدْمُ الكَعبةِ، والدخانُ، ورفعُ القرآنِ، وطُلوعُ الشمسِ مِن مَغربِها، وخروجُ الدَّابةِ، وخروجُ النارِ مِن قَعْرِ عَدَن، ثُمَّ النفخُ في الصُّورِ: نفخَة الفزعِ ثُمَّ نفخَة الصَّعْقِ، وهلاَك الخَلْقِ، ثمَّ نفخَة البعثِ والنشورِ.

وعلَى كُلٍّ فالأمرُ عَظيمٌ ونحنُ في غَفلةٍ، وقَد ظَهَرَ مِن هذِه العَلاماتِ الشَّيءُ

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٢٣١)، ومسلمٌ (٢٦٧١).

(٢) رواه البخاريُّ (٥٩).

الكَثيرُ ولمْ يبقَ إلاَّ العَلامَاتُ الكِبارُ، فنسألُ اللهَ عَزّ وجَلّ أن يثبتّنا علَى دِينهِ ويتوفَانا علَى الإسلامِ ويقِينا شَرَّ الفتنِ مَا ظَهرَ مِنها ومَا بَطَنَ، وهذَا مِن عَلاماتِ النبوّةِ ومُعجزاتِ الرسولِ ﷺ، حَيثُ أخبرَ عَن أمورِ مُستقبلةٍ مِمَّا أطلَعهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ علَى عِلْمِهِ فوقَع كمَا أَخبرَ، وهذَا مِمَّا يُقوّي إيمانَ العبدِ.

وفي إخبارِه ﷺ بذلكَ رَحمةٌ بِالعبادِ ليحذرُوا ويستعدُّوا ويكُونُوا علَى بَصيرةٍ مِن أَمرِهم، فصلواتُ اللهِ وسَلاَمُه علَى هذَا النبيِّ ﷺ الذِي بَلَّغَ البلاغَ المُبينَ، وبيّنَ غَايةَ التبيينِ، ونَحنُ علَى ذلكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمّد: ١٨].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، جَعَلَ الدُّنيا دَارَ مَمَرٍّ، وجَعَلَ الآخرةَ هِي المُستقَر، وأَمَرَ الإنسانَ أنْ يتزودَ مِن دَارِ ممرِّه لدارِ مَقَرِّهِ. وأشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، حَذّرَ أُمتَه مِنَ الركونِ إلى هذِه الدارِ، صَلّى الله علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه البررةِ الأطهارِ، الذِينَ هُم في الليلِ عُبَّادٌ وفِي النهارِ أُسودٌ علَى الكفّارِ، وسَلّم تَسليماً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا الله تعَالى واستعدُّوا مِنْ أيامِكُم لِمَا أمَامَكُم، واعلمُوا أنَّ مِنْ عَلاماتِ الساعةِ التي ظَهرَتْ، هَذِه المُخترعَات العَجيبة التي قَرّبت البعيدَ، وطَوَتِ المسافاتِ، وهذِه المَعادن المَخزونَة التي اكتُشفتْ فِي الأرضِ، وفُشُوّ التجارةِ والزراعةِ، فهذِه مِنَ الآياتِ العظيمةِ في الآفاقِ، وهُنَاكَ آياتٌ فِي

الأنفسِ، وهي كَثْرَةُ الأمراضِ الخَطيرةِ التي لمْ تكُن مَعروفةِ مِن قَبْلُ وكَثْرَةُ مَوتِ الفَجْأةِ، وكَثْرَةُ الحَوادِثِ والحُروبِ والفتنِ، كُلُّ هذَا مِن عَلاماتِ السَّاعَةِ، كَمَا أخبرَ بذلكَ النبيُّ ﷺ، فاتقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ واعلمُوا أنَّ الدُّنيا ليسَت بِدارِ إقامةِ فَلا تَطمئنّوا إليهَا. قَالَ النبيُّ ﷺ لابنِ عُمَرَ: «**كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَريبٌ، أوْ عَابِرُ سَبيلٍ**»[1] إذْ مِنَ المَعلوَمِ أنَّ الغَريبَ وعَابِرَ السَّبيلِ لايَطمئنُّ في مَكانِ الغُرْبَةِ أوْ فِي أثناءَ الطريقِ في السَّفَرِ، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ وخَيرَ الهَدي هَدي مُحمدٍ ﷺ.

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٦٤١٦).

دَورُ الشَّبَابِ فِي الإسلامِ
ووجوبُ العِنايةِ بِهم

الحَمْدُ للهِ نَحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنفسِنا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يهدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَه ومَن يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَه. وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاّ اللهُ وحدَه لاشريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، بَعَثَهُ بينَ يَدَيْ السَّاعَةِ بَشِيراً ونَذيراً ودَاعياً إِلى اللهِ بإذنِه وسِراجَاً مُنيراً فبلَّغَ الرسالةَ وأَدَّى الأمانةَ ونَصَحَ الأُمَّةَ وجَاهَدَ في اللهِ حَقَّ جِهَادِه. صَلّى الله علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه وأَتباعِه إلى يومِ الدِّينِ وسَلّم تسليمَاً كَثيراً . . . أَمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ وليتذكرْ كُلٌّ مِنكُم مَسؤوليتَه عَنِ الإسلامِ والمُسلمينَ، وسَيكونُ حَدِيثِي مَعكُم عَن دَورِ الشبابِ نَحو هذِه المَسؤوليةِ وواجِبكُم في توجِيهِهم للقيامِ بِهَا.

ولا شَكَّ أيَهَا الأخوةُ أنَّ دَورَ الشبابِ في الحياةِ دَورٌ مُهِمٌّ، فَهُم إذَا صَلَحُوا ينهضُونَ بأُمتِهم ويقُومُونَ بِنَشْرِ دِينِهم والدعوةِ إليه؛ لأنَّ اللهُ أعطَاهم مِنَ القوةِ البدَنيةِ والقوةِ الفِكريةِ مَا يتفوقُونَ بِه علَى كِبارِ السِّنِّ، وإنْ كَانَ كِبارُ السنِّ يفضلونَهم بالسبقِ والتجاربِ والخِبرةِ. إلاَّ أنَّ ضَعْفَ أجسامِهم في الغالبِ وضَعْفَ قُواهُم لاَ يُمكِّنُهم مِمَّا يقومُ بِه الشبابُ الأقوياءُ. ومِن هُنا كَانَ دَورُ شَبابِ الصَّحَابةِ رضِي اللهُ تعَالى عَنهم الدَّور العظِيم في نَشْرِ هذَا الدِّينِ تَفقهَاً فِي دِينِ اللهِ وجِهَاداً فِيَ سَبيلهِ. مِنْ أمثَالِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ، وعبدِ اللهِ بنِ عُمرَ، وعبدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العاصِ، ومُعاذِ بنِ جبلٍ، وزَيد بنِ ثابتٍ، وغَيرِهم مِنْ شَبَابِ الصَّحَابةِ

الذينَ نَهَلُوا مِنَ العِلْمِ النافعِ وحَفظُوا لهذِه الأُمَّة مِيراثَ نَبيِّها ﷺ وبلَّغُوه. وإلى جَانِبِهم القادةُ كخَالد بنِ الوليدِ، والمُثنَّى بنِ حَارثةَ الشيبانيّ، وغَيرِهم كُلّهم أُمّةٌ واحدةٌ قَامُوا بأعباءِ واجبِهم فأدّوا دَوراً كَبيراً تجاهَ دِينهم وأُمتِهم ومُجتمعِهم لاَ تَزَالُ آثارُه بَاقيةً إلى اليَوم وستبقَى بإذنِ اللهِ مَا بَقِيَ الإسلامُ، وشَبابُ هذَا الوقتِ هُم مِن وَرَثَةِ أولئكَ إذَا مَا أَحسنُوا لأنفسِهم وعَرفُوا مَكانتَهم وتحملُوا أَمانتَهم، فهُم ورثةُ أولئِك الشَّبابِ الأقدَمين. وقَد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ مِنَ السبعةِ الذِينَ يُظلّهُم اللهُ في ظِلّهِ يومَ لا ظِلّ إلا ظِلّهُ (شَاباً نَشأَ فِي عِبادةِ اللهِ).

والنبيُّ ﷺ كَانَ يُولِي جَانِباً مِن تُوجيهاتِه إلى الشبابِ فيقولُ ﷺ لابنِ عباسٍ: **«يَا غُلامُ إنِّي أُعلّمُكَ كَلماتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفَظِ اللهَ تجدْه تجَاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فاسألِ اللهِ وإذَا استعنتَ فاستعنْ باللهِ»**[1] ويقولُ ﷺ لمعاذِ بنِ جَبلٍ وهُو رديفُهُ علَى حِمَارٍ: **«يَا مُعاذُ أَتدرِي مَا حَقُّ اللهِ علَى العِبَادِ ومَا حَقُّ العِبادِ علَى اللهِ؟»** إلى آخرِ الحديثِ[2]. ويقولُ ﷺ لعُمر بنِ أبي سَلمةَ رَبيبه وهُو طِفلٌ صَغيرٌ لَمّا أرادَ أنْ يَأكلَ مَعَ النبيِّ ﷺ وجَالَتْ يدُه في الصَّحْفَةِ أَمْسَكَ النبيُّ ﷺ بيدِه وقَالَ: **«يَا غَلامُ سَمِّ اللهَ وكُلْ بِيمينِكَ وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»**[3] فهذِه تَوجيهاتٌ مِنَ النبيِّ ﷺ يُوجِّهُهَا لطفلٍ ليغرسَ فِي قَلبِه هذِه الآدابَ العَظيمةَ، وهذَا مِمَّا يَدُلُّ علَى أهميةِ تَوجيهِ الشَّبابِ نَحو الخيرِ ومَسؤوليةِ الكِبارِ نَحْوَهُم.

ودينُنا الإسلاميُّ اهتمَّ بتنشئةِ الشَّبابِ اهتمَاماً بَالِغاً، لأنّهم هُمُ الرجالُ في المُستقبلِ وهُم الذين سَيخلفُونَ آباءَهم ويرثونَهم ويقومُونَ بدورِهم في الحياةِ،

---

(١) روه الترمذيُّ (٢٥١٨).
(٢) رواه البخاريُّ (٢٨٥٦)، ومسلمٌ (٣٠)، وغيرُهما.
(٣) رواه البخاريُ (٥٣٧٦)، ومسلمٌ (٢٠٢٢)، وغيرُهما.

فَمِنْ توجيهاتِ الإسلامِ إلى العنايةِ بالشبابِ:

أولاً: اختيارُ الزوجةِ الصَّالِحةِ التِي هِي مَوْضِعُ الحَرْثِ الذِي ينبتُ فِيه الأولادُ.

فالنبيُّ ﷺ حَثَّنَا علَى اختيارِ الزوجةِ الصَّالِحَةِ وقَالَ ﷺ: **«اظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يدَاكَ»**[1] لأنَّ الزوجةَ الصَّالِحَةَ إذَا رزَقَ اللهُ الزَوجَ مِنها أولاداً فإنَّها تُوجهُهم وتقُوم بدورِها نَحوهم مِن طُفولتِهم. هذَا مِن توجيهاتِ الإسلامِ نَحو الشبابِ.

ثانياً: ومِن تَوجيهاتِ الإسلامِ نَحو المَولودِ أولَ مَا يُولدُ أنْ يَخْتَارَ والدُه الاسمَ الحَسَنَ؛ لأنَّ الاسمَ الحسنَ لَه معنىً ولَه مَدلولٌ. فالنبيُّ ﷺ حَثَّ علَى أن يَخْتارَ الأبُ لولدِه اسْمَاً حَسَناً وأنْ يَبتعدَ عَنِ الأسماءِ المَكروهةِ أو الأسماءِ التي تَدُلُّ أو تَشتملُ علَى مَعَانٍ غيرِ لائقةٍ.

ثالثاً: ومِن تَوجيهاتِ الإسلامِ نَحو الشبابِ أنْ وَجَّهَ آباءَهم إلى أنْ يَعُقُّوا عَنهم أيْ يذبحُوا عَنهم العَقيقةَ، لأنَّهَا سُنَّةٌ مُؤكدةٌ ولهَا تَأثيرٌ طَيِّبٌ علَى الطفلِ، وهِي ليسَت لمُجردِ تحصيلِ اللحمِ والفرحِ، وهذَا مِمَّا يَدُلُّ علَى عِنايةِ الإسلامِ بالشبابِ أَولَ نَشأتِهم.

رابعاً: ومِن عِنايةِ الإسلامِ بِالشبابِ الاهتمامُ بتربيتِهم إذَا بلغُوا سِنَّ التمييز وصَارَ عندَهم الإدراكُ فحينئذٍ يُبْدأُ بتوجيهِهم إلى الدِّينِ. يقولُ ﷺ: **«مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهُم أبناءُ سَبْعِ سِنينَ واضربُوهم علَيها وهُم أبناء عَشْرِ سَنينَ وفَرِّقُوا بينَهم في المَضَاجِع»**[2] وهذَا مِمَّا يدلُ علَى أنَّ الإسلامَ يهتمُّ بالشبابِ ويتطورُ معَهم في التوجيهِ مِنْ سِنٍّ إلى أُخْرَى حَسْبَ استطاعتِهم ومَداركِهم،

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٠٩٠)، ومسلمٌ (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٤٧)، والنسائي (٣٢٣٠).
(٢) رواه أبو داود (٤٩٥).

كذلكَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «كُلُّ مَولودٍ يُولَدُ علَى الفِطرةِ فأبواهُ يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يمجِّسانِه»(١) فالمولودُ يُولدُ علَى الفِطرةِ، وهذِه الفِطْرَةُ إذَا مَا حَافَظَ علَيها أَبَوَاهُ ووجّهَاهَا إِلى الخيرِ اتجهتْ نَحو الخيرِ لأنَّها تُربةٌ صَالحةٌ، أمَّا إذَا انحرفَ الأبوانِ فِي تَربيةِ الطفلِ فإنَّ فِطرتَه تَفْسُدُ وتنحرفُ بِحَسْبِ تَربيةِ الوَالِد، فإنْ كَانَ الوالِدُ يَهودِيًّا أو نَصرَانياً أو مَجوسيًّا نشأَ الطفلُ علَى هذِه الدِّيانةِ الخَبيثةِ وفسدتْ فِطرتُه، أمَّا إذا كانَ أَبُوه مُسلمَاً صَالِحاً فإنَّه يُحافظُ علَى هذِه الفِطرةِ التي أودعَها اللهُ فِي هذَا الطفلِ وينمِّيهَا ويُزكِّيها ويتعهدُها.

خَامِساً: ومِمَّا يَدُلُّ علَى الاهتمامِ بأمرِ الشبابِ مِنْ سِنٍّ مُبكرةٍ أنَّ اللهَ تعَالى أَمَرَ الولدَ حِينَما يُدْرِكُ الكِبَرَ والدَاه أوْ أحدَهما أنْ يُحسنَ إِليهِمَا أوْ إِلى المَوجودِ مِنهُما وأنْ يَتَذَكَّرَ تَربيتَهما لَه يومَ أنْ كَانَ صَغِيراً ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسرَاء: ٢٣، ٢٤].

ومَوضِعُ الشَّاهِدِ مِنَ الآيتينِ هُو:

قُولُه تعَالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسرَاء: ٢٤] فتربيةُ الوالدينِ لولدِهما نِعمةٌ وإحسانٌ إليه يجبُ أنْ يُكافىء عليهِما والدَيْه، وليسَ المُرادُ بالتربيةِ التربية الجِسمية فقَط التِي هِي عِبارة عَن تَوفيرِ الطعامِ والشَّرَابِ، هذِه تَربيةٌ بَهيميةٌ إن اقتُصرَ علَيها، لَكِنِ الأهمُّ مِنْ ذَلكَ التربيةُ المَعنويةُ التِي هِي المُحافظةُ علَى فِطرتِه السليمة وتَوجيهُها إِلى الخيرِ وغَرْسِ الخَيرِ فِي نفْسه وتنشئتِه علَى الخيرِ. هذِه

(١) رواه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلمٌ (٢٦٥٨).

هِي التربيةُ المُفيدةُ التي تَبقى آثارُها علَى المَولودِ وتنمُو مَعَهُ وتُصاحِبُه، أمَّا التربيةُ الجِسميةُ فقَط فهذِه أقربُ إلى إفسادِه مِنها إلى إصلاحِه، لأنَّ الطفلَ إذَا أُغدِقَ علَيه الطعامُ والشرابُ والشهواتُ وأُهْمِلَ جَانبُ التربيةِ الصَّحيحةِ فإنَّ ذلكَ مِمَّا يدعُوه إلى أنْ يَنْشَأَ نَشْأَةً بَهيميةً. أمَّا إذَا رُبِّيَ التَّربيتينِ، التربيةِ الجسميةِ، لأنَّ التربيةَ الجسميةَ لابدّ مِنها في حُدودِ المَعقولِ وفي حُدودِ المَشروعِ مِنْ غَيرِ إسرافٍ ولاَ تَبذيرٍ، وإلى جَانبِها التربيةُ المعَنويةُ، فإنَّ ذَلكَ هُو الخَير الكَثير الذي يتذكرُه الولدُ عِندمَا يُدركُ إحسانَ والدَيْهِ إليه فيقولُ كَمَا أَمَرَ اللهُ. ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

أَيُّهَا المُسلمونَ: إنَّ الشبابَ فِي هذَا العصرِ يتعرضُون لِمشاكلَ كثيرةٍ منها أنَّهم يتعرضُون لتياراتٍ خَطيرةٍ إذَا تُرِكُوا مَعَهَا فإنَّها تُفْسِدُ أخلاقَهم وسلوكَهم وتُفسِدُ عقيدتهم وهِي تياراتٌ كَثيرةٌ ومُتنوعةٌ ومُتعددةُ المَصَادِرِ، تَياراتٌ تَحملُها وسائلُ الإعلامِ المُختلفةِ مِن إذاعةٍ وتِلفازٍ وصُحُفٍ ومَجلاتٍ وكُتُبٍ هَدّامَةٍ تَلفظُها المَطابعُ وهِي تحملُ سُمّاً زُعَافاً وتتلقفُها أَيدِي الشبابِ أوْ كَثيرٍ مِنَ الشبابِ الذِي لا يُميِّزُ بينَ الضَّار والنَّافعِ، هذِه التياراتُ المُتنوعةُ مِن مَقروءةٍ ومَرئيةٍ ومَسموعةٍ إذَا تُركتْ تَعْصِفُ بالشبابِ، فإنَّ نتائجَها تكونُ وخَيمة.

فالشبابُ الآنَ كَثيرٌ مِنهم تغيرتْ أخلاقُه وصَارُوا يُقلدونَ الغَرْبَ أَو الشرقَ فِي لِباسِهم، فِي شُعورِهم، في حَركاتِهم، طِبْقاً لِمَا يَسمعونَه ويَقرؤونَه مَمَّا تَحملُه إليهم هذِه الوسائلُ التي أغلبُ أحوالُها أنَّ فِيها الدَّسَّ الكَثيرَ لإفسادِهم. والأهمُّ مِن ذَلكَ تَغييرُ عقيدتِهم فَقَدْ تَحَوَّلَ بعضُ الشبابِ المُسلمِ إلى مُلْحِدٍ، إلى شيُوعِيٍّ، إلى بَعْثِيٍّ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأفكارِ الهَدّامَةِ لأنَّه مَادَامَ أنَّه مُقْبِلٌ عَلَى تَلَقفِ هذه الدعَاياتِ وهِي تُدْفَعُ إليه بِيُسْرٍ وسُهولةٍ وهُو فَارغُ الذهنِ مِن غَيرِهَا،

ليسَ عندَه مِنَ الحَصَانَةِ ولاَ مِنَ العِلْمِ مَا يَفهمُ بِه هذِه الشبهاتِ المَدسوسةَ أوْ هذِه الدعاياتِ المُضلِّلةَ فإنه يَتَقَبَّلُ مَا يَصِلُ إليه.

فالشابُ الذِي يتلقفُ هذِه الدعاياتِ وهُو خَالي الذهنِ مِمَّا يُضادُّها مِنَ العِلْمِ النافعِ لاشَكَّ أنَّها تَرسخُ في ذِهنه ويَصعبُ بعدَ ذَلكَ اجتذابُها مِنه.

وبعدَ ذَلكَ يَأتي دَوْرُ السَّفرِ للخارجِ، ويُسافِرُ الشابُ إلى الخَارِجِ، إلى البلادِ الكافرةِ، إلى البلادِ المُنحرفةِ التي ضَاعَت فِيها الأخلاقُ وفَسُدَتْ فِيها العَقائدُ ليشَاهِد هذِه البلادَ بِمَا فِيها، يُشَاهِدُ الإباحيةَ والأفكارَ الفَاسدةَ وليسَ عندَه مَا يدفعُها أَوْ يُبيّنُ زَيْفَهَا، ليسَ عِندَه الرصيدُ الكَافي أو ليسَ عندَه رَصيدٌ أَصْلاً، وهُو شَابٌ فِي رَيعانِ الشبابِ فإذَا سَافَرَ إلَى تِلكَ البلادِ وخَالَطَ أهلَها سُرعانَ مَا يتغيرُ لدينه ومُجتمعِه المُسلمِ ويَعودُ صِفْرَ اليدينِ. هذَا مِنْ أسبابِ الانحرافِ الخُلقيِّ والعقيديِّ في الشبابِ وهُو السفرُ إلى الخارجِ، الخَارجُ الذِي يَمُوجُ بالفسادِ. فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وتذكرُوا قَولَ اللهِ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦].

بَارَكَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ علَى فضْلِهِ وإحسانِه، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه وسَلَّم تسليماً كَثيراً.. أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واهتمُّوا بعلاجِ شَبابِكم مِمَّا أصابَهم في دِينهم، والعلاجُ مُيسورٌ والحمدُ للهِ متَى صَدَقَتِ النيّةُ وصَحَّتِ العزيمةُ وهُو يتلخصُ فِي

أُمُورٍ:

الأمرُ الأولُ: إصلاحُ المَناهجِ التعليميةِ التِي يتلقونَها في المَدارسِ بحيثُ تُملأُ هذِه المَناهجُ بالعلومِ الدينيةِ النافعةِ، بعلومِ العقائدِ الصحيحةِ ومَعرفةِ الحَلالِ مِنَ الحَرامِ فِي المُعاملاتِ وفي المَآكلِ والمَشاربِ والعَاداتِ والأخلاقِ حتَّى تَمتلىءُ قلوبُهم مِنَ العِلمِ النافعِ الذِي إذَا تَسلحُوا بِه استطاعُوا أنْ يُميِّزُوا بينَ الطيبِ والخَبيثِ وأنْ يقاومُوا الشُّبَهَ التِي تُواجهُهم، وبعدَ إصلاحِ المَناهجِ يُهتمُّ باختيارِ المُدرسينَ الأكفاءَ الصَّالحينَ الذينَ يُوصلونَ حَصيلةَ هذِه المَناهجِ وهذِه العُلومِ النافعةِ، يوصلونَها إلى قُلوبِ الشبابِ ويُرغِّبونَهم فِيها.

الأمرُ الثَّاني: إلتقاءُ الشبابِ بالعُلماءِ مِن خَلالِ نَدواتٍ فِي المَساجدِ وفِي المَدارسِ وفِي غَيرِها، نَدواتٍ مَفتوحةٍ للإجابةِ علَى مَشاكلِهم ولتوضيحِ الطريقِ أَمَامَهم، فإنَّ علَى العلماءِ مَسؤوليةً عَظيمةً نَحو شبابِ المُسلمينَ. ولكنْ وأقولُها بِكُلِّ مَرارةٍ الآنَ الفجوةُ كبيرةٌ بينَ الشبابِ وبينَ العُلماءِ، فالعلماءُ غَالبُهم في نَاحيةٍ والشبابُ فِي نَاحيةٍ أُخرى، وهذَا مِمَّا سَبَّبَ ضَياعَ الشبابِ، وإلاَّ يومَ كَانَ الشبابُ يَلتقُونَ بعُلمائِهم فقَد كَانُوا علَى بيِّنةٍ مِن أَمْرِهم ولكنْ حِينمَا انفصلَ الشبابُ عَن عُلمائِهم حَصلتْ هذِه النكساتُ العظيمةُ.

الأمرُ الثالثُ: مِنَ الأمورِ التِي يُعَالَجُ بِهَا هذَا الانحرافُ وتُقاومُ بِها هذِه التياراتُ المُوجهةُ نَحو الشبابِ مَنْع سَفرِهم إلى الخَارجِ إلا لضَرورةٍ مُلحةٍ مَعَ وضْعِ الضَّوابطِ والضَّمَانَاتِ التي تُبعدُهم مِنْ مَخَاطِرِ السفرِ إلى بلادِ الكُفْرِ، أَمَّا إذَا تُرِكُوا ليُسَافِرُوا عَلَى علاّتِهم فإنْ الأمرَ خَطيرٌ جِداً.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ... إلخ.

❊ ❊ ❊

بمناسبةِ قُرْبِ مَوسِمِ الحَجِّ إلى بيتِ اللهِ العَتيقِ

الحمدُ للهِ الذي شَرَعَ لعبادِه حَجَّ بيتِه الحَرام، وجَعَلَهُ مُطهِّراً لنفوسِهم مِنَ الذنوبِ والآثامِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أفضَل مَن صَلَّى وصَامَ، ووقَفَ بالمشَاعرِ وَطافَ بالبيتِ الحَرام، صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصحابِه والبَررةِ الكِرامِ، وسَلَّم تسليماً طَيباً ومُبارَكاً علَى الدوام . . . أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واشكرُوه إذْ شَرَعَ لَكُم حَجَّ بيتِه الذي جَعَلَهُ مَثابةً للناسِ وأمَناً، عبادَ اللهِ: يَستقبلُ المُسلمونَ فِي هذِه الأيامِ مَوسِمَاً عَظيمَاً مِنْ مُواسمِ الدَّارِ الآخِرةِ، يُتَاجِرُونَ فِيه التجارةَ الرَّائجةَ بالأعمالِ الصَّالحةِ، ألاَ وهُو مَوسمُ الحَجِّ إلى بيتِ اللهِ العَتيقِ والوقوفُ بالمَشاعرِ المقدسةِ، وهُو مَوسمٌ يتكررُ كُلَّ عَامٍ، والحجُّ فِيه فَريضةٌ علَى أهلِ الإسلامِ. قَالَ تعَالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] وقَد جَعَلَ اللهُ للمُسلمينَ مَواسمَ للخيرِ، مِنها مَا يتكررُ فِي اليومِ والليلةِ خَمْسَ مَراتٍ، وهُو الصَّلواتُ الخَمس، ومِنها مَا يتكررُ كُلَّ أُسبوعٍ وهُي صَلاةُ الجُمعةِ. ومِنها مَايتكررُ كُلَّ عَامٍ وهُو صَومُ رمضانَ، وحَجُّ بيتِ اللهِ الحَرام. وقَد أَخْبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ هذِه المَواسمَ المُباركةَ يُكفِّرُ اللهُ بِهَا الخَطَايَا مَا دُونَ الكبائرِ.

قَالَ ﷺ: «**الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمعةُ إلى الجُمعةِ، ورمضَان إلى رمضَان كَفَّارةٌ لِمَا بَينهنَّ إذَا اجْتُنِبَتِ الكَبائر**»[1] وقَال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تَابِعُوا بينَ**

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٣٣).

الحَجِّ والعُمرةِ فإنهُما ينفيانِ الفقْرَ والذنوبَ كَمَا ينفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَديدِ والذهبِ والفضةِ»[1] وقَالَ اللهُ تعَالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] بيّنتْ هَذه الآيةُ الكَريمةُ أنَّ حَجَّ البيتِ فَريضةٌ علَى المُستطيعِ، وهُو مَن يجدُ مَا يُبلغُه مِنَ الزادِ والمَركوبِ المُناسبِ لِمثْلِه بعدَ تَأمينِ نَفقةِ مَن تَلزمُه نفقتُهم إِلى أنْ يَرجعَ، وقَد بيّنتْ سُنَّةُ النبيِّ ﷺ أنَّ فَريضةَ الحَجِّ مَرةً وَاحِدةً فِي العُمْرِ، ومَا زَادَ عَن ذَلكَ فهُو تَطوَّعٌ. وهَذَا مِن رَحمةِ اللهِ بعبادِه فَلَو أوجبَه علَيهم كُلَّ عَامٍ لَمَا استطاعُوا. وقَالَ تعَالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحَجّ: ٢٧] ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحَجّ: ٢٨] دَاعِياً الناسَ إِلَى الحَجِّ ومُبيِّناً لَهُم حِكمتُه وهِي شُهودَ المَنافعِ العَظيمةِ، ولَم يُحدّدْ تلكَ المَنافعَ لكثرتِها ولتفاوتِ الناسِ فِي الحُصولِ علَيها، وهِي مَنافعُ دِينيةٌ ودُنيويةٌ:

مِنها: مَغفرةُ الذنوبِ، كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَن أتَى هذَا البيتَ فلَم يَرفثْ ولَمْ يَفسُقْ رَجَعَ كيومِ ولدتْه أُمُّهُ».

ومِنْها: استكمالُ أركانِ الإِسلامَ لأن الإِسلام بُنِيَ علَى خَمسةِ أَركانٍ، شَهادةِ أنْ لاَ إِلَه إلاّ اللهُ، وأنَّ مُحمداً رسولُ اللهِ، وإقام الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رَمضانَ، وحَجِّ بيتِ اللهِ الحَرامِ، ولَمَّا كَانَ الحَجُّ شَاقاً لاحتياجِه إلى النفقةِ واحتياجِه إلى قُوةِ البدنِ واحتياجِه إلى السفرِ مَسافاتٍ بَعيدةٍ ومِنْ ﴿كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحَجّ: ٢٧] لَمَّا كَانَ كَذلكَ تَأخرتْ فَرضيتُه فِي الإسلامِ إلى السَّنةِ التاسِعةِ مِنَ الهِجرةِ وجُعِلَ فَرضُه مَرةً واحدةً في العُمْرِ.

---

(١) رواه ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومِنْ مَنافعِ الحَجِّ إظهارُ قُوةِ الإسلامِ وكَثرةِ المُسلمينَ، ووحدتِهم وتآلفِهم وتَعارفِهم.

ومِنْهَا: تعلّمُ أحكامِ الدِّينِ، وتدارسُ مَشاكلِ المُسلمينَ، فإنَّهم إذَا اجتمعُوا مِن أقطارِ الأرض وفِيهم العلماءُ والقادةُ والسَّاسَةُ تَعلّمَ جَاهلُهم مِن عَالِمِهم، وانتفعُوا بِخبراتِ قَادتِهم وسَاستِهم في حَلِّ مَشاكلِهم.

ومِنها: تعلّمُ العَقيدةِ وتَطبيقُها عَمليًا وإعلانُها بالتلبيةِ: (لبيكَ لاشريكَ لكَ لبيكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلكَ، لاَ شريكَ لكَ لبيكَ).

ومِنْهَا: إزالةُ الفَوارقِ بينَ المُسلمينَ وبيانُ أنَّهم أُمةٌ واحدةٌ لاَ فَضلَ لعَربيِّهم على عَجميِّهم ولاَ لأبيضِهم علَى أسودِهم ولاَ لغنيِّهم علَى فقيرِهم حِينما يُحْرِمُونَ بِنُسُكٍ وَاحدٍ في زِيٍّ واحدٍ ويتجهُون إلى بيتٍ واحدٍ ويَسيرونَ وينزلُونَ فِي المَشَاعِرِ فِي وقتٍ واحدٍ.

ومِنْهَا: استفادتُهم مَاديًا واقتصَاديًا في البيعِ والشراءِ والتأجيرِ في مَوسمِ الحَجِّ، قَالَ تعَالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨].

ومِنْهَا: تَربيةُ النفوسِ علَى تَحَمُّلِ المَشاق في سَفَرِ الحَجِّ وتَنقلاتِه، وتَربيتُها علَى البذلِ والإنفاقِ، لأنَّ الحَجَّ يَجمعُ بينَ العِبادةِ البدنيةِ والمَاليةِ، وتَربيةُ النفوسِ علَى التواضعِ والشَّفقةِ والرحمةِ بالضَّعَفَةِ والمَساكينِ فِي مَواطنِ الزِّحَامِ كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ حِينَما دَفَعَ مِنْ عرَفَةَ: «أَيُّهَا الناسُ السكينةَ السكينةَ»(١) وكَانَ يأخذُ بزِمامِ نَاقتِه ليمنعَها مِنَ السرعةِ فِي مَواطِنِ الزحامِ حتَّى لاَ يَشقّ علَى الناسِ،

---

(١) رواه البخاريُّ (١٦٧١).

وإذَا وجَدَ مُتَّسَعاً أَسرعَ السيرَ فَعَلَ ﷺ ذلكَ مِنْ أجلِ الرفقِ بالناسِ.

ومِنْ مَنافِعِ الحَجِّ: إعلانُ ذِكْرِ اللهِ عندَ ذَبْحِ الهَدي والتقرّبُ إليه بذلكَ النُّسُكِ والتوسعةُ علَى النفسِ وعلَى المُسلمينَ بالأكلِ مِن لَحْمِه. قَالَ تعَالى: ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحَجّ: ٢٨] وقَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحَجّ: ٣٦: ٣٧].

وقَالَ ﷺ: «أيامُ التشريقِ أيامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ للهِ عزّ وجلّ»[١].

ومِنْ مَنافعِ الحَجِّ: إحياءُ مِلّةِ إبراهيمَ علَيه الصلاةُ والسَّلامُ والاقتداءُ بنبينَا مُحمدٍ ﷺ بإقامةِ المَناسكِ علَى هَدي هذَينِ الخَليلينِ عَليهمَا السَّلامُ كَمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «خُذوا عنّي مَناسكَكُم»[٢] وفيه مُخالفةٌ لِدينِ الجَاهليةِ والمُشركينَ.

ومِنْ مَنافعِ الحَجِّ: تَهذيبُ الأخلاقِ بالتزامِ الأفعالِ والأقوالِ الحَميدةِ المُفيدةِ، وهَجْرِ الأفعالِ والأقوالِ الذميمةِ. كَما قَالَ تعَالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

ومِنْ مَنافعِ الحَجِّ: تَعويدُ المسلمِ علَى التواضعِ والبسَاطةِ فِي المَلبسِ والمَأكَلِ، وتجنيبُه عَيْشَ الترفُّهِ والتنعمِ ولذلكَ مُنِعَ المُحْرِمُ مِن مُباحاتٍ كَانَ

---

(١) رواه مسلمٌ (١١٤١).

(٢) الصوابُ «لتأخذوا مناسككم» انظره عند مسلمٍ (١٢٩٧).

يتمتعُ بِهَا فِي غَيرِ حَالةِ الإحرامِ كالاستمتاعِ بينَ الزوجينِ، ولبسِ المَخيطِ، وتَغطيةِ الرأسِ للذَّكرِ، والتطيّبِ، وحَلْقِ الشَّعْرِ، وتقليمِ الأظافرِ، والاصطيادِ.

ومِنْ مَنافعِ الحَجِّ الكُبرى: زيارةُ المَسجدِ الحرامِ ورُؤيةُ البيتِ العتيقِ الذِي هُو أولُ بيتٍ وَضِعَ للناسِ، والتشرفُ بالطوافِ بِه امتثَالاً لقولِه تعَالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحَجّ: ٢٩] وكذلكَ الصلاةُ بالمسجدِ الحَرامِ الذي تَعْدِلُ الصلاةُ الواحدةُ فِيه مِائةَ ألفِ صَلاةٍ فيمَا سِواه مِنَ المسَاجِدِ، والذي هُو أفضلُ المسَاجِدِ الثلاثةِ التي تُشَدُّ إليهَا الرحالُ ولاتُشدّ إلى غيرِهَا كمَا قَالَ النبيُّ ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إلى ثَلاثةِ مَساجد: المسجدِ الحرامِ، ومَسجدي هذَا والمسجدِ الأقصَى**»[1] وفي روايةِ (**لاتَشُدُّوا**)[2] بصيغةِ النَّهي.

ومِنْ مَنافعِ الحَجِّ: تَذكّرُ المَوقفِ والحَشْرِ يومَ القيامةِ والعِظَةِ والاعتبارِ، فإنَّ المُسلمَ إذَا رَأى اجتماعَ الناسِ وتزاحمَهم في المَشَاعِرِ المُقدسةِ علَى اختلافِ أَلسنتِهم وأَلوانِهم واختلافِ طَبقاتِهم وأحوالِهم، الركبانُ والمُشاةُ والصغارُ والكبارُ والأقوياءُ والضعفاءُ فإنَّه يتذكرُ المَحْشَرَ الذي يجتمعُ فِيه الأولونَ والآخرونَ علَى اختلافِ أعمالِهم وأحوالِهم. ولهذاَ خَتَمَ اللهُ آياتِ الحَجِّ مِن سُورةِ البقرةِ بقولِه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البَقرة: ٢٠٣]. هذَا وليسَ بِوسْعِي أنْ أُحيطَ بمنافعِ الحَجِّ ولكنِّي ذَكرتُ مَا يحضرُني مِنها علَى ضَوْءِ مَا أحفظُه مِنَ الأدلةِ وهُو أقلّ مِنَ القليلِ، وأسألُ اللهَ عزّ وجلّ أنْ يتقبلُ مِنّا ومِنَ المُسلمينَ حَجَّنَا وسَائرَ أعمالِنا إنَّه سَميعٌ مُجيبٌ، وأقولُ قَولي هذَا وأَستغفرُ اللهَ لِي ولكُم . .

---

(١) رواه البخاريُّ (١١٨٩)، ومسلمٌ (١٣٩٧).

(٢) رواه مسلمٌ (١٣٣٨).

فِي عزوفِ غَالبِ الشبابِ عَنِ الزَّواجِ

الحمدُ للهِ القائلِ فِي كتابِه المُبينِ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرُّوم: ٢١] وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه. ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الطُّور: ٤٣] وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه. صَلَّى الله علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه وسَلَّم تسليمَاً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ وانظرُوا فِي مَشاكلِ شَبابِكم والتمسُوا لَهَا العِلاَج النَّافِعَ، لتسلمُوا مِن شرِّهَا، وتأمنُوا مِن خَطَرِهَا.

فَمِنْ مَشاكلِ الشبابِ عزوفُهم عَنِ الزواجِ وهِي مُشكلةٌ عَظيمةٌ، ويترتبُ علَيها مَضَارٌ كَبيرةٌ لا يعلمُها إلاَّ اللهُ، وهُم يتعللونَ لذلكَ بتعليلاتٍ مِنها:

أَولاً: قولُهم إنَّ الزواجَ المُبكرَ يشغلُ عَن الدراسةِ والاستعدادِ للمُستقبلِ.

ثَانياً: قولُهم إنَّ الزواجَ المُبكرَ يحمّلُ الشبابَ مَسؤوليةَ الإنفاقِ علَى زوجتِه وأولادِه.

ثَالثاً: وهذِه مِن أخطرِ الأسبابِ لنفورِ الشبابِ عَنِ الزواجِ: العراقيلُ التي وُضِعَتْ فِي طَريقِ الزواجِ مِن تكاليفَ باهظةٍ وإسرافٍ قَد لا يَستطيعُه الشَّابُّ.

وعِلاجُ هذِه المُشكلةِ بسيطٌ وميَسورٌ إذَا مَا صَدَقْنَا النيّة، بحيثُ يبيّنُ للشبابِ مَا فِي الزواجِ مِنْ مَزايا وحَسناتٍ وخَيراتٍ تَرجحُ علَى مَا ذكرُوه من مُعوقاتٍ أَوْ مِنْ مَشَاقٍّ، وليسَ في هذِه الدّنيا شَيءٌ إلاَّ ويقابلُه شَيءٌ، أنَا لاَ أقولُ إنَّ الزواجَ

مَيسورٌ مِن كُلِّ وجْهٍ، أَوْ ليسَ فِيه مَشقةٌ، أو ليسَ فِيه مشَاكل، بلْ فِيه مَشاكلٌ وفِيه بعضُ مَشاقٍّ، ولَكِنْ فِيه مَصالحُ تَرجحُ علَى هذِه المشاكلِ وعلَى هذِه المَشَاقِّ، وبالتالي تُنْسِيهَا.

فَمِنْ مَصَالِحِه:

أولاً: فِيه إعفافُ الفرجِ وغَضُّ البصرِ. يُرشدُ إلى هذَا قولُ النبيِّ ﷺ: «**يا معشرَ الشبابِ مَنِ استطاعَ مِنكُم البَاءةَ فليتزوجْ، فإنَّه أَغَضُّ للبصرِ وأحصنُ للفَرْجِ. ومَنْ لَمْ يَستطعْ فعَليهِ بالصومِ**»[1] فالنبيُّ ﷺ أرشدَ الشبابَ، وخَصَّ الشبابَ بذلكَ لأنَّ عندَهم الاستعدادُ للزواجِ وعندَهم الطاقةُ التِي إذَا مَا بُودِرَتْ بِوَضْعِهَا في مَوضِعِهَا السليمِ أفادتْ، فالشبابُ ينبغِي لَه أنْ يتزوجَ في سِنٍّ مُبكرٍ مَهمَا استطاعَ إلى ذلكَ سَبيلاً، والاستطاعةُ والحمدُ للهِ وخُصوصاً وفي زَمَانِنَا هذَا مَوجودةٌ فِي الغالِب فلاَ عُذْرَ للشبابِ أو للكثيرِ مِنَ الشبابِ فِي تَرْكِهِم الزَّواج.

ويبيّنُ ﷺ مَا للزواجِ المُبكرِ مِنْ مَزَايا فإنَّه أحصنُ للفَرْجِ لأنَّ الفرجَ خَطيرٌ جِدّاً. قَالَ تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

«**فإنَّه أحصنُ لِلفَرْجِ**» أيْ أنَّ الزواجَ يؤمّنكَ مِنْ خَطَرٍ عَظيمٍ وهُو خَطرُ الفَرْجِ «**وأغضّ للبصرِ**» إذَا تَزَوَّجَ فإنَّه بذلكَ تَقَرُّ عَينهُ ولا ينظرُ إلى هُنَا وهُنَاكَ أو يتطلعُ إلى مَا حَرَّمَ اللهُ عليه، لأنَّ اللهَ أغْنَاهُ بحلالِه عَن حَرامِه، وكَفَاه بفَضْلِه عَمَّنْ سواهُ.

ثانياً: الزواج يَحْصُلُ به السَّكَنُ النفسيُّ والراحةُ. يقولُ اللهُ سُبحانَه وتعَالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ

---

(١) رواه البخاريُّ (١٩٠٥)، ومسلمٌ (١٤٠٠).

وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١] فإذَا تَزَوَّجَ الشَّابُ سَكَنَتْ نَفْسُهُ عَنِ الاضطرابِ والقلقِ وارتاحَ ضَميرُه، لأنَّ الشابَ بَدَلَ مَا يكونُ مُزعزعَ الفِكْرِ، فَإِنَّ تَزوجَه مِن أسبابِ سُكونِ نفْسِه وطمأنينتِه وارتياحِه، وبالتَّالِي يكونَ سَبباً في خَيراتٍ كَثيرةٍ تَترتبُ علَيه.

ومِنْ فَوائدِ الزواجِ المُبكرِ حُصولُ الأولادِ الذين تَقَرُّ بِهم أعينُ والدِيهم، يقولُ سُبحانه وتَعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفُرقان: ٧٤].

فَهَذَا مِمَّا يُشجعُ الشابُ ويُقنعُه بأنْ يقْبَلَ علَى الزواجِ، كَمَا أنَّ الأولاد، أيضَاً هُم شَطْرُ زِينةِ الحَياةِ الدُّنيَا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فالأولادُ بِهم زِينةٌ للحياةِ الدُّنيا، والإنسانُ يَطْلُبُ الزِّينةَ، وكَمَا أنَّه يَطْلُبُ المَالَ كذلكَ يَطلبُ الأولادَ لأنَّهم يُعادلُونَ المَالَ في كَونِهم زِينةَ الحياةِ الدُّنيا. هذَا في الدُّنيا، ثُمَّ فِي الآخرةِ يَجرِي نَفعُهم علَى آبائِهم، كَمَا قَالَ ﷺ: «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عمَلُه إلاَّ مِن ثَلاثٍ: عِلْمٍ ينتفعُ بِه أو صَدقةٍ جَاريةٍ أوْ ولَدٍ صَالحٍ يَدعُو لَه»[1] فالأولاد إذَا فِيهم مَصالحُ عَظيمةٌ في الحياةِ وبعَدَ المَوتِ.

كذلكَ فِي الزواجِ المُبكرِ حُصولُ الأولادِ فَتَكثُر الأُمةُ الإسلاميةُ، وتَكْثيرُ المُجتمعِ الإسلاميِّ والإنسانُ مَطلوبٌ مِنه أنْ يُشاركَ فِي بِناءِ المُجتمعِ الإسلاميِّ. يقولُ ﷺ: «تَزوجُوا فإنِّي مُكاثرٌ بِكُم يومَ القيامةِ»[2] أَوْ كَمَا يقولُ ﷺ. فالزواجُ تَترتبُ علَيه مَصَالحُ عَظيمةٌ، مِنهَا مَا ذَكَرْنَا فَإذَا مَا شَرَحْتَ لِلشَّابِّ هَذِه المَزَايَا وهذِه المَصَالِح فَإِنَّهَا تَضْمَحِلُّ أَمَامَهُ المُشكلاتُ التي تَخَيَّلَهَا عَائقةً لَه عَنِ الزواجِ.

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذيُّ (١٣٦٧)، والنسائيُّ (٣٦٥١).
(٢) رواه البيهقي وهو صحيح «صحيح الجامع» (٢٩٤١).

أَمَّا أنْ يُقَالَ الزواجُ المُبكرُ يشغلُ عَنِ التحصيلِ العِلْمِي وعَنِ الدِّرَاسَةِ فليسَ هَذَا بِمُسلمٍ، بَلِ الصَّحيحُ العكسُ لأنَّه مَادَامَ أَنَّ الزواجَ تَحْصُلُ بِه المَزَايَا التِي ذَكَرْنَاهَا ومِنْهَا السُّكونُ والطُّمَأنينةُ ورَاحةُ الضَّميرِ وقُرَّةُ العَينِ فهذَا يُسَاعِدُ الطالبَ علَى التحصيلِ لأنَّه إذا ارتاحَ ضَميرُه وصَفَا فِكْرُهُ من القلَقِ، فهذا يُساعدُهُ على التحصيلِ، أمَّا عدمُ الزواجِ فإنَّه فِي الحقيقةِ هُو الذِي يَحولُ بينَه وبينَ مَا يريدُ مِنَ التحصيلِ العِلْمِيِّ، لأنَّه مُشَوَّشُ الفِكْرِ مُضطربُ الضميرِ لايَتَمَكَّنُ مِنَ التحصيلِ العِلْمِيِّ، لكنْ إذَا تزوجَ وهَدَأَ بَالُه وارتاحتْ نَفْسَه وحَصلَ علَى بيتٍ يَأوَى إليه وزَوجُة تُؤنسُه وتُساعِدُه فإنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُساعدُه علَى التحصيلِ، فالزواجُ المُبكرُ إذا يسّرهُ اللهُ وصَارَ مُنَاسِباً فإنَّ هذَا يُسَهِّلُ علَى الطالبِ السَّيْرَ فِي التحصيلِ العِلميِّ، لاكَمَا تَصوَّرَ أنَّه يَعوقُه، كذلكَ قولُهم إنَّ الزواجَ المُبكرَ يُحمّلُ الشابَّ مؤنةَ النفقةِ علَى الأولادِ وعلَى الزوجةِ إلى آخِره. هذَا أيضاً ليسَ بِمُسَلَّمٍ لأنَّ الزواجَ تَأتي معَه البركةُ والخيرُ لأنَّه طَاعةٌ للهِ ورسولِه، والطاعةُ كُلُّهَا خَيْرٌ، فإذَا تَزَوَّجَ الشَّابُّ مُمتثِلاً أمرَ النبيِّ ﷺ ومُتحرياً لِمَا بيدِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦] فالذِي يَسرَ لكَ الزواجَ سَييسّرُ الرزقَ لَكَ ولأولادِك ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعَام: ١٥١].

فالزواجُ لا يُحَملُ الشابَّ كَمَا يتصورُ أنَّه يُحمّله فَوْقَ طَاقتِه، لأنَّه يأتِي معَه الخيرُ وتَأتِي مَعه البركةُ، والزواجُ سُنّة اللهِ سُبحانَه وتعَالى في البشرِ لَابدّ مِنه. فهُو لَيسَ شَبَحَاً مُخيفاً وإنَّمَا هُو بابٌ مِنْ أبوابِ الخيرِ لِمَنْ صَلُحَتْ نِيتُه، أمَّا مَا يتعللونَ بِه مِن العَراقيلِ التِي وُضِعَتْ فِي طَرِيقِ الزواجِ فهذِه مِنَ تَصرفاتِ الناسِ السيئةِ، أمَّا الزواجُ فِي حَدِّ ذاتِه فَلَا يُطلبُ فِيه هذه الأشياءُ. فَضَخَامَةُ المَهْرِ مَثلاً والحفلاتُ الزائدةُ عَنِ المَطلوبِ وغَيرُ ذلكَ مِنَ التكاليفِ، هَذِه مَا أنزلَ اللهُ بِها مِن

سُلطانٍ، بَلْ المَطلوبُ فِي الزواجِ التيسيرُ، فيجبُ أنْ يُبيّنَ للناسِ أنَّ هذِه الأمورَ التِي وضَعُوهَا في طَريقِ الزواجِ أمورٌ يَترتبُ علَيها مَفاسدُ لأولادِهم. وليسَت فِي صَالِحِهم، فيجبُ أن تُعَالَجَ وأنْ يُهتمَّ بمعالجتِها حتَّى تَزولَ عَن طَريقِ الزواجِ وحتَّى يَعودَ الزواجُ إلى يُسْرِه وإلى سهولته ليؤدِّيَ دَوْرَهُ فِي الحياةِ. ونسألُ اللهَ سُبحانَه وتعَالى أنْ يَمُنّ عَلينا جَميعاً بالتوفيقِ والهِدايةِ، وأنْ يُصْلِحَ أحوالَ المُسلمينَ، وأنْ يُصْلِحَ شَبَابَ المُسلمينَ، وأنْ يَرُدَّ للمسلمينَ مَكانتَهم وعِزّتَهم كَمَا أنَّ الله سُبحانه وتَعَالى جَعَل العِزّةَ لَهم في أولِ الأمرِ، نسألُه سُبحانه أنْ يُعيدَها وأن يُصلحَ شأنَهم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنَافِقون: ٨] نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرهم في دينهم وأن يكفيهم شرّ أعدائهم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النُّور: ٣٢].

بَارَكَ اللهُ لِي ولَكُمْ فِي القرآنِ العَظِيمِ

* * *

فِي التحذيرِ مِنَ الخمرِ والمَيسرِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، أباحَ لَنَا الطيِّباتِ، وحَرَّمَ علَينا الخبائث، ووَضَعَ عنَّا الآصارَ والأغلالَ، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَه الكبيرُ المُتعال، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، بيَّنَ الحرامَ والحلالَ، صَلَّى اللهُ علَيه وسَلَّم وعلَى آلِه وأصحابِه صَلاةً وسَلاماً دَائمَيْنِ مُتواصلَينَ مَا تَعاقَبَ الغُدُوُّ وَالآصَالُ. . .

أمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى واعلمُوا أنَّ اللهَ حَرَّمَ علَى المُسلمينَ كُلَّ مَا يَضُرُّ بِدينِهم ودُنياهُم ومَا يَخِلُّ بأجسامِهم وعُقولِهم، ومَا يُفسدُ قُلوبَهم وأخلاقَهم وأموالَهم، ومِنْ ذَلكَ أنَّه حَرَّمَ الخمرَ والميسرَ، قَالَ تعَالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقَرَة: ٢١٩].

فَبيَّنَ سُبحانَه أنَّ مَا في الخمرِ والمَيسرِ مِنَ المضارِّ والمفاسدِ والآثامِ الكُليةِ أعظمُ مِمَّا فِيهما مِنَ المَصالحِ الجُزئيةِ، ومَعلومٌ بالفِطَرِ والعُقولِ والشرائعِ أنَّ مَا كَانت مفسدتُه أعظمَ مِن مَصلحتِه وَجَبَ تَجنبُه وحَرُمَ تَعاطِيه والاقترابُ مِنه، ثُمَّ قَالَ تعَالى بعدَ ذَلكَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المَائدة: ٩٠، ٩١].

فِفِي هَاتينِ الآيتينِ الكَريمتينِ يُنادي اللهُ تعَالى أَهْلَ الإيمانِ؛ لأنَّ إيمانَهم يحملُهم علَى الاستماعِ لندائِه واجتنابِ مَا ينهاهُم عَنه، ويبيِّنُ لَهم أنَّ هذِه الأشياءَ المَذكورةَ وفِي طَليعتِها الخمرُ والمَيسرُ أمورٌ فَاسدةٌ مُفسدةٌ يَجبُ علَيهم تَجنبُها والابتعادُ عَنها:

أولاً: لأنَّها (رِجْسٌ) والرجسُ: هُو النجسُ، فَهِي نَجسةٌ نَجاسةً حسِّيَّةً ونَجاسةً مَعنويةً تُنَجِّسُ العقائدَ وتُنجسُ الأخلاقَ وتُنجسُ الأبدانَ والثيابَ، والمُطلوبُ مِنَ المؤمِن أنْ يَكونَ طَاهراً في عقيدتِه وخُلقِه وبَدَنِه وثيابه.

ثانياً: إنَّهَا مِن عَمَلِ الشيطانِ، وعَمَلُ الشيطانِ كُلُّهُ شَرٌّ وغِشٌّ لبني آدمَ؛ لأنَّه عَدُوٌّ لَهم لاَ يُريدَ لَهم الخيرَ؛ ولذلكَ أُمِرَ باجتنابِها والبُعْدِ عَنها، وعَلَّقَ علَى ذَلكَ الفلاحَ العاجلَ والآجلَ.

ودَلَّ ذلكَ علَى أنَّ مَن لَم يَجتنبِ الخمرَ والمَيسرَ فهُو خَاسرٌ في الدُّنيا والآخرةِ، ثُمَّ بَيَّنَ سُبحانَه وتعَالى في الآيةِ الثانيةِ مَقْصُودَ الشيطانِ مِن تَزيينِه للناسِ تَعاطِي الخَمرِ والميسرِ، وهُو أنَّه يريدُ بذلكَ بَثَّ العَداوة بينَ أفرادِ الأُسرةِ، وأفرادِ المُجتمعِ، حتَّى يتفككُوا، ويتقاطعوا، وربَّمَا تَضَاربُوا وتقاتلُوا، لأنَّهم قَد زَالت بينَهم الإلفةُ، وحَلَّ مَحلّهَا العداوةُ، وزالت المحبةُ، وحلَّ محلّها البغضاءُ.

ومَاذا تَتصورونَ فِي مُجتمعٍ قَد سَادَتْ بينَ أفرادِه العدَاوةُ والبغضاءُ؟.

وأعظمُ مِنْ ذَلِكَ أنَّ الشيطانَ يريدُ مِن تَعاطِيهم للخمرِ والمَيسرِ أنْ يَصدَّهم عَن ذِكْرِ اللهِ، الذِي بِذِكْرِهِ تَصْفُو نفوسُهم وتطمئنُّ قُلوبُهم، ويَصدُّهم عَنِ الصلاةِ التِي هِي أعظمُ صِلةٍ بينَهم وبينَ رَبِّهم عَزّ وجَلّ وبذلكَ تَنقطعُ صِلَةُ بعضِهم ببعضٍ، وتَنقَطِعُ صِلتُهم باللهِ، فتسودُ فِيهم الفوضَى والقلقُ النفسيُّ وينشغلونَ عَنِ الكَلِم

الطيبِ الذِي هُو ذِكْرُ اللهِ وعَنِ العملِ الصالحِ الذِي هُو الصُّلاة بالكلامِ الخبيثِ مِنْ سَبٍّ وشَتْمٍ وغِيبةٍ ونَميمةٍ، وبالعملِ الخبيثِ مِن زناً ولُواطٍ وشَهواتٍ مُحرَّمةٍ، ولَمَّا بيَّن اللهُ سُبحانه وتعَالى هَذِه المفاسدَ فِي الخمرِ والمَيسرِ قَالَ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المَائدة: ٩١].

فَلا يليقُ بمؤمنٍ عَاقلٍ بعدَ ذَلكَ إلاَّ أن يقولَ انتهيتُ يَا رَبِّ، ولذلكَ لَمَّا نَزلتْ هذِه الآية الكريمةُ وقُرئتْ علَى عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ تعَالى عَنه قَالَ: انتهينَا، انتهينَا إنَّها تُذْهِبُ المَالَ وتُذهبُ العقلَ.

عِبادَ اللهِ: والخَمْرُ اسمٌ لِكُلِّ مَا أَسْكَرَ مِن أيِّ مَادةٍ كَانَ، سَواءً كَانَ جَامداً أو مَائعاً وبأيِّ اسمٍ سُمِّيَ، سَواءً سُمِّيَ خَمْرَاً أو وسكياً أو شَراباً رُوحياً أو كُحولاً أو غَيرُ ذَلك، فالأسماءُ لاَ تُغيِّر الحقائقَ، وقد وردَ في الحديثِ: أنَّ الخَمر تُسمَّى بغيرِ اسْمِها في آخرِ الزمانِ، فيحرُم استعمالُ المُسْكِرِ بأيِّ شَكْلٍ: شُرباً واستنشَاقاً وأكلاً. وسَواءٌ كانَ تناولُه للذةٍ أو لتداوٍ أو تَطيبٍ في الثيابِ أو البدنِ، أو غيرِ ذَلكَ، وسَواءً كَانَ قَليلاً أو كَثيراً، خَالصَاً أو مَخلُوطاً مَعَ غيرِه... لقولِه ﷺ: «مَا أسْكَرَ كَثيرُه فقليلُه حَرامٌ»[1] ولقولِه تعَالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المَائدة: ٩٠]. وأَمَّا المَيسرُ فُهو القمارُ وقَد يُرادُ بِه كُلُّ مَا أَلْهَى عَن ذِكْرِ اللهِ، قَالَ الإمامُ ابنُ كَثيرٍ عَنِ القَاسمِ بنِ مُحمدٍ: كُلُّ مَا أَلْهَى عَنْ ذِكْرِ اللهِ وعَنِ الصلاةِ فهُو مِنَ المَيْسِرِ. والقُمَار هُو أخذُ المَالِ علَى المُسابقاتِ، والمُغالباتِ والمُراهناتِ، فَيحرُم ذَلكَ لأنَّه أَكْلٌ للمالِ بالباطِلِ، إلاَّ مَا استثنَاه الشارعُ مِمَّا فِيه مَصلحةُ التدريبِ علَى الجهادِ وآلاتِه لقولِه ﷺ: «لا سَبَقَ إلاَّ فِي نَصْلٍ أو خُفٍّ أو حَافِرٍ»

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٦).

رواه أحمد وأصحابُ السننِ وحَسَّنهُ الترمذيُّ وصحَّحه ابنُ حِبانَ والحاكمُ[١]، وقَولُه ﷺ: «لا سَبَقَ» أي لا يَحِلُّ أَخْذِ المَالِ فِي المُسابقةِ (إلاَّ فِي نَصْلٍ) وهُو السَّهْمُ الذي يُرمى بِه (أو خُفٍّ) يعني الإبلَ التي يُسابقُ علَيها (أو حَافِرٍ) وهُو الخيلُ التي يُسابَقُ علَيها.

فالحديثُ يدلُّ علَى جَوازِ أَخذِ العِوَضِ فِي المُسابقةِ بالرَّمي والإبلِ والخَيلِ ومَا فِي حُكمِهَا لأنَّها مِن آلاتِ الحَرْبِ المَأمورِ بتعلُّمِها وإتقانِها؛ ولأنَّ في بَذْلِ المَالِ في تلكَ المُسابقةِ تَشجيعَاً علَى الجهادِ والتدريبِ علَيه، وقَاسَ بعضُ العُلماءِ على ذَلك جوازَ أَخْذِ العِوَضِ علَى المُسابقةِ فِي المَسائِل العِلميةِ للحاجةِ إلى ذَلكَ، لقيامِ الدِّينِ بالجهادِ والعِلْمِ ومَا عَدا ذَلكَ مِنَ المُراهناتِ والمُسابقاتِ لايجوزُ أَخْذُ العِوَضِ علَيه، لأنَّه القُمَارُ المُحَرَّمُ والمَيسرُ الخبيثُ ومِن ذَلكَ لَعِبُ الشطرنجُ، فقَد ذَكَرَ الإمامُ ابنُ كَثيرٍ عَن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ رضي اللهُ عَنه أنَّه قَالَ: الشطرنجُ مِنَ المَيسرِ، ورُوي ذَلكَ عَن غَيرِه، ومِنْ ذَلكَ مَا يُفعلُ فِي بَعْضِ النوادِي والمُبارياتِ الرياضيةِ مِن قَطْعِ تَذاكرَ للمُتفرجِينَ يَدفعُونَ قِيمتَها ثُمَّ يُوضَعُ لبعضِ التذاكرِ رَقماً سِرياً مَنْ حَصَلَ علَيه أُعطِيَ سَيارةً أو مَبلغاً مِنَ المَالِ، فيكثرُ الذينَ يَشترونَ هذِه التذاكرَا طَمعاً في الحصولِ علَى هذَا الرقمِ الذِي جُعلتْ علَيه الجائزةُ، فهذاَ مِنَ القُمار المُحرَّم لأنَّه أكلٌ للمالِ بالباطلِ، مَعَ مَا فِيه مِنَ الانشغالِ عَن ذِكْرِ اللهِ وعَنِ الصَّلاةِ بمشاهدِة هذِه الألعابِ وحُضورِها، ومِنَ القُمارِ مَا يعملُه بعضُ مَصانع الأشربةِ الغازيَّةِ مِنْ وَضعِ عَلامةٍ خَفيةٍ فِي غَطاءِ بَعْضِ القَواريرِ مَنْ حَصَلَ عَليه أُعطِيَ سيَارةً أو مبلغَ كذَا مِنَ المَالِ حتَّى يُكثِرَ الناسُ مِن شِرَاءِ هذِه

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٧٤)، والترمذيُّ (١٧٠٠)، والنسائيُّ (٣٥٨٥).

الأشربةِ ولَو لم يكنْ لَهم حَاجةً بِها، بَلْ رُبَّمَا أراقُوها وإنَّما يشترونَها لأجلِ الطَّمَعِ فِي العُثورِ علَى هذِه القارورةِ التي جُعلت علَيها الجائزةُ التِي هِي فِي حَقيقتِها مَيسرٌ وقمارٌ.

ومِنَ القمارُ مَا يُؤخذُ علَى المُغالبةِ فِي لَعِبِ ورقِ البلوتِ مِنَ الأموالِ الطَّائلةِ التُّ تُبْذَلُ وتُهدرُ فِي اللُّعبةِ الخَبيثة؛ ومِنْ ذلكَ مَا يعملُه بعضُ أصحابِ الأسواقِ التجاريةِ مِن وضْعِ أسئلةٍ يُعطونَها لِمَنْ اشتَرى مِنهم كِميةً مُعيّنةً مِنَ البضائعِ، فإذَا أجابَ عنْها أعطُوه سيارةً أو بضاعةً مُثمنةً. وقصدُهم بذلكَ اجتذابُ الزبائِن لشراءِ مَا لديهِم مِنَ المَعروضاتِ، حتَّى إنَّ بعضَ الزبائِن يشترِي مَا لاحَاجةَ به طَمعاً في الحصولِ علَى هذِه الأسئلةِ فلعلَّه يُصادفُ الإجابةَ الصحيحةَ عنهَا فيفوزَ بهذِه الجائزةِ، وهذَا مِن أعظمِ القمارِ وأَكْلِ المَالِ بالباطلِ. وقد قَامتْ في بعضِ دُولِ العَالَم مُؤسساتٌ للقمارِ بأوراقِ اليانصيبِ، وغيرِها مِمَّا يخترعُه شَياطينُ الإنسِ والجنِّ مِنْ أساليبِ القمارِ والمُراهناتِ الباطلةِ.

ومِنْ أكْلِ المَالِ بالباطلِ مَا يفعلُه بعضُ المُوظفينَ مِن اتفاقِ مَجموعةٍ مِنهم أنَّ كُلَّ واحدٍ يَدفعُ مَبلغاً مُحدداً ومَا اجتمعَ مِنَ المبالغِ المَدفوعةِ يأخذُه واحدٌ مِنهم بالتناوبِ إذَا وصلَه الدَّورُ، وهذَا العملُ مُحرمٌ لأنَّه قَرْضٌ جرَّ نَفْعاً فهُو رِباً؛ ولأنَّه قَرْضٌ مَشروطٌ فِي قَرْضٍ فهُو بيعتانِ في بيعةٍ المَنهيِّ عَنه.

عِبادَ اللهِ: إنَّ مفاسدَ الخمرِ والمَيسرِ الذي هُو القمَارُ وتدميرَها للمجتمعاتِ والاقتصادِ العَالمي لايشكُّ فِيها عَاقلٌ، فَضلاً عَنِ المؤمنِ، فالخمرُ تُفسدُ الجسمَ وتَجلبُ له الأمراضَ الخطيرةَ فهِي تُسببُ تَصلُّبَ الشرايينِ: وتُمْرِضُ القلبَ والكُلَى والمُخَّ، وتُضعفُ الجسمَ إضعَافاً يعجزُ معَه عَن تَحمُّلِ الأمراضِ، وتَسلبُ العقولَ، وتلحقُ شَاربَها بالمجَانين

والمَخبُولينَ، وتفسدُ الأخلاقَ، وتَجُرُّ إلى الوقوعِ في الفواحشِ وهَتْكِ الأعراضِ، وبالخمرِ تقعُ العداوةُ والبغضاءُ، ويتصورُ شَارِبُهَا خِلافَ الواقعِ، فيتصورُ أنَّه الشجاعُ المقدامُ، والحاكمُ المُطاعُ، والجوادُ المِعطاءُ، وهُو في الحقيقةِ أضعفُ مِن دجاجةٍ وأخبثُ مِن جُعْلٍ وأبلدُ مِن حمارٍ وأديثُ مِن خِنزيرٍ، يرتكبُ الذنوبَ الكبائرَ، ويقترفُ الإجرامَ وينطقُ بأخبثِ الكلامِ، وربَّمَا سَبَّ اللهَ ورسولَه ودينَ الإسلامِ، وربَّمَا لَعَنَ أَبَاه وأُمَّه وغيرَهما مِن ذَوي الأرحامِ، يبولُ ويتغوطُ علَى نَفْسِه ويلطخُ بذلكَ جِسمَه وثِيَابَهُ مِن غيرِ شُعورٍ، يضحكُ بِلا عَجَبٍ، يبكِي مِن غيرِ سَببٍ، ويهزأُ بِه الصبيانُ والسفهاءُ، وينفرُ مِنه العقلاءُ.

وأَمَّا القمارُ فإنَّه مَجلبةٌ للخِزي والدمارِ، فكَم مِن غني سُلِبَتْ بالقمارِ ثَروتُه فأصبحَ فَقِيرَاً لايملكُ قِطْميرَاً، وكَمْ مِن فقيرٍ أثْرى فِي لحظةٍ إذَا غَلَبَ، ثم لايلبثُ أن يُسلبَ مَا بيدِه إذَا غُلِبَ، وهكذَا لايزالُ المُقامرونَ بينَ سَالبٍ ومَسلوبٍ، وغَالبٍ ومَغلوبٍ، حتَّى تَتَوَغَّرَ الصدورُ بالعداوةِ والبغضاءِ، وتحترقُ القلوبُ بالحزنِ والأَسَى، حتَّى كَثُرَ القتلُ والانتحارُ بينَ المُقامرينَ، وخَسِرُوا الدنيا والدِّينَ.

وصَدَقَ اللهُ العظيمُ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المَائدة: ٩١].

بَاركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ.

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ علَى فضلِه وإحسانِه، وأشهدُ أنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ وحدَه لاَ شَريكَ لَه في ربوبيتِه وإلَهيتِه وعظيمِ سُلطانِه، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه

الداعِي إِلى رِضوانِه، صَلَّى الله عليه وسلم وعلَى آلِه وأصحابه الذين قَامُوا بنشرِ دِينهِ وإعلانِه وبيانِه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى واحفظُوا أوقَاتكُم مِنَ الضياعِ أَعْظَمَ مِمَّا تَحفظُونَ أَموالَكُم واستغلُّوها فِيمَا ينفعُكُم في دِينكُم ودُنياكُم، فسيندمُ المُضَيِّعُ لأوقاتِه: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفَجر: ٢٣، ٢٤] وسَيفرحُ مَنْ حَفِظَ وَقْتَه واستغلَّه بالأعمالِ الصالحةِ إِذَا قِيلَ: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحَاقَّة: ٢٤].

وفِي الأثرِ: أنَّ عيسَى علَيه السلامُ قَالَ: (إنَّ هذِه اللَّيَالي والأيام خَزَائنُ فَانْظُرُوا مَا تَصْنَعُونَ فِيهَا) وأعظمُ الناسِ تضييعاً لوقتِه مَنْ شَغَلَهُ باللَّهْوِ واللَّعبِ، كَلَعِبِ الوَرقِ ولَعِبِ الشَّطْرَنْجِ، والمُبارياتِ الرياضيةِ ومُشَاهدَتِهَا.

فَلَعِبُ الورقِ ولعبُ الشطرنجِ إنْ كَانَ علَى عوَضٍ فهُو القمارُ المُحَرَّمُ بِلاَ خِلاَفٍ، وقَالَ الإمامُ الذهبيُّ ـ رحمَه اللهُ ـ في كِتابِ الكبائِرِ: وأَمَّا الشطرنجُ فأكثرُ العلماءِ علَى تَحريمِ اللعبِ بِها سَواءً كَانَ برَهْنٍ أَو بغيرِه.

أمَّا بالرهنِ فهُو قُمارٌ بِلاَ خِلافٍ، وأَمَّا إذَا خَلا مِنَ الرَّهْنِ فهُوا أيضَاً قمارٌ حرامٌ عندَ أكثرِ العُلماءِ، انتهى. ومِثْلُه اللَّعِبُ بالورقِ فإنْ كانَ علَى عِوَضٍ فهُو القمارُ المُحرمُ، وإنْ كانَ علَى غَيرِ عِوضٍ فهُو حَرامٌ أيضَاً، لأنَه يشغلُ عَن طَاعةِ اللهِ ويصدُّ عَن ذِكر اللهِ، ومنْ سَهرَ علَى لَعِبِ الورقِ نَامَ عَنْ صَلاةِ الفجرِ وضَيَّعَهَا، مَعَ مَا يَجُرُّ إليه لعبُ الورقِ مِن مُصاحبةِ الأشرارِ ومَا يشتملُ علَيه مِنَ اللَّغْوِ والكلامِ المُحَرَّمِ مِن شَتْمٍ وسَبٍّ يقَعُ بينَ اللَّاعبينَ.

وفي صَحيحِ البُخاريِّ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لصاحبِه: تعَالَ أُقَامِرْكَ فليتصدَّقْ»(١) فإذا كَانَ مُجردُ القولِ يُوجبُ الكفارةَ أو الصدقةَ فكيفَ بِفِعْلِ القمارِ؟!

وقَد ذكَرَ ابنُ كَثيرٍ عَنِ القاسمِ بنِ مُحمّدٍ أنّه قَالَ: (كُلُّ مَا أَلْهَى عَنْ ذِكْرِ اللهِ وعَنِ الصلاةِ فهُو مِنَ المَيْسِرِ) فاتَّقُوا الله يا مَن تَسهرونَ اللياليَ وتَجتمعونَ علَى لَعِبِ الورقِ، وتَغفلُون عَنْ ذِكْرِ اللهِ وتَنامُونَ عَنِ الصلاةِ وتُضيعونَ الأوقاتِ، واعلمُوا أنَّكُم سَتُحاسبُونَ عَلَى تَضييعِ الأوقاتِ. فقَد جَاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ أنَّ الإنسانَ يومَ القيامةِ يُسْأَلُ عَنْ عُمرِهِ فيمَا أفْنَاهُ... ويقولُ اللهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فَاطِر: ٣٧].

واعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ خيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ... إلخ

* * *

(١) رواه البخاريّ (٤٨٦٠).

فِي حَقِيقةِ الإيمانِ وعَلاماته

الحمدُ للهِ ذِي الفضلِ والإحسانِ، يَمُنُّ علَى مَن يشاءُ بهدايتِه للإيمانِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه. ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرَّحمن: ٢٩]. وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه، أَرْسَلَه إلى كَافةِ الثقلينِ الإنسِ والجانِّ. صَلَّى اللهُ علَيه وسلّم وعلَى آلهِ وأصحابِه ومَن تَبعهم بإحسانٍ وسَلَّم تسليمَاً كَثيراً..

أمَّا بعدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى وكُونُوا مِنَ المُؤمنينَ الصَّادقينَ الذينَ تُصدِّقُ أعمالُهم أقوالَهم فليسَ الإيمانُ بالتحلِّي ولاَ بالتمنِّي، ولكنَّه مَا وَقَرَ فِي القلوبِ وصَدَّقَتهُ الأعمالُ.

قَال تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصَّف: ٢، ٣].

والإيمان الصَّحِيحُ: اعتقادٌ بالقلبِ، ونُطْقٌ باللسانِ. وعَملٌ بالجوارحِ، يزيدُ بالطاعاتِ وينقصُ بالمعاصي، لَه أركانٌ ستةٌ هِي:

الإيمانُ باللهِ وملائكتِه وكُتبِه ورُسلِه واليومِ الآخرِ والقدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ، ولَه بِضْعٌ وسَبعونَ أو بِضْعٌ وسُتُّونَ شُعبةً، أَعْلاَهَا قولُ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ، وأدنَاهَا إماطةُ الأذَى عَنِ الطريقِ، والحياءُ شُعبةٌ منَ الإيمانِ، فَالذِي يقولُ بلِسانِه إنَّه مُؤمنٌ. ويشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ. وأنَّ مُحمّداً رسولُ اللهِ. ويعملُ الطاعاتِ بجوارحِه، فيُصلِّي ويُزكِّي ويصومُ ويَحُجُّ، إلى غَيرِ ذَلكَ مِنَ الأعمالِ، لكنَّه لايعتقدُ ذَلكَ

بقلبه ولا يصدقُ، فهذَا مُنافقٌ النِّفَاقَ الأكبرَ المُخرجَ مِنَ المِلَّةِ، وهُو شَرٌّ مِنَ الكافرِ الخَالِص. قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البَقَرة: ٨ـ١٠].

ومِثْلُ هذَا تَنكشفُ حَقيقتُه ويَظهرُ نِفاقُه عِندَ الامتحانِ ومُواجهةِ الشدائدِ. قَالَ تعَالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العَنكبوت: ١٠] وهذَا ليسَ لَه مَوقفٌ ثَابتٌ بَلْ هُو يتذبذبُ، يَكونُ مَعَ المؤمنينَ إنْ كَانَ لَهُم فَتْحٌ مِنَ اللهِ، ويكونُ مَعَ الكافرينَ إنْ كَانَ لَهم نَصيبٌ مِنَ الظهورِ والغَلَبَةِ المُؤقتةِ بِسببِ وقُوعِ خَللٍ فِي المُسلمينَ، قَالَ اللهُ تعَالى فِي وَصفِهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النِّساء: ١٤١]. وعِندَمَا يُدعَى إلى التحاكمِ إلى كِتابِ اللهِ وسُنةِ رَسولِه فإنَّه لا يَستجيبُ إلاَّ إذَا كَانت القضيةُ فِي صَالِحهِ، كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝٤٩﴾ [النُّور: ٤٨ـ٤٩].

وعِنْدَمَا يَدعُو الدَّاعي للجهادِ في سَبيلِ اللهِ وبَذْلِ الأنفسِ والأموالِ يَصيبهُم الذُّعْرُ ويَغْشَاهُمُ الجُبنُ ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزَاب: ١٩] يَألفُونَ المُنكراتِ، ويكرهُونَ الطَّاعَاتِ، ويَقْبِضُونَ أيديهم عَنِ الإنفاقِ والصدقاتِ. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾ [التوبَة: ٦٧].

عِبادَ اللهِ: ومَن اعتقَد بقلبِه ونطَقَ بلسانِه لكنَّه لَمْ يُصدِّقْ اعتقادُه وقولُه بالعملِ، فإنْ كانَ قَولُه وعَملُه يخالفُ ويناقضُ الشهادتينِ، كالذِي يستغيثُ بالموتَى ويذبحُ للقبورِ ويدعُو المَوتَى باسمِ الأولياءِ والصَّالحينَ، فهذاَ مُشركٌ كافرٌ باللهِ عزّ وجَلّ لا ينفعُه نُطْقُه بالشهادتينِ ولا انتسابُه للإسلامِ، ولا تَصِحُّ مِنْهُ عِبادةٌ، حتَّى يتوبَ إلى اللهِ ويُخْلِصَ دِينَه للهِ.

قَالَ تعَالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمَر: ٢]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٢، ٣].

وكَذَا مَنْ يقُولُ إنَّه مُسلمٌ ويشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ، ولكنَّه لاَ يؤدِّي أركانَ الإسلامِ فلا يُصلي ولا يُزكي ولا يصومُ ولا يُؤدي فَريضةَ الحَجِّ، فهذَا ليسَ بمسلمٍ ولا ينفعُه النطقُ بالشهادتين ولا انتسابُه إلى الإسلامِ؛ لأنَّه لَمْ يؤدِّ حَقَّ الشهادتينِ ولَمْ يَقُمْ بفرائضِ الإسلامِ. وقَد حَكَمَ اللهُ ورسولُه بكُفرِ تَارِكِ الصلاةِ والزكاةِ، قَالَ تعَالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التّوبَة: ٥]، وقال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التّوبَة: ١١].

فَدَلَّ ذَلكَ علَى أنَّ مَنْ لَمْ يُقِمِ الصلاةَ ويُؤَدِّ الزكاةَ لا يُخَلَّىٰ سَبيلُه بَلْ يُقتلُ وليسَ مِن إخوانِنا المُؤمنينَ بَلْ هُو مِنَ الكافرينَ.

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «العهدُ الذي بينَنَا وبينَهُمُ الصلاةُ فَمنْ تَركَهَا فقَد كَفَرَ»[1]

---

(١) الترمذيّ (٢٦٢٣) وقال: حسنٌ صحيح. ورواه غيره.

وقَالَ علَيه الصلاةُ والسَّلاَمُ: «بينَ العبدِ وبينَ الكُفرِ تَرْكُ الصلاةِ»[(١)].

والصلاةُ هِي عَمودُ الإسلامِ يقومُ علَيه، فمتَى فُقِد العمودُ لَمْ يَقُمْ للعبدِ إسلامٌ صَحِيحٌ، والزكاةُ قَرينةُ الصَّلاةِ في كِتابِ اللهِ عَزّ وجَلّ وقَد قَاتَلَ صَحابةُ رَسولِ اللهِ ﷺ بقيادةِ أبي بكرٍ مَانِعي الزكاةِ واعتبرَهم مُرتدينَ وسَمُّوا حُروبَهم حُروبَ الرِّدَّةِ، وهُم يقولُونَ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ مُحمّدُ رسولُ اللهِ. وأمَّا مَن تَرَكَ شَيئاً مِنَ الطاعاتِ الأُخرى التي هِي مِن مُكملاتِ الإسلامِ وحُقوقِه، أَوِ ارتكَبَ شَيئاً مَنَ المَعَاصِي التِي هِي دُونَ الشركِ وليستْ مِنْ نَواقضِ الإسلامِ، فهذَا لا يُعتبرُ كَافراً وإنَّمَا يُعتبرُ مُؤمناً ناقصَ الإيمانِ وهذَا النقصُ يتفاوتُ بتفاوت المَعصيةِ التي ارتكبَها، فإنْ كَانت كبيرةً مِن كبائِرِ الذنوبِ كالزنَا والسَّرقَة وقَتْلِ النَّفْسِ وشُرْبِ الخَمْرِ وغيرِ ذَلك مِنَ الكبائِرِ وهُو يعترفُ بتحريمِها وَلَم يستحلَّهَا، فهذَا يَعتبرُ فَاسقاً سَاقطَ العَدالةِ مُعرَّضاً للوعيدِ ويُقَامُ علَيه الحَدُّ الواجبُ إقامتُه علَى مَنْ فَعَلَ تلكَ الكَبيرةَ، هذَا مَا علَيه أهلُ السُّنةِ والجماعةِ في الحُكْمِ علَى مِثْلِ هذَا. فهُو مُؤمنٌ بإيمانِه فَاسقٌ بكبيرتِه، وإنْ كانتْ مَعصيتُه لاتَصِلُ إلى حَدِّ الكبيرةِ فهِي تنقصُ إيمانُه ويأثمُ بِهَا لكنَّه لاَ يُحْكَمُ بفسقِه إلاَّ إنْ أصرَّ علَيها واستدامَها أو جَاهَر بِهَا فَإنَّ الإصرارَ علَى الصغيرةِ قَد يُصيِّرُهَا كَبيرةً.

وكمَا أنَّ الإيمانَ يزولُ بزوالِ أَصْلِهِ أوْ يزولُ كمَالُه بالمعصيةِ بحسبِ تفاوتِها فِي القُبْحِ والذَّمِّ، فإنَّه يزيدُ بالطاعةِ وينمُو ويعظُم. كمَا قَالَ تعَالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريَم: ٧٦] وقَالَ تعَالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]

---

(١) رواه مسلم (٨٢).

وقَالَ تعَالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤] فاحرصُوا رَحِمَكُمُ اللهُ على فِعْلِ مَا يزيدُ بِه إيمانُكم مِنَ الطاعاتِ، وتَرْكِ مَا ينقصُ بِه مِنَ المعَاصي والسيئاتِ.

أعوذ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيم: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: ١٤، ١٥].

بَاركَ اللهُ لِي ولكُمْ في القرآنِ العظيمِ

* * *

مِنْ صِفَاتِ المؤمنينَ فِي القرآنِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، حَكَمَ بالفلاحِ لأهلِ الإيمانِ، وبالخَسَارِ لأهلِ الكُفْرِ والطُّغْيَانِ، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه فِي ربوبيتِه وإلهيتِه ومَا لَه مِنَ العظمةِ والسلطانِ، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه، أنْزَلَ عليه القرآنَ هُدَىً للناسِ وبيناتٍ مِنَ الهُدَىٰ والفُرْقَانِ، صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصحابِه أهلِ العِلْمِ والإيمانِ، وسَلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الناسُ: اتقُوا اللهَ تعَالى. وتَأَملُوا مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابه مِنْ صِفَاتِ المُؤْمنين لتأخذُوا مِنها القُدوة، ومِنْ ذَلكَ مَا ذَكَرَهُ اللهُ تعَالى فِي مَطْلَعِ سُورةِ المؤمنونَ بقوله: بِسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ـ١١]. وقَد بيَّنَ النبيُّ ﷺ أهميةَ مَا ذُكِرَ فِي هَذِه الآياتِ فِي الحديثِ الذِي رَواه الإمامُ أحمدُ بسندِه عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «لقَد أُنزلَ عليَّ عَشْرُ آيات مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخلَ الجنةَ،» ثُمَّ قَرَأَ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١]. حتَّى ختمَ العشرَ. وروى النسائيُّ بسندِهِ عن عائشةَ ـ رضي اللهُ عنها ـ لمّا سُئِلتْ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ قالت: كان خلقه

القرآنَ. فقرأتْ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى انتهت إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] فقَالت: هكَذا خُلُقُ رسولِ اللهِ ﷺ. تعنِي رضي اللهُ عنهَا أنَّه ﷺ كَانَ يعملُ بهذِه الآياتِ ويتصفُ بمَا تضمنتْه مِنَ الصفاتِ الحَميدةِ.

وقَد أخبرَ سُبحانَه أنَّ المُؤمنينَ الذين اتصفُوا بهذِه الصفاتِ هُمُ الذينَ يَسعدونَ ويفوزُونَ ويُفلحونَ، وهذَا يدلُّ علَى أنَّ مَنْ لَمْ يتصفْ بِهَا فهُو خَاسِرٌ. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [التين: ٤ـ٦] وقَال تعَالى: بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ـ٣].

فأخبرَ سُبحانَه في هذِه الآياتِ أنَّ كُلَّ إنسانٍ خَاسِرٍ إلاَّ مَنِ اتصفَ بالإيمان والعملِ الصَّالحِ، ودَعَا إلى الخيرِ ونَهَى عَنِ الشَّرِّ، وصَبَرَ علَىَ مَا ينالُه مِنَ الأَذَى فِي مُقَابلِ ذَلكَ مِنَ الناسِ. وقولُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]. وفي خِتَامِ الآياتِ قَال سُبحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعَارج: ٣٤] فِيه دَليلُ أهميةِ الصلاةِ ومَكَانتِها فِي الدِّينِ، وتَصدّرِها لصفاتِ المُؤمنينَ، لأنَّها عمودُ الإسلامِ والناهيةُ عَنِ الفحشاءِ والآثامِ، وتُسَهِّلُ فِعْلَ الطاعاتِ. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقَرة: ٤٥].

وفي المُحافظةِ عليها مُحافظةٌ علَى مَا سِوَاهَا مِنْ واجباتِ الدِّينِ مِنْ بابِ أَوْلَى، وهِي أولُ مَا يُحَاسَبُ عَنه العبدُ يومَ القيامةِ مِن عَمَلِه، والخشوعُ فِيها يَعْنِي حُضُورَ القلبِ واستحضارَه لعظمةِ اللهِ وذلِّه بينَ يدَيهِ، وسُكونَ الجوارحِ عَنِ الحركاتِ المُخالفةِ لأعمالِ الصَّلاَةِ، والخشوعُ في الصلاةِ هُو رُوحُها والمقصودُ مِنها، ولايُكْتَبُ للعبدِ مِنْ صَلاتِه إلاَّ مَا عقلَ مِنْهَا، وفي انشغالِ القلبِ بغيرِ

الصلاةِ التفاتٌ بِه عَنِ اللهِ إلى غَيره، وفي حَرَكةِ الجوارحِ والعبثِ بِهَا سوءُ أَدَبٍ مَعَ اللهِ، وفي نَظَرِ المُصَلي إلى يمينِه وشِمَالِه التفاتٌ بِوَجْهِهِ عَن اللهِ، وهُو اختلاسٌ يختلسه الشيطانُ مِنْ صَلاةِ العبدِ، وهُو دَليلٌ على التفاتِ قَلْبِه، وفِي نَظَرِهِ إلى غير مَوضعِ سُجودِه مِمَّا أَمَامه انشغالٌ عَنْ صَلاتِه وذَهَابٌ لخشوعِه. وقَولُه تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ٣].

واللغو هُو الباطلُ، وهُو يشملُ الشركَ وسَائرَ المَعَاصِي، ويشملُ مَا لا فائدةَ فِيه مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، فهُم مُعرضونَ عَنِ الباطلِ بجميعِ أنواعِه، ومُنشغِلُونَ بالحَقِّ، فَلاَ يستمعونَ إلى السماعِ الباطلِ مِنْ غِيبةٍ ونَميمةٍ، ومِنْ أغانٍ ومَزاميرَ وخِيمَةٍ، ولايَنظرونَ إلى الباطلِ الذي يُعْرَضُ فِي أَفلامِ الخلاعةِ والمُجونِ، ولايحضرُونَ مَجالسَ اللَّهْوِ واللَّغْوِ وفِعْلِ المُحَرَّمَاتِ، ولا يُطيعونَ الدُّعاةَ إلى الباطلِ مَهْمَا زَخْرَفُوا الدّعَايةَ وعَرَضُوا باطلَهم فِي التلفَازِ والفيدْيو والإذاعاتِ، وفي الصحفِ والمَجلاتِ، ولايَمشونَ لحضورِ الباطلِ الذِي يُعْرَضُ في دُورِ اللَّهْوِ والمَسَارحِ الأثيمةِ.

وقولُه تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾ [المؤمنون: ٤]. الزكاةُ: الطَّهارةُ والنُّمُوُّ، وفَهُمْ يُزَكُّونَ أنفسَهم، بِفِعْلِ الطاعاتِ وتركِ المُحرماتِ، ويزكونَ أموالَهم بإخراجِ مَا فِيها مِنَ الحقوقِ والواجباتِ، ويزكونَها بمنعِ دُخولِ المَكَاسبِ الخبيثةِ. وقولُه تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون: ٥ـ٧] أَي حَفِظُوا فُروجَهم مِنَ الاستمتاعِ المُحَرَّمِ فَلاَ يقعُونَ فيمَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ زِناً ولُواطٍ واقتصرُوا علَى مَا أباحَ اللهُ لهُمْ مِنَ الاستمتاعِ بزوجاتِهم ومَملوكاتِهم، وابتعدُوا عَن كُلِّ أسبابِ الجرائمِ الخُلقيةِ فغضُّوا

أبصارَهم عَنِ النظرِ الحرامِ، واحتشمُوا باللباسِ الساترِ للعوراتِ وعزلُوا النساءَ عَنِ الاختلاطِ بالرجالِ وعَنْ خُلوتِهنَّ وسَفرِهِنَّ مَعَ غيرِ المَحارمِ، وعَنِ النظرِ إلى الأفلامِ الخَليعةِ والمَشاهِدِ المُثيرةِ. ثُمَّ بيَّنَ سُبحانَه أنَّ مَنْ لَمْ يَكتفِ بِمَا أَحلَّ اللهُ مِنَ الاستمتاعِ بزوجتِه وسَريتِه بَلْ تَطَلَّعَ إلى الاستمتاعِ بالحرام، أو بَاشَرَ الفَحْشَ والإجرامَ، فهُو العَادي الذي يَستحقُّ مِنَ اللهِ العقوبةَ والانتقامَ. فقَالَ تعَالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧].

وقَدِ استدلَّ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ بهذِه الآياتِ الكريمةِ على تحريمِ الاستمناءِ باليدِ وهو مَا يُسَمَّى بالعادةِ السِّرِّيَّةِ، لأنَّه استمتاعٌ بغيرِ الزوجةِ والمَملُوكَةِ فيدخلُ فِي قولِه تعَالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧] وهُو استدلالٌ صَحيحٌ وحَقٌّ صَريحٌ، مَع مَا في الاستمناءِ باليدِ مِنَ المَضَارِّ الصِّحِّيةِ التي بيَّنَهَا الأطباءُ، ومِنْ أخطرِها تَأَثُّرُ الجِهَازِ التناسليِّ، والإصابةُ بالخبلِ واختلالِ العقلِ والأعصابِ، وقولُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨].

الأماناتُ: جَمْعُ أمانةٍ وهُو كُلُّ مَا استحفظَ عليَه الإنسانُ مِن واجباتٍ دِينيةٍ، وحقوقٍ مَاليةٍ، وأعمالٍ سِريةٍ، وولاياتٍ سُلطانيةٍ، وودَائع ورعايةٍ علَى قصارٍ، وغيرِ ذلكَ، فيجبُ علَى ولي الأمرِ إسنادُ الولاياتِ إلى مَن يُحْسِنُ القيامَ بِهَا، ويجبُ علَى المُوظفينَ والحُكَّامِ الحكمُ بمَا أنزلَ اللهُ بينَ الناسِ، والقيامُ بأعمالِهم الوظيفيةِ علَى وجْهِ التَّمَامِ، ويجبُ علَى كُلِّ مَن عندَه لأخيه ودِيعَةٌ أو سِرٌّ مِنَ الأسرارِ المُحافظةُ علَى ذلكَ، وأداؤه إلى مَنِ ائتَمَنهُ. كَمَاأَمَرَ اللهُ بذلكَ حيثُ قَالَ تعَالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: ٥٨] وقَال النبيُّ ﷺ: «أَدِّ الأمانةَ إلى مَنِ ائتمنكَ ولا تَخُنْ مَن

خَانَكَ»[١].

فرعايةُ الأمانةِ تَعْنِي حِفْظَها وأداءَها إلى صاحبِها بالوفاء والتَّمَام، والعهدُ هُو الميثاقُ الذِي يُبْرَمُ بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ، وبينَه وبينَ وليّ الأَمْرِ، وبينَه وبينَ سَائِرِ الناسِ، فتجبُ رِعايةُ العَهْدِ بالوفاءِ بِه ويَحْرُمُ نكثُهُ والغدرُ بِه، قَال تعَالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

وقولُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعَارج: ٣٤] خَتَمَ سُبحانَه الآياتِ بِمَا ابتدأَها به في شأنِ الصلاةِ، ممَّا يَدُلُّ علَى أهميةِ الصلاةِ، ومَعْنَى المحافظةِ علَى الصلاةِ: أداؤُها علَى الوجهِ الذي أَمَرَ به اللهُ أَنْ تُؤدّى علَيه مِنْ كمالِ الطهارةِ واستكمالِ شُروطِها وأركانِها وواجباتِها وفِي أوقاتِهاالمُحددةِ وفِي الأمكنةِ التي أَمَرَ اللهُ بأدائِها فِيها وهِي المسَاجد مَعَ جماعةِ المُسلمينَ، فَمَنْ أَخَلَّ بشيءٍ مِنْ هذه الأحكامِ مِنْ غَيرِ عذرٍ شَرعيٍّ لَمْ يَكُنْ مُحافظاً علَى الصلاةِ، بَلْ كَانَ مِنَ المُضَيعينَ لَهَا الذينَ قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريَم: ٥٩] ومِنَ الذِينَ قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [المَاعون: ٤، ٥]. فَانْظُرْ كَيفَ سَمَّاهُمْ مُصلينَ وتوعَّدَهم مَعَ ذَلكَ بالويلِ لأنَّهم لَمْ يُصَلُّوا علَى الوَجْهِ المَشروعِ، ثُمَّ خَتَمَ اللهُ سُبحانَه هذِه الآياتِ الكريمةَ ببيانِ جَزاءِ مَنِ اتصفُوا بهذِه الصفاتِ الإيمانيةِ المَذكورةِ فيهَا فَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]. وقَدْ صَحَّ في الحديثِ عَن النبيِّ ﷺ: «أنَّ الفردوسَ هُو أعلَى الجَنَّةِ ووسطُ الجنةِ وسقفُه عَرْشُ الرحمنِ،

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٤)، والترمذيُّ (١٢٦٤).

ومِنه تفجرُ أنهارُ الجنةِ، فهُو أحسنُ مَكانٍ فِي الجنةِ»[1] ثُمَ بيَّن سُبحانَه أنَّ مَقامَهُم في هذَا الفردوس دَائمٌ مُستمرٌ فَلاَ يخافُون مِنْ زَوالِه وانتقالِه إِلى غيرِهم، ولا يخافُون مِنْ زَوالِهم عَنه وإخراجِهم مِنه.

نسَالُ اللهَ عَزّ وجَلّ أنْ يجعلَنا مِنهم بمنّه وكَرمِه. وأقولُ قَولي هذَا وأَستغفرُ اللهَ لِي ولكُم...

* * *

(١) رواه الطبراني عن سَمُرةَ ـ رضي الله عنه ـ وهو صحيح. «صحيح الجامع» (٤٢٨٣).

فِي التحذيرِ مِنْ مُشاركةِ الكُفَّارِ فِي أعيادِهم والتوقيتِ بتَارِيخِهِم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، أَعزَّنَا بالإسلامِ، وَرَضِيَهُ لَنَا دِيناً وطَرِيقاً مُوصِلاً إلى دَارِ السَّلَامِ. وأَشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه في ربوبيتِهِ وإلهيتِهِ وأسمائِه الحُسْنَى وصفاتِه العِظَامِ. وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه، حَذَّرَنَا مِنَ التشبهِ باليهودِ والنَّصَارى وعَبَدَةِ الأصنامِ، صَلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وأصحابِه البررةِ الكرامِ، وسَلَّم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بعدُ:

أيُّهَا الناسُ: اتَّقُوا اللهَ تعَالى واشكُرُوه علَى مَا خَصَّكُم بِهِ مِنَ الفضلِ العظيمِ، والدِّينِ القَويمِ، وقَد أكملَه، لكُم وأَتَمَّ بِهِ نعمتَه عليكُم، ووعدَ بِحِفْظِهِ مِنَ التغييرِ والتبديلِ، فَقَالَ تعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وقَد أوصاكُم اللهُ بالتمسكِ بالإسلامِ مَا دُمتُم علَى قَيدِ الحياةِ، حَتَّى يُخْتَمَ لكُم به عندَ الوفاةِ. قَالَ تعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمران: ١٠٢] لأنَّ الإسلامَ سَبيلُ النجاةِ في الآخرةِ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عِمران: ٨٥].

عِبادَ اللهِ: يجبُ علَى المُسلمينَ أنْ يعتزُّوا بالإسلامِ لأنهُ دِينُ الكمالِ ودِينُ العِزِّ، فَهُو يعلُو ولا يُعلى عليه، وأهلُه هُم الأعلونَ والشهداءُ علَى الناسِ، قَال

تعالَى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٩] وقَالَ تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] فَمَنِ ابتغَى العِزَّ والرِّفْعَةَ بغيرِ الإسلامِ أَذَلَّهُ اللهُ، كَمَا قَالَ أميرُ المؤمنينَ عُمرُ بنُ الخطابِ رَضي اللهُ عَنه: «إنَّا أُمَّةٌ أَعَزَّنَا اللهُ بالإسلامِ فَمَهْمَا ابتغَينا العِزَّة بغيره أذلَّنَا الله». نَعَمْ إنَّ الإسلامَ دِينُ العِزِّ والرِّفعَةِ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ لأنَّه دِينٌ كَامِلٌ مُكَمِّلٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِه، لمْ يتركْ جَانِباً مِنْ جوانبِ الحَيَاةِ إلاَّ ونَظَّمَهُ أحسنَ تَنظيمٍ، ولا فَضيلةَ مِنَ الفضائِلِ إلاَّ وحَثَّ علَيها، ولا رَذيلةَ إلاَّ حَذَّرِ مِنْهَا، فهُو كَامِلٌ فِي جَانبِ العَقِيدةِ، وفي جانبِ العِبَادَةِ، وفي جَانبِ السياسةِ، وفي جَانبِ المُعاملاتِ، وفِي جانبِ الآدابِ والأخلاقِ، صَالحٌ لجميعِ البَشَرِ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، بيَّن اللهُ فِيه كُلَّ شَيءٍ يَحتاجُ إليه البَشَرُ، كَمَا قَالَ تعَـــالـــى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النّحل: ٨٩] وقَالَ تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسرَاء: ٩]. قَدْ شَهِدَ اللهُ لَه بالكمالِ فقَالَ تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المَائدة: ٣] فَمَنْ طَلَبَ الكَمَالَ مِن غَيرِ الإسلامِ لمْ يَحْصُلْ إلاَّ علَى النقصِ، ومَنْ طَلَبَ العِزَّ بغيرِه أُصيبَ بِالذلِّ، ومَنِ استوردَ نِظَاماً وقَانوناً يحكمُ بِه بينَ الناسِ بَدَلاً مِنْ حُكْمِ الإسلامِ فهُو كَافرٌ وظَالمٌ وفَاسقٌ. كمَا قَالَ تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المَائدة: ٤٤]. ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المَائدة: ٤٥]. ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المَائدة: ٤٧]. وكذلكَ مَن استوردَ العَاداتِ والتقاليدَ مِنَ الأُممِ الكافرةِ وتَخَلَّقَ بِهَا فهُو مُتَشبِّهٌ بالكفارِ، وقَد قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّه بقومٍ

فهُو مِنهم»[١] وقَالَ عَليه الصلاةُ والسَّلامُ: «ليسَ مِنَّا مَنْ تَشبَّه بِغيرِنا»[٢] وهَذَا يَدُلُّ علَى تغليظِ تَحريمِ التشبهِ بالكفارِ في جَميعِ شُؤونِهم الخاصةِ بِهم مِنْ عِباداتِهم وعَاداتهم وتقَاليدِهم، فَقَدْ حَذَّرَ النبيُّ ﷺ مِنَ التشبهِ بِهم في جَميعِ ذلكَ وبيَّنَ سُوءَ عَاقبتِه وشدةَ عُقوبتِه وحَذَّرَنَا مِنْ مُشاركتهم فِي أعيادِهم ومُناسباتِهم التي يقيمُونَهَا ويحتفلُون بها.

فَقَد رَوى البيهقيُّ بإسنادٍ صَحيحٍ عَن عبدِ الله بِن عُمرَ رضي الله عَنهُما، قَالَ: (مَنْ بَنىٰ بِبلادِ الأعاجمِ وصنعَ نَيروزَهم ومَهرجانَهم وتَشَبَّهَ بِهم حتَّى يموتَ وهُو كذلكَ حُشِرَ مَعَهم يومَ القيامةِ).

ومِنْ مُشاركتِهم في أعيادِهم مَا ابتُلي بِهِ بعضٌ مِنَ المُسلمينَ اليومَ مِنْ مُشاركتِهم الفرحَ بمناسبةِ عِيدِ الميلادِ النَّصْرَانيِّ؛ ولا أقولُ المَسيحيّ لأنَّ المَسيحَ علَيه السلامُ بَريءٌ مِنه) وتَبادلُ التهانِي مَعهم وتعَطيلُ الدوائرِ والأعمالِ الرَّسْميةِ بهذِه المُناسبةِ التي هِي إظهارٌ لِشِعَارِ دِينِ النَّصارَى.

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميةَ رَحِمَهُ اللهُ: أعيادُ الكفارِ كَثيرةٌ وليسَ على المُسلمِ أنْ يبحثَ عَنهَا ولاَ يعرفَها، بَلْ يكْفِيه أنْ يَعْرِفَ فِي أيِّ فِعْلٍ مِنَ الأفعالِ، أَو يومٍ، أو مَكانٍ، أو سَببِ هَذَا الفِعْلِ، أو تعظيمِ هذا المَكانِ، أو الزمانِ مِنْ جهتِهم، ولَو لَمْ يَعرفْ أنَّهِ مِنْ جِهتِهم فيَكفِيه أنْ يعلمَ أنَّه لاَ أَصْلَ لَه في دِينِ الإسلامِ. ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ الله أنواعاً مِمَّا يفعلُه بعضُ جُهَّال المُسلمينَ أو الذينَ لاَ يُبالُونَ بالدِّينِ مِنْ مُشاركتِهم ومُشابهتِهم في تلكَ الأعيادِ، إلى أنْ قَالَ: ومِنْ ذَلكَ تَرْكُ الوظائفِ الراتبةِ مِنَ الصَّنائعِ والتجاراتِ، أو حِلَقُ العِلْمِ، (يعني تعطيل

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١).

(٢) رواه الترمذي (١٩٦٢).

الدِّراسةِ) أو غيرُ ذَلكَ، واتخاذُه يومُ راحةٍ وفَرحٍ، واللعبُ فِيه بالخيلِ وغيرِها علَى وجْهٍ يُخالفُ مَا قَبْلَهُ ومَا بعدَه مِنَ الأيام.

ثُمَّ بيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ مَا يَجِبُ علَى المُسلمينَ تجَاه أعيادِ الكفارِ، فقَالَ: والضابطُ: أنَّه لاَ يَحْدُثُ فِيه أمْرٌ أَصلاً، بَلْ يُجْعَلُ يوماً كسائرِ الأيامِ، فإنَّا قَد قَدَّمْنَا عَنِ النبي ﷺ أنَّه نَهَاهُم عن اليومينِ اللَّذيْنِ كَانَا لَهم يلعبونَ فِيهمَا فِي الجَاهِليةِ، وأنَّه نَهَىٰ عَنِ الذبحِ بالمكانِ إذَا كَانَ المُشركونَ يعيِّدونَ فِيه، ومِنْ ذَلكَ مَا يفعلُه كَثيرٌ مِنَ الناسِ فِي أثناءِ الشتاءِ، في أثناءِ كَانُون الأَوَّل لأربعٍ وعِشرينَ خَلَتْ مِنه ويزعمُونَ أنَّه مِيلادُ عِيسى عَلَيه السلامُ، فجميعُ مَا يَحْدُثُ فِيه هُو مِنَ المُنكراتِ، مِثل إيقادِ النيرانِ وإحداثِ طَعامٍ، واصطناع شُموع وغير ذَلكَ، فإنَّ اتخاذ هذا الميلادِ عِيداً هُو دِينُ النَّصَارَى، ليسِ لذلكَ أصلٌ فِي دِينَ الإسلامِ، ولَمْ يَكُنْ لِهذَا المِيلادِ ذِكْرٌ أصْلاً علَى عَهْدِ السلفِ المَاضينَ بلْ أَصلُه مَأخوذٌ عَنِ النَّصَارَى . . . انتهَى.

ومَنْ مُشاركةِ النَّصَارَى فِي إحياءِ عِيدِ المِيلادِ أنْ يَجعلَه بعضُ المُسلمينَ بدايةً لسنةِ الدَّولةِ ويؤرخُوا بِه بَدَلاً مِنَ التاريخ بالهجرةِ النَّبويةِ فإنَّ هذَا العملَ فِيه مُشاركةٌ لَهُم فِي تعظيمِ هذِه البدعةِ، وتشبهٌ بِهم في إحيائِها، وإماتةٌ لتاريخِ المُسلمينَ، وعُدُولٌ عَنِ التاريخِ الذي ارتضَاه سَلَفُ هَذه الأُمَّةِ فِي عَهْدِ ثَانِي الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ أميرِ المؤمنينَ عُمرَ بنِ الخَطّابِ رَضي اللهُ عَنْه، قَال الحافظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وذَلِكَ أنَّه لَمَّا رُفِعَ إلى عُمَرَ صَكٌّ مَكتوبٌ لرَجُلٍ علَى آخَر بدَينٍ يَحِلُّ علَيه في شَعبانَ، فَقالَ: أيُّ شَعْبَانٍ، أَمِنْ هَذهِ السَّنَةِ أَمْ التي قَبْلَهَا أمْ التي بعدَها، ثُمَّ جَمَعَ الناسَ فَقالَ: ضَعُوا للناسِ شَيئاً يعرفُون فِيه حُلولَ دِيونِهم، فيُقال إنَّ بعضَهُم أرادَ أنْ يُؤرخوا كَمَا تُؤرخُ الفُرْسُ بمُلوكِهم، كُلَّمَا هَلَكَ مَلِكٌ

أرَّخُوا مِنْ تَاريخِ ولايةِ الذينَ بعدَه، فكَرِهُوا ذَلكَ.

ومِنْهُم مَنْ قَالَ: أرِّخُوا بتاريخِ الرُّومِ مِنْ زَمَانِ إسْكَنْدَر فكَرِهُوا ذَلكَ، وقَالَ قَائلونُ أرّخُوا مِنْ مَولِدِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وقَالَ آخرُون مِنْ مَبعثِه علَيه السلامُ، وأشارَ عَليّ بنُ أبي طَالبٍ رضَي الله عَنه وآخرُون، أنْ يؤرَّخَ مِن هِجرتِهِ مِنْ مَكَةَ إلى المدينةِ فاستحسنَ ذلكَ عُمَرُ والصحابةُ فَأَمَرَ عُمَرُ أنْ يُؤَرَّخَ مِنْ هِجْرَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وأَرَّخُوا مِنْ أَوَّلِ تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ مُحَرَّمِهَا، وعِنْدَ مَالكٍ رَحِمَهُ الله: أنَّ أَوَّلَ السَّنَةِ الهِجريةِ مِنْ ربيعِ الأَول لقُدُومِه ﷺ فِيه إلى المَدينةِ، والجُمهورُ علَى أنَّ أول السَّنَةِ مِنَ المُحَرَّمِ لأنَّه أضبطُ لئلاَّ تختلفَ الشُّهُورُ، فإنَّ المُحَرَّمَ أولُ السَّنَةِ الهِلاليةِ العَربيةِ. هذَا الذي رأَى الخلفاءُ الثلاثةُ عُمرُ وعُثمانُ وعَليٌّ ومَنْ مَعهم مِنَ المُهَاجِرينَ والأنصارِ أن يُؤرخَ بِه المُسلمونَ دُيونهم وأعمالَهم السَّنويةَ، وقدْ قَال النبيُّ ﷺ: «علَيكُم بسُنتي وسُنةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ مِنْ بَعْدِي»[1] ولمْ يَرتضُوا للمُسلمينَ أنْ يُؤرِّخُوا بالتاريخِ المِيلاديّ النَّصرانيِّ ولاَ غيرِه مِنْ تَوارِيخ الكفارِ، لأنَّ هذَا فِيهِ تَبعيةٌ وتَشَبُّهٌ بالكفارِ، ومُشاركةٌ لَهم في تعظيمِ أَعيادِهم.

وقَد سَارَ علَى هذَا التاريخِ الهِجريِّ المُسلمونَ مِن بَعدِهم في مختلفِ القُرونِ إلى عَصْرِنَا الحَاضِرِ فلاَ تَزالُ بلادُنا السُّعوديةُ ـ والحمدُ للهِ ـ ولَنْ تَزالَ ـ إنْ شَاءَ اللهُ تَسيرُ عَلَيه وتعتمدُه رَسْمِياً اقتداءً بالسلفِ الصَّالحِ ومَا سَارَ عليه المُسلمون مِنْ قَبلُ، وهُو التاريخُ الذِي اعتمدَه المُؤلفُونَ في ضَبْطِ وتَسجيلِ تَاريخِ الإسلامِ فِي مُؤلفاتِهم، لكنْ مِنَ المُؤسفِ أنْ يَعْدِلُ كَثيرٌ مِنَ المُسلمينَ عَنْ هذَا التاريخِ المَجيدِ الذي رَضِيَهُ سَلَفُنَا وسَارُوا عليه فَيَعْدِلُ هَؤلاءِ عَنه إلى تاريخِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧).

النَّصَارى المِيلاديِّ الذي لا يَمُتُّ إلى دِيننا بِصِلَةٍ، ولَئِنْ كَانَ لبعضِهم عُذْرٌ حِينمَا كانوا تَحْتَ ولايةِ الكفارِ وسَيطرتِهم ومُرغَمِينَ علَى استعمالِ تَاريخهم فليسَ لَهُم عُذْرٌ الآنَ بعدَ مَا نَالوا الاستقلال وصَارَ الحُكْمُ بأيدِيهم أنْ يستمرُّوا علَيه.

فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واعتزُّوا بتاريخِكم وبدينِكم وبآدابه وأحكَامِه فِي جَميعِ المَجَالاَتِ، وتَشَرَّفُوا واعتزُّوا بالانتساب إليه، ولا تلتفتُوا إلى مَا خَالَفَه مِنْ عَوائدِ الجَاهليينَ وعَقَائدِ الضَّالينَ.

فلقَد بَلَغَ مِنْ مُشاركةِ بعضِ المُنتسبينَ للإسلامِ للنَّصارَى في عيدِهم المِيلاديِّ أنْ صَارُوا يُعطلونَ الأعمالَ الرسميةَ في أيامِه ويتبادلُون مَعهم التَّهانِي بمناسبتهِ ويقولُون: إنَّ النَّصَارى إخوانُهم وأنَّه لا فَرْقَ بينَ المُسلمينَ والنَّصَارَى في عقيدةِ الإيمانِ، وكأنَّهم لاَ يَقرَؤُون قولَ الله تعَالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المَائدة: ٥١]. كَأنُّهم لا يعلمُون أنَّ الإسلام هُو الدينُ الصَّحيحُ الذي لايَقْبَلُ اللهُ سِوَاهُ، وأنَّه الناسخُ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الأديانِ، وأنَّه بَعْدَ مَجيء الإسلامِ انتهى العمل بدين النصارى فلا يجوز لهم البقاء عليه، ومن بقي عليه فهو كافرٌ هذا لو سلم مِنَ التحريفِ والتبديلِ، فكيفَ وقَد حَرَّفَ النَّصَارَى دِينَهم، وزَعَمُوا أنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثةٍ، وأنَّ المسيحَ ابنُ الله أو أنَّ اللهَ هُو المسيحُ ابنُ مَريم ـ تعَالى اللهُ عَن قولِهم عُلواً كَبيراً.

لقَد جَعَلَ اللهُ القرآنَ الكريمُ هُو المهيمنُ علَى مَا سِواه مِنَ الكُتُبِ، وجَعَلَ المُسلمينَ شُهداءَ علَى النَّاسِ، وجَعَلَ الرسولَ مُحمّداً ﷺ شَهيداً علَى المُسلمينَ، فأينَ هُؤلاءِ المستمينَ بالإسلامِ مِنْ هذِه الحقائقِ؟.

فاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ واستمِعُوا إلى قَولِ اللهِ تعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ

عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمتَحنَة: ١] الآيات. . .

بَارَكَ اللهُ ولكُم فِي القرآنِ العظيمِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَى أولِيَاءَه إلى صِراطٍ مُستقيم، ووفقَهم لمُخالفةِ أصحابِ الجحِيمِ، وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحَشر: ٢٤] وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه، حَذَّرَ أُمتَه مِنْ مُشَابهةِ الكفارِ فِي سُلوكِهم الذميمِ، صَلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وأصحابِه الذِين سَارُوا علَى نَهجِه القَويمِ، وسَلَّم تَسليماً كَثِيراً.

أمَّا بعدُ:

أَيُّها النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ واعلمُوا أنَّه كَمَا يَجبُ استعمالُ التاريخِ الهِجْرِيِّ، ويحرمُ استعمالُ التاريخِ المِيلاديِّ النَّصرَانيِّ، كذلكَ يجبُ اعتبَار الشهورِ العربيةِ القَمريةِ، ويحرمُ اعتبَار الشهورِ الإفرنجيةِ وغيرِها، لأنَّ اللهَ سُبحانَه جَعلَ الأهلةَ لجميعِ الناسِ مَواقيتَ للمُعامَلاتِ والعِبادَاتِ. كَمَا قَالَ تعَالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقَرة: ١٨٩]. وأَخْبرَ سُبحانَه أنَّه جَعَلَ القمرَ نُوراً وقَدَّرَه مَنازِلَ لأَجْلِ مَعرفةِ السنينَ والحِسَابِ، قَال تعَالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يُونس: ٥].

فيجبُ علَى المُسلمينَ التقيدَ بالشهورِ العربيةِ القمريةِ في تَوقيتِهم ـ وهِي الشُّهورُ الاثْنَا عَشَر التي أولُها المُحَرَّمُ وآخرُها ذُو الحِجَّةِ ـ المَذكُورة في قولِه تعَالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ

أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

قَالَ الإمامُ القُرطبيُّ في تفسيرِه: هَذِه الآيةُ تدلُّ علَى أنَّ الواجبَ تَعليقُ الأحكامِ مِنَ العباداتِ وغيرِها إنَّما يكونُ بالشهورِ والسنينَ التي تعرفُها العربُ دُونَ الشهورِ التي تعتبرُها العَجَمُ والرومُ والقبطُ، وإنَّ لَمَ تزدْ علَى اثنيْ عَشْرَ شَهْرَاً، لأنَّها ـ أي الشهورُ غيرِ العَربيةِ ـ مختلفةُ الأعدادِ مِنْهَا مَا يزيدُ علَى ثَلاثينَ ومِنْهَا مَا يَنْقُصُ، وشُهورُ العَرَبِ لاتزيدُ علَى ثَلاثِين وإنْ كَانَ مِنها مَا يَنْقصُ.

وقَالَ الإمامُ الشَّوكَانيُّ فِي تَفسيرِه: وفي هذِه الآيةِ بيانُ أنَّ اللهَ سُبحانَه وَضَعَ هَذِه الشُّهورَ وسَمَّاهَا بأَسْمَائِهَا علَى هذَا الترتيبِ المَعروفِ يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، وأَنَّ هذَا هُو الذِي جَاءَتْ بِهِ الأنبياءُ، ونزلتْ بِهِ الكُتُبُ، وأنَّه لاَ اعتبارَ بِمَا عِنْدَ العَجَمِ والرومِ والقبطِ مِنَ الشهورِ التي يَصطلحونَ عَليها ويجعلونَ بعضَها ثلاثينَ يومَاً، وبعضَها أكثرَ وبعْضَها أقلَّ، وقُولُه: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] هِي: ذُو القَعْدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ، ثَلاثَةُ سَرْدٌ، وواحدٌ فَرْدٌ، كمَا وردَ بيانُ ذلكَ في السُّنَّةِ المُطهرةِ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦] أَيْ كَوْنُ هذِه الشُّهور كذلكَ ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] هو الدِّينُ المُستقيمُ والحِسَابُ الصَّحِيحُ والعددُ المُستَوفَى.. انتَهى.

فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وأَرِّخُوا خِطابَاتِكُم ومُعَامَلاتِكُم ووثَائِقكُم بالتاريخِ الهِجْريِّ والشُّهورِ العَربيةِ، ولاتَتَساهَلُوا في هذَا الأَمْرِ وتظنُّوا أنَّه شَيءٌ عَادِيٌّ، لأنَّ التاريخَ شِعَارُ الأُمةِ وفي التَّعامُلِ بالتاريخِ النَّصْرَانِي إحياءٌ لِشعَارِهِم وتَخليدٌ لدِينِهم الباطلِ فتنبهُوا لذلكَ ونَبِّهُوا عَلَيه.

واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحديثِ كِتابُ اللهِ... إلخ

فِي التحذير مِنْ بَعضِ المجلات والنَّشرَاتِ التي يروجُها الجُهَّال والمُغرضُونَ

الحمدُ للهِ الذي جَعلَ في كُلِّ زَمَانٍ فَترةً مِنَ الرسلِ بقَايا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إلى الهدَى، ويَصْبرُونَ مِنْهُم علَى الأذَى، يحْيُونَ بِكِتابِ اللهِ عزّ وجَلّ المَوتَى، ويُبصرُونَ بنورِ اللهِ أهلَ العَمَى، فكَم مِن قَتيلٍ لإبليسَ قَدْ أحيُوه، وكَمْ مِنْ ضالٍ تَائِهٍ قَدْ هَدوه، فمَا أحسنَ أثَرهُم علَى الناسِ، وأقبحَ أثَر الناسِ علَيهم. ينفُون عَنْ كتابِ اللهِ تحريفَ الغَالينَ، وانتحالَ المُبْطِلِينَ، وتأويلَ الجَاهِلينَ، الذين عَقَدُوا أَلويةَ البدعةِ، وأَطلقُوا عنانَ الفِتنةِ، فهُم مُختلفونَ فِي الكتابِ، مُخالفونَ للكتابِ، مُجمعونَ على مُفارقةِ الكِتابِ، يَقولُونَ علَى اللهِ وفِي اللهِ وفِي كتابِ اللهِ بغيرِ عِلْمٍ، يتكلمُونَ بالمُتشابِه مِنَ الكلامِ، ويخدعُونَ جُهَال الناسِ بمَا يشبهونَ عَليهِم، فنعوذُ باللهِ مِنْ فتَنِ المُضلينَ.

وأشهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، حرَّم القولَ علَيه بلا عِلْمٍ وجَعَلَهُ عَدِيلاً للشركِ فقَال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عَبْدُه ورسُولُه حَذَّرَ مِنَ الكذبِ علَيه فقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَليَّ مُتعمِّداً فليتَبوأ مقعدَه مِنَ النَّارِ» صَلَّى اللهُ وسَلّم عَليه وعلَى آلِه وأصحابِه الذِينَ حَفظُوا الكتابَ والسُّنةَ وبلَّغُوهُمَا لِمنْ بعدَهم بأمانةٍ وصَدْقٍ وإخلاصٍ، فجزَاهم اللهُ عَنِ الإسلامِ والمُسلمينَ خَيرَ الجْزاءِ. . أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتَّقُوا اللهَ واحذرُوا مِنْ فِتنةِ الجُهالِ والمَضللينَ الذِينَ كَثُرَ

وجُودُهم فِي هذَا الزمانِ وتَيسرتْ لَهُم الطُّرُقُ لِبَثِّ شَرِّهِم وتَرويجِ بَاطِلِهِم عَن طَريقِ بعضِ الصُّحُفِ والمجَلاتِ، وعَن طَريقِ الكُتبِ والنَّشرَاتِ، وعَن طَريقِ كَثيرٍ مِنَ الإذَاعَاتِ، وهُم طَوائفُ مُخْتَلِفَةٌ، لكنَّها مُتَّفِقةٌ علَى قَصْدِ تَضْلِيلِ المُسلمينَ، وإفسادِ عقَائدِهم وأَخلاَقِهم. وقَدْ يكُونُونَ مُجندِينَ لذلكَ مِن قِبلِ مُنظماتٍ كافرةٍ سِرِّيةٍ للقيامِ بِهذَا الغَرَضِ.

فَطَائِفَةٌ مِنْ هَؤلاءِ تَسْتَخْدمُ الصُّحفَ والمجَلاتِ والكتبَ لِبَثِّ المقَالاتِ الإلحاديةِ، والتشكيكِ فِي الدِّينِ وإفسادِ الأخلاقِ، كدعوةِ النساءِ للسفورِ والاختلاطِ وتَرْكِ الحِجَابِ، وعَرْضِ أزياءِ اللِّباسِ الفَاتِنِ وعَرْضِ صُور النساءِ الكَاسِيَاتِ العَارِيَاتِ الفَاتِنَاتِ، وإغراءِ الشَّبَابِ بعَرْضِ صُورِ الفتياتِ الجَميلاتِ في المجَلاتِ الخَليعةِ التي تُرَوَّجُ فِي أسواقِنا وتُباعُ في المكتباتِ المُنتشرةِ بينَنا وحتَّى فِي البَقَّالاتِ، وأعظمُ مِنْ ذَلكَ الأفلامُ الخَليعةُ وأَشْرِطَةُ الفِيديو التِي انتشرتْ في كَثيرٍ مِنَ البيوتِ والمحَلات. فاتَّقُوا اللهَ أيُّهَا المُسلمونَ، واحْذَرُوا هذِه المجَلاتِ وهذِه الأفلامَ وهذِه الأشرطةَ، لاتتركُوهَا تدخلُ بُيوتكُم وتَنتشرُ بينَ أبنائِكُم وبنَاتِكُم ونسَائِكُم. وأَتْلِفُوا مَا تَجِدُونَه مِنْهَا، لتَسْلَمُوا مِنْ شَرِّهَا وتُجَنِّبُوا أولادَكم مِنْ خَطَرِهَا، فإنَّها واللهِ شَرٌّ مِنَ الأمراضِ الفَتَّاكةِ والأوبئةِ الخَطِرَةِ القَاتِلَةِ والسُّمُومِ المُهلكةِ.

فإنَّ النَاسَ لَو سَمِعُوا بحدوثِ وباءٍ أو مَرَضٍ خَطِيرٍ لعَمِلُوا كُلَّ مَا يَقْدِرُونَ علَيه مِنَ الاحتياطاتِ للوقايةِ مِن هذاَ المَرَضِ حِفَاظَاً علَى حَياتِهم وصِحَّةِ أبدَانِهم، فمَا بَالُهم يغفلُون عَن هذِه الأمراضِ التي تُصيبُ القُلوبَ والعَقائدَ والأَخلاَقَ، فيتركونَها تنتشرُ بينَهم وتفتكُ فِيهم؟.

وطائفةٌ مِنْ هَؤلاءِ المُضلِّلينَ تَسْتَهدِفُ إفسادَ الدِّينِ والعقائدِ عِن طَريقِ كِتابةِ

نَشَرَاتٍ بِصُورةِ نَصائحَ ومَواعظَ تَدُسُّ فِيهَا الشَّرَّ وتَبُثُّهَا فِي المَدَارسِ والمَسَاجِدِ وبعضَ الدَّوائرِ وتحثُّ علَى نَسْخِهَا وتوزيعِها بينَ الناسِ، وقَد تكتبُ فِيها بعضَ الآياتِ القُرآنيةَ والأحاديثِ النبويةِ لأَجْلِ الخِدَاعِ والتَّمْويهِ، وتَدُسُّ مَعَهَا مِنَ الكَذِبِ علَى اللهِ ورسولِه ﷺ وعلَى أَهْلِ العِلْمِ الشيءَ الكثيرَ، وتُضَمِّنُهَا كَثيراً مِنَ الخُرَافاتِ والوعْدِ والوعِيدِ المَكذوبيْنِ. وبَعْضُهَا يكونُ عَلى شَكْلِ أدعيةٍ وأورادٍ، وبعضُها علَى شَكْلِ نَصَائِحَ وحَثٍّ علَى الخَيرِ وتحذيرٍ مِنَ المَعَاصِي، ويخلطُ معَها مِنَ الأحاديثِ المَكذوبةِ والخُرافاتِ المُضلِّلةِ مَا لاَ يتنبهُ لَه إلاَّ أهلُ البصِيرةِ والعِلْمِ، ومِن ذَلك النشرةُ التي عُنوانها: عقوبةُ تَاركِ الصَّلاَةِ، قَالَ فِيها كاتبُها: رُوي عنِ النبي ﷺ: «مَنْ تَهاونَ بالصلاةِ عَاقبَهُ اللهُ بخمسٍ عشرةَ عُقوبةٍ» ثُمَّ عدَّها ـ وحَثَّ في آخرِها علَى نَسْخِهَا وتَوزِيعِها وقِراءتِها علَى المُسلمينَ ثُمَّ قَال: الفاتحةُ لفَاعلِ الخَيرِ ـ أي اقرأُوا سُورةَ الفاتحةِ للذي كَتَبَهَا، وهذَا الحديثُ الذي نَسَبَهُ صَاحبُ النشرةِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ في عُقوبةِ تَاركِ الصَّلاةِ حَديثٌ بَاطِلٌ مُكذوبٌ علَى رسولِ اللهِ ﷺ، كَمَا بَيَّنَ ذَلكَ أهلُ العِلْمِ رَحِمَهُم اللهُ.

فَصَاحِبُ هذِه النشرةِ يُرَوِّجُ الكَذِبَ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيأْمُرُ الناسَ بترويجه ويَحثُّهم علَيه نسألَ اللهَ العَافيةَ.

ومِمَّا يَدُلُّ علَى سُوءِ قَصدِه أنَّه تَرَكَ الآياتِ القُرآنيةَ والأحَاديثَ الصَّحِيحةَ الواردةَ فِي بيانِ عُقوبةِ تَارِكِ الصَّلاَةِ، وأخَذَ هذَا الحديثَ المَكْذُوبَ، وَكَتبَهُ ورَوَّجَه، وأَمَرَ النَّاسَ بإحياءِ البِدعةِ وهي قراءة الفاتحة لفاعل الخير، لأن قراءتها بهذا القصد بدعة، وهو قصده نشر الكذبِ وإحياءِ البِدَعِ.

ومِمَّا يَدلُّ علَى ذَلكَ حِرْصُهُ الشَّدِيدُ وَحثُّهُ علَى نَسْخِ هذِه النشرةِ وقراءتِها وتوزيعِها علَى المُسلمينَ.

وهُنَاكَ نَشرةٌ ثَانيةٌ كَتَب فِيهَا مُروجُها ثَلاثَ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ، أَوَّلُها قَولُه تعَالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٦٦] وكَتَبَ فِي آخِرهَا يقولُ: مَنْ وَزَّعَها يَحْصُلُ لَه كذَا مِنَ الخَيرِ بعدَ أربعةِ أيامٍ، ومَنْ أَهْملَهَا يُعَاقَبُ بِكَذَا مِنَ العِقَابِ، وحَثَّ علَى إرسالِ خَمْسٍ وعِشرينَ نُسخة مِنْهَا إلى مَنْ هُو بحَاجةٍ إليهَا، وكَاتِبُ هذِه النشرةِ دَجَّالٌ مُضَلِّلٌ، يَفْتَرِي علَى اللهِ الكَذِبَ، ويَسْتَهينُ بكلام اللهِ عَزَّ وجلَّ، حَيثُ كَتَبَ هذِه الآياتِ الكريمةَ وخلَطَها مَعَ الكَذِبِ والخُرَافَةِ، فإنَّ دَعوَاهُ أَنَّ مَنْ كَتَبَ هذه الآياتِ وَوَزَّعَهَا وأرسلَ مِنْهَا خَمْسَاً وعِشرينَ نُسخة إلى شَخْصٍ آخرَ يَحْصُلُ له كذَا مِنَ الخيرِ بعدَ أربعة أيامٍ، ومَنْ لَمْ يفعلْ يَحْصُلُ له كذَا مِنَ الشَّر، وهذَا مِنْ أعظمِ الكَذِب علَى اللهِ وهُو ادّعاءٌ لِعلْمِ الغَيبِ، فإنَّه لاَ يَعْلَمُ مَا يحصلُ للناسِ فِي المُستقبلِ مِنَ الخَيرِ والشَّرِّ والثَّوابِ والعِقَابِ إلاَّ اللهُ سُبحانَه وتعَالَى، ثُمّ إنَّ تَحديدَ الثواب والعِقَابِ علَى الأعمالِ لايثبتُ إلاَّ بدليلٍ صَحِيحٍ عَنِ اللهِ ورسُولِه، ولَمْ يَردْ عَنِ اللهِ ورسولِه أنَّ مَنْ كَتَبَ كَذَا مِنَ الآياتِ القُرآنيةِ وَوَزَّعَهُ يحصلُ لَه كَذا مِنَ الثَّوابِ، ومَنْ لَمْ يَكْتُبْهُ يحصلُ له كذَا مِنَ العِقَابِ، وإنَّما هذَا مِن افتراءِ هذَا الدَّجَّالِ الخَبيثِ، وغَرَضُ هذَا وأمثالِه إشغالُ النَّاسِ بالحِكَايَاتِ المَكْذُوبةِ والخُرافَات البَاطِلةِ وصَرْفِهم عَنِ الحَقِّ وغَرْسِ العقَائدِ الخُرافيةِ والأباطيلِ الشِّرْكِيَّةِ فِي نفوسِ المُسلمينَ والقضاءِ علَى العَقِيدَةِ الصَّحيحةِ، لأنَّ الخرافِيينَ لاَ يتمَكنُونَ في هذِه البلادِ ـ والحمدُ للهِ ـ مِنْ إلْقَاءِ الباطلِ علَى الناسِ مُشَافَهَةً ومُصَارَحَةً فَعَدَلُوا إلى هذِه الطريقةِ الخَبيثةِ التي لاَ يتنبهُ لَهَا الجُهَّالُ والذينَ قَد تُغريهم الوعودُ المُزَيَّفَةُ ويؤثرُ فِيهم الوعيدُ الكَاذِبُ، لاَ سِيَّمَا إذَا خَلَطُوا ذَلكَ بكتابةِ شَيءٍ مِنَ القُرآنِ مَعَهُ، علَى طَريقةِ الكُهَّانِ الذينَ يَصدُقُونَ فِي كَلمَةٍ ويكذبُونَ معَها مِائةَ كَذبةٍ لأَجْلِ الفِتنةِ، فاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ

واحذرُوا هَؤلاءِ المُخرفينَ ودَسائسَهم وحَرِّقُوا نَشَرَاتِهم وأتلفُوها وبَلِّغُوا عَنهم ولاةَ الأمُورِ، وإياكُم والاغترارَ بِمَا ينشرونَه أَوْ المشاركةَ في نَسْخِه وتَوزِيعِه، ومَنْ سَبَقَ أنْ شَارَكَ في نَشْرِهَا وتوزيعِها فَلْيَتُبْ إلى اللهِ ولاَ يَعُدْ لِمثْلِ هذَا.

وهناكَ بعضُ الشبابِ المُحبينَ للخيرِ ولَكِنْ عندَهم جَهْلٌ بالأحكام الشَّرْعيةِ يقُومُونَ بنسخ بعضِ المَواعظِ أو نقلِ بعضِ الأحاديثِ مِنَ الكُتُبِ أو نسخِ بعضَ الفَتَاوى التي قَدْ تَكُونُ مَغْلُوطَةً، أو غيرِ مُحَرَّرَةٍ، أو تكونُ فَتَاوى خَاصَّةً لا ينبغِي نَشْرُهَا وتَعْمِيمُهَا، فَيَنْشُرُونَ هذِه الأشياءَ بينَ الناسِ في المَسَاجِدِ والمَدَارسِ والمَكَاتِبِ أو يَلصِقُونَها علَى الأبوابِ والجُدرانِ، فينشأُ عَن ذلكَ بلبلةُ الأَفْكَارِ والتشويشُ علَى الناسِ في أَمْرِ دِينِهم أَوْ تَرويجُ البَاطلِ والخَطَأِ، فَتنبهُوا لذلكَ وَفَّقَكُم اللهُ. واعلمُوا أنَّ هُناكَ جِهَةً مَسؤولةً يُرْجَعُ إِليْهَا فِي كُلِّ مَا يُطْبَعُ ويُنْشَرُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بأمور الدِّين وهِي الرئاسةُ العَامة لإداراتِ البحوثِ العلميةِ والإفتاءِ والدعوةِ والإرشادِ، فَكُلُّ نَشْرَةٍ أو كِتابٍ أو فَتوى ليسَ علَيها موافقتُها لاَ يجوزُ تَرويجُها ونشرُها، وهِي قَائمةٌ بِهذَا العملِ خَيْرَ قِيامٍ.

نِسْأَلُ اللهَ أنْ يُوفِّقَ القائمينَ علَيْهَا ويُعينُهم علَى نُصْرَةِ الحَقِّ وقَمْعِ البَاطلِ وأَهْلِهِ فاتقُوا اللهَ عِبَاد اللهِ. ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المَائدة: ٢].

بَاركَ اللهُ لِي ولكُم في القرآنِ العظيمِ

الخُطْبةُ الثَّانِيَةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، أَرسلَ رَسُولَه بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ، وأَنْزَلَ علَيه الكتابَ والحِكمةَ فهدَى بِه مِنَ الضَّلاَلةِ، وبصَّرَ بِه مِنَ العَمَى، وأشهدُ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه صَلَّى الله علَيه وعلَى آلِه

وأصحابِه وسَلّم تسليماً كثيراً. . .

أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتَّقُوا اللهَ واعلمُوا أنَّ خَيرَ الحَديثِ كِتَابُ اللهِ، وخَيرَ الهَدي هَدي مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحدثاتُها وكُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ، وإذَا كَانَ كذَلكَ فجميعُ العِباداتِ والأحكامِ والثَّوابِ والعِقابِ لا يَثْبُتُ شَيءٌ ولا يجوزُ العملُ به، إلاَّ إذَا دَلَّ عَلَيه دَليلٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِه ﷺ، ولا تَحصُلُ مَعرفةُ ذَلكَ بمجردِ القراءةِ فِي الكُتُبِ، بَلْ لاَبدَّ مِنَ الرجوعِ إلى أَهلِ العِلْمِ.

قَالَ تعَالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فالعِلْمُ إنَّمَا يُتَلقَّى عَنْ أَهْلِ العِلْمِ المُختصِينَ، لأنَّ اللهَ جَعَلَ العُلماء وَرَثَةَ الأنبياءِ فَهُم المَرْجِعُ الذِي يرجعُ إليه المُسلمونَ بعدَ الأنبياءِ فِي أمُورِ دِينِهم، ولَيْسَ المَرْجِعُ إلى الكُتُبِ وحْدَها ولاَ إلى الجُهَّالِ والمُخَرِّفِينَ، وعَلَى هَذَا فلاَ يَجوزُ نَقْلُ الأحاديثِ أو المواعظِ أو الفتَاوى مِنَ الكُتُبِ، ونشْرُهَا وتَوزيعُها دُونَ رَجُوعٍ إلى أَهْلِ العِلْمِ.

وإذَا كَانَ لاَيجوزُ أَخذُ الأَدْويةِ واسْتِعْمَالُها دُونَ رُجوعٍ إلى الأطباءِ خَشْيةً مِنْ ضَرَرِهَا ووضعِها في غَيرِ مَواضِعِهَا.

فمَسائلُ العِلْمِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، لأنَّ الجَاهِلَ قَد ينقلُ مِنَ الكُتُبِ مَا هُو بَاطلٌ وضَلاَلٌ وهُو لاَ يَدْرِي، وقَد ينقلُ مِنْهَا مَا هُو مَنسوخٌ لاَ يجوزُ العَمَلُ به، أَوْ مُتشابهٌ يَحْتَاجُ إلى بيانٍ وَتَفْصِيلٍ، فَيَضِلُّ الناقلُ ويضلُّ غَيْرُه وهُو لا يدرِي، ولاَ يَكْفِي حُسْنُ القَصْدِ وسَلاَمَةُ النِّيَةِ، فَقَدْ قَال اللهُ تعَالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وقَد يكُونُ مِنْ بَينِ هَؤلاءِ الذِينَ يُروجُونَ هذِه النَّشَراتِ مَن يَقْصدُ الدَّسَّ وإفسادَ العَقَائِدِ باسْمِ الوَعْظِ والتذكيرِ.

فالواجبُ الحَذرُ والقضاءُ على هذِه الظاهرةِ السَّيئةِ وعَدَمُ تَمكين هَؤلاءِ مِنْ وَضْعِ هَذِه النشراتِ فِي المساجدِ وغيرِها سَدّاً للذريعةِ، ومَنْ أرادَ الخَيرَ ومَعرفةَ الحَقِّ فليتعلَّم في فُصول الدراسةِ وحِلَقِ العِلْمِ في المَسَاجِدِ، ويدرسُ الأصولَ المختصرَة، فإنَّ من ضَيَّعَ الأصولَ حُرِمَ الوصُولَ، فَلا يسوغُ للإنسانِ مُطالعةُ الكُتُبِ إلاَّ بعدَ إتقانِ هذِه الأصولِ وضَبْطِهَا، لأنَّهَا مَفاتيح لأبوابِ العُلوم، واللهُ تعَالى يقولُ: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقَرَة: ١٨٩].

فاتقُوا اللهَ ـ عِبادَ اللهِ ـ وعليكُم بالجماعةِ فإنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الجَماعةِ . . . إلخ.

* * *

مشروعيةُ السلامِ وفوائدُهُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، شرعَ السلامَ لأهلِ الإسلامِ، وجعلَهُ تحيةَ أهلِ الجنةِ فقال: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس: ١٠]، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ الملكُ القدوسُ السلامُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ وسلمَ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أطيبَ صلاةٍ وأزكىٰ سلامٍ. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى واعملُوا بشرائعِ دينِكُم لتُرضُوا ربَّكُم وتنالُوا جزيلَ ثوابهِ، وتنجُوا من أليمِ عقابهِ، فقد شرعَ لكُم ربُّكُم أفضلَ الشرائعَ. وجعلَ لكُم في نبيِّكُم أفضلَ قدوةٍ، وإنَّ من أعظمِ ما شرعَهُ اللهُ في الإسلامِ إفْشَاءَ السلامِ الذي هو تحيةُ أهلِ الإسلامِ، وتحيةُ الملائكةِ، وتحيةُ أَهْلِ الجنةِ، وتحيةُ المؤمنينَ يومَ يَلْقَوْنَ ربَّهم، وقَدْ أمرَ اللهُ بالسلامِ عند دخولِ المسلمينَ بعضِهم على بعضٍ في بيوتِهم، قالَ تعالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧] وقالَ تعالَى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: ٦١].

وأمرَ ﷺ بالسلامِ عندَ اللقاءِ حيثُ قالَ: «إذا لقيَ أحدُكُم أخاهُ فليسلمْ عليهِ فإنْ حالتْ بينهُما شجرةٌ أو جدارٌ أو حجرٌ ثم لقيَهُ فليُسَلِّمْ عليهِ»[1]، رواهُ أبو داودَ.

(١) أبو داود (٥٢٠٠).

وكَما أنَّهُ يشرعُ السلامُ عِنْدَ القدومِ وبدايةِ الجلوسِ فإنَّه يشرعُ عندَ القيامِ والمفارقةِ للمجلسِ. فعنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذَا انتهىٰ أَحدُكُمْ إلى المجلسِ فليسلمْ، فإذَا أرادَ أنْ يقومَ فليسلمْ، فليستْ الأُولَى بأحقِ مِنَ الآخرةِ**»[1]. رواهُ أبو داودَ والترمذي وقالَ حديثٌ حسنٌ.

والسنةُ أنْ يُسلِّمَ الراكبُ على الماشِي، والماشي على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ، والصغيرُ على الكبيرِ، وكيفيةُ السلامِ أنْ يقولَ المبتدئ: السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، ويقولَ المجيبُ: وعليكُم السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ هذه أكملُ صيغةٍ، وإذا اقتصرَ المبتدئ على قولِ: السلامُ عليكُم، فردَّ عليهِ بقولِهِ وعليكُم السلامُ. فهذا مُجزي والأحسنُ أن يزيدَ في الردِّ، قالَ تعالَى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦]، قالَ ابنُ كثيرٍ ـ رحمهُ اللهَ ـ: أيْ إذَا سلَّمَ عليكُم المُسَلِّمُ فردُّوا عليه أفضلَ ممَّا سلَّمَ، أَوْ ردُّوا عليهِ بمثلِ ما سَلَّمَ، فالزيادةُ مندوبةٌ والمماثلةُ مفروضةٌ، أيْ أنَّ الابتداءَ بالسلامِ مستحَبٌ وردُّه واجبٌ ويكونُ بلفظِ السلامِ لا بلفظٍ آخرَ.

فمَا يعتادُه بعضُ الناسِ من استبدالِ لفظِ السلامِ: بقولِهِم: صباحُ الخيرِ أَوْ صباحُ النورِ أَوْ غير ذلِكَ مِنَ الألفاظِ هذا لَيْسَ بسلامٍ، وكذلِكَ لابُدَّ أنْ يتلفَظَ بالسلامِ ولا يُكْتَفىٰ بالإشارةِ باليدِ أو الرأسِ. فقد جاءَ النهيُّ عَنْ ذلِكَ في حديثِ عمروِ بن شعيبٍ عَنْ أبيهِ عن جدهِ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تشبَّهَ بغيرِنا، لا تشبَّهُوا باليهودِ ولا بالنَّصارىٰ، فإنَّ تسليمَ اليهودِ الإشارةُ بالأصابعِ وتسليمَ**

---

(١) أبو داود (٥٢٠٨)، الترمذي (٢٧٠٦).

النصارى الإشارةُ بالكفِّ»[١] رواهُ الترمذي ولَهُ شواهِد.

لكِنْ إذَا كانَ المُسَلَّمُ عليهِ لا يسمعُ السلامَ لِبُعدٍ أو صممٍ أو غيرهِ فلا بأسَ بالإشارةِ لتنبيههِ مع التلفظِ بالسلامِ.

والسلامُ من حقوقِ المسلمينَ بعضهم على بعضٍ، فالمسلمُ الَّذي لَيْسَ مشهورًا بفسقٍ ولا بدعةٍ يسلِّمُ ويسلمُ عليهِ.

وأمَّا الفاسقُ والمبتدعُ فلا ينبغي أن يُسلَّمَ عليهما ولا يردُّ عليهما السلامُ حتى يتُوبا. فقد هجرَ النبيُّ ﷺ الثلاثةَ الذينَ خُلِّفُوا إلى أن تابَ اللهُ عليهِم.

وأما الكفارُ فتَحْرُم بداءتُهم بالسلامِ فإنْ بدأُونَا قُلْنَا: وعليكُم، لِمَا في صحيحِ مسلمٍ عَنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«لا تبدؤوا اليهودَ والنصارى بالسلامِ فإذَا لقِيتُم أحدَهُم في الطريقِ فاضطرُّوهُم إلى أضيقِهِ»**[٢].

وفي الصحيحينِ عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذا سلَّمَ عليكُم أهلُ الكتابِ فقولُوا وعَليكُم»**[٣].

ثم اعلَمُوا رحمَكُم اللهُ أنَّ هناكَ أَحْوالاً لا يشرعُ السلامُ فِيها، مِنْهَا:

ما إِذَا كانَ الإنسانُ على حاجتِهِ من بولٍ أو غائطٍ، ومنها حالُ خطبةِ الجمعةِ فلا يُسلمُ على المستمعينَ للخطبةِ لأنَّهم مأمورُونَ بالإنصاتِ. ولا يردُّونَ على

---

(١) أبو داود (٢٦٦٥).

(٢) ابن حبان (٥٠٠)، الترمذي (١٦٠٢).

(٣) البخاري (٥٩٠٣)، مسلم (٢١٦٣).

مَنْ سلَّمَ عليهِم.

ومنها حالُ الاشتغالِ بتلاوةِ القرآنِ فالتالِي لا يُسلَّمُ عليهِ. وممّا يجدرُ التنبيهُ عليهِ ما اعتادَهُ بعضُ الناسِ من السلامِ والمصافحةِ بَعْدَ صلاةِ الفريضةِ أو صلاةِ النافلةِ فهذا السلامُ غيرُ مشروعٍ وإذَا داومَ عليهِ فهو بدعةٌ، أمَّا لَوْ فعلَهُ لسببٍ عارضٍ مِنْ غيرِ مداومةٍ كَمَا لَوْ سلَّمَ عَلَى مَنْ لَمْ يرهُ قبلَ ذلِكَ. أو سلمَ عليهِ ليكلِّمَهُ في حاجةٍ فلا بأسَ بذلِكَ.

والمصافحةُ عِنْدَ اللقاءِ سنةٌ مرغبٌ فيها، ففي سننِ الترمذِي وأبي داودَ وابنِ ماجةَ عَنِ البراءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مسلميْنِ يلتقيانِ فيتصافحانِ إلاَّ غُفرَ لهما قبلَ أنْ يتفرَّقَا»**(1).

وأمَّا المعانقةُ والتقبيلُ فإنَّما يشرعَانِ في حقِّ القادمِ مِنْ سفرٍ، أمَّا غيرُ القادمِ من سفرٍ فلا ينبغي فعلهُما مَعَهُ، ويحرمُ الإنحناءُ عند السلامِ لِمَا في سننِ الترمذِي عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرجلِ يَلقَىٰ أخاهُ ينحني لَهُ قالَ: لاَ. ولأنَّ الانحناءَ نوعُ ركوعٍ، والركوعُ والسجودُ لا يجوزُ فعلُهُما إلاَّ للهِ عزَّ وجلَّ. ومِمَّا ينبغِي التنبيه عليهِ حكمُ القيامِ للسّلامِ أو للتقديرِ فالقيامُ لأجلِ السّلامِ على القادمِ من سفرٍ أو لأجلِ السلام على الدَّاخلِ على قومٍ جالسين في مكانٍ لا بأسَ بهِ، وأما القيامُ من أجلِ احترامِ الشخصِ لا من أجلِ السلامِ عليه كما يقامُ للعظماءِ إذا جاؤوا حتىٰ يجلِسوا وكما يأمرُ بعضُ المدرسينَ الطلابَ أن يقوموا له إذَا دخلَ الفصلَ أو إذا جاءَ زائرٌ للفصلِ قاموا له فهذا لا يجوزُ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ: لم تكن عادةُ السلفِ على عهدِ النبيِّ ﷺ وخلفائِه الراشدينَ أن يعْتَادوا

---

(١) الترمذي (٢٧٢٧)، ابن ماجة (٣٧٠٣)، أبو داود (٥٢١٢).

القيامَ حِينَ يرونَه عليه السلامُ كما يفعلُه كثيرٌ منَ الناسِ، بل قد قالَ أنسُ بنُ مالكٍ، لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من النبيِّ ﷺ وكانوا إذَا رأَوْهُ لم يقومُوا لما يعلمون من كَرَاهِيَتِهِ ﷺ لذَلِكَ. وإذا كانَ لا يقامُ للرسولِ ﷺ عند مجيئهِ فكيفَ يُقامُ لغيرِه.

وأما القيامُ للقادمِ من مغيبهِ تَلَقِّياً له كما روي عن النبيِّ ﷺ أنه قامَ لعكرمةَ لما قَدِمَ مسلماً مهاجراً، وقال للأنصارِ لمَّا قَدِمَ سعدُ بن مُعاذ: قُوموا إلى سَيِّدكُم... والذي ينبغي للناسِ أن يعتادوه هو اتباعُ السلفِ على ما كانوا عليه على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّهم خيرُ القرونٌ، وخيرُ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرُ الهَدْي هديُ محمدٍ ﷺ. فلا يعدِلُ أحدٌ عن هَدْي خيرِ الورى وخيرِ القرونِ إلى ما هو دُونَه، وينبغي للمطاع ألا يُقرَّ ذلك مع أصحابِه بحيثُ إذا رأَوْهُ قاموا عند وصُولهِ.

وأما القيامُ لمن يَقدُمُ من سفرٍ ونحو ذلك تلقِّياً له فَحَسنٌ، وليس هذا هو القيامَ المذكورَ في قولهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يتمثَّلَ له الرجالُ قياماً فَلْيتبوَّأْ مقْعَدَهُ منَ النَّارِ». فمن ذلك أن يقوموا وهو قَاعدٌ وليس أن يقوموا لِمجيئهِ إذا جاءَ، ولهذا فَرَّقُوا بين أن يُقالَ قمتُ إليه وقمتُ لهُ، والقائمُ للقادمِ ساواه في القيام بخلافِ القائمِ على القاعدِ، وقد ثبتَ في صحيحِ مسلمٍ أن النبيَّ ﷺ لمَّا صلَّى بهم قاعداً في مرضِه وصَلَّوْا قياماً أمرهُم بالقُعودِ، وقال لا تُعظِّمُوني كما يُعظِّمُ الأعاجمُ بعضُهم بَعضًا، وقد نَهاهُم عن القيامِ في الصلاةِ وهو قاعدٌ لِئلاَّ يتشَبَّهَ بالأعَاجِمِ الذينَ يقُومُون لِعُظَمائِهِم وهُم قُعُودٌ.

عبادَ اللهِ: ومَنْ بلغَهُ سلامٌ مِنْ غائبٍ وجبَ الردُّ عليهِ فإنْ كَانَ بواسطةِ شخصٍ فإنَّهُ يقولُ في الردِّ: وعليهِ السلامُ، وإن كانَ بواسطةِ كتابٍ فإنَّهُ إذا قرأَهُ يقولَ: وعليكُم السلامُ. فيردُّ عليهِ بأحسنِ مِنْ تحيتهِ أَوْ مِثْلِها. . . .

فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وأفشُوا السلامَ بينكُم لما فيهِ مِنَ المصالحِ والخيراتِ وإحياءِ السنةِ وإزالةِ الجفوةِ، فإنَّهُ من طيبِ الكلامِ وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً﴾.

أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُم. . .

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانهِ، أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينَا النعمةَ، وشرعَ لنا ما يُزكِّي النفوسَ ويطهرُ الأخلاقَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وأصحابهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ تعالَى وتمسَّكُوا بمحاسنِ الأعمالِ ومكارمِ الأخلاقِ واعلمُوا أنَّ لإفشاءِ السلامِ فيما بينكُم له ثمراتٌ عظيمةٌ.

منها أنَّهُ مِنْ جملةِ الأسبابِ لدخولِ الجنةِ، قالَ ﷺ: «يا أيُّها الناسُ أفشُوا السلامَ وأطعمُوا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلُوا الجنةَ

بسلامٍ»[١] حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ومِنْهَا: أنَّهُ يورثُ المحبةَ في القلوبِ، قالَ ﷺ: «لا تدخلُوا الجنةَ حَتى تؤمنُوا، ولا تؤمنُوا حتى تحابُوا، ألاَ أدلُكُم على شيءٍ إذا فعلْتُمُوهُ تحاببتُمْ أفشُوا السلامَ بَيْنكُم»[٢] رواهُ مسلمٌ.

ومنها: أنَّ السلامَ يقرِّبُ من اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ أَوْلَىٰ الناسِ باللهِ مَنْ بدأَهُمْ بالسلامِ»[٣] رواهُ أبو داودَ بإسنادٍ جيدٍ.

ومِنْهَا: أنَّ السلامَ والمصافحةَ يسببانِ مغفرةَ الذنوبِ، قالَ ﷺ: «مَا مِنْ مسلميْنَ يلتقيانِ فيتصافحانِ إلاّ غُفِرَ لهما قَبْلَ أنْ يتفرقَا»[٤] رواهُ أبو داودَ والترمذِي، وقالَ الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

وقالَ ﷺ: «إنَّ المسلمَ إذا لَقِي أخاهُ فأخذَ بيدهِ تحاتَتْ عَنْهُمَا ذنوبُهما كَمَا يتحاتّ الورقُ من الشجرةِ اليابسةِ في يومِ ريحٍ عاصفٍ، وإلاَّ غُفرَ لَهُمَا ولَوْ كانتْ ذُنوبُهما مثلَ زبدِ البحرِ»[٥] فاغتنمُوا هذهِ الثمراتِ العظيمةَ. واعلمُوا أن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ.... إلخ.

* * *

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٧٢٧٧).
(٢) مسلم (٥٤).
(٣) أبو داود (٥١٩٧).
(٤) الترمذي (٢٧٢٧).
(٥) المعجم الكبير (٦١٥٠).

في الحثّ على خَوفِ اللهِ وخَشْيَتِه وحدَهُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ أمرَ بخشيتهِ وحدَهُ وطاعتهِ، ونَهىٰ عَنْ مخالفةِ أمرهِ ومعصيتهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ربوبيتهِ وإليهتهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وخيرتُهُ من بريتهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أهلَ طاعتهِ ومحبتهِ وسلَّم تسليماً كثيراً، أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى وخافُوهُ واخشوهُ وحدَهُ، قالَ تعالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقالَ تعالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

عبادَ اللهِ: إنَّ الخوفَ والخشيةَ من أَعْمَالِ القُلوبِ وتظهرُ آثارُهما على الأعمالِ والتصرفاتِ. وهُمَا مِنْ أعظمِ أنواعِ العبادةِ، فَمَنْ خافَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أطاعَهُ بفعلِ مَا أمرَ بهِ وتَرَكَ ما نهىٰ عَنْهُ، فأقامَ الصلاةَ وآتىٰ الزكاةَ وتقربَ إلى اللهِ بأنواعِ الطاعاتِ، وابتعدَ عن المعاصِي والمحرماتِ، فلا يأكلُ مالاً حراماً، ولا يشهدُ زُوراً، ولا يحلفُ كذِباً، ولا يُخلفُ وعداً، ولا يخونُ عهداً، ولا يفجرُ في الخصومةِ، ولا يغشُّ في المعاملةِ، ولا يخونُ شريكَهُ، ولا يمشِي بالنميمةِ، ولا يغتابُ الناسَ، ولا يتركُ النصيحةَ والأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ، أمَّا مَنْ لَمْ يكُنْ في قلبهِ خوفٌ من اللهِ وخشيةٌ لَهُ فإنَّهُ لا يتورَّعُ عن تركِ الواجباتِ وفعلِ المحرماتِ وأكلِ أموالِ الناسِ والاحتيالِ على سلبِها مِنْهُم بشتىٰ الحيلِ عَنْ طريقِ المُراباةِ وأخذِ الرشوةِ، والغشِّ في المعاملةِ والأيمانِ الكاذبةِ والخصوماتِ الفاجرةِ، والشهاداتِ المزورةِ، بَلْ لاَ يَتورَّعُ عَنْ تركِ الصلاةِ ومنعِ الزكاةِ وتناولِ

المسكراتِ والمخدراتِ والمفتراتِ من الخمورِ والحشيشِ والدُّخانِ والقاتِ، وإذا هانَ عليهِ سقوطُ نفسهِ هانَ عليهِ سقوطُ غيرهِ فيتحولُ مِنْ ناصحٍ إلى خائنٍ، ومِنْ آمرٍ بالمعروفِ ناهٍ عَنْ المنكرِ إلى مسالمٍ للعصاةِ ومداهنٍ، يُرضِي المخلُوقِينَ بما يُسخطُ الخالقَ، وإنْ تظاهرَ بشيءٍ مِنَ الخيرِ فهو مخادعٌ ومنافقٌ، ولقد حذَّرَنَا اللهُ مِنْ هذا وأمثالِهِ بقولِهِ تعالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠ـ١٣].

عبادَ اللهِ: إنَّ قلوبَ العبادِ تألفُ أهلَ خشيةِ اللهِ وطاعتهِ، وتنفرُ مِنْ أهلِ معصيتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦] فأخبرَ سبحانَهُ أنَّهُ يَغْرِسُ لعبادهِ المؤمنينَ في قلوبِ عبادِهِ الصالحينَ محبةً ومودةً. وفي الحديثِ: «إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً دَعَا جبريلَ فقالَ: يا جبريلُ إنِّي أحبُّ فُلاناً فأَحبَه. قالَ فيحبُّهُ جبريلُ، قالَ: ثم يُنادِي في أهلِ السماءِ: إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحبُّوهُ، قالَ فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ لَهُ القبولُ في الأرضِ. وإنَّ اللهَ إِذَا أبغضَ عَبْدَاً دَعَا جبريلَ فقالَ: يا جبريلُ إنِّي أُبغضُ فُلاناً فأبغضهُ، قالَ: فيبغضهُ جبريلُ، ثم يُنادي: يا أَهْلَ السماءِ إنَّ اللهَ يبغضُ فُلاناً فأبغضوهُ، قال: فيبغضهُ أهلُ السماءِ ثم يوضعُ لَهُ البغضاءُ في الأرضِ»[1] رواهُ مسلمٌ.

وقَدْ كتبَ معاويةُ رَضِيَ اللهُ عنه إلى أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَن أُكتبِي لِي كِتَاباً تُوصينِي فيهِ ولا تُكثِرِي عليَّ، فكتبتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

---

(١) مسلم (٢٦٣٧).

وقالَتْ: «إلى معاويةَ، سلامٌ عليكَ . . . أمّا بعدُ: فإنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنِ التمسَ رِضَا اللهِ بسخطِ الناسِ كفاهُ اللهُ مؤنةَ الناسِ، ومَنْ التمسَ رِضَا الناسِ بسخطِ اللهِ وكلَهُ اللهُ إلى الناسِ» والسلامُ عليكَ ـ رواهُ أبو نعيمٍ في الحليةِ، ورواهُ ابنُ حبانٍ في صحيحِهِ بلفظِ: «مَنِ التمسَ رِضا اللهِ بسخطِ الناسِ رضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرضىٰ عَنْهُ الناسَ. ومَن التمسَ رِضا الناسِ بسخطِ اللهِ سخطَ اللهُ عليهِ وأسخطَ عليهِ الناسَ»[1].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: وهذا مِنْ أعظمِ الفقهِ في الدينِ، فإنَّ مَنْ أرْضَى اللهَ بسخطِهم كانَ قَدِ اتقاهُ، وكَانَ عَبْدَهُ الصَّالِحَ واللهُ يتولَىٰ الصالِحينَ، واللهُ كافٍ عبدَهُ. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣]، واللهُ يكفيهِ مؤنةَ الناسِ بلا ريبٍ، وأَمَّا كونُ النَّاسِ كُلِّهم يَرْضَوْنَ عَنْهُ فَقَدْ لا يحصلُ لكنْ يرضوْنَ عَنْهُ إِذَا سَلِمُوا مِنَ الأغراضِ وإذَا تبينَ لَهُمُ العاقبةُ، ومن أَرْضَىٰ الناسَ بسخطِ اللهِ لَمْ يُغنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شيئاً. وهذَا يشملُ الراعِيَ مع الرعيةِ والرعيّةَ مع الراعِي، والناسَ بعضَهم مع بعضٍ أَفْرَاداً وجماعاتٍ، ويشملُ الولدَ مع والدِهِ، والوالدَ مع ولدِهِ، ويشملُ الزوجَ مع زوجتِهِ، والزوجةَ مع زوجِها، فلا يجوزُ لأحدٍ مِنْ هؤلاءِ طاعةُ المخلوقِ في معصيةِ الخالقِ، ولا يجوزُ تركُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيُ عَنِ المنكرِ لإرضاءِ الخلقِ ومداهنتِهم، ولا يجوزُ الحكمُ بغيرِ ما أُنزلَ لأجلِ رِضا الخصمِ ورغبةِ السلطانِ أو رغبةِ الشعوبِ فمَنْ أطاعَ اللهَ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ رضاهُ ورضا خَلْقِهِ ولَوْ في العاقبةِ، ومَنْ عَصَىٰ اللهَ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ غضبِهِ وغضبِ خلقِهِ وَخسِرَ الدّنيا والآخرةَ . .

---

(١) ابن حبان (٢٧٦).

عَنْ أَبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: «إنَّ مِنْ ضعفِ اليقينِ أَنْ تُرْضِيَ الناسَ بسخطِ اللهِ»(١). رواهُ أبو نعيمٍ في الحليةِ، والبَيْهَقِي بسندٍ ضعيفٍ، ومعناهُ صحيحٌ.

ومِنْ إرضاءِ الناسِ بسخطِ اللهِ أنْ يتركَ الإنسانُ ما أوجبَهُ اللهُ عليهِ مِنْ إنكارِ المنكرِ، وفي الحديثِ: «إنَّ اللهَ يقولُ للعبدِ يومَ القيامةِ: مَا مَنعكَ إذْ رأيتَ المنكرَ ألاَّ تغيرَهُ، فيقولُ: ربِّ خشيةُ الناسِ، فيقولُ: إيَّايَ كنتَ أحقَّ أنْ تَخْشَى».

عبادَ اللهِ: إنَّ خوفَ اللهِ وخشيتَهُ لَهُمَا آثارٌ حميدةٌ في حياةِ المسلمِ فَهُمَا يحملانِ المسلمَ على المحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ في المساجدِ وعمارَتِها بالطاعةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وهُما يحملانِ المسلمَ على طاعةِ اللهِ وتركِ معاصيهِ في السرِّ والعلانيةِ، قالَ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، وهُمَا يحملانِ المسلمَ على قولِ كلمةِ الحقِّ وتبليغ الحقِّ والخيرِ للناسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وَهُمَا يورثانِ الجنةَ والنجاةَ مِنَ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ـ٤٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ـ٤١].

---

(١) أبو نعيم في الحلية (٥/١٠٦).

وهُمَا ينجيانِ المسلمَ عِنْدَ نزولِ العذابِ بالظالِمينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾. [إبراهيم: ١٣ـ١٤].

فاتقُوا اللهَ تَعَالَى، واخشوْهُ حقَّ خشيته واستقيمُوا عَلَى طاعتِهِ، وأَطِيعُوا اللهَ ورسولَهُ لعلَّكُم ترحَمُونَ . . . .

باركَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ . . . .

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ عَلَى فضلِهِ وإحسانِهِ، وعدَ أهلَ خوفهِ وخشيتهِ جزيلَ الثوابِ وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ العزيزُ الوهابُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أشرفُ رسولٍ أُنزلَ عليهِ أشرفُ كتابٍ، صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ ـ الذينَ هاجَرُوا وصَبرُوا، والذين آووا ونصرُوا، أولئكَ الذينَ هَداهُم اللهُ وأولئكَ هُمْ أُولُوا الألبابِ. وسَلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ: اتقُوا اللهَ وخافُوا بطشَهُ وعقابَهُ، ولا تيأسُوا من رحمتهِ وثوابهِ. فهذَا سبيلُ المُتقينَ ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾. [الأنبياء: ٤٩].

عبادَ اللهِ، إنَّ الخوفَ مِنْ غيرِ اللهِ ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: خوفُ السِّرِّ: وهو خوفُ العبادةِ بأنْ يخافَ من وثنٍ أو جنيٍّ أو إنسيٍّ حَيٍّ أو ميتٍ أنْ يصيبَهُ بما يَكْرَهُ مِنْ مرضٍ أو حبسِ رزقٍ أو أنْ يصيبَ مالَهُ

أو ولدَهُ بموتٍ أو مرضٍ فيتقربُ إلى ذلِكَ المخلوقِ بشيءٍ مِنَ العبادةِ كالذَّبحِ لَهُ، والنّذرِ لَهُ، كالذينَ يذبحُونَ أو يُنذرُونَ للجنِّ وأصحابِ الأضرحةِ ويستغيثُونَ بِهِم ويستعيذُونَ بِهِم. وهذَا شركٌ أكبرُ يُنافِي التوحيدَ ويُخرجُ مِنْ مِلَّةِ الإسلامِ، ويُلحِقُ صاحبَهُ بِعَبَدةِ الأصنامِ.

القسمُ الثَّانِي: أنْ يتركَ الإنسانُ ما يجبُ عليهِ مِنَ الدعوةِ إلىٰ اللهِ والأَمْرِ بالمعروفِ والنهيِّ عَنِ المنكرِ خَوْفاً مِنَ النَّاسِ، وهذا محرمٌ وهو شِرْكٌ أصغرُ ينقصُ التوحيدَ.

القسمُ الثالثُ: الخَوْفُ الطبيعيّ وهو الخوفُ من عدوٍّ أو سبعٍ أو غيرِ ذلِكَ فهذَا لا يُذمُّ ولا إثمَ فيهِ، قَالَ تعالَى في قصةِ مُوسَى عليهِ الصلاةُ والسلامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]. وهذا يدافعُ باتخاذِ الأسبابِ المباحةِ مع الاستعانةِ باللهِ عَزَّ وجَلَّ. . .

فاتقُوا اللهَ، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ. . . . إلخ.

* * *

أَخطَاءِ يرتكِبُها بعضُ الحُجاجِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. أمرَ بإصلاحِ العملِ وإخلاصِهِ. وأشهدُ أنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لا يقبلُ مِنَ الأعمالِ إلاَّ ما كانَ خالِصاً لوجهِهِ وصَوَاباً على سنَّةِ رسولِهِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ حذَّرَ أمتَهُ مِنَ البدعِ والمحدثاتِ فقالَ: «**مِنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1] صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً. أمَّا بعدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ، واحرصُوا على أنْ يكونَ حجُّكُم وسائرُ أعمالِكُم خالصاً لوجهِ اللهِ مِنْ جميعِ أنواعِ الشركِ. وصَوَاباً على سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ بَعِيداً عَنْ جميعِ البدعِ والخرافاتِ حتى يكونَ عملُكُم مُتقبلاً وحجُّكُم مَبْروراً، وسعيُكُم مَشْكُوراً. لأنَّ مِنَ الحجاجِ مَنْ يرتكبُ أخطاءً كثيرةً في حجّهِ.

وهذه الأخطاءُ منها ما يتعلقُ بالعقيدةِ، ومنها ما يتعلقُ بأحكامِ الحجِّ العمليةِ، فالَّذي يتعلقُ بالعقيدةِ هُوَ أَنَّ بعضَ الحجاجِ سواءٌ في مكةَ أَوْ في المدينةِ يذهبونَ إلى المقابرِ ليتوسلُوا بالموتىٰ ويَتبركُوا بقبورِهم أَوْ يسألوا اللهَ بجاهِهِم. وما أشبهَ ذلِكَ من الأعمالِ الشركيةِ أَوْ البدعيةِ المخالفةِ لسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ في زيارةِ القبورِ، لأنَّ سنةَ الرسولِ ﷺ أنْ تُزارَ القبورُ للاعتبارِ وتَذَكُّرِ الآخرةِ والدعاءِ لأمواتِ المسلمينَ بالمغفرةِ والرحمةِ، وأنْ يكونَ ذلِكَ بدونِ سفرٍ وشدِّ رحالٍ، وأنْ تكونَ الزيارةُ للرجالِ دونَ النساءِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**كنتُ نهيتُكُم عن زيارةِ**

---

(١) البخاري (٢٠٣٤)، مسلم (١٧١٨).

القبورِ أَلاَ فزورُوهَا فإنَّها تُذكرُ بالآخرةِ»[١] وهذا خطابٌ للرِّجَالِ خاصةً لأَنَّ الرسولَ ﷺ لَعَنَ زوَّارَاتِ القبورِ. . . وكانَ ﷺ إذا زارَ القبورَ دَعَا لأصحَابِها بالمغفرةِ والرحمةِ. هذا هَدْيُهُ ﷺ في زيارتِها. . أنَّهُ لأجلِ اعتبارِ الزائرِ واتعاظِهِ، والدُّعاءِ للميتِ المَزُورِ بالمغفرةِ والرحمةِ.

أمَّا أنْ تُزارَ القبورُ بقصدِ الدُّعاءِ عِنْدَهَا أو التبركِ والتوسلِ بأَصْحَابِها أَوْ الاستشفاعِ بِهِم فهذَا مخالفٌ لهَدْيِ النبيِّ ﷺ وهو إمَّا شركٌ باللهِ أو وسيلةٌ للشركِ تتنافَىٰ مَعَ أعمالِ الحجِّ ومقاصدِهِ.

ومِنَ الحجاجِ مَنْ يُتعبُ بَدَنَهُ ويُضِيعُ وَقْتَهُ ومَالَهُ في الذهابِ إلى المزاراتِ المزعومةِ في مكةَ والمدينةِ، فَفِي مكةَ يذهبُ إلى غارِ حراءِ وغارِ ثورٍ وغيرِهِمَا مِمَّا لا تشرعُ زيارتُهُ، وفي المدينةِ يذهبُ إلى المساجدِ السبعةِ ومسجدِ القبلتيْنِ وأماكنَ معينةٍ للصلاةِ فيها والدُّعاءِ عِنْدَها والتبركِ بها، وزيارةُ هذهِ الأماكنِ في مكةَ أو المدينةِ والتعبدُ فيها هو من البدعِ المحدثةِ في دينِ الإسلامِ، فَلَيْسَ هناكَ مساجدُ في الأرضِ تقصدُ للصلاةِ فيها إلاَّ المساجدَ الثلاثةَ: «المسجدَ الحرامَ، ومسجدَ الرسولِ ﷺ، والمسجدَ الأَقْصَىٰ»، ومسجدَ قباءِ لِمَنْ كَانَ بالمدينةِ. ولَيْسَ هناكَ مغامراتٌ ولا أمكنةٌ تزارُ في دينِ الإسلامِ لا في مكةَ ولا في المدينةِ ولا غيرِهما لأنَّهُ لا دليلَ عَلَى ذلِكَ، والحاجُّ إنَّما جاءَ يطلبُ الأجرَ والثوابَ من اللهِ فليقتصرْ عَلَى ما شرعَهُ اللهُ ورسولُهُ.

ولَوْ أَنَّ الحاجَّ وفَّرَ وقتَهُ للصلاةِ في المسجدِ الحرامِ إذَا كانَ في مكةَ، وفي مسجدِ الرسولِ ﷺ إذَا كَانَ في المدينةِ، ووَفَّرَ مالَهُ للإنفاقِ في سبيلِ اللهِ والصدقةِ

---

(١) ابن حبان (٩٨١) [مقارب]، المنتقى لابن الجارود (٨٦٣).

عَلَى المُحْتَاجينَ، لحصلَ على الأجرِ والثوابِ، أمَّا إِذَا أضاعَ هذهِ الإمكانياتِ في البدعِ والخرافاتِ فإِنَّهُ يحصلُ على الإثمِ والعقابِ، فالواجبُ على الحاجِّ أنْ يتنبَهَ لهذَا ولا يغترَّ بالجُهالِ والمبتدعةِ. أوْ بِمَا كُتبَ في بعضِ المناسِكِ من الترويجِ لهذهِ المبتدعاتِ والدعايةِ لهَا. وعَلَيْهِ أنْ يراجعَ المناسِكَ الموثوقةَ التي أُلِّفَتْ على ضوءِ الكتابِ والسنةِ لأجلِ المحافظةِ عَلَىٰ سَلامةِ عقيدتِه وحجِّهِ، ويستشيرَ أهلَ العلمِ فيما أُشكلَ عليهِ.

وأَمَّا الأخطاءُ التي تتعلقُ بأعمالِ الحجِّ فَمِنْهَا:

أولاً: في الإِحرامِ:

١ـ بعضُ الحجاجِ القادمِينَ عَنْ طريقِ الجَوِّ يؤُخرُونَ الإحرامَ حتى ينزلُوا في مطارِ جدةَ فيُحرمُوا مِنْهَا أو دُونهَا مِمّا يَلِي مكةَ وقَدْ تجاوزُوا الميقاتَ الذي مَرُّوا بهِ في طريقِهم، وقَدْ قالَ ﷺ في المواقيتِ: «**هي لَهُنّ ولِمَنْ أَتَىٰ عَلَيهنّ مِنْ غيرِ أَهْلِهِنّ**»[1] فمَنْ مرَّ بالميقاتِ الذي في طريقهِ أو حاذَاهُ في الجَوِّ أَوْ فِي الأرضِ وهُوَ يريدُ الحجَّ أو العمرةَ وجبَ عليهِ أنْ يُحْرِمَ مِنْهُ أَوْ مِنْ محاذاتهِ، فإِنْ تجاوزَهُ وأَحْرَمَ مِن دُونِهِ أَثِمَ وتركَ واجباً من واجباتِ النسكِ يجبرهُ بدمٍ لأنَّ جدةَ لَيْسَتْ ميقاتاً لغيرِ أهلِها ومَنْ نَوىٰ النُّسكَ مِنْها.

٢ـ بعضُ الحجاجِ إذا أحرمُوا أخذُوا لَهُمْ صورةً تذكاريةً يحتفظُونَ بها ويُطلعُونَ عليها أصدقاءَهم ومَعارفَهم وهذَا خَطَأٌ مِنْ ناحيتَينِ:

أَوْلاً: إنَّ التصويرَ في حدِّ ذاتهِ حرامٌ ومعصيةٌ للأحاديثِ الواردةِ في تحريمِهِ والوعيدِ عليهِ، والحاجُّ في عبادةٍ فلا يليقُ بِهِ أنْ يفتتحَ هذهِ العبادةَ

---

(١) البخاري (١٤٥٢) [مقارب]، مسلم (١١٨١) [مقارب].

بالمعصيةِ.

ثانياً: إنَّ هذَا يدخلُ في الرياءِ لأنَّ الحاجَّ إِذَا أحبَّ أنْ يُطلْعَ الناسَ عليهِ وعَلَىٰ صورتِهِ وهو محرمٌ فإنَّ هذَا رياءٌ والرياءُ يحبطُ العملَ، وهُوَ شركٌ أصغرُ، وهُوَ من صفاتِ المنافقِينَ.

٣ـ يظنُ بعضُ الحجاجِ أنَّهُ يجبُ على الإنسانِ إِذَا أرادَ أنْ يحرمَ أنْ يحضرَ عِندَهُ كلّ ما يحتاجُهُ من الحذاءِ والدّراهِمِ وسائرِ الأغراضِ وأنَّهُ لا يجوزُ لَهُ أنْ يستعملَ الأشياءَ التي لَمْ يحضرْهَا عندَ الإحرامِ وهذا خطأٌ كبيرٌ وجهلٌ فظيعٌ، لأنَّهُ لا يَلزَمُهُ شَيْءٌ في ذلِكَ، ولا يَحْرُمُ عليهِ أنْ يستعملَ الحوائجَ التي لَمْ يحضرْهَا عِنْدَ الإحرامِ. بَلْ لَهُ أَنْ يَشْتَرِيَ ما يحتاجُ إلى شرائِهِ ويستعملَ ما يحتاجُ إلى استعمالِهِ وأنْ يغيرَ ملابسَ الإحرامِ بمثلِها، وأنْ يغيرَ حذاءَهُ بحذاءٍ آخرَ ولا يتجنبُ إلاَّ محظوراتِ الإحرامِ المعروفةِ.

٤ـ بعضُ الرجالِ إذا أحرَمُوا كَشَفُوا أكتافَهم على هيئةِ الاضطباعِ وهذا غيرُ مشروعٍ إلاَّ في حالِ الطوافِ (طواف القدومِ أو طواف العمرةِ) ومَا عدَا ذلِكَ يكونُ الكتفُ مَسْتُوراً بالرداءِ في كُلِّ الحالاتِ.

٥ـ بعضُ النساءِ يَعْتَقِدْنَ أنَّ الإحرامَ يُتخذُ لَهُ لونٌ خاصٌ، كالأخضرِ مَثلاً، وهذا خطأٌ؛ لأنَّهُ لا يتعينُ لونٌ خاصٌ للثوبِ الذي تلبسُهُ المرأةُ في الإحرامِ. وإنَّما تحرمُ بثيابِها العاديةِ. إلاَّ ثيابَ الزينةِ أو الثيابَ الضيقةَ أو الشفافةَ فلا يجوزُ لها لِبسُها لا في الإحرامِ ولا في غيرِهِ.

٦ـ بعضُ النساءِ إِذَا أحرمْنَ يضعْنَ على رؤوسِهنَّ ما يشبهُ العمائمَ أو الرافعاتِ لأجلِ غطاءِ الوجهِ حتى لا يلامسَ الوجهَ. وهذا خطأٌ وتكلفٌ لا داعِيَ

لَهُ ولاَ دليلَ عليهِ، لأنَّ فِي حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ النساءَ كُنَّ يُغطِين وجوهَهنَّ عن الرجالِ وهُنَّ محرماتٌ ولم تَذْكُرْ وضعَ عمامةٍ أو رافعٍ. فلا حرجَ في لمسِ الغطاءِ للوجهِ.

٧ـ بعضُ النساءِ إذا مَرّتْ بالميقاتِ تريدُ الحجَّ أو العمرةَ وأصابَها الحيضُ قَدْ لاَ تحرمُ ظَنًّا مِنْهَا أَوْ مِنْ وَلِيها أنَّ الإحرامَ تُشترطُ لَهُ الطهارةُ مِنَ الحيضِ. فتتجاوزُ الميقاتَ بدونِ إحرامٍ وهذا خطأٌ واضحٌ لأنَّ الحيضَ لا يمنعُ الإحرامَ. فالحائضُ تحرمُ وتفعلُ ما يفعلُ الحاجُّ غيرَ الطوافِ بالبيتِ فإنَّها تؤخرُهُ إلى أنْ تطهرَ. كما وردتْ بهِ السنةُ. وإذَا أَخَّرَتْ الإحرامَ وتجاوزتِ الميقاتَ بدونِهِ فإنَّها إنْ رَجَعَتْ إلى ذلِكَ الميقاتِ وأحرمتْ مِنْهُ فلا شَيءَ عَلَيها وإنْ أَحْرَمتْ مِنْ دونِهِ فَعَلَيها دمٌ لتركِ الواجبِ عَليهَا.

ثانياً: في الطوافِ:

١ـ كثيرٌ مِنَ الحجاجِ يلتزمُ أدعيةً خاصةً في الطوافِ يقرؤها مِنْ مناسِكِ، وقَدْ يكونُ مجموعاتٌ منهم يتلقوْنَها من قارئٍ يُلَقِّنُهُم إياهَا ويرددُونَها بصوتٍ جماعِيٍّ، وهذا خطأٌ من ناحيتَينِ:

الأُولىٰ: إنَّه التزمَ داعاءً لَمْ يَرِدْ التزامُهُ في هذَا الموطنِ؛ لأنَّهُ لَمْ يَرِدْ عَنِ النبيِّ ﷺ في الطوافِ دعاءٌ خاصٌ.

الثانيةُ: إنَّ الدعاءَ الجماعيَّ بدعةٌ وفيه تشويشٌ على الطائِفينِ، والمشروعُ أنْ يَدْعُوَ كُلُّ شخصٍ لنفسِهِ وبدونِ رفعِ صوتِهِ.

٢ـ بعضُ الحجاجِ يقبّلُ الركنَ اليمانِيَّ، وهذا خطأٌ؛ لأنَّ الركنَ اليمانِيَّ يُستلمُ باليدِ فقطْ ولا يُقبّلُ. وإنَّما يُقبلُ الحجرُ الأسودُ. فالحجرُ الأسودُ يستلمُ

ويقبلُ إن أمكنَ أو يشارُ مَعَ الزحمةِ إليهِ. وبقيةُ الأركانِ لا تستلمُ ولا تقبلُ.

٣ـ بعضُ الناسِ يزاحمُ لاستلامِ الحجرِ الأسودِ وتَقبيلِهِ، وهذا غيرُ مشروعٍ لأنَّ الزحامَ فيهِ مشقةٌ شديدةٌ وخطرٌ على الإنسانِ وعلى غيرِهِ. وفيه فتنةٌ بمزاحمةِ الرجالِ للنساءِ. والمشروعُ تقبيلُ الحجرِ واستلامِهِ مَعَ الإمكانِ، وإذَا لَمْ يتمكنْ أشارَ إليهِ بدُون مزاحمةٍ ومخاطرةٍ وافْتِتانٍ، والعباداتُ مبناهَا على اليسرِ والسهولةِ. لا سيّمَا وإنَّ استلامَ الحجرِ وتقبيلَهُ مستحبٌّ مَعَ الإمكانِ... ومَعَ عدمِ الإمكانِ تكفِي الإشارةُ إليهِ. والمزاحمةُ قَدْ يكونُ فيها ارتكابُ مُحرَّماتٍ، فكيفَ ترتكبُ محرماتٌ لتحصيلِ سُنَّةٍ؟!

ثالثاً: في التقصيرِ من الرأسِ للحجِّ أوْ العمرةِ:

بعضُ الحجاجِ يكتفِي بِقَصِّ شعراتٍ من رأسِهِ وهذا لا يكفِي ولا يحصلُ بهِ أداءُ النسكِ لأنَّ المطلوبَ التقصيرُ من جَميعِ الرأسِ، لأنَّ التقصيرَ يقومُ مقامَ الحلقِ، والحلقُ لجميعِ الرأسِ فكذا التقصيرُ يكونُ لجميعِ الرأسِ قَالَ تعالَى: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح: ٢٧] والذي يقصرُ بعضَ رأسِهِ لا يقالُ إنَّهُ قصّرَ رأسه وإنَّما يقالُ قصَّرَ بعضَهُ.

رابعاً: في الوقوفِ بعرفةَ:

١ـ بعضُ الحجاجِ لا يتأكدُ مِنْ مكانِ الوقوفِ ولا ينظرُ إلى اللوحاتِ الإرشاديةِ المكتوبِ عَلَيها بيانُ حدودِ عرفةَ فينزلُ خارجَ عرفةَ، وهذا إنْ استمرَّ في مكانِهِ ولَمْ يدخلْ عرفةَ أَبَداً وقتَ الوقوفِ لَمْ يصحَّ حجَّهُ. فيجبُ عَلَىٰ الحاجِّ الاهتمامُ بهذا الأمرِ والتأكدُ من حدودِ عرفةَ ليكونُوا داخلَها وقتَ الوقوفِ.

٢ـ يعتقدُ بعضُ الحجاجِ أنَّهُ لابُدَّ في الوقوفِ بعرفةَ من رؤيةِ جبلِ الرحمةِ

أَوْ الذهابِ إليهِ والصعودِ عليهِ، فيكلِّفُونَ أنفسَهُم عَنَتاً ومشقةً شديدةً، ويتعرضُونَ لأخطارٍ عظيمةٍ من أجلِ الحصولِ على ذلِكَ. وهذا كُلّهُ غيرُ مطلوبٍ منْهُم وإنَّما المطلوبُ وجودهم في عرفةَ في أيِّ مكانٍ منها لقولِهِ ﷺ: «وعرفةُ كُلّها مواقفٌ وارفعُوا عن بطنِ عُرَنَةَ سواءٌ رأُوا الجبلَ أو لَمْ يروْهُ»[1]، ومِنْهُم من يستقبلُ الجبلَ في الدعاءِ والمشروعُ استقبالُ الكعبةِ.

٣ـ بعضُ الحجاجِ ينصرفُونَ ويخرجُونَ من عرفةَ قبلَ غروبِ الشمسِ وهذَا لاَ يجوزُ لَهُمْ؛ لأنَّ وقتَ الانصرافِ محددٌ بغروبِ الشمسِ، فَمَنْ خَرجَ مِنْ عرفةَ قبلَهُ ولَمْ يرجعْ إليهَا فقد تركَ واجباً من واجباتِ الحجِّ ويلْزَمْهُ بهِ دمٌ مَعَ التوبةِ إلى اللهِ، لأنَّ الرسولَ ﷺ ما زالَ واقفاً بعرفةَ حتى غروبِ الشمسِ، وقَدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُم»[2].

خامساً: في مُزدَلِفَةَ:

المطلوبُ من الحاجِّ إذا وصلَ إلى مزدلفةَ أنْ يصلّيَ المغربَ والعشاءَ جمعاً ويبيتَ فيها فيصلّي بها الفجرَ ويدعوَ إلى قُبيلِ طلوعِ الشمسِ. ثم ينصرفَ إلى مِنى. ويجوزُ لأهلِ الأعذارِ خاصةً النساءَ وكبارَ السنِّ والأطفالَ ومَنْ يقومُ بتولِّي شؤونِهم الانصرافُ بَعْدَ منتصفِ الليلِ، ولكِنْ يحصلُ مِنْ بعضِ الحجاجِ أخطاءٌ في هذا النسكِ: فبعضُهم لا يتأكدُ من حدودِ مزدلفةَ ويبيتُ خارِجَها، وبعضُهم يخرجُ منها قبلَ منتصفِ الليلِ ولا يبيتُ فِيهَا، ومَنْ لَمْ يَبِتْ بمزدلفةَ مِنْ غيرِ عذرٍ فقدْ تركَ واجباً من واجباتِ الحجِّ يلزمُهُ به دمٌ جَبْراً مع التوبةِ والاستغفارِ.

---

(١) ابن ماجة (٣٠١٢) [مقارب].
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٤١٠)، سنن البيهقي الكبرى (٩٣٠٧)، فتح الباري (١٢١).

سادساً: في رَمي الجمراتِ:

رَمْيُ الجمراتِ واجبٌ من واجباتِ الحجِّ وذلِكَ بأنْ يَرْمِي الحاجُّ جمرةَ العقبةِ يومَ العيدِ، ويجوزُ بَعْدَ منتصفِ الليلِ من ليلةِ العيدِ ويَرْمِي الجمراتِ الثلاثَ في أيامِ التشريقِ بَعْدَ زوالِ الشمسِ، لَكِنْ يحصلُ من بعضِ الحجاجِ في هذا النسكِ أخطاءٌ:

١ـ فمِنْهُم مَنْ يَرْمِي في غيرِ وقتِ الرَّمْي، بأنْ يَرْمِي جمرةَ العقبةَ قبلَ منتصفِ الليلِ في ليلةِ العيدِ، أَوْ يَرْمي الجمراتِ الثلاثَ في أيامِ التشريقِ قَبْلَ زوالِ الشَّمسِ. وهذا الرَّميُ لا يُجزئ؛ لأنَّهُ في غيرِ وقتهِ المحددِ لَهُ، فَهُوَ كَمَا لَوْ صلَّىٰ قبلَ دخولِ وقتِ الصلاةِ المحددِ لَهَا.

٢ـ ومِنْهُم مَنْ يُخلُّ بترتيبِ الجمراتِ الثلاثِ فيبدأُ مِنَ الوُسْطَى أَوْ الأَخيرةِ. والواجبُ أنْ يبدأَ بالصُّغْرَىٰ ثُمَّ الوسْطَىٰ ثم بالكُبْرىٰ وهي الأخيرةُ.

٣ـ ومِنْهُم مَنْ يَرْمِي في غيرِ محلِّ الرَّمْي وهو حوضُ الجمرةِ وذلِكَ بأنْ يَرْمِيَ الحَصىٰ من بُعْدٍ فلا تقعُ في الحوضِ. أو يضربَ بها العمودَ فتطيرَ ولا تقعَ في الحوضِ. وهذَا رميٌ لا يُجزِئُ. لأنهُ لَمْ يقعْ في الحوضِ. والسببُ في ذلِكَ الجهلُ أو العجلةُ أو عدمُ المبالاةِ.

٤ـ ومِنْهُمْ مَنْ يُقدّمُ رَمْي الأيامِ الأخيرةِ مَعَ رَمْي اليومِ الأولِ من أيامِ التشريقِ ثُمَّ يسافرُ قَبْلَ تمامِ الحجِّ، وبعضُهم إِذَا رَمَىٰ لليومِ الأولِ يُوكّلُ مَنْ يَرْمِي عَنْهُ البقيةَ ويسافرُ إلى وطنِهِ. وهذا تلاعبٌ بأعمالِ الحجِّ وغرورٌ من الشيطانِ، فهذَا الإنسانُ تَحمّلَ المشاقَّ وبذلَ الأموالَ لأداءِ الحجِّ، فلمّا بقيَ عليهِ القليلُ مِنْ

أعمالِهِ تلاعبَ بهِ الشيطانُ فأخلَّ بِهَا وتَرَكَ عدةَ واجباتٍ مِنْ واجباتِ الحجِّ. وهِيَ رميُ الجمراتِ الباقيةِ وتركُ المبيتِ بمنًى أيامَ التشريقِ وطوافُهُ للوداعِ في غيرِ وقتهِ لأنَّ وقتَهُ بَعْدَ نهايةِ أيامِ الحجِّ وأعمالِهِ. فهذَا لَوْ لَمْ يَحُج أَصْلاً وسَلِمَ من التعبِ وإضاعةِ المالِ لكانَ أحسنَ. لأنَّ اللهَ تَعَالَى يقولُ: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ومعنى إتمامِ الحجِّ والعمرةِ إكمالُ أعمالِهما لِمَنْ أحرمَ بِهما على الوجهِ المشروعِ وأنْ يكونَ القصدُ خالِصاً لوجهِ اللهِ تَعَالَى.

٥ـ مِنَ الحجاجِ مَنْ يفهمُ خطأً في مَعْنَى التعجلِ الذي قالَ اللهُ تَعَالَى فيهِ: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فيظنُّ أنَّ المرادَ باليومينِ يومُ العيدِ ويومٌ بعدَهُ، وهو اليومُ الحادِي عشرَ فينصرفَ في اليومِ الحادِي عشرَ ويقولُ أنا متعجلٌ. وهذا خطأٌ فاحشٌ سببُهُ الجهلُ، لأنَّ المرادَ يومانِ بعدَ يومِ العيدِ. هُمَا الحادِي عَشرَ والثانِي عَشرَ. مَنْ تعجلَّ فيهما فنفرَ بَعْدَ أنْ يَرْمِيَ الجِمارَ بعدَ زوالِ الشمسِ مِنَ اليومِ الثَّانِي عَشَرَ فلا إثمَ عليهِ، ومَنْ تأخرَ إلى اليومِ الثالثِ عَشَرَ فرميُ الجمارِ بعدَ زوالِ الشمسِ فيه، ثُمَّ نفرَ فهذا أفضلُ وأكملُ فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وأدُّوا حجّكُم على وَفْقِ ما شرعَ اللهُ خالِصاً لوجههِ تفوزُوا بثوابهِ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

بارِكَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العظيمِ.

في بيانِ حكمِ زيارةِ المسجدِ النبويّ وما يُرتكبُ فِيهَا مِنْ أخطاءِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. القائلِ في كتابهِ المبينِ: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٨] وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ الأمينُ، صَلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعينَ. وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ. أمَّا بَعْدُ:

أيُّها الناسُ اتقُوا اللهَ تعالَى وأخلصُوا لَهُ العبادةَ مقتدينَ بنبيكُم ﷺ حتى تكونَ أعمالُكُم صحيحةً مقبولةً عِنْدَ اللهِ تعالَى.

عبادَ اللهِ لا شكَّ أنَّ زيارةَ مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ سنةٌ ثابتةٌ. لقولهِ ﷺ: «لا تُشدُّ الرحالُ إلاَّ إلى ثلاثةِ مساجدَ: المسجدِ الحرامِ. ومسجدِي هذَا والمسجدِ الأقصىٰ»[١]. وأخبرَ ﷺ أنَّ الصلاةَ في مسجدهِ أفضلُ مِنْ ألفِ صلاةٍ فِيمَا سُواهُ مِنَ المساجدِ إلاَّ المسجدَ الحرامَ. فدلَّ ذلِكَ على مشروعيَّةِ زيارةِ مسجدِهِ ﷺ والسفرِ مِنْ أجلِ ذلِكَ؛ طَلَباً لهذَا الفضلِ العظيمِ. ولكِنْ بعضُ الزائرينَ يخطئُونَ في ذلِكَ أخطاءً كثيرةً. منها اعتقادُ بعضِهم أنَّ زيارةَ المسجدِ النبويِّ الشريفِ لها علاقةٌ بالحجِّ أَوْ أَنَّها مِنْ مُكملاتِهِ أَوْ مِنْ جُمْلَةِ مناسكِهِ، وهذَا خطأٌ واضحٌ؛ لأنَّ زيارةَ المسجدِ النبويِّ لَيْسَ لها وقتٌ محددٌ مِنَ السُّنةِ ولا ارتباطٌ لها بالحجِّ أَصْلاً.

---

(١) البخاري (١١٣٢)، مسلم (١٣٩٧)، ابن حبان (١٦١٩) [واللفظ لمسلم].

فَمَنْ حجَّ ولَمْ يزرْ المسجدَ النبويَّ فحجّهُ تامٌ وصحيحٌ.

٢ـ ومنها اعتقادُ بعضِهم أنَّ زيارةَ المسجدِ النبويّ واجبةٌ. وهذا اعتقادٌ غيرُ صحيحٍ. لأنَّ زيارةَ المسجدِ النبويّ سُنةٌ. فَلَوْ لَمْ يزرْهُ طوالَ حياتِهِ فلا شَيءَ عليهِ. ومَنْ زارَهُ بنيةٍ صالحةٍ حَصَلَ على ثوابٍ عظيمٍ. ومَنْ لَمْ يزرْهُ فلا إثمَ عليهِ.

٣ـ ومِنْهَا أنَّ بعضَ الزوارِ يعتبرُ زيارةَ مسجدِ الرسولِ زيارةً للرسولِ أَوْ زيارةً لقبرِ الرسولِ. وهذَا خطأٌ فِي التسميةِ قَدْ يكونُ مصحوباً بخطأٍ في الاعتقادِ. لأنَّ أصلَ الزيارةِ التي يسافرُ من أجلِها هي لمسجدِ الرسولِ ﷺ بقصدِ الصلاةِ فيهِ، وتدخلُ زيارةُ قبر الرسولِ ﷺ وزيارةُ غيرِهِ من قبورِ الصحابَةِ وزيارةُ قبورِ الشهداءِ تدخلُ تبعاً لزيارةِ المسجدِ. ولا تقصدُ بالسفرِ أصالة. لأنَّ النبيَّ ﷺ نَهَىٰ عن السّفرِ الذي يُقصدُ بِهِ التعبدُ في مكانٍ مِنَ الأمكنةِ إلاّ إلى المساجدِ الثلاثةِ. فلا يسافرَ لأجلِ زيارةِ قبورِ الأنبياءِ والأولياءِ ولا لأجلِ الصلاةِ في مسجدٍ مِنَ المساجدِ غَيْرِ الثلاثةِ، وأمَّا الأحاديثُ التي وردَتْ في الحثِّ على زيارةِ قبرِ الرسولِ ﷺ لِمَنْ حجَّ البيتَ فكلّها أحاديثٌ لا يُحتجُ بواحدٍ منها لأنّها إمَّا موضوعةٌ وإما ضعيفةٌ متناهيةَ الضعفِ كَمَا بَيَّنَ ذلِكَ أئمةُ الحفاظِ، لكِنْ مَنْ زَارَ مسجدَ رسولِ اللهِ ﷺ استحبَّ لَهُ زيارةُ قبرِهِ وزيارةُ غيرِهِ من القبورِ تبعاً لزيارةِ المسجدِ. وأخذاً من عمومِ مشروعيةِ زيارةِ القبورِ بشرطِ أنْ تكونَ زيارةً شرعيةً يُقتصرُ فيها على السلامِ على الموتَىٰ والدعاءِ لَهُمْ بالرحمةِ والرضوانِ، لا الاستغاثةِ بِهم مِنْ دُونِ اللهِ وطلبِ الحوائجِ مِنْهُم، فإنَّ هذه زيارةٌ شركيةٌ لا شرعيةٌ.

٤ـ ومِنَ الأخطاءِ التي تحصلُ مِمَّنْ يزورونَ المسجدَ النبويَّ الشريفَ أنَّهم

يظنُونَ أنَّهُ لابُدَّ أنْ يُصلوا فيه عدداً محدداً من الصلواتِ إمَّا أربعينَ صلاةٍ أو نحو ذلِكَ. وهذا خطأٌ؛ لأنَّهُ لَمْ يَثبتْ عَنِ النبيِّ ﷺ تحديدٌ للصلواتِ التي يصلِّيها الزائرُ لمسجدِهِ، والحديثُ الواردُ بتحديدِ أربعينَ صلاةٍ حديثٌ غيرُ ثابتٍ ولا يحتجُ بهِ، فعلىٰ هذا يصلِّي ما تيسرَ لَهُ مِنَ الصلواتِ بدونِ تقيدٍ بعددٍ.

٥ـ ومِنَ الأخطاءِ العظيمةِ التي يقعُ فيها بعضُ مَنْ يزورُونَ قبرَ النبيِّ ﷺ رفعُ الأصواتِ عندَهُ بالأدعيةِ. يظنُونَ أنَّ للدعاءِ عِنْدَ قبرهِ مَزِيةً، وأنَّ ذلِكَ مشروعٌ، وهذا خطأٌ عظيمٌ؛ لأنَّهُ لا يشرعُ الدعاءُ عِنْدَ القبورِ. وإنْ كَانَ الدّاعِي لا يدعُو إلاَّ اللهَ. لأنَّ ذلِكَ بدعةٌ ووسيلةٌ إلىٰ الشركِ، ولَمْ يكُنْ السلفُ يدعُونَ عندَ قبرِ النبيِّ ﷺ إذا سلَّمُوا عليهِ. وإنَّما كانُوا يسلِّمُونَ ثم يَنْصَرِفُونَ. ومَنْ أرادَ أنْ يدعُو اللهَ استقبلَ القبلةَ ودَعَا في المسجدِ لا عِنْدَ القبرِ ولا مستقبلَ القبرِ؛ لأنَّ قبلةَ الدعاءِ هي الكعبةُ المشرفةُ فليتنبهْ لِهذَا.

٦ـ ومِنَ الأخطاءِ العظيمةِ التي يقعُ فيها بعضُ مَنْ يزورُونَ مسجدَ الرسولِ ﷺ إنَّهم يذهبُونَ لزيارةِ أمكنةٍ في المدينةِ أو مساجدَ لا تشرعُ زيارتُها. بَلْ زيارتُها بدعةٌ محرمةٌ. كزيارةِ مسجدِ الغمامةِ ومسجدِ القبلتينِ والمساجدِ السبعةِ وغيرِ ذلِكَ مِنَ الأمكنةِ التي يتوهمُ العوامُ والجهالُ أنَّ زيارتَها مشروعةٌ، وهذا من أعظمِ الأخطاءِ، لأنَّهُ لَيْسَ هناكَ ما تشرعُ زيارتُهُ في المدينةِ مِنَ المساجدِ غَيْرُ مسجدِ الرسولِ ﷺ ومَسْجدِ قباءِ للصلاةِ فيهما، أمَّا بقيةُ مساجدِ المدينةِ فهي كغيرِها من المساجدِ في الأرضِ لا مزيةَ لها على غيرِها ولا تشرعُ زيارتُها، فيجبُ على المسلمِينَ أنْ ينتبهُوا لذلِكَ ولا يضيعُوا أوقاتَهم وأموالَهم فِيمَا يبعدُهُم عن اللهِ وعن رحمتهِ، لأنَّ من فَعَلَ شيئاً من العباداتِ لَمْ يشرعْهُ اللهُ ولا رسولُهُ فهُوَ مردودٌ

عليهِ وآثمٌ فيهِ لقولِهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَليهِ أمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١] ولَمْ يدلَّ دليلٌ على زيارةِ المساجدِ السبعةِ ولا مسجدِ القبلتينِ ولا مسجدِ الغمامةِ لا مِنْ فِعْلِ الرسولِ ﷺ ولا مِنْ أمرِهِ، وإنَّما هذا شيءٌ محدَثٌ مبتدَعٌ. . . .

نسألُ اللهَ أنْ يُرينَا الحقَّ حقاً ويرزقَنَا اتّباعَه ويُرينَا الباطلَ باطلاً ويرزقنَا اجتنابَهُ. ولَيْسَ لدخولِ مسجدِ الرسولِ ﷺ ذكرٌ مخصوصٌ. وإنَّما يقولُ الزائرُ عِنْدَ دخولِهِ: بسمِ اللهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ. أعوذُ باللهِ العظيمِ وبوجهِهِ الكريمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ. اللهمَّ افتحْ لِي أبوابَ رحمتِكَ. كَمَا يقولُ ذلِكَ عِنْدَ دخولِ سائرِ المساجدِ، ثُمَّ يصلّي ركعتينِ يدعُو اللهَ فِيهمَا بِمَا أحبَّ مِنْ خيريّ الدُّنيا والآخرةِ. وإنْ صَلاّهُمَا في الروضةِ الشريفةِ فهو أفضلُ. لقولِهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَري رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنةِ»[٢] ثُمَّ بَعْدَ الصلاةِ يزورُ قبرَ النبيِّ ﷺ وقَبْري صاحبيهِ: أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فيقفُ تجاهَ قبرِ النبيِّ ﷺ بأدبٍ وخفضِ صوتٍ ثُمَّ يسلمُ عليهِ قَائِلاً: السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. ثُمَّ يسلِّمُ على أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَائِلاً: السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. السلامُ عليكَ يا عمرَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. وكانَ ابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا سلَّمَ عَلَىٰ الرسولِ ﷺ وصاحبيهِ لا يزيدُ عَلَى قوله: السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ. السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ السلامُ عليكَ يا أبتَاهُ. ثُمَّ ينصرفُ. وهذه الزيارةُ إنَّما تشرعُ في حقِّ الرجالِ خاصةً. أمَّا النساءُ فلَيْسَ لَهُنَّ زيارةُ شيءٍ مِنَ القبورِ. لا قبرَ النبيِّ ﷺ ولا غيرِهِ. لأنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ زواراتُ

---

(١) البخاري (٢٠٣٤)، مسلم (١٧١٨).
(٢) مسلم (١٣٩٠).

القبورِ والمتخذِينَ عَلَيها المساجدَ والسرجَ. وهذَا يعمُّ مسجدَ الرسولِ وغيرَهُ، فالمرأةُ تكفِيها زيارةُ المسجدِ النبويّ والصلاةُ فيهِ. ولَيْسَ للزائرِ أنْ يُصلّيَ الصلواتِ الخمسَ في مسجدِ الرسولِ ﷺ وأن يكثّرَ فيهِ مِنَ الذكرِ والدعاءِ وصلواتِ النوافلِ اغتناماً للأجرِ ما دامَ في المدينةِ أيامَ زيارتهِ إنْ بقيَ فِيها، وإلاَّ فإِنَّهُ يكفِيه ما تيسرَ من الصَّلواتِ بدونِ تحديدٍ. فاتقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واغتنمُوا الأوقاتَ قَبْلَ الفواتِ. أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

بارِكَ اللهُ لِي ولَكُم في القرآنِ العَظيمِ.

* * *

في شأن الصلاة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، عَظَّمَ منْ شأنِ الصلاةِ، ورفعَ منْ شأنِ المصلينَ، وَوَعَدَ مَنْ حَافَظَ عليها بالثوابِ العظيمِ، وتوعَّدَ منْ أضاعَها بالعذابِ الأليمِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاشريكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ وإلٰهِيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، ومَنِ اهتدى بِهداه وتمسَّكَ بسنَّتِهِ إلى يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ سبحانه وتعالى، واعلَمُوا أنَّ الصلاةَ هي عَمُودُ الإسلامِ، مَنْ ضَيَّعَها فهو لما سواها مِنْ أمورِ دينِهِ أَضْيَعُ، ومَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، فهو لما سِواها أحْفَظُ، قالَ اللهُ سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

أيّها المسلمون: إن هذه الصلاةَ التي فَرَضَها اللهُ على عبادِهِ في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ لها أسرارٌ عظيمةٌ وآثارٌ كريمةٌ، ومما يَدُلُّكُمْ على أهميتِها عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، ومكانَتِها عندَهُ: أنَّهُ فَرَضَها على رسولِهِ ﷺ ليلة المعراجِ، فَوْقَ السمواتِ العُلَى، حينَما عَرَجَ بِنَبِيِّهِ ﷺ إليهِ وكَلَّمهُ بدونِ واسطةِ مَلَكٍ، وفَرَضَ عليهِ هذه الصلواتِ، فرضها خمسينَ في اليوم والليلة، ومازال ﷺ يراجعُ رَبَّه، ويسألُهُ التخفيفَ، حتى استقرت على خمس صلوات في اليوم والليلة، ولكنَّها تعادل خمسينَ صلاةٍ في الأجرِ والثوابِ؛ لأنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أمثالِها، فكلُّ صلاةٍ تَعْدلُ عَشْرَ صلوات في الأجرِ والثواب.

وهي أولُ ما فرَضَ اللهُ على رسولِهِ مِنْ شرائِعِ الإسلامِ العمليةِ فَرضَهاعليهِ قبلَ الهجرةِ، وفرَضَها فوقَ السمواتِ، وفرضَها بدونِ واسطةِ الملكِ، أما بقيةُ الشرائِع: فإنها تَنْزِلُ وَحْياً على رسولِ اللهِ ﷺ بواسِطَةِ المَلَكِ، وبقيةُ الشرائعِ العمليةِ فرضَتْ على النبيِّ ﷺ بعدَ الهجرةِ، فُرِضَتْ عليهِ الزكاةُ، فُرِضَ عَليهِ الصيامُ، فُرِضَ عليهِ الحجُّ، فرضَ عليهِ الجهادُ، كُلُّ ذلكَ بعدَ الهجرةِ، ممَّا يَدلُّ على أهميةِ هذهِ الصلواتِ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

وأمَّا أهميتُها عندَ الرسولِ ﷺ، فقد قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **«حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ والطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ»**[١]، فالصلاةُ قُرَّةُ عينِ النبيِّ ﷺ مِنْ هذهِ الدنيا، وكانَ ﷺ إذا ضَايَقَهُ أَمْرٌ، ونَزَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ، فَزِعَ إلى الصلاةِ، وقالَ: **«يابَلالُ، أَقِمِ الصَّلاَةَ، أَرِحْنَا بِها»**[٢]، فكانَ ﷺ يستريحُ بالصلاةِ منْ هُمومِ الدنيا وأشغالِها وكُرُباتِها وشَدَائِدِهَا؛ لأنَّهُ يَلْجَأُ إلى رَبِّهِ، ويُناجِي رَبَّهُ ويَتَلَذَّذُ بمناجاةِ رَبِّهِ، فَيَنْسَى مَاكانَ مِنْ هُمومِ الدنيا وأشغالِها، وبَلَغَ مِنِ اهتمامِهِ بالصلاةِ: أنَّهُ لما صار يُعَاني سَكَراتِ المَوْتِ كانَ يقولُ: **«الصلاةَ ياعبادَ اللهِ، وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم»**[٣] فَمازالَ يُكَرِّرُها حتى ثَقُلَ لِسانُهُ بها.

وأيُّ عبادةٍ أفضلُ منْ هذهِ الصلاةِ؟ وكررَها سبحانه وتعالى في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ؛ لحاجةِ العبادِ إليَها، قد وَصَفَها النبيُّ ﷺ بالنَّهْرِ الجاري على بابِ أحدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ، هلْ يَبْقَى منْ دَرَنِهِ؟ يعني: مِنْ وَسَخِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا، قالَ **«فَكَذَلِكُمُ الصلوٰتُ الخَمْسُ، يَمْحُو اللهُ بِها الذُّنُوبَ والخَطَايا»**[٤].

---

(١) النسائيُّ (٣٩٤٠) وغيرُه. (٢) أبو داود (٤٩٨٥).
(٣) ابن ماجة (١٦٢٥). (٤) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

والصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، كفارةٌ لما بينَهن، إذا اجْتُنِبَتِ الكبائِرُ، فمنْ رحمة اللهِ سبحانه وتعالى أنْ شَرَعَ لعبادِهِ هذهِ الصلواتِ الخمسَ، يقفونَ بينَ يَدَيْهِ، ويناجونَهُ ويسألونَهُ ويدعونَهُ ويستغفرونَهُ، فيستجيبُ لهمْ، ويَمْحُو خطاياهُمْ، فهم بأمَسِّ الحاجةِ إلى هذهِ الصلواتِ الخمسِ، وقد جاءَ في الحديث: «إنَّكُمْ تَحْتَرِقُونَ ثم تَقومُونَ إلى الصلاةِ فيُمحىٰ عنكُمْ».

فهذهِ الصلوٰتُ العظيمةُ لها سِرٌّ عظيمٌ، ولَها مقامٌ كريمٌ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، فحافِظُوا عليها، وداوِمُوا عليَها ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩، ١١]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

وهي عنوان الإسلام، هي الفارقة بين المسلم والكافر، كما قال ﷺ: «بينَ العبدِ وبينَ الكفرِ والشركِ تركُ الصلاةِ»[1]، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[2].

باركَ اللهُ لي ولَكُمْ في القرآنِ العظيمِ، ونَفَعَنَا بما فِيهِ مِنَ البيانِ والذِّكْرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولَكُمْ ولجميعِ المسلمينَ منْ كُلِّ ذَنبٍ، فاستغفروهُ وتوبُوا إليهِ، إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ، وحَدهُ لا شريكَ

---

(١)، (٢) سبق تخريجهما.

لَهُ، تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعدُ: أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، وحافِظُوا على صلواتِكُمْ، فإنَّها هي رَأْسُ الإسلامِ، وهي عَمُودُ الإسلامِ، وهي الفارِقَةُ بينَ المؤمنِ وبينَ الكافِرِ، وهيَ أولُ ما يُحاسَبُ عنهُ العبدُ يَومَ القيامةِ، فإنْ قُبلتْ قُبِلَ سائِرُ عملِهِ، وَإنْ رُدَّت رُدَّ سائرُ عملِهِ، ألا إنَّهُ لا دينَ لمنْ لا صلاةَ لَهُ، لاَحظَّ في الإسلامِ لمنْ لا صلاةَ لَهُ؛ لأنَّ الصلاةَ هي عمودُ الإسلامِ، فلا يقومُ الإسلامُ إلاَّ عليها، كما لايقومُ البنيانُ، ولاتقومُ الخيامُ والبيوتُ، إلا عَلى أعمدَتِها، فكذلكَ الإسلامُ: لايقومُ إلاَّ على الصلاةِ. فحافِظُوا على الصلاةِ لتحافِظُوا على دينكمْ، أتعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وَصَفَ المتخلِّفين عَنِ الصلاةِ بالنفاقِ؟ فقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى المُنَافِقِينَ صَلاَةُ العِشاءِ وصَلاَةُ الفَجْرِ، ولو يَعْلَمُونَ ما فِيهما لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً»(١)، ومِصداقُ ذلكَ في كتابِ اللهِ عزّ وجلّ، حيثُ وَصَفَ المنافقينَ بأنَّهُمْ لايأتونَ الصلاةَ إلاّ وهُمْ كُسَالى، وقال: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقَدْ هَمَّ النبيُّ ﷺ أنْ يُحرِّقَ على المتخلِّفينَ عنِ الصلاةِ بيوتَهُمْ بالنارِ، فقد جاءَ في الحديثِ: أنَّهُ ﷺ قالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بالصلاةِ فتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً يَؤُمُّ النَّاسَ، ثُمَّ آمُرُ رجالاً مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، ثُمَّ أُخالِفُ إلَى قَوْمٍ لايَشْهَدُونَ الصلاةَ فأُحرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بالنارِ»(٢)، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ سَمِعَ النداءَ ولم يُجِبْ فلا صلاةَ لَهُ إلاَّ منْ عُذرٍ» قالوا: وما العُذْرُ؟ قالَ: «خَوفٌ أو

---

(١) البخاريُّ بنحوه (٦٥٧)، و كذا مسلم (٦٥١). (٢) البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).
(٣) ابنُ ماجة (٧٩٣).

مَرَضٌ»(١)، وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ للرَّجُلِ الأَعْمَى الذي جاءَهُ يَسْتَأْذِنُهُ أنْ يُصَلِّيَ في بَيْتِهِ؛ لمَا يَحُولُ بينَهُ وبينَ المسجدِ منَ المشقةِ، ولايُوجَدُ لَهُ قائِدٌ يلائِمُهُ، فقالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: «أَتَسْمَعُ النداءَ؟» قال: نَعَمْ، قال: «أَجِبْ»(١).

فمن سمعَ النداءَ وَجَبَ عليهِ أنْ يجيبَ داعيَ اللهِ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على صلواتِكُمْ في بُيُوتِ اللهِ عزّ وجلّ معَ المسلمينَ، ولاتكونُوا كالذين. ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مريم: ٥٩، ٦٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وحافِظُوا على صلواتِكُمْ، لاتَشْغلَنّكُمْ عنْها دُنياكم، لاتشغلَنّكُمْ عنْها شهواتُكُمْ، لايشغلنكمْ عنها الكَسَلُ، لايشغلنكمْ عنها قُرَنَاءُ السُّوءِ، هي رأسُ مالِكُمْ، هي ذخيرةُ حياتِكُمْ في هذهِ الدنيا، فمنْ خَرَجَ منْ هذهِ الدنيا بغيرِ صلاةٍ، فإنَّ مآلَهُ إلى النارِ، فإنَّهُ مِنْ حَطَبِ جهنَّم، فقد قالَ اللهَ سبحانه وتعالى عن المجرمينَ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ وقال عن الكفارِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات: ٤٨-٥٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في دينِكُمْ عامةً، وفي صلاتِكُمْ خاصةٌ، فإنَّهُ لادينَ لمنْ لا صلاةَ لَهُ.

واعلَموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ. . إلخ الخطبة.

---

(١) أبو داود (٥٥٢).

فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ وَالحَرَامَ بَيِّنٌ»

الحَمْدُ للهِ عَلى جَمِيعِ نعَمِهِ وَأَجَلُّهَا نِعْمَةُ الإسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَيَّنَ لأُمَّتِهِ الحَلاَلَ وَالحَرَامَ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً مَا تَعَاقَبَتِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ فِي الحَلَالِ غُنْيَةً عَنِ الحَرَامِ، وَمَنْجَاةً مِنَ العُقُوبَاتِ وَالآثَامِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنهمَا أُمُورٌ مُشْتَبَهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَىٰ يُوشِك أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً أَلاَ وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، إلاَّ وَهِيَ القَلْبُ»(١).

فَفِي هٰذَا الحَدِيثِ قَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الأَشْيَاءَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. وَبَيَّنَ مَوْقِفَ المُسْلِمِ مِنْ كُلِّ قِسْمٍ:

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلمٌ (١٥٩٩).

القِسْمُ الأَوَّلُ: الحَلاَلُ البَيِّنُ: وَهُو الطَّيِّبَاتُ مِنَ المَآكِلِ وَالمَشَارِبِ وَالمَلاَبِسِ وَالمَنَاكِحِ وَالمَكَاسِبِ وَغَيْرِهَا مِمَّا نَصَّ اللهُ عَلَى حِلِّهِ، أَوْ لَمْ يَرِدْ دِلِيلٌ بِتَحْرِيمِهِ، فَيَبْقَى عَلَى الإِبَاحَةِ.

القِسْمُ الثَّانِي: الحَرَامُ البَيِّنُ: وَهُو الخَبَائِثُ مِنَ المَآكِلِ وَالمَشَارِبِ وَالمَلاَبِسِ وَالمَنَاكِحِ وَالمَكَاسِبِ وَغَيْرِهَا مِمَّا نَصَّ اللهُ عَلَى تَحْرِيمِهِ، أَوْ ظَهَرَ خُبْثُه وَضَرَرُهُ: كَالمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الخنْزِيرِ، وَالخَمْرِ وَالزِّنَىٰ، وَنِكَاحِ المَحَارِمِ، وَالرِّبَا، وَالمَيْسِرِ، وَأَكلِ أَموالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ مِنَ الغَصْبِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالظُّلْمِ، وَالرِّشْوَةِ، وَالغِشِّ، وَالخَدِيعَةِ أَوْ أَخْذِهَا بِالخُصُومَاتِ الفَاجِرَةِ وَالأَيْمَانِ الكَاذِبَةِ وَشَهَادَاتِ الزُّورِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْواعِ الظُّلْمِ.

فَالحَلالُ البَيِّنُ كُلٌّ يَعْرِفُهُ: العَالِمُ والجَاهِلُ، وَنَفْسُ المُؤْمِنِ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَلَهُ آثَارٌ طَيِّبَةٌ عَلَى القَلْبِ وَالسُّلُوكِ، وَلَهُ فَوَائِدُ صَحِّيَّةٌ لِلْجِسْمِ وَالقَلْبِ، لأَنَّهُ يُغَذِي تَغْذِيَةً طَيِّبَةً، وَيُقَوِي عَلَى الطَّاعَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وَمَوْقِفُ المُسْلِمِ مِنْ هٰذَا القِسْمِ أَنْ يَأْخُذَهُ وَيَتَمَتَّعَ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَاف، وَيَتَقَوَّىٰ بِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَيَشْكُرَ اللهَ عَلَيْهِ.

وَالحَرَامُ البَيِّنُ: أَيْضًا كُلٌّ يَعْرِفُهُ: العَالِمُ وَالجَاهِلُ، وَنَفْسُ المُؤْمِنِ لاَ تَطْمئِنُّ إِلَيْهِ، وَلَهُ آثَارٌ قَبِيحَةٌ عَلَى القَلْبِ وَالسُّلُوكِ، وَلَهُ أَضْرَارٌ صِحِّيَّةٌ عَلَى الجِسْمِ وَالقَلْبِ، لأَنَّهُ يُغَذِّي تَغْذِيَةً خَبِيثَةً.

ومَوْقِفُ المُسْلِمِ مِنْ هٰذَا القِسْمِ اجْتِنَابُهُ وَالابْتِعَادُ عَنْهُ. لاَ يُدْخِلُهُ فِي مَالِهِ، وَلاَ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَلاَيَلْبَسُ مِنْهُ وَلاَ يَسْتَعْمِلُهُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الاسْتِعْمَالِ، لأَنَّه مَأْمُورٌ بِتَرْكِهِ وَاجْتِنَابِهِ وَعَدَمِ القُرْبِ مِنْهُ.

القِسْمُ الثَّالِثُ: المُشْتَبَهُ: وَهُو مَا يَخْفَى حُكْمُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَلاَ يَدْرُونَ: هَلْ هُو مِنْ قِسْمِ الحَلاَلِ، أَوْ مِنْ قِسْمِ الحَرَامِ؟ وَلا يَظْهَرُ حُكْمُهُ إلاَّ لِلرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، فَيَعْرِفُونَ مِنْ أَيِّ القِسْمَيْنِ هُو.

وَهَذَا مِثْلُ المَسَائِلِ المُخْتَلَفِ فِيهَا بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ نَظَراً لاختِلاَفِ الأَدلَّةِ فِيهَا وَحَاجَتِهِ إِلَى نَظَرٍ دَقِيقٍ، وَمِثْلُ اخْتِلاَطِ المَالِ الحَلاَلِ بِالمَالِ الحَرَامِ عَلَى وَجْهٍ لاَ يُمْكِنُ التَّمْييزُ بَيْنَهُمَا، وَمِثْلُ اخْتِلاَطِ مُلْكِهِ بِمُلْكِ غَيْرِهِ. وَاخْتِلاَطِ المَيْتَةِ بِالمُذَكَّاةِ مِنَ الحَيَوانِ، وَمِثْلُ وجُودِ شُبْهَةِ تَحْرِيمِ الرَّضَاعِ فِيمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجُهَا.

وَموقفُ المُسْلِمِ مِنْ هٰذَا القِسْمِ أَنْ يَتَوقَّفَ عَنْهُ تَوَرُّعاً حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ حكْمُهُ تَغْلِيباً لِجَانِبِ التَّحْرِيمِ وَإِيثَاراً لِلسَّلاَمَةِ وَبَرَاءَةِ الذمَّة، كَمَا قَالَ ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»[1] أَيْ: طَلَبَ البَرَاءَةَ لِدِينِهِ مِنَ النَّقْصِ وَلِعِرْضِهِ مِنَ الذَّمِّ.

وَالعِرْضُ: هُو مَوْضِعُ المَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الإنْسَانِ، فَمَنْ تَجَنَّبَ الأُمُورَ المُشْتَبِهَةِ فَقَدْ حَصَّنَ عِرْضَهُ مِنَ الذَّمِّ وَالعَيْبِ، كَمَا أَنَّهُ قَبْلَ ذٰلِكَ قَدْ حَصَّنَ دِينَهُ مِنَ النَّقْصِ وَالخَلَلِ، وَعَلَى الجَاهِلِ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ العِلْمِ عَمَّا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

فَبِسُؤالِ أَهْلِ العِلْمِ يَزُولُ الجَهْلُ وَيَتَّضِحُ الحَقُّ لِمَنْ أَرَادَهُ، وَكَمَا أَنَّ فِي اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ وِقَايَةً لِلدِّينِ وَالعِرْضِ، فَفِيهِ أَيْضًا حُصُولُ الحَاجِزِ بَيْنَ الإنْسَانِ وَبَيْنَ الوقُوعِ فِي الحَرَامِ، لأَنَّ مَنْ تَوَرَّعَ عَنِ المُشْتَبَهَاتِ كَانَ مُتَورِّعاً عَنِ الحَرَامِ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ.

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يرى التَّمْرَةَ سَاقِطَةً فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي الطَّرِيقِ فَلا يَأْكُلَهَا خَشْيَةَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ، لأَنَّ الصَّدَقَةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِ ﷺ.

وَقَالَ لِسِبْطِهِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَالاَ يَرِيبُكَ»(١).

وَلِهٰذَا قَالَ ﷺ فِي الذِي يَأْتِي الشُّبُهَاتِ و يَتَورَّعُ عَنْهَا مَعَ اشْتِبَاهِهَا: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ»(٢) إِمَّا لأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَفْقِدُ الوَرَعَ الذِي يَحْجُزُهُ وَيُبْعِدُهُ عَنِ الحَرَامِ، فَإِذَا تَجَرَّأَ عَلَى المُشْتَبَهَاتِ تَجَرَّأَ عَلَى الحَرَامِ بِالتَّدْرِيجِ، وَإِمَّا لأَنَّهُ لاَ يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي تَنَاوِلِهِ لِلمُشْتَبَهِ وَقَعَ عَلَى القِسْمِ المُحَرمِ مَنْهُ، فَيَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي الحَرَامِ حَقِيقَةً، وَكُلُّ هٰذَا لِعَدَمِ مُبَالاَتِهِ. وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلاً شَبَّهَ فِيهِ هٰذَا الذِي لاَ يَتَورَّعُ عَنِ الشبُهَاتِ بِالرَّاعِي الذِي يَرْعَىٰ دَوَابَّهُ حَوْلَ حِمَىً حَمَاهُ أَحَدُ المُلُوكِ، فَمُنِعَ مِنَ الرَّعْي فِيهِ، فَإِنَّ الراعِي إِذَا سَمَحَ لِدَوَابِّهِ أَنْ تَرْعَىٰ قَرِيباً مِنْ حُدُودِ هٰذَا الحِمَىٰ فَإِنَّهُ لاَ يَأْمَنُ أَنْ تَدخُلَ فِي الحِمَىٰ وَتَرْعَىٰ فِيهِ فَيُعَاقِبَهُ المَلِكُ.

كَذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَهُ حِمَىً مَنَعَ الدُّخولَ فِيهِ، وَهُو مَا حَرَّمَهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ قَارَبَ حِمَى اللهِ بِتَنَاوُلِ المُشْتَبَهَاتِ وَقَعَ فِي حِمَىٰ المُحَرَّمَاتِ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِ العُقُوبَاتُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ حَمَىٰ هٰذِهِ المُحَرَّمَاتِ وَسَمَّاهَا حُدُودَهُ، فَقَالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] أَيْ: لاَتَقْرَبُوا المُحَرَّمَاتِ التِي حَرَّمَهَا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

---

(١) رواه الترمذيُّ (٢٥٢٠).

(٢) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

وَأَمَّا الحَلاَلُ فَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَنْ تَعَدِّيهِ، فَقَالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فَقَدْ حَدَّدَ اللهُ لِلنَّاسِ الحَرَامَ وَالحَلاَلَ، وَنَهَىٰ عَنِ القُرْبِ مِنَ الحَرَامِ وَعَنْ تَعَدِّي الحَلاَلَ.

عِبَادَ اللهِ: إنه لَمَّا قَلَّ الخَوْفُ مِنَ اللهِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَزَالَ عَنْهَا الوَرَعُ تَجَرَّأَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى فِعْلِ المُحَرَّمَاتِ وَتَرْكِ الوَاجِبَاتِ، فَكَثُرَ الظُّلْمُ وَالعُدْوَانُ، وَالزُّورُ وَالبُهْتَانُ، وَكَثُرَتِ الخُصُومَاتُ الفَاجِرَةُ وَالحِيلُ البَاطِلَةُ، وَضَاعَتِ الأَمَانَةُ وَكَثُرَتِ الخِيَانَةُ، وَأُكِلَ الرِّبَا، وَأُخِذَتِ الرِّشْوَةُ وَكَثُرَ الغِشُّ وَالخَدِيعَةُ وَالكَذِبُ فِي المُعَامَلاَتِ، وَقُطِعَتِ الأَرْحَامُ، وَأُكِلَتِ أَموَالُ الأَيْتَامِ، وَتَبَاغضتِ القُلُوبُ، وَتَنَاكَرَتِ النُّفُوسُ، وَكَثُرَ فِي النَّاسِ تَضْيِيعُ الصَّلَوَاتِ، وَمَنْعُ الزَّكَاةِ، وَالتَّهَاونُ بِالجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ، وَفَشَا فِي النَّاسِ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَقَطِيعَةُ الأَرْحَامِ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ عَدَمِ التقيُّدِ بِأَحْكَامِ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ، وَالتَّوَرُّعِ عَنِ المُتَشَابِهِ وَمَا يَجُرُّ إِلَى الآثَامِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً ـ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ ـ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

الخُطْبَة الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِهِ وإِحْسَانِهِ، هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وبَيَّنَ لَنَا الحَلاَلَ وَالحَرَامَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً عَلَى الدَّوَامِ..

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الله تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَىٰ هِيَ صَلَاحُ القَلْبِ، فَإِذَا صَلَحَ القَلْبُ صَلَحَتِ الأَعْمَالُ وَالتَّصَرُّفَاتُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الذِي مَازِلْنَا نَتَأَمَّلُ فِي مَعَانِيهِ: «إلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» فَصَلاَحُ حَرَكَاتِ العَبْدِ وَاجْتِنَابُهُ لِلمُحَرَّمَاتِ وَاتِّقَاؤُهُ لِلشُّبُهَاتِ بِحَسْبِ صَلاَحِ قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ قَلْبُهُ سَلِيماً لَيْسَ فِيهِ إِلاَّ مَحَبَّةُ الله ومحبة مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَخَشْيَةُ اللهِ وَخَشْيَةُ الوقُوعِ فِيمَا يَكْرَهُهُ اللهَ. صَلحَتْ حَرَكَاتُ الأَعْضَاءِ كُلِّهَا، وَنَشَأَ عَنْ ذٰلِكَ اجْتِنابُ المُحَرَّمَاتِ كُلِّهَا وَتَوَقِّي الشُّبُهَاتِ حَذَراً مِنَ الوقُوعِ فِي المُحَرَّمَاتِ، وَإِنْ كَانَ القَلْبُ فَاسِداً قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الهَوَىٰ وَطَلَبُ مَا يَشْتَهِيهِ الإِنْسَانُ وَلَو كَرِهَهُ اللهُ فَسَدَتْ حَرَكَاتُ الجَوَارِحِ كُلِّهَا وَانْبَعَثَتْ إِلَى المَعَاصِي وَالمشْتَبِهَاتِ، وَلاَ يَنْفَعُ عِنْدَ اللهِ إِلاَّ القَلْبُ السَّلِيمُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ـ٨٩].

وَاعْلَمُوا أَنْ القَلْبَ يَتَأَثَّرُ وَيَمْرَضُ بِفِعْلِ المَعَاصِي وَتَرْكِ الطَّاعَاتِ، فَيَمْرَضُ بِالنِّفَاقِ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي المُنَافِقِينَ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

وَيُحْجَبُ بِالمَعَاصِي فَيُغَلَّفُ بِغُلاَفٍ كَثِيفٍ فَلاَ يَصِلُ إِلَيْهِ نُورٌ، وَلاَ تُؤَثِّرُ فِيهِ مَوْعِظَةٌ، وَهٰذَا هُو الرَّانُ الذِي قَالَ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

كَمَا أَنَّ أَكْلَ الحَرَامِ، وَعَدَمَ التورُّعِ عَنِ الآثَامِ يُقَسِّي القَلْبَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُ دُعَاءٌ. قَالَ ﷺ: «أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي» رَواه التِّرْمِذِيُّ[1].

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَحَافِظُوا عَلَى صِحَّةِ قُلُوبِكُمْ مِنْ أَمْرَاضِ المَعَاصِي، أَكْثَرَ مِمَّا تُحَافِظُونَ عَلَى أَجْسَامِكُمْ مِنَ الأَمْرَاضِ الحِسِّيَّةِ، وَدَاووهَا بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ.. إلخ.

* * *

---

(١) جزءٌ من حديث رواه الترمذيُّ (٢٤١٣).

فِي تَحْرِيمِ الضَّرَرِ وَالضِّرَارِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَمَرَ بِالبِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَنَهَىٰ عَنِ الظُّلْمِ وَالعُدْوَان. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَالحَمْدُ وَالعَظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ بِالمُعْجِزَاتِ وَالبُرْهَانِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذِينَ نَشَرُوا دِينَهُ فِي عُمُومِ الأَوْطَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً كَمَا سَمَّاكُم اللهُ، يُحِبُّ أَحَدُكُمْ لأَخِيهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، يَبْذُلُ خَيْرَهُ لأَخِيهِ. وَيَكُفُّ عنهُ شَرَّهُ وَلاَ يُؤْذِيهِ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رُوِيَ مُسْنَداً وَمُرْسَلاً[1]. وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً، وَقَدْ تَقَبَّلَهَ جَمَاهِيرُ أَهْلِ العِلْمِ وَاحْتَجُّوا بِهِ، وَهُو يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الضَّرَرِ وَالضِّرَارِ، وَالضَّرَرُ: ضِدُّ النَّفْعِ، وَقَدْ دَلَّ الحَدِيثُ عَلَى تَحْرِيمِ إِيصَالَ الضَّرَرِ إِلَى النَّاسِ بِغَيرِ حَقٍّ في أَبْدَانِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ وَأَموَالِهِمْ. وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ»[2].

وَالمَضَارَّةُ بِالنَّاسِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

---

(١) رواه ابنُ ماجة (٢٣٤١).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٣٥)، والترمذيُّ (١٩٤١)، والحديث رواه أصحاب السنن الأربعة.

النَّوْعُ الأَوَّلُ: أَنْ يُضَارَّهُمْ فِي غَيْرِ مَصْلَحَةٍ تَعُودُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ. وَهَذَا لاَ شَكَّ فِي تَحْرِيمِهِ وَقُبْحِهِ وَقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ النَّهْيُ عَنِ المُضَارَّةِ فِي مَوَاضِعَ: مِنْهَا المُضَارَّةُ فِي الوَصِيَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٢].

وَفِي الحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ سِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ يَحْضُرُهُ المَوْتُ فَيُضَارُّ فِي الوَصِيَّةِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» ثُمَّ تَلاَ: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٣ ـ ١٤]، وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ بِمَعْنَاهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الإِضْرَارُ فِي الوَصِيَّةِ مِنَ الكَبَائِرِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ. وَذَلِكَ لأَنَّ الله تَوَعَّدَهُ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ خَالِداً فِيهَا، وَذَلِكَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ عَلَى كَبِيرَةٍ.

وَالإِضْرَارُ فِي الوَصِيَّةِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ: أَنْ يُوصِيَ لِبَعْضِ الوَرَثَةِ بِزِيَادَةٍ عَلَى فَرْضِهِ الذِي فَرَضَهُ اللهُ لَهُ فَيَتَضَرَّرَ بَقِيَةُ الوَرَثَةِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَىٰ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[1].

النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ يُوصِيَ بِزِيَادَةٍ عَلَى الثُّلُثِ لِغَيْرِ وَارِثٍ، فَيَنْقُصَ حُقُوقَ الوَرَثَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا رَخَّصَ بِالوَصِيَّةِ بِالثُّلثِ فَأَقَلَّ، فَقَالَ «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذيُّ (٢١٢١)، وغيرهما.

(٢) رواه مالك، وأحمد والشيخان، وأصحاب السنن الأربعة. انظره في «صحيح الجامع» (٣٠٨٢).

وَمِنَ المُضَارَّةِ المَنْهِيِّ عَنْهَا فِي القُرْآنِ المُضَارَّةُ فِي العِشْرَةِ الزَّوْجِيَّةِ. كَالمُضَارَّةِ بِمُرَاجَعَةِ الزَّوْجَةِ المُطَلَّقَةِ إِذَا طَلَّقَهَا ثُمَّ رَاجَعَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَغْبَةٌ فِيهَا، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ حَبْسُهَا حَتَّى تُصْبِحَ لاَ هِيَ ذَاتَ زَوْجٍ وَلاَ مُطَلَّقَةً.

وَفِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ المَرْأَةَ فَإِذَا قَارَبَتْ نِهَايَةَ العِدَّةِ رَاجَعَهَا إِضْرَاراً لِئَلاَّ تَذْهَبَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فَدَلَّ ذٰلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ قَصْدُهُ بِالرَّجْعَةِ المضَارَّةَ بِالزَّوْجَةِ فَإِنَّهُ آثِمٌ بِذٰلِكَ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ المُضَارَّةِ فِي العِشْرَةِ الزَّوجِيَّةِ المُضَارَّةُ بِالإِيلاَءِ بِأَنْ يَحْلِفَ عَلَى تَرْكِ وَطْءِ زَوْجَتِهِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ أَنْ يُضْرِبَ لَهُ مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِنْ رَجَعَ فِي أَثْنَائِهَا وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَوَطِىءَ زَوْجَتَهُ كَانَ ذٰلِكَ تَوْبَتَهُ، وَإِنِ اسْتَمَرَّ عَلَى يَمِينِهِ وَلَمْ يَطَأْ زَوْجَتَهُ حَتَّى مَضَتْ أَرْبَعَةُ الأَشْهُرِ أَلْزَمَهُ الحَاكِمُ إِمَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى وَطْءِ زَوْجَتِهِ وَالتَّكْفِيرِ عَنْ يَمِينِهِ. وَإِمَّا بِالطَّلاَقِ، وَذٰلِكَ لإِزَالَةِ الضَّرِرِ عَنِ الزَّوْجَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦ـ٢٢٧].

وَمِنَ المُضَارَّةِ فِي العِشْرَةِ الزَّوْجِيَّةِ أَنْ يُطِيلَ الزَّوْجُ السَّفَرَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، وَتَطْلُبُ امْرَأَتُهُ قُدُومَهُ فَيَأْبَى، وَحُكْمُهُ أَنَّهُ يُمْهَلُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَإِنْ أَبَى القُدُومَ بَعْدَ مُضِيِّهَا فَإِنَّ الحَاكِمَ يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ إِذَا طَلَبَتْ ذٰلِكَ دَفْعاً لِلضَّرَرِ عَنْهَا.

وَمِنْ أَنْوَاعِ المُضَارَّةِ المَمْنُوعَةِ فِي القُرْآنِ المُضَارَّةُ فِي تَرْبِيَةِ الأَوْلاَدِ كَالمُضَارَّةِ فِي الرَّضَاعِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

فَإِضْرَارُ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا أَنْ يُنْزَعَ وَلَدُهَا مِنْهَا مِنْ أَجْلِ الإِضْرَارِ بِهَا، وَإِضْرَارِ المَوْلُودِ لَهُ (وَهُو الأَبُ) بِوَلَدِهِ أَنْ تَأْبَىٰ أُمُّهُ أَنْ تُرْضِعَهُ، لِيتَكَلَّفَ الأَبُ طَلَبَ المَرَاضِعِ وَالمُرَبِّيَاتِ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الضَّرَرِ المَنْهِي عَنْهُ فِي القُرْآنِ المُضَارَّةُ فِي المُعَامَلاَتِ. كَمُضَارَّةِ الكُتَّابِ وَالشُّهُودِ الذِينَ يَكْتُبُونَ الوَثَائِقَ وَيُثْبِتُونَ الحَقُوقَ بِكِتَابَاتِهِمْ وَشَهَادَاتِهِمْ، وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَنِ المُضَارَّةِ بِهِمْ وَالمُضَارَّةِ مِنْهُمْ بِأَصْحَابِ الحُقُوق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فَالإِضْرَارُ بِالكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ أَنْ يُدْعَيَا لِلْكِتَابَةِ وَالشَّهَادَةِ فِي وَقْتٍ أَوْ حَالَةٍ تَضُرُّهُمَا، ومُضَارَّةُ الكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ لأَصْحَابِ الحُقُوقِ أَنْ يَكْتُبَ الكَاتِبُ غَيْرَ مَا يُمْلَىٰ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ بِخِلاَفِ مَا رَأَىٰ أَوْ سَمِعَ، أَوْ يَكْتُمَ الشَّهَادَةَ بِالكُلِّيَّةِ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهَا.

وَمِنَ المُضَارَّةِ فِي المُعَامَلاَتِ المُضَارَّةُ بِالمَدِينِ المُعْسِرِ الِي أَمَرَ اللهُ بِإِنْظَارِهِ إِلَى مَيْسَرَةٍ أَوْ إِعْفَائِهِ مِنَ الدَّيْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. فَلاَ تَجُوزُ مَطَالَبَتُهُ وَلاَ حَبْسُهُ مَا دَامَ مُعْسِراً. كَمَا لاَ يَجُوزُ أَنْ يُضَارَّ المَّدِينُ الوَاجِدُ بِالدَّائِنِ فِيمَا طَلَبَهُ مِنْ قَضَاءِ حَقِّهِ.

وَمِنَ المُضَارَّةِ المَنْهِيِّ عَنْهَا في المُعَامَلاَتِ بَيْعُ المُضْطَرِّ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَضْطَرَّ الفَقِيرُ إِلَىٰ شِرَاءِ سِلْعَةٍ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَبِيعُ عَلَيْهِ إِلاَّ بَغَبْنٍ فَاحِشٍ، أَوْ يَضْطَرَّ إِلَى بَيْعِ

سِلْعَةٍ فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَشْتَرِيهَا مِنْهُ إلاَّ بِرُخْصٍ كَثِيرٍ. وَقَدْ رَوَىٰ أَبُو دَاودَ بِسَنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عضوضٌ يَعَضُّ المُوسِرُ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ»[1]. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وَيُبَايِعُ المُضْطَرُّونَ وَقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ المُضْطَرِّ.

وَفي رِوَايَةٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ تَعُودُ بِهِ عَلَى أَخِيكَ وَإِلاَّ فَلاَ تَزِيدَنَّهُ هَلاَكاً إِلَى هَلاَكِهِ».

وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْ بَيْعِ المُضْطَرِّ مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ: يَجِيئُكَ وَهُو محْتَاجٌ، فَتَبِيعَهُ مَا يُسَاوِي عَشْرَةً بِعِشْرِينَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهُ لاَ مَانِعَ مِنَ البَيْعِ المُؤَجَّلِ بِثَمَنٍ أَكْثَرَ مِنَ الثَّمَنِ الحَاضِرِ لِلمُحْتَاجِ وَغَيْرِ المُحْتَاجِ، وَلَكِنْ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَة كَثِيرَةً مُجْحِفَةً، لاَ سِيَّمَا إِذَا كَانَ المُشْتَرِي مُضْطَرّاً إِلى الشِّرَاءِ، فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَغَلَّ ضَرُورَتُهُ، وَيُحَمَّلَ الزِّيَادَاتِ البَاهِظَةَ، لأَنَّ هٰذَا إِضْرَارٌ يَتَنَافَى مَعَ الرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الضرَرِ المَمْنُوعِ فِي الإِسْلاَمِ الضَّرَرُ في مَجَالِ العِبَادَاتِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٨].

فَاعْتَبَرَ الضَّرَرَ الحَاصِلَ فِي اتِّخَاذِ هَذَا المَسْجِدِ فِي مَطْلَعِ المَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ، وَمَنَعَ رَسُولَهُ ﷺ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ وَأَمَرَ بِهَدْمِهِ.

---

(١) رواه أبو داود (٨٣٨٢).

النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ المُضَارَّةِ: أَنْ يُضَارَّ النَّاسُ بِمَا فِيهِ لَهُ مَنْفَعةٌ خَاصَّةٌ، مِثْل أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الإِضْرَارُ بِجِيرَانِهِ مِثْل أَنْ يَغْرِسَ فِي مُلْكِهِ شَجَراً تَتَمَدَّدُ أَغْصَانُهُ وَعُرُوقُهُ عَلى أَمْلَاكِ جِيرَانِهِ، أَوْ يَحْفِرَ بِئْراً تَجْذِبُ المَاءَ عَنْهُمْ، أَوْ يُنْشِيءَ مَصْنَعاً في مُلْكِهِ يَتَضَرَّرُ مِنْهُ جِيرَانُهُ بِالدُّخانِ أَوِ الغُبَارِ أَوْ الأَصْواتِ أَوِ الرَّوَائِحِ، أَوْ يَفْتَحَ فِي جِدَارِهِ نَوَافِذَ تَطُلُّ عَلَى جِيرَانِهِ أَوْ يُعلِّيَ البِنَاءَ عَلَيْهِمْ فَيَمْنَع عَنهُم الهَوَاءَ وَالشَّمْسَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا الضَّرَرَ مَمْنُوعٌ يَجِبُ عَلَيْهِ إِزَالتُهُ.

وَكَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ المُضَارَّةِ بِالجِيرَانِ أَنْ يُؤَجِّرَ بَيْتَهَ لِأناسٍ لاَ يُصَلُّونَ وَلاَ يَخَافُونَ اللهَ تَعَالَى، فَإِنَّ هَؤُلاَءِ يَضُرُّونَ المُسْلِمِينَ وَيُضَايِقُونَهُمْ وَقَدْ يُؤثِرُونَ عَلَى أَوْلَادِهِم وَمَنْ خَالَطَهُمْ، فَاتَّقُوا اللهَ يَا مَنْ تُؤَجِّرُونَ البُيوتَ لاَ تَجْلِبُوا الكَفَرَةَ وَالفُسَّاقَ وَتُسْكِنُوهُمْ بِجِوَارِ المُسْلِمِين، فَإِنَّ الأُجْرَةَ التِي تَحْصُلُ مِنْهُمْ لَكُمْ حَرَامٌ، وَالمُسلِمُونَ يَدْعُونَ عَلَيْكُمْ فَتَلحَقُكُم الآثَامُ، وَكَذَلِكُمْ يَحْرُمُ تَأْجِيرُ الدَّكَاكِينَ وَالمَحلاَّتِ لِبَيْعِ المَوَادِّ المُحَرَّمَةِ كَتَسْجِيلاَتِ الأَغَانِي وَأَشْرِطَةِ الفِيدْيُو أَوْ جَعْلِهَا مَحلاَّتٍ لِلتَّصْوِيرِ أَوْ بَيْعِ التَّبْغِ وَيَجِبُ عَلَى الحَاكِمِ إِزَالَةُ الضَّرَرِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ الجِيرَانُ وَامْتَنَعَ مِنْ إِزَالَتِهِ.

وَمِنَ الإِضْرَارِ المَمْنُوعِ في حَقِّ الجَارِ مَنْعُهُ مِنَ الارْتِفَاقِ بِمُلْكِ جَارِهِ عَلَى وَجْهٍ لاَ يَضُرُّ بِهِ، كَأَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَضع خَشَبَةٍ عَلَى جِدَارِ جَارِهِ، وَالجِدَارُ يَتَحَمَّلُ، فَإِنَّهُ يَجبُ على صَاحِبِ الجِدَارِ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ ذَلِكَ، لِمَا في «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِي ﷺ، قَالَ: «لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ عَلَى جِدَارِهِ»[1]. وَقَضَىٰ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ مُسْلَمَةَ

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٤٦٣)، ومسلمٌ (١٦٠٩).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُجْرِيَ مَاءَ جَارِهِ فِي أَرْضِهِ لَمَّا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ: لَتُمِرَّنَّ بِهِ وَلَو عَلَى بَطْنِكَ.

وَمِنَ الإِضْرَارِ المَمْنُوعِ أَنْ يُمْنَعَ النَّاسُ مِنَ الانْتِفَاعِ بِالمُبَاحَاتِ المُشْتَرَكَةِ، كَالمَنْعِ مِنْ فُضُولِ المِيَاهِ الجَارِيَةِ فِي الأَنْهَارِ وَالأَودِيَةِ وَالمُجْتَمِعَةِ فِي الخَوَابِي وَغَيْرِهَا، أَوْ يُمْنَعُوا مِنَ الرَّعْيِ في الفَلَوَاتِ. أَوْ الاحْتِشَاشِ أَو الاحْتِطَابِ مِنَ الأَرَاضِي المَوَاتِ، أَوْ الانْتِفَاعِ بِالمَعَادِنِ المُبَاحَةِ كَمَعَادِنِ المِلْح وَغَيْرِهِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لا تَمْنَعُوا فَضْلَ المَاءِ لِتَمْنَعُوا بِهِ الكَلأَ»[1]. وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاود»: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الشَّيءُ الذِي لاَ يَحِلُّ مَنْعُهُ. قَالَ: «المَاءُ»، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ مَا الشَّيءُ الذِي لاَ يَحِلُّ مَنْعُهُ؟ قَالَ: «المِلْحُ»، قَال: يَانَبِيَّ اللهِ مَا الشَّيءُ الذِي لاَ يَحِلُّ مَنْعُهُ؟ قَالَ: «أَنْ تَفْعَلَ الخَيْرَ خَيْرٌ لَكَ»[2]. وَقَالَ ﷺ: «المسلمون شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: المَاءِ وَالنَّارِ وَالكَلإِ»[3].

وَمِنَ الإِضْرَارِ المَمْنُوعِ: مَضَارَّةُ النَّاسِ في طُرُقَاتِهِمْ بِوَضْعِ الأَذَىٰ فِيهَا، أَوْ وَضْعِ مَا يَمْنَعُ المرُورَ أَوْ يُسَبِّبُ الحَوَادِثَ. أَوْ مُخَالَفَةِ أَنْظِمَةِ السَّيْرِ بِمَا يُعرِّضُ النَّاسَ لِلْخطَرِ، كلُّ هٰذَا ضَررٌ مُحَرَّمٌ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَعَلَيْكُمْ بِبَذْلِ النَّفْعِ لإِخْوَانِكُمْ وَجِيرَانِكُمْ وَمَنْعِ الضَّرَرِ وَالضِّرَارِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ

---

(١) رواه البخاريّ (٢٣٥٤)، ومسلمٌ (١٥٦٦).
(٢) رواه أبو داود (٣٤٧٦).
(٣) رواه أبو داود (٣٤٧٧).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ الذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ بَعَثَهُ بِالدِّينِ وَالهدَىٰ وَكَلِمَةِ التَّقْوىٰ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. .

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، واعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا يَحْرُمُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَضُرَّ بِالنَّاسِ يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَنْ يُضِرَّ نَفْسَهُ كَأَنْ يُعَرِّضَهَا لِلْخَطَرِ مِنْ غَيْرِ مَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِأَشَدِّ الوَعِيدِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

وَكَذَلِكَ مَنْ تَسَبَّبَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ أَوْ إِمْرَاضِ جِسْمِهِ أَوِ الإِخْلاَلِ بِعَقْلِهِ بِتَنَاوُلِ المُسْكِرَاتِ وَالمُخَدِّرَاتِ وِشُرْبِ الدُّخَانِ وَالقَاتِ، فَإِنَّهُ مُتَوَعَّدٌ بِأَشَدِّ الوَعِيدِ وَمُعَرَّضٌ لأَشْنَعِ العُقُوبَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَمِنَ الإِضْرَارِ بِالنَّفْسِ: التَّشْدِيدُ عَلَيْهَا وَتَعْرِيضُهَا لِلْمَشَقَّةِ فِي أُمُورِ العِبَادَاتِ، وَقَدْ شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ شَرِيعَةً سَمْحَةً لاَ حَرجَ فِيهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

شَرَعَ لأَصْحَابِ الأَعْذَارِ مِنَ المَرْضَى وَالمُسَافِرِينَ وَالخَائِفِينَ أَحْكَاماً تَخُصُّهُم فِي الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَتَتَنَاسَبُ مَعَ أَحْوَالِهِم، وَشَرَعَ لِعِبَادِهِ الاقْتِصَادَ فِي

العِبَادَةِ مَعَ المُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا فَخيرُ العَمَلِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ.

وَنَهىٰ عَنِ الغُلُو وَالتَّشَدُّد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [المائدة: ٧٧] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الغُلُوُّ»[١].

وَالغُلوُّ: هُو الزِّيَادَةُ عَنِ الحَدِّ المَشْرُوعِ، وَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَحدُهُم أَنْ يَصُومَ فَلاَ يُفْطِرَ، وَأَرَادَ الآخَرُ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ فَلاَ يَرْقُدَ وَأَرَادَ الثَّالِثُ أَنْ لاَ يَتَزَوَّجَ النِّسَاءَ، قَالَ ﷺ: «أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٢]. فَعَلَيْكُم ـ عِبَادَ اللهِ ـ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي عِبَادَاتِكُمْ.

فَخَيْرُ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحَدَثَاتُهَا.. إلخ.

* * *

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٠٢٩) وغيره.

(٢) رواه البخاريُّ (٥٠٦٣).

فِهْرِسُ المَوْضَوعَاتِ